

علم اجتماع الجندر

تأليف

الأستاذ الدكتور معن خليل العمر

الاهداء

الى حفيدتي أمانى

حافظى على أنوثتك الجذابة فى حيويتها لأنها سر جمالك
وذلك عبر حبك لأفراد اسرتك

جداً معن

المقدمة

عندما يتغير المجتمع يتطور علم الاجتماع تبعاً ، وعندما تتعدد المفاهيم تتنوع مصطلحاته ، وعندما تتحرك الفواعل الاجتماعية على شكل حركات منظمة عندها يستجيب لها هذا العلم لأنه مرآة أحداث المجتمع .
ولما كان المجتمع الحديث يتنامى بسرعة - علمياً وتقنياً - فإن فاعلية الاجتماعيين يتناموا معه . فميلاد مفهوم جديد فى المجتمع الغربى يميز الرجل عن المرأة لا من خلال الاختلافات الجسمية ولا من حيث ادوارهما الاجتماعية

المحددة ثقافياً ، بل من حيث المتطلبات الحديثة التي يحتاجها المجتمع في ممارستها فتعزز نوعاً اجتماعياً سميّ بـ (الجندر) وهذا يعني أن النوع الجنسي (ذكر وأنثى) لا يعني النوع الاجتماعي (الأنوثة والذكورة) .

فالذكر لا يولد رجلاً ولا أنثى تولد امرأة ، وهذا يعني ان الرجل والمرأة يكتسبان الرجولة والانوثة من اسرتهم ومجتمعهم وثقافتهم لأنها ليست موروثه عن طريق الجينات بل تعلموها عن طريق التنشئة الأسرية والالكترونية (الحاسوب والانترنت وبلاي ستيشن والآيباد والتلفون المحمول والبرامج الالكترونية المسلية والذكية وسواها) والتلفازية والمدرسية التي جعلت من الناشئة متفوقة في تفكيرها وهوايتها وطموحها على الناشئة التي عاشت قبل جيلهم وكان هذا التفوق على حساب علاقتها الأسرية والصدائقيه وجميعها اكسبت الناشئة مفاهيم خاصة بالأنوثة والرجولة تعكس التساو في الرغبات والهوايات والتفكير ومزيلة للتعصب والتميز ضد البنت وجعل انوثتها غير انوثة امها عندما كانت في سنها مثل الجرأة والصراحة والمبادرة والاستقلال الشخصي وعدم الخنوع والانصياع لأخيها عندما يريد ان يسيطر عليها باسم الأخوة . أقول الشعور الشخصي بكيانها الذي لا يختلف عن اخيها وهذا ما تعززه المدرسة والشرطة والمحاكم في عدم التفرقة بين الأنثى والذكر إذ كلاهما متساويين في حقوقهما وواجباتهما انها التنشئة الجديدة لا تأخذ بالتفرقة الجنسية ولا الفصل بينهما بل لهما ادوار اجتماعية متساوية في توقعاتها ازاء المسؤولية الاجتماعية والأسرية وهذا بدوره غير مفهوم الانوثة عند البنت والرجل معاً وكذلك غير الرجولة عند كليهما .

أما في المجتمع العربي فإن الحاجة باتت ماسة لتناول هذه المادة المعاصرة ليس فقط مسايرة لتطور وضع المرأة في المدنية الغربية المعاصرة بل لأن الاجهزة الالكترونية الحديثة المستخدمة في الاتصالات والتواصل الاجتماعي وتأثيرات العولمة الظاهرة للعيان على المجتمع العربي علاوة على ثورات الربيع العربي وما أحدثته من قدح الوعي الاجتماعي والسياسي عند الناشئة العربية نحو التواصل المستمر لمجريات العالم الحديث التي ساهمت بظهور كتابات نسوية تطالب بالحصول على حقوقها ومساواتها بالرجل ليس بشكل متطرف بل بدرت هذه المبادرات على الصحف وشاشات التلفاز وعلى التواصل الاجتماعي ، لذلك

نجد من المفيد والمثمر ان نعرف الناشئة العربية المتعلمة على هذا الميلاد المعرفي الجديد لكي يتواصل مع ما يحصل في القرية الكونية .

ولا يسعني في هذا المقام إلا ان اتقدم بالشكر الجزيل لزوجتي جيهان في مساعدتها لي في البحث عن مقالات ودراسات تناولت موضوع الجندر من النت وطباعة مسودة الكتاب فلها كل الحب والعرفان .

يتضمن هذا المؤلف ستة فصول : اختص الأول بمضمون الجندر ، اما الثاني فقد انصب على تعريف ماهية الجندر في حين تناول الثالث موضوع حقوق المرأة الإنسانية اما الرابع فقد عرض الحركة النسوية بكل اطوارها ، بينما الخامس قدّم نظريات الجندر الاجتماعية وبالتالي اوضح الفصل السادس وموضوع المرأة في الأدبيات الاجتماعية .

بقيّ أن نقول هل نستخدم الجندر كمصطلح اجنبي متعارف عليه في الادبيات الغربية ام ترجمته الى العربية (النوعي الاجتماعي) .

ارتأينا استخدام المصطلح الأجنبي مثلما استخدمنا الديمقراطية والدكتاتورية والبيروقراطية والدينامية في كتاباتنا لأنها تمثل ترجمة لفظية وليس مضمونية .

وأخيراً أسأل الحق الذي منح كل الحق وجوده ان يسدد خطانا وان يتوج بالنجاح مسعانا وان يوفقنا الى المعرفة التي هي غايتنا الأولى والأخيرة .

وبالله العون ومنه التوفيق

الأستاذ الدكتور معن خليل العمر

سدني – استراليا ٢٠١٤

المحتويات

المقدمة

الفصل الأول

علم النوع الاجتماعي (الجندر)

استهلال

- ١ / أ - منشأ مصطلح الجندر .
١ / ب - بداية استخدام مصطلح الجندر في علم الاجتماع .
١ / ت - تعريف الجندر .
١ / ث - التركيبة الاجتماعية للجندر .
١ / ج - كيف ينظر العالم للجندر ؟
١ / ح - الجندر في وثائق الأمم المتحدة الدولية .

الفصل الثاني

ماهية الجندر

استهلال

- ٢ / أ - لماذا الاختلاف الجندري ؟
٢ / ب - الهوية والآخرين المختلفين .
٢ / ت - ثمن الامتثال المطابق للنوع الاجتماعي (الجندري) .
٢ / ث - تصور مغاير لنوع الجنس .
٢ / ج - تبخيس قيمة عمل المرأة .
٢ / ح - الجندر والتغيير الاجتماعي .

الفصل الثالث

حقوق المرأة الإنسانية

استهلال

- ٣ / أ - التمييز ضدهن .
٣ / ب - مبادئ اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضدهن .
٣ / ت - المرأة في مرآة الفلاسفة .
٣ / ث - من يصدق هولبود ضد المرأة ؟
٣ / ج - الفوارق الفعلية بين الفتيان والفتيات .
٣ / ح - الثقافة الناعمة ما هي وما دورها في المجتمع ؟
٣ / خ - تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة في المجتمع العربي .
٣ / د - نماذج من انتهاك حقوقهن
٣ / د - ١ - النموذج الأول : حق التملك الجسدي

- ٣/د - ١ - ١ - نموذج الاتجار بأجسادهن
 ٣/د- ١ - ٢ - نموذج استغلالهن كلاجئات
 ٣/د - ١ - ٣ - نموذج جهاد نكاحهن
 ٣/د - ١ - ٤ - نموذج اغتصابهن
 ٣/د - ١ - ٥ - نموذج التحرش بهن
 ٣/د - ٢ - النموذج الثاني : حق الوجود الاجتماعي
 ٣/د - ٢ - ١ - نموذج الزواج من القاصرات
 ٣/د - ٢ - ٢ - نموذج استغلال مواردهن
 ٣/د - ٢ - ٣ - نموذج الصاق وجودهن بوجوده
 ٣/د - ٣ - النموذج الثالث : حق الانوثة البيولوجية
 ٣/د - ٣ - ١ - نموذج استئجار ارحامهن
 ٣/د - ٣ - ٢ - نموذج ختانهن

الفصل الرابع الحركة النسوية

استهلال

- ٤/أ - اطوار (موجات) تطور الحركة
 الطور الأول
 الطور الثاني
 الطور الثالث

تعقيب وتعليق

- ٤/ب - مدارس الحركة النسوية
 الحركة النسوية الليبرالية
 الحركة النسوية الاشتراكية
 الحركة النسوية المتطرفة
 ٤/ت - مميزات التبلور النظري
 النظرية الاجتماعية النسوية
 المرأة ونظرية الانوثة

نظرية الانوثة والمرأة المعاصرة
مشروع نظرية اختلافات الذكر والانثى
مشروع نظرية التمايز بين الرجل والمرأة
مشروع نظرية المضطهدة
مشروع نظرية الانوثة ومشاريعها

الفصل الخامس نظريات الجندر الاجتماعية

استهلال

٥ / أ - تعريف النظرية أهدافها ووظائفها
٥ / ب - انواع النظريات

- ١- النظرية الوظيفية
- ٢- النظرية الصراعية
- ٣- نظرية راس المال البشري
- ٤- نظرية سوق العمل الثنائي
- ٥- نظرية الفصل الجندري
- ٦- نظرية التعصب العنفي
- ٧- النظريات البيولوجية
- ٨- نظريات التنشئة
- ٩- نظريات المساواة الجنسية
- ١٠- نظرية سي والبي البطريقية
- ١١- نظرية كوتيل ، نظرية الجندر الاجتماعية

تعقيب وتعليق

الفصل السادس

المرأة في الادبيات الاجتماعية
٦ / أ - ملهات خلدن التاريخ
٦ / ب - رائدات الحركة النسوية

- ٦ / ت - أسوء النساء في التاريخ
٦ / ث - السحاقيات ... شاذات في المظهر والسلوك
٦ / ج - كفاح المرأة الاسترالية
٦ / ح - النهضة النسائية العربية
٦ / ذ - اخلاق الانوثة

المصادر
المصادر العربية
المصادر الاجنبية
المصادر الالكترونية

الفصل الأول علم النوع الاجتماعي (الجندر)

استهلال

- ١ / أ - منشأ مصطلح الجندر
١ / ب - بداية استخدام مصطلح الجندر في علم الاجتماع
١ / ت - تعريف الجندر

١ / ث - التركيبة الاجتماعية للجندر

١ / ج - قدر المرء البيولوجي

١ / ح - كيف ينظر العالم للجندر؟

١ / خ - الجندر في وثائق الأمم المتحدة الدولية

تعقيب وتعليق

الفصل الأول

علم النوع الاجتماعي (الجندر)

استهلال

جندر او علم النوع الاجتماعي او الجنوسة حسب بعض الترجمات في العربية (بالإنجليزية Gender) وهو علم الجنس السوسيولوجي / الاجتماعي ويعني المصطلح دراسة المتغيرات حول مكانة كل من المرأة والرجل في المجتمع بغض النظر حول الفروقات البيولوجية بينهما وفقاً لدراسة الادوار التي يقومان بها . أي ان المرأة والرجل ينبغي النظر اليهما من منطلق كونهما انسان بغض النظر عن جنس كل منهما وهذا العلم لا يخص المرأة فحسب وإنما يعني الرجل كذلك .

في الأساس ، مصطلح الجندر هو ترجمة اجتماعية - حضارية للجنس البيولوجي الذي يسعى نحو توسيع المفهوم العام حول السؤال الاجتماعي الذي مفاده كيف ينبغي على النساء والرجال ان يتصرفوا ويظهروا بالتلاؤم مع المجتمع حسب رموز اجتماعية معرّفة والقائمة على افكار نمطية تبعية مقبولة في المجتمع والتي تستوفي مكونات الانوثة ، في نفس الوقت الذي فيه متوقع من الرجل ان يقوم بدوره الاجتماعي المعرّف والقائم هو ايضاً على افكار نمطية مجتمعية حيث يوفر هذا الدور المكونات الاساسية للرجولة . على سبيل المثال ، مقبول على التفكير النمطي ان النساء يتبعنّ للحيز الخاص (البيت ، الاولاد ، العائلة) وأن الرجال يتبعون للحيز او المجال العام (العمل ، السياسة ، الاقتصاد) وعلى هذا ايضاً مقبول على التفكير النمطي تُقبل النساء كأشخاص تتطلقن من مبدأ المشاعر والرجال كأشخاص يعيشون على مبدأ المنطق .

وعلى هذا الأساس ، فأن الفرق في الجندر او بين الانواع الاجتماعية ليس من الضروري يكون نابعاً او صادراً عن الفروقات البيولوجية بين الذكر والانثى ، انما هي فروقات مترجمة عن نظرة المجتمع والثقافة الاجتماعية للنوع الاجتماعي بشكل اساسي (بحيث كان رجل او امرأة او غير ذلك) وعلى التوقعات التي يبينها المجتمع نفسه من النوع الاجتماعي الأنف ذكره . بتعبير آخر ان نظرة المجتمع والتوقعات الجندرية فيه هي التي تبني وتصمم مراحل تطور الذكر كرجل والانثى كامرأة وهي نفسها التي تصمم الطبقة المجتمعية القائمة على تفوق لصالح الرجل على المرأة . في غالب الحالات يرى ان المرأة هي النوع الاجتماعي الذي يحتاج الى تعديل دوره الاجتماعي .

بداية المفهوم : ظهر مفهوم الجندر في ثمانينات القرن العشرين كمصطلح بارز استخدام في قاموس الحركة النسوية حيث ظهر في امريكا الشمالية ومن ثم اوربا الغربية عام ١٩٨٨ م .

العلاقة بين الجندر والاقتصاد : هناك علاقة قوية بين الجندر والاقتصاد حيث ان مجتمع الجندر ينبغي ان تتساوى فيه فرص التعليم بين الاناث والذكور وما يتبعها من تساوي فرص العمل والأجر كذلك هناك تساؤل حول مصير النسبة الكبيرة للإناث قياساً للذكور في كل دولة خصوصاً دول العالم الثالث ومدى الخسائر الاقتصادية الناجمة عن اقضاء دور النساء من الادمج الكامل في نشاطات العمل

وما يحمله من خسائر للدول والمجتمعات ، فمثلاً في حالة العراق حيث تزيد نسبة الاناث في البلد عن ٥٠% يدفع الأمر للتساؤل مدى التأثير الاقتصادي إذا تم اغفال هذه النسبة من المجتمع خاصة إذا ما تبين ان عدد مواليد الاناث في ازدياد عن الذكور . [جبر ، ٢٠٠٨ ، ص . ص ٤٤ – ٤٦] .

بعد ان قدمنا الترجمة الاجتماعية – الثقافية للجندر ندلف الى بداية استخدامه كمصطلح خارج الحقول العلمية مثل منظمة العمل الدولية ، لكن قبل ان نذهب الى بداية استخدام المصطلح أود ان انبه القارئ الى وجود مصطلحين متشابهين هما حركة تحرر المرأة Feminism الذي يعني المساواة بين الجنسين سياسياً و المساواة بين الجنسين سياسياً واقتصادياً . كلاهما يعنيان المساواة الجنسية إنما الأول أشمل من الثاني . وفي الواقع لا توجد هناك بطاقة عضوية او عهد مكتوب يطلب الولاء والامتثال لسبب معين بل هناك ادعاء قبل الانثى بالهوية وهذا الادعاء غالباً ما يصدر من الانثى الناشطة حركياً والناقدة والواعية بعدم المساواة بينهما وبين الرجل في العمل والأجور والدراسة إذ لم تعد الملابس عاملاً في تميز البنت على الولد غي هذه الأيام ولا في ألوانها ولا زينتها بل عامل الوعي بالظلم والجور المتسلط عليها هو الموضوع المهم الذي يشغل بال وتفكير الفتاة العصرية . [Scholz , 2010 P. 1] .

يرجع الفضل في استخدام مصطلح " الجندر " الى منظمة العمل الدولية وهو مصطلح يشير الى العلاقات والفروقات بين الرجل والمرأة التي ترجع الى الاختلافات بين المجتمعات والثقافات والتي هي عرضة طوال الوقت للتغيير . ومصطلح " الجندر " لا يُعد بديلاً لمصطلح " الجنس " الذي يشير بدوره الى الاختلافات البيولوجية بين الرجال والنساء وبمعنى اخر فإنه يمكن استخدام مصطلح الجنس في التعدادات الاحصائية ، اما " الجندر " فيستخدم في تحليل الأدوار والمسئوليات والحاجات الخاصة بكلا من الرجال والنساء في كل مكان وفي أي سياق اجتماعي ، الابحاث الاجتماعية تؤكد على ان " الجندر " اصبح يعني بما هو ابعد من الاطار الجنساني ليصل الى المدى الذي يعني فيه بالعلاقات الاقتصادية كما ان التعريفات الجندرية جماعية ومجزأة وغير ثابتة فالجندر عادةً ما يتعلق بالديناميكيات الاثنية والطبقية .

ما معنى المساواة الجندرية ؟ المساواة الجندرية تعني ان لا تعتمد الحقوق والمسئوليات الفرص المتاحة للنساء والرجال على كونهم ولدوا ذكوراً ام اناثاً ؟

والمساواة الجندرية تعني ايضاً ان التوزيع المتساوي للقدرات الاقتصادية يجب ان يفهم في اطار التوزيع المتساوي للفرص والقدرة على التأثير والقوة الاجتماعية .

ما معنى العدالة الجندرية ؟ تعني العدالة في التعامل مع كلاً من الرجال والنساء بناءً على الاحترام المتكامل لاحتياجاتهم ربما يتضمن ذلك تعاملات عادلة او تعاملات مختلفة لكنها تعتمد على المساواة في الحقوق والمكتسبات والحريات المدنية والسياسية وكذلك الفرص .

ما معنى جندرة الاتجاهات السائدة ؟ تعني هي العملية التي يتم من خلالها مراعاة ادراج النساء والرجال في كافة عمليات التخطيط بما في ذلك صنع التشريعات والسياسات والبرامج في كافة المناطق وعلى كافة المستويات . انها استراتيجية جعل اهتمامات وخبرات الرجال والنساء عناصر اساسية في تصميم وتنفيذ وتقييم السياسات والبرامج في كافة السياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بما يضمن ان مسألة استفادة الرجال والنساء بشكل متساو او غير متساو من هذه السياسات والبرامج لكن لن تكن محل نقاش .

ما هو التحليل الجندري ؟ هو أداة تحليل الفروقات بين الرجال والنساء مع مراعاة خصوصية الأنشطة والظروف والاحتياجات والوسائل التي تؤثر في تحكمهم في الموارد وكذلك وسائل الافادة من التنمية واتخاذ القرار . ان التحليل الجندري هو الاداة التي يتم بواسطتها دراسته الروابط بين هذه العوامل وغيرها في اوسع السياقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية . ان التحليل الجندري يتطلب ، اولاً تجميع كافة المعلومات ذات البعد الجندري المتعلقة بالسكان . ان التحليل الجندري هو الخطوة الأولى نحو قياس ورصد مدى تحقق العدالة على اساس الجندر في المجتمعات . [apap.ahlamontada.com]
اتحول بعد ذلك الى علم الاجتماع لتحديد بداية استخدامه للجندر حيث

١ / أ - منشأ مصطلح الجندر

حتى نستطيع ان نفهم معنى وابعاد مصطلح الجندر (النوع) لا بد من الالمام بتاريخ الانثوية التي ارتبط المصطلح بها ، وبيان المراحل التي مرت بها تلك الحركات منذ بداية ظهورها الى المسرح السياسي والاجتماعي والثقافي وحتى

وصولها الى شكلها الحالي بمطالبتها المعروفة وكيفية تطور اطاريحها وتأثيرها بالمفاهيم التي سادت في تلك المراحل .

عن الفارق بين الدعوة الى تحرير المرأة وانصافها والحركة التي تبنت هذه الدعوة - سواء في البلاد الغربية او الشرقية - وبين النزعة الانثوية المتطرفة Feminism التي تبلورت في الغرب في ستينيات القرن العشرين والتي تقلدها قلة قليلة من النساء الشرقيات والحركات التي تبنت هذه النزعة المتطرفة ان الفارق بين هاتين الدعوتين والحركتين وفلسفتيهما ومطالبهما هو الفارق بين العقل والجنون !

فأقصى ما طمحت اليه دعوات وحركات تحرير المرأة Woman's Liberation movements هو انصافها من الغبن الاجتماعي والتاريخي الذي لحق بها ، والذي عانت منه اكثر كثيراً مما عنى منه الرجال مع الحفاظ على فطرة التميز بين الانوثة والذكورة ، وتمايز وتوزيع العمل وتكامله في الأسرة والمجتمع على النحو الذي يحقق مساواة الشقين المتكاملين بين الرجال والنساء ... وذلك حفاظاً على شوق كل جنس الى الآخر ، واحتياجه اليه وأنسة بما فيه من تمايز الأمر الذي بدونه لن يسعد أي من الجنسين في هذه الحياة . دون اعلان للحرب على الدين ذاته ، ولا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها عندما خلقهم ذكراً واناثاً وايضاً دون اعلان للحرب على الرجال.

أما النزعة الانثوية المتطرفة Feminism والانثوية الراديكالية والتي تبلورت في ستينيات القرن العشرين فتعرف بأنها حركة فكرية سياسية اجتماعية متعددة الافكار والتيارات ، ظهرت في اواخر الستينات تسعى للتغيير الاجتماعي والثقافي وتغيير بناء العلاقات بين الجنسين وصولاً الى المساواة المطلقة كهدف استراتيجي وتختلف نظرياتها وتتسم افكارها بالتطرف والشذوذ وتتبنى صراع الجنسين وعائهما وتهدف الى تقديم قراءات جديدة عن الدين واللغة والتاريخ والثقافة وعلاقات الجنسين .

وقد تغلغت هذه الفلسفات والافكار والدعاوى بشكل غير عادي في المجتمعات الغربية خلال العقود الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين ونجحت هذه الحركات الانثوية الغربية في الضغط على المؤسسات الدينية الغربية - تلك التي خانت رسالتها - حتى اصدرت في عام ١٩٩٤ م طبعة جديدة من العهدين القديم

والجدید سمیت (الطبعة المصححة) تم فيها تغيير المصطلحات والضمائر المذكّره وتحويلها الى ضمائر محايدة .

تيارات الحركة الانثوية وتأثرها بالمدراس الفلسفية

١- الحركة الانثوية الليبرالية

يمكن إطلاق الليبرالية على أية حركة نسوية تسعى من اجل تحسين وضع المرأة من الناحية القانونية والصحة والتعليم والمشاركة السياسية وتحسين مستوى معيشة النساء عامة ولا تطرح مفاهيم متطرفة وطالبت بحقوق مشروعة ولم تظهر في وجهها حركات مناهضة من النساء لأن ما تدعوا اليه قدر جامع متفق عليه .

٢- الحركة الانثوية الشيوعية

وتتبنى مجموعة الأفكار التالية :-

أ- ان المرأة إنسان ومكافئة للرجل ولها كل ما للرجل من حقوق ولا بد ان تكون حرة في جميع اختياراتها وان انوثتها لا تمنعها عن أي شيء يمكن ان يقوم به الرجل .

ب- إن حرية المرأة تقتضي ان تكون حرة في علاقتها الجنسية مع الرجال ولا يمنعها الزواج من ذلك ، لأنها ليست ملكاً فردياً للرجال وهل تقبل الشيوعية بعد إلغاء الملكية الفردية للأشياء ان تعود وتقرها للأشخاص .

ت- ضرورة تهيئة الأجواء والفرص المناسبة لتمكين المرأة اقتصادياً وذلك بإخراجها من البيت لتكون عاملة ومنتجة وتخليصها من واجبات البيت والزوج ، وما يسمى في هذه الايام الادوار النمطية والتقليدية التي يمكن ان تعيق هذا الامر وذلك عن طريق إنشاء المطاعم الجماعية ودور حضانة الاطفال والغسلات العامة وغيرها وان تكون تربية الاطفال من مهام الدولة لا من مهام المرأة . ويسمي لينين المطاعم الجماعية وغيرها من دور الحضانة ورياض الاطفال " ببراعم الشيوعية " التي لا تفترض شيئاً من الأبهة والتفخيم والتي من شأنها واقعياً ان تحرر المرأة وان تقلص من عدم المساواة بينها وبين الرجل وان تستجيب لدورها في الانتاج الاجتماعي والحياة العامة .

٣- الحركة الانثوية الوجودية

الوجودية : هي فلسفة التجارب الشخصية والفردية ، فلسفة الشك والرفض قبل القبول واليقين ومن رواد هذه الفلسفة (جان بول سارتر) وعشيقته سيمون دي بوفوار صاحبة كتاب الجنس الاخر والتي تتبنى افكاراً تشكيكية " ان السبب العميق الذي حصر المرأة في العمل المنزلي في بداية التاريخ ومنعها من المساهمة في تعمير العالم هو استبعادها لوظيفة التناسل " وتقول عن دور التنشئة في خلق وضع المرأة " لا يولد المرء امرأة بل يصير كذلك " وتقول " ان سلوك المرأة لا تفرضه عليها هورموناتها ولا تكوين دماغها بل هو نتيجة لوضعها " واخيراً تدعو المرأة الى الرفض والثورة والتمرد على هذا الواقع وتدعوا الى : عالم يكون فيه الرجال والنساء متساوين وسيعمل النساء وقد رُبينَّ ودُرِبْنَ كالرجال تماماً في اطار الظروف نفسها وبالأجور نفسها وستقر العادات ، الحرية و الشهوانية ، ولكن العمل الجنسي لن يعتبر خدمة مأجورة وستكون المرأة ملزمة بتأمين مورد رزق آخر وسيقوم الزواج على ارتباط حر بوسع الزوجين ان يلغياه متى شاء وستكون الأمومة حرة أي نسمح بمراقبة الولادات .

٤- الانثوية الراديكالية او النوعية

الراديكالية يمكن اعتبارها نزعة وطريقة للتناول والمعالجة وليست مدرسة فلسفية وقد اتسمت بعدم الواقعية ، والبعد عن التدرج والانحياز المفرط دون النظر الى السياق الاجتماعي والمصالح التي هي فوق الرجل وفوق المرأة ايضاً وقد طالبت بتغيير جذري في مجموعة علاقات الجنسين داخل الأسرة وفي المجتمع على حد سواء بزوال السلطة الأبوية واستئصالها ووصولاً الى المساواة المطلقة وسيادة علاقات النوع في المجتمع او ما يسمى genderization of society

البيئة الفلسفية التي نشأت فيها الأنوثة

اهم المبادئ والأفكار التي اثرت على الفكر الغربي منذ ظهور عصر النهضة ثم التنوير ثم الحداثة وما بعدها واثرت بالتالي على الأنوثة كجزء وليد لهذه المنظومة الفكرية :-

١- العلمانية Secularism

العلمانية : بمعنى تغليب العقل البشري على النقل الإلهي ورفض الدين كمرجعية عليا للقطع في الأمور والعودة اليه عند الاختلافات ، بل تعدى الأمر بعد ذلك الى الالحاد وانكار الخالق بالكلية وغير ذلك من الافكار ويبدو ان ذلك كان نتيجة

طبيعية للكنيسة وممارستها والتي اصرت على تقديم افكار بشرية معوجة باسم الدين المسيحي وهذا ما هو حاصل في المجتمع العربي بعد ثورات الربيع العربي والاحتلال الأمريكي للعراق من تقديم افكار معوجة باسم الدين الإسلامي - إذ صدرت العديد والكثير من الافكار البشرية الفئوية المعوجة التي لا تخدم الدين الإسلامي بل تخدم بعض الشرائح الاجتماعية التي ركبت تيار السياسية والحكم فكثرت المفخخات والقتل العشوائي والإرهاب من قبل هؤلاء تحت اسم الطائفة الدينية التي شكلت ردود فعل سلبية ومعادية للفاعلين باسم الدين الأمر الذي سوف يدفع بالكثير من المسلمين في الوطن العربي الى تبني التيارات العلمانية بسبب الأفكار العوجاء والفتوى الدينية التي لا تخدم الإسلام والمسلمين بل تخدم مصالح المنخرطين في العملية السياسية تحت غطاء الدين او الإسلام السياسي وهذا ما سنشاهده في المستقبل القريب في المجتمع العربي .

لقد ادت الكثير من المكتشفات العلمية الى خلق حالة من الشك في الدين ومحاولة الناس لشق طريقهم بعيداً عن الله والدين فحصل ما عُرف بالدينيوية والعلمانية Secularism واقصاء الدين عن الحياة وفقد الدين مرجعيته وهيمنته وحجته في تعيين الخير والشر والحق والباطل والفضيلة والرذيلة .

والحركة الانثوية تأثرت كغيرها من الحركات بما ذكرناه من اسباب التوجه للعلمانية ، علاوة على امور اخرى تتعلق بالنظرة الدينية الدونية والسيئة للمرأة وحقوقها في الديانتين السائدتين في الغرب النصرانية واليهودية بعدما اصابهما التحريف والتبديل البشري .

٢- العقلانية Rationalism

العقلانية صنو العلمانية وفلسفتها الجوهرية او المركزية ونتيجة طبيعية لها لأنه بعد رفض الدين كمرجعية ومصدر للمعرفة والاعتقاد والتشريع فلا بد ان يكون هناك البديل ، فكان البديل في تأليه العقل الإنساني وتمجيده فظهرت النزعة العقلانية كمؤسس للنزعة العلمانية وكان لها الدور الاعظم في صياغة العالم الغربي المعاصر في كل مجالاته ولا بد انها قد تركت على واقع المرأة ايضاً والحركة النسوية أثاراً مهمة وجوهرية فهي من ناحية فلسفية للأنوثة تعتمد عليها وهي من ناحية اخرى وبامتداداتها المتطرفة كانت وبالاً على المرأة حطت من قدرها كما سيأتي الى ذلك .

٣- المادية Materialism

فيما بعد عصر النهضة برزت الى السطح في اشكال متعددة منها رفض الغيب وكل ما لا يدخل في دائرة الحواس ومنها تعلق الناس بالدنيا والمنافع وذبول الجانب الروحي والايحائي والعاطفي في الناس ، وزاد الأمر سوءاً في فلسفات ما سميت بما وراء الحداثة Post modernism وهذه النزعة كانت ذات اثر في الحركة الانثوية ونوعية تلك المطالب التي تنبع من واقع كندا ، واقع قاسي على المرأة لا يؤمن للمرأة لقمة العيش إلا بعد إضاعة انوثتها وانهاك طاقتها بل وفي الكثير من الاحيان استغلالها جنسياً من رب العمل واسترقاقها بشكل اخر وادى ذلك الى انتشار البغاء ومن ثم تجارة الرقيق الأبيض وبيع النساء والصبيا في سوق نخاسة الجنس والدعارة .

٤- الفردية Individualism

الفردية : هي تمجيد الفرد كحقيقة منفردة وحيدة تعتبر نفسها مركز جميع الاشياء ومقياسها في نطاق المنافسة والتصادم مع الاخرين . ولقد كانت العلمانية سبباً في تأجيل نزعة الفردية في الإنسان وتمحور حول ذاته حتى في مجال القانون والحقوق فإن الصياغة الليبرالية للفكرة الحقوقية في الغرب تنظر الى الفرد كما لو انه مستقل عن الجماعة في تصوره الاصيلي أي انه كان من البدء فرداً ثم دخل الجماعة متنازلاً عن بعض حقوقه لتحمي له حقوقه الباقية فظهرت فكرة الحق في تصوره فردي . والفردية واحدة من المنطلقات الأساسية للأنوثة والتي تؤكد على الفردية للمرأة وتجريدها من السياق الاجتماعي وابرازها عند الرجل وعدم ربطها لا بالأسرة ولا بالمجتمع ولا بالأطفال .

٥- النفعية ومذهب اللذة Hedonism

هذه النزعة هي سمة من سمات الفرد والمجتمع الغربي وهي نتيجة طبيعية للمادية والفردية وهي نزعة قديمة في الفكر الفلسفي الغربي حيث تعود الى قرون ما قبل الميلاد عند الفيلسوف اليوناني (ابيقور) الذي نادى بأن الخير هو اللذيق واي فعل يعتبر خيراً بمقدار ما يحقق لنا من لذة .

ثم جاءت فلسفة البرجماتية او الذرائعية Pragmatism والتي اصبحت ديانة امريكية تؤكد على ان صواب أية فكرة او خطأها يمكن في مدى تحقيقها للمنفعة علمياً عند تجربتها وفي فترة ما بعد الحداثة ، قال ميشال فوكو " تشكل اللذة غاية بذاتها فهي لا تخضع لا للمتعة ولا للأخلاق ولا لأية حقيقة علمية " .

وفي هذه الأجواء تعالت الصيحات الأنثوية أيضاً بالتشكيك من المعايير الخلقية norms وحق المرأة في رفض الرضاعة والأمومة وحق المرأة في عدم تربية ورعاية اولادها وحق المرأة في اطلاق رغباتها الجنسية والحب الحر بل وحق المرأة في الشذوذ والزواج المثلي .

٦- العبثية والتشككية Scepticism

يقول تشارلز فرانكل " ففي الثقافة الحديثة كل شيء نسبي وليس ثمة شيء مطلق فليس لنا مبادئ اولية ولا قيم نهائية ولا عقائد راسخة لا فكاك منها ولا إيمان بوجود معنى غائي للحياة " وتجسدت هذه النزعة التشككية الراضة في فترة ما يسمى بما وراء الحداثة حيث يقول ميشال فوكو " عمل الفكر ان يجعل كل ما هو راسخ موضع اشكال " وهكذا بلغ التطرف أوجه حين اصبح هدم المفهوم الراسخ وقد تبينت الحركة الانثوية هي أيضاً هذه المفاهيم وتأثرت بهذه النزعات الشكية والتمردية بمختلف طوائفها ولكن بدرجات متفاوتة طبعاً وأدى هذا التأثير الى ان تلخص بعض هذه التيارات مبادئها بجمل من قبيل :-

أ- موت الميتافيزيقا (الغيب والدين) Death of metaphysic

ب- موت الرجل Death of man

ت- موت التاريخ Death of history

ولما نشأ التيار الراديكالي الأنثوي ، نشأ في ظل هذه المفاهيم فشكك في كل ما هو قائم من مصادر معرفة : (الدين + النظريات الاجتماعية والنفسية + القانون) واعتبرها رجولية متميزة ، وشكك في النظم الاخلاقية السائدة والقيم والعادات واعتبرها متخلفة وبالية وتحتاج الى تغييرات جذرية وشكك في اللغة واعتبرها متميزة وتحتاج الى اعادة صياغة ونادوا بـ Reconstruction of language حيث الطبيعة البيولوجية للمرأة انكرها وشكك فيها وربطها بالبيئة الثقافية والتنشئة ، لا بحقيقة طبيعة المرأة وخلقها على نحو معين ، وشكك بعد ذلك في الأمومة كوظيفة طبيعية للمرأة وشكك في الأسرة كمؤسسة ضرورية للحياة وعلاقات الجنسين الخ .

٧- الصراعية Conflict

إن الفكر الغربي منذ نشأته الأولى زمن اليونان مبني على اساس مبدأ الصراع وعدم الانسجام وخلق التناقض بين الاشياء بدل ادراك اوجه التكامل والتشابه

وبني على ان الثنائيات الموجودة في العالم لا مجال لتعايشها وتكاملها بل لا بد من الصراع حتى يكون البقاء لواحد وهو الأصلح والأقوى . وقد انصبغ ذلك وضع المرأة في الغرب فصبغت حقوقها في مواجهة الرجل وعلى ان كسبها يتأتى في صراع معه حتى في العلاقة الزوجية وغابت من هذا التصور فكرة السكن والمودة بين الزوجين التي اوردتها القرآن وفكرة البناء المشترك للأسرة كمؤسسة اجتماعية تتولد الحقوق فيها عن التكاتف والتآزر وليس انتقاصاً من حق الآخر .

٨- الجنسانية Sexism

الجنسانية : تعني جعل المتعة الجنسية غاية عليا . جذور الفكرة الجنسانية (بمعنى الاباحية والمشاعية الجنسية) ترجع الى زمن اليونان وتحديداً الى افكار افلاطون الذي دعا في جمهوريته الى " ان نساء محاربينا يجب ان يكن مشاعاً للجميع فليس لواحد منهن ان تقيم تحت سقف واحد مع رجل بعينه منهم وليكن الاطفال ايضاً مشاعاً بحيث لا يعرف الأب ابنه ولا الابن أباه " . ويقول بعض الباحثين ان افلاطون كان مشجعاً للشذوذ الجنسي او الزواج المثلي والذي كان شائعاً في المجتمع اليوناني . ثم جاءت اليهودية - بعد تحريفها طبعاً - لكي تحدث عن زنا الانبياء ، وابتدعت النصرانية الرهبنة واعتبرت الجنس قذارة وذنساً لا يليق بمن يبغى المقدس . وجاءت الشيوعية لكي تنادي بالمشاعية والأب.

[www.iicwc.org]

١ / ب - بداية استخدام مصطلح الجندر في علم الاجتماع

بدأت دراسة الجندر فيه حديثاً ثم تطورت بحوثها من خلال الاعمال التي تناولت ماري كريت ميد في المرحلة الواقعة بين ١٩٤٠ و ١٩٦٠ (عندما كانت النظرية الوظيفية البارسونيه مؤثرة) بدأ علماء الاجتماع يكتفون حول الاختلافات الدورية القائمة بين الرجل والمرأة مشيرين بذلك على انها ادوار جنسية . في الواقع هذا الطرح كان متمماً لإدوار الرجل والمرأة ليس فقط مؤكداً على طبيعة الفصل بين الجنسين بل كذلك على انها ادوار مقترنة ومشاركة مع المكانات الاجتماعية داخل المجتمع . وفي العقد السابع من القرن العشرين حصل مراجعة وفحص نظرية الدور الاجتماعي للتعرف على النقائص التي فيها . اما نظرية الدور الجنسي فظهرت فائدتها في تحديد المعايير والتوقعات السلوكية

المناسبة للرجل والمرأة لكنها لم تقدم شرحاً للعنف الاختلافات السائدة في العلاقات بينهما واطهار عدم المساواة بينهم واختلاف النفوذ عندهما . وظهر أيضاً ان نظرية الدور الجنسي لم تقدم شرحاً عن الاختلافات القائمة بين الرجال والاختلافات الحاصلة بين النساء .

بيد ان مفهوم الجندر برز في الكتابات السوسيولوجية لأول مرة في العقد السابع من القرن الماضي مع التحليلات الحركة النسوية والانتقادات الموجهة لنظرية الدور الجنسي وكان ذلك ظاهراً في كتابات آن أوكلي Ann Oakley عندما كتبت عن الجنس والجندر والمجتمع عام ١٩٧٢ م .

لا جرم من طرح السؤال التالي : لماذا بات مفهوم الجندر مهماً في ميدان علم الاجتماع ؟ للإجابة على هذا السؤال نرجع الى اهتمام علم الاجتماع بطبيعة المجتمع وعلاقة الفرد بهذه الطبيعة وكيف يحصل التغيير فيه . ومع هذا الاهتمام ظهرت الموجة الثانية للحركة النسوية في أواخر العقد السادس من القرن الماضي التي ادت الى تفاقم النقاش حول موضوع ظلم المرأة في المجتمع وهذا بدوره ادى الى تأثر التخصصات الاكاديمية امثال علم الاجتماع بهذا النقاش الذي كان مركزاً اهتمامه على الرجل فقط ومهملاً دور ومكانة المرأة . كانت هذه بداية الاهتمام . اما اليوم فقد بات هذا الموضوع (الجندر) آخذاً موقع الصدارة في بحوث ودراسات علم الاجتماع واعتباره احد المصنفات المهمة في دراسته التدرج الاجتماعي حيث تم معاملته مثل معاملة الطبقة والعرق علاوة على استخدامه كقاعدة للاختلافات القائمة في عدم المساواة بين الرجل والمرأة واختلاف نفوذهما في النسيج الاجتماعي . ليس هذا فحسب بل اعتبره احد مصادر هوية الفرد وكيونته . هناك التباس وتشوش متداول بين الناس في الخلط بين الجندر والجنس التي تشير الى انهم غالباً ما يفترضوا الاختلافات هي بين الذكور والاناث يمكن تسميتها قائمة تجمع بعض الاختلافات الجسمية بين الرجل والمرأة مثل الصدر والعضو الذكري والأرداف واللحية وصلعة الرجل وسواها لدرجة ان مصطلح الجنس والجندر تستخدم من قبل كثير من الناس بشكل متبادل متعاوض أي وضع احدهما او استعماله مكان الآخر .

مع ذلك ، طالما هما يمثلان نهجين في تصنيف الأفراد فإن ذلك يعني انهما لا يحملان نفس المعنى . إن مصطلح الجنس ما هو سوى مصنف قائم على التركيب البنيوي والكروموسومات والاختلافات الهارمونية الحاصلة بين الأفراد

بينما تعني الجندر في الجانب الآخر مصنف مبني على قواعد فسيولوجية ونفسية وثقافية فضلاً عن الهوية الفردية الخاصة بنوع الجنس وتبني اسلوب العيش في الحياة المناسبة للجنس في أي ثقافة كانت مع ذلك . فأن الاختلافات الجندرية والعلاقات الجندرية هي اكثر من الاختلافات البيولوجية والفيزيولوجية القائمة بين الذكور والاناث ، انهما منخرطان في الصيرورة الاجتماعية والعلاقات النفوذية في حين انهما يبدوان بأنه لا يوجد شك باختلاف الرجل مع المرأة وكيف هذه الاختلافات يتم حسابها في تفاعل معقد بين البيولوجي والمحيط الاجتماعي .

لا جناح من السؤال في هذا السياق كم يبلغ الاختلاف بين الرجل والمرأة ؟ وهل يرجع هذا الاختلاف الى العامل البيولوجي ؟ ام الى العامل الثقافي الذي يعيشوا فيه ؟ للإجابة على هذه الاسئلة نقول انه من لحظة ميلاد الطفل يذهب الوالدين الى معاملته حسب ما تمليه عليهم ثقافتهم الاجتماعية فيما يخص تنشئة البنت إذا كان الطفل بنت او فيما يخص تنشئة الولد إذا كان الطفل ذكر . وهنا يركز الوالدين على ان يعززان السلوك والصفات التي يشعروا بها انها الأفضل والأكثر تناسباً مع صورة طفلهما في مجتمعها . و بالمقابل يتطابق الطفل مع توقعات والديه فالخصائص الجندرية تشير الى الصفات السلوكية والموقفية والدورية (نسبة الى الدور الاجتماعي) المتعلمة والمستقاة من المحيط الثقافي ، اما مصطلح الانوثة والرجولة فأنها ايضاً من الخصائص الاجتماعية المكتسبة من مجتمع معين ومرحلة زمنية محددة . انهما تصنيف اجتماعي مكتسب من مجتمع معين وفي فترة زمنية محددة ونحن نصبح رجل او امرأة حسب تعلمنا من قبل والدينا ما هو مطلوب منهما من قبل مجتمعها وثقافتها التي يعيشوا فيها فأن رجولتنا وانوثتنا هي نتاج التشييد الاجتماعي . Socially constructed وفقاً لشروط المجتمع وثقافته وتبلوراً عن العيش في وسط مجتمع معين وفترة زمنية معينة . [Poole . 2003 . P.p 133-137]

١ / ت - تعريف الجندر

بعد ان قدمت استهلالاً لترجمة مصطلح الجندر اذهب الى تعريفه المنطوي على تكريس الوعي بالتمايز بالانتماء البيولوجي الجنسي للشخص وبين هويته الاجتماعية كرجل او كامرأة أي استطراداً للتفريق بين المحددات البيولوجية لجنس الاناث (او الذكور) وبين المحددات الاجتماعية والثقافية للواحد منهما .

إن طبيعة الرجل وطبيعة المرأة تكسب الواحد من دون الآخر صفات نفسية ومؤهلات اجتماعية ومهنية ومهارات وتسوُّغ سلوكيات لدى احدهما وتحظرها عند الآخر الى ما هنالك والناس الذين لا يشملهم هذا الوعي لا يمكن حصرهم بفئة معينة . فالمسألة لا تتعلق بكونهم متعلمين او غير متعلمين من طبقة اقتصادية او اجتماعية معينة متأثرين بالثقافة الغربية ام لا من الرجال او من النساء . فالقصور عن وعي التمايز بين الهويتين البيولوجية والاجتماعية ليس نابغاً بالضرورة لمتغيرات شخصية يمكن رصدها وشروط هذا الوعي غير بسيطة .

فالهوية الجندرية تعني قناعة الشخص الثابتة بانتمائه لواحد من الجنسين تتشكل في زمن الطفولة الأولى – من سن السنتين الى سن الاربع سنين بحيث يصعب التخلص من الانطباعات الاولى المحيطة بها في هذا الصدد هذه الهوية تتشكل بالاختلاف عن الآخر كأن يحدد الصبي نفسه بأنه عكس الانثى (لا تبك كالصبيان لا تفرجي فخذيك) لذلك فإن التقاطع بين السمات والأدوار وغيرها من المحددات الاجتماعية والثقافية للجنسين لدى الشخص كما هي صعبة القبول لدى الجماعة .

باختصار شديد ، الجندر هو التمييز بين الانتماء الجنسي البيولوجي وبين التضمينات الثقافية والاجتماعية لذلك الانتماء . أي المحددات الثقافية – الاجتماعية للانتماء الجنسي البيولوجي وذلك عبر ابراز التضمينات الاقتصادية والسياسية والقانونية لذلك الانتماء . وفي النظام الابوي (البطريقي) يتضمن الانتماء الى واحد من الجنسين ، الانتماء الى واحد من المجالين : الخاص او العام اساساً والى نمطين من الادوار الاجتماعية الاقتصادية احدهما يتسم بالإنتاج والثاني بإعادة الانتاج ويترتب على الانتماء الى دائرة الخاص والى القيام بدور اعادة الانتاج الخضوع لمن يحتل دائرة العام ولمن يقوم بدور الانتاج فالمرتبات السياسية للانتماء الى واحد من الجنسين ينتج علاقات من الهيمنة (هيمنة الذكور) والخضوع (خضوع الاناث) وهذه تغذي بدورها كل البنى المجتمعية الفوقية ، الايديولوجية والاديان والاخلاق والقانون والعادات ... الخ التي تقوم بإعادة انتاج تلك العلاقات وتسهم في تثبيت طبيعة الادوار والمكانات متوسطة لذلك التنشئة اساساً والقمع احياناً فالتنشئة تعيد انتاج اهم مقومات الجندر وذلك يدفع الصبيان والبنات للتشبه بالنموذج المرغوب اجتماعياً وثقافياً لكل من

الرجل والمرأة على التوالي . ولدى توافق الشخص مع الجندر في وجوده الفردي فهو يقوم بتثبيت اركان المنظومة الجندرية . [بيضون . ٢٠١٢ . ص . ٢٠]
ومن باب الاغناء والافاضة والتحديد الدقيق نقول بأن مفهوم الجندر يفضي الى ابانة واستجلاء مضمونه الذي ينطوي على مطالبات المرأة العصرية في المجتمع الحديث المتقدم والمتطور بالمطالب التالية :

- ١- تساوي حقوقها بحقوق الرجل من الناحية القانونية والسياسية والمدنية .
- ٢- رفع الوصاية عليها من قبل الرجل والنظام الاجتماعي .
- ٣- الاعتراف من قبل المجتمع والرجل باختلال توازن القوى بين الرجل والمرأة الذي يجعل من الاخيرة تابعة للأول (الرجل) .
- ٤- الاعتقاد بأن ظروف المرأة هي من صنعة المجتمع لذلك يمكن تغييره هذه الصنعة عندما تتغير ظروفها (أي ظروف المرأة) .
- ٥- التركيز على استقلالها .

٦- على الجميع ان يسمعوا ويستمعوا لصوت المرأة في التعبير والتمثيل دون الحاجة الى راشد يتصرف نيابة عنها او يكون محرماً لها عندما تكون خارج المنزل .

جميع هذه المطالب تقول لنا بأن المرأة ترمي وتهدف الدخول الى عالم كان مقتصرأ على الرجل فقط ومخطط له من قبل القيم الذكورية وان يكون حضورها قائماً في مناشط الحياة العامة والخاصة على السواء .

ديدني من هذا الطرح هو القول بأن هناك توتر حاصل في موضوعين رئيسيين هما : المساواة والاختلافات بين الرجل والمرأة يبرزان في جميع مجادلات ومناقشات الحركة النسوية منذ القرن التاسع عشر ولغاية الآن [Hannam .2007 . P.p .3 – 4] وفي هذا الصدد وقالت كل من كاتيا جينينتي وجودي جروفس إن هذين الموضوعين يمثلان كفاحها من اجل ازالة الجور والظلم المتسلط عليها من قبل النظام الابوي البطريق والنظام الرأسمالي [Jenainati and Groves .2007 .P.3]

١ / ث - التركيبة الاجتماعية للجندر The social construction of gender

القاعدة الأساسية لانطلاق الحركة النسوية المعبرة عن علاقة الأنثى بالذكر من حيث كونها فواعل اجتماعية لا يمكن اختزالها الى الاختلافات في الوظائف البيولوجية لأن الاختلافات الفيزيولوجية عندهما وبينهما واضحة للعيان مثل اختلافات في الهرمونات والكروموسومات والاعضاء الجنسية ومن دون شك فإن هذه القاعدة تقوم بتحديد علاقتهما بيد ان الجندر تعني اكبر من كونها جنسين مختلفين ان هناك خلف هذا الجوهر البيولوجي صفات وخصائص ثقافية واجتماعية تمثل توقعات واحتمالات حول ماذا يعني ان يكون ذكراً وماذا يعني ان تكون انثى . هذه هي اوجه الجندر أي هي اوجه اجتماعية اكثر مما هي بيولوجية لأنها جزء من الثقافة وليست جزء من الطبيعة . إن الاوجه المهمة للثقافة تعتمد بشكل مباشر على كيف يحدد المجتمع الجندر والدور الجندري للمرأة . اقول ان الجندر مركبة من قبل المجتمع ومصاغة من قبل الفواعل الاجتماعية لدرجة انها جلبت تعابير لغوية مختلفة ايضاً مثل الجنس يعني (ذكر وانثى ، ولد و بنت) وجندر تعني (الأنوثة والرجولة ، الرجل والمرأة) مثل هذه الاختلافات مرجعها للتركيبية الاجتماعية التي حددها المجتمع وثقافته ومارسها الفواعل الاجتماعية .

لا أجد بأساً من الإشارة الى ان لكل ثقافة إنسانية قوانينها الخاصة بها التي تكون في العادة مبنية ومكونه اجتماعياً وتحتل مساحة جغرافية معلومة الابعاد تعرف بالإقليم او المقاطعة يعرفها المنظرين الاجتماعيين . أي ان كل ثقافة لها مكان جغرافي ومبنية من قبل افرادها الاجتماعيين بما فيها مفهوم الأنوثة الذي يتضمن احتمالات سياسية ومعرفية حول المساواة والانصاف التي يمكن تحقيقها عندما يحصل توسط اجتماعي مباشر بيد ان العلاقة بين الجنسين تمثل حالة متورطة احدثتها الطبيعة البشرية إنما هناك ثلاثة مؤثرات تفعل فعلها على الجندر مستخلصة من الفكرة القاعدية للإنشاء الاجتماعي وهي : التجسيد الاجتماعي والهيئة الجسدية والخطاب وأداء الخطاب . وسوف نوضحهم كما يلي

التجسيد الاجتماعي والهيئة الجسدية

عندما يتفاعل الفرد مع الآخر فإنه يتفاعل اما مع الرجل او المرأة ومن النادر جداً جداً ان يكون هناك فرداً مزيجاً يجمع بينهما أي لا ذكر ولا انثى بمعنى ان نوعه الجنسي غير واضح المعالم ويعني ايضاً ان التفاعلات الاجتماعية تحددها الاسباب البيولوجية كمنطلق من التوقعات الخاصة بالأنثى او خاصة بالذكر ومن

ثم يتم تحديدها من قبل الثقافة الاجتماعية التي يعيشوا وسطها هؤلاء المتفاعلين وهذا يعني ان الجندر تمثل ظاهرة ثقافية وعقائدية وكلاهما موجودان في عقل الفرد . معنى ذلك ان هذه الظاهرة هي التي تقدم التوقعات الاجتماعية لما يحدده العامل البيولوجي (ذكر او انثى) وفي هذه الحالة يلتقي العامل البيولوجي الذي يميز الذكورية عن الأنوثة مع التوقعات الاجتماعية التي تحددتها الثقافة الاجتماعية . أقول ان الجندر تمثل حلقة وصل وربط واضح بين العامل البيولوجي والعامل الثقافي . وهنا نستطيع القول او نطرح السؤال الذي مفاده هل الجندر محددة من قبل الجنس او الثقافة ؟ جوابنا على ذلك : إن العامل الثقافي هو الذي يساعدنا على التفاعل مع العامل البيولوجي وبناءً على ذلك فإن الجندر يمكن اعتبارها ظاهرة ثقافية اكثر مما هي حالة جنسية – بيولوجية .

ولا مناص من تدوين وصف المُنظر الاسترالي كونييل للجندر الذي عبّر عنه بانه صيرورة مجسدة اجتماعياً او ممارسات جسدية منعكسة او سلوك اجتماعي يكون فيه الجسد وكالة وهدفاً بيد ان المشكلة القائمة هنا هي ربط الصيرورة المتجسدة اجتماعياً بالأبنية الاجتماعية التي تتغير من حقبة زمنية لأخرى او تلتقي او تجتمع بالصيرورة التاريخية التي يكون فيها المجتمع متجسد وتمسي الاجسام مرسومة من قبل التاريخ . فالفرد يتعرف على الاخرين من خلال ادراكه بأنه متجسد اجتماعياً الذي يوضح تفهم الجندر دون انكار او صرف النظر عن الاجسام فيزيولوجياً وجنسياً ، ثم يضيف كونييل الى ما تقدم بأن الجندر تتضمن الاجسام لكنها غير محددة بيولوجياً بل ثقافياً واجتماعياً فإذا لم يكن هناك ذكر وانثى في الطبيعة البشرية فإن ذلك يعني لا توجد حاجة لوجود مفهوم للجندر على الإطلاق .

معالجة الموضوع Discourse ، ينطوي هذا الموضوع بالقول ان فكرة الجندر مجسدة بشكل شامل ودقيق بالصيرورة الاجتماعية السائدة في تخاطب الأفراد التي تم استعارتها من النظرية الاجتماعية لما بعد البنيوية التي قدمها مايكل فوكالت التي اوضحها على انها صورة معبرة عن الجسد على شكل مفهوم يوضح الاختلافات القائمة بين الجنسين في الواقع هذا التحديد مقارب من تحديد كونييل الذي عدّ الجندر خطاباً يمثل نسقاً رمزياً يستخدم في مخاطبة الأفراد للدلالة على الاختلافات الجنسية – البيولوجية للسلوك الجنسي والمعايير الاجتماعية للجندر والأدوار الاجتماعية .

١ / ج - قدر المرء البيولوجي

غالباً ما تفترض التصنيف الاحيائي (البيولوجي) ذكر او انثى كائنات منفصلان غير مترابطان ولا نفترض بتوقعات ملتبسة تجمع بين الصنفين البيولوجية لأن الطفل عند ولادته يكون حاملاً نوعه الجنسي معه بشكل بارز وهو العضو الذكري او الانثوي وعندها يتم التعامل مع هذا المولود على اساس عضو الجنسي البارز وينمو جسمه وينمو معه شعور قوي بنوع جنسه ولكن عند بلوغه مرحلة المراهقة قد يظهر نوعاً اخر يخطئ الشعور القوي الذي نما مع نمو جسمه أي قد يحصل تحول جنسي Transsexual في جسمه وهنا تكمن المشكلة التي تصيب هويته الجندرية لأنها تمس الخصائص التشريحية لجسمه . ومن نافلة القول ان تحويل هذا الطفل جنسياً غالباً ما يصاحبه مشاعر مزعجة ومقلقة يعاني ويقاسي الكثير من الاحراجات والاضطرابات النفسية والسلوكية لأنها تقلب جميع ما جُبل عليه الى النقيض وان يتصرف تصرفات مغايرة لما كان قبل التحويل الجنسي وهناك حالة يكون فيها المحل جنسياً متحمساً للتحويل ولا يعترض على او ينزعج من التحولات الهرمونية ولا من عملية تغيير جنسه .

ولا جرم من الإشارة الى حالة الخنثى Hermaphrodites التي تعكس صعوبة تحديد او تشخيص العضو الجنسي عند الفرد بحيث يحمل اختلاط الصفات او الخصائص الجنسية الذكرية والانثوية معاً .

ان تقسيمنا للأفراد الى صنفين مبني على الجنس لكن هذا التقسيم لا يكون دقيقاً . لكن على مستوى الكروموسومات (جسم خيطي يظهر في نواة الخلية عند الانقسام) يمثل الاناث XX والذكور XY ثم هناك تداخل جنسي يحصل بين الذكر والانثى يكون كروموسوماتهم من نوع XY إنما لديه ما يشير الى الاختلاط . دراسة قام بها عالم الإنسان جليبرت هيردت عام ١٩٨١ قاد بدراسة مع فريق من الباحثين في جامعة كورنيل لدراسة حال جينات من الذكر المخنثين بالولادة ، اخذت هذه العينة من قريتين منفصلتين في جمهورية الدومنيكان وكان هؤلاء الأطفال من نوع الجنس المشوش منذ الولادة الذي يرجع الى عيوب هرمونية . ووجدوا ان بعض الأطفال ولدوا مع جنس ذكري داخلي ، انما مع عضو جنسي انثوي خارجي وتم تصنيفهم على انهم ذكور عند الولادة واخرين تم تصنيفهم اناث عند الولادة ولكن عند البلوغ بالذات عندما بدأ جسمهم يقوم بإفراز كمية

كبيرة من الهرمون الذي تفرزه الخصية عندها تم التغيير ولم يبقوا اناثاً حيث نمت خصائص اخرى مثل خشونة الصوت وتعمقه وظهور شعر على الوجه وبروز اعضاء جنسية ذكرية .

ثم اخبرتنا الدراسة نفسها عن هؤلاء انهم عندما بلغوا مرحلة المراهقة كان واحداً منهم مصنف على انه بنت متحولة وعملت لها العملية التحويلية لجنسها لكي تكون ذكراً . بيد انه هناك نقاش دائر بين الباحثين حول هذه الحالات المتحولة من الذكور تمت معاملتهم على انهم ذكور لكنهم لم يتم اعتبارهم رجال من قبل المجتمعات التي عاشوا فيها وترعرعوا فيها واولئك الذين تمت تربيتهم على انهم اناث لم يحولوا ادوارهم الجندرية لحين تم عرض مفاتن اجسادهن على انهن اناث وكان هذا مثيراً للسخرية والتندر عندما ظهر الشذوذ الفسيولوجي في المجتمعات الغربية . أكدت التشخيصات الطبية عبر عمليات جراحية أعادت بناء الاعضاء الجنسية لكن هناك جماعات تدافع عن المصنفين Intersex على انهم قائمين بين جنسين كاشفين عن خصائص الذكورة والانوثة معاً بدأت هذه الجماعات تشجع وتعزز بشكل مؤيد لمروية العملية الجراحية التي تقول يجب ان لا يتولى المباشرة فيها لغاية بلوغ الفرد نضجاً كافياً لكي يتم اخذ موافقته بأجراء عملية تحويلية من (القائم بين جنسين الى جنس واحد) .

هذا من جانب ومن جانب اخر فأن التقرير البيولوجي النهائي biological determinists او التصميم البيولوجي يذهب الى شرح وتفسير الاختلافات الجندرية . إذ كان الكتاب لعدة قرون يفترضوا الاختلافات البيولوجية القائمة بين الرجل والمرأة هي المسؤولة عن حقيقة كون الرجل متسيداً في المجتمع وان المرأة سجيئة وظيفتها التناسلية – الانجابية (هذا الافتراض مازال سائداً بين العديد من الثقافات الاجتماعية في الوقت الراهن) ذلك بسبب كون المرأة تقوم بولادة الأطفال وازاء ذلك عليها ان تكون مسؤولة عن تربيتهم وهذا بدوره يعيق ممارسة ادواراً فعالة تستطيع اخذها وادائها في المجتمع إلا ان قيامها بالأنجاب وتربية ما تنجبه لا يدعها اخذ ادواراً ريادية وقيادية ومؤثرة في المجتمع لذا تعتبر في هذه الرؤية انها سجيئة وظيفتها الانجابية والرعاية – التربوية .

ومن المثير للاهتمام في هذا الموضوع كانت الفتاة الشابة ابان القرن التاسع عشر تُحذر وتُنذر من ممارسة بعض الرياضات مثل ركوب الخيل او الدراجة الهوائية او القفز من الاماكن العالية وسواها بأنها تدمر اعضاءها الجنسية ويؤدي

بها الى الجنون ليس هذا فحسب بل هناك مجتمعات تمنع البنات من الاستمرار في الدراسات العليا وفي مجتمعات الصيد والالتقاط ، كان الرجل يذهب للصيد وتبقى المرأة داخل الخيمة تهتم برعاية الاطفال وشئون الطبخ وغسل الملابس وسواها .

وعلى هدى ما تقدم وطبقاً لهذه المرئيات يسمي الرجال ناجحين في عوالم السياسة ويجيدوا التعامل المتعاون مع الاخرين وذلك بسبب كونهم يعملوا وسط وضمن الجماعات يتفاعلوا ويتناقشوا ويخططوا و يبتكروا الحيل و الافخاخ ويطوروا الاسلحة ويقوموا بالسلب والنهب فيمسوا ظاهرة بيولوجية الاكثر نجاحاً على وجه الأرض ، بل وحتى الحياة الحضرية في المدن يكون فيها الرجال قائمين في ادارة الاعمال التجارية وهذا وحده يفسر لنا لماذا النساء لم يدخلن عوالم الصناعة والتجارة بل بارعات في مهنة التعليم والتمريض والخدمات الاجتماعية ورعاية الأطفال . هناك بعض الانتقادات الجوهرية لهذه الرؤية اولها وقبل كل شيء ان ما يحصل الان بالنسبة للرجل والمرأة هو استمرار لما كانوا يمارسوه من ادوار اجتماعية في مرحلة الصيد والالتقاط أي تهتم المرأة بالمنزل والاعمال الثانوية والهامشية ويقوم الرجل بالأعمال خارج المنزل وجلب الخبز لأفراد اسرته وممارسة الانشطة الاجتماعية مع الجماعات خارج المنزل مع بقاء وإبقاء المرأة داخل المنزل تقوم بشؤون الأسرة وتنظيم اثاث المنزل مع ممارسة اللغظ والقليل والقال والعيش على هامش الحياة الاجتماعية العامة بعيدة عن العوالم السياسية والاقتصادية .

رؤية اخرى تُرجع الاختلافات القائمة في الجندر الى العامل البيولوجي ، طرح هذه الرؤية أي أو ولسن ١٩٧٨ منطلقاً في رؤيته هذه من فكرة الداعي الى ان حقيقة علم الاجتماع قائمة على نظرية جارلس دارون في الانتقاء الطبيعي التي تشرح التطور الاجتماعي الى الكفاح من اجل البقاء ، وعلم الاجتماع يستخدم المبادئ البيولوجية لتأويل وتفسير مناشط جميع الحيوانات الاجتماعية وطبقاً لمريئة ولسن هناك تعامل كبير للأنشطة البشرية تُفسر من قبل التركيبة الجينية وبالذات من الموروثة الأنانية (الجينة الأنانية) . لا سيما وان علماء الاجتماع قد شرحوا العديد من سلوكيات الإنسان من خلال هذه الموروثة الانانية امثال سوء معاملة الاطفال والتحرش الجنسي بل وحتى ارتكاب جريمة قتل من قبل الرجال ممن هم ليسوا ابائهم البيولوجيين بل زوج الأم او عشيق الأم مثل

هذه التفسير تكون مبنية على نظرة مفادها بأنه لا توجد مصلحة ولا اضطراب لتربية طفل اخر لم يكن هو والده الطبيعي (البيولوجي) بل ابن عشيقته او زوجته التي كانت متزوجة من زوج قبله ولديها طفل منه الأفضل في نظره ان يهتم ويربي ذريته النازلة من صلبه . مثال آخر يعكس الرجال الذين لهم علاقات جنسية غير شرعية مع امرأة لا تكن زوجة لهم وهنا يستطيع الرجل ان تحدد ذريته من خلال تكرار جماعه معها والتأكد من تطابق جيناته مع جينات الطفل . اما النساء فأنهن يستطعن ان يميزن ذريتهن بشكل اكثر دقة من الرجل الذي قمن بمعاشرته وذلك من خلال تلقيح بيضتها من ذلك الرجل الذي ضاجعته واستمعت بمضاجعته . إذن النزعة الانانية هي موروثه جينياً عند الرجال والنساء على السواء . مثل هذه الاختلافات البيولوجية طبقاً لولسن ١٩٧٨ واستناداً الى الاختلافات الحاصلة في النفوذ الاجتماعي والاقتصادي للرجال والنساء يمسي اختلافات جسمية ومزاجية فيما بينهما (أي بين الرجل والمرأة) ومضخمة بشكل مطن من قبل الثقافة الاجتماعية لتدعيم تسيد وتنمر الرجل كونياً .

يستند علم الاجتماع على الاحتمال القائل بأن هناك اصناف الذكور والاناث لا تعكس فقط التمايز بل تعكس ايضاً التعارض بينهما . نماذج بيولوجية مثل هذه الاصناف تفترض بأن الجنس هو الذي يحدد ويقرر نوع الجندر وهذه الاختلافات البيولوجية بين الانثى والذكر تقود الى الاختلافات الحاصلة في المجالات الاجتماعية والسياسية التي تعود بالتالي لتأخذ بعين الاعتبار الاختلافات في النفوذ كلا الجنسين .

عن رؤية الموظفين للمجتمع تشرح ادوار الرجل والمرأة على انها متممان ومتكاملان . تالكوت بارسونز (عالم اجتماع امريكي حديث) يرى ان ادوار الرجل والمرأة في وقتنا الراهن والأسرة النووية الصغيرة مقامه على الاختلافات الطبيعية فيما بينهما ، وطبقاً لبارسونز ايضاً فإن حقيقة المرأة وتنطوي على الولادة والرضاعة لأطفالها ورعايتهم وتربيتهم طيلة السنين الأولى من حياتهم في حين يكون الآباء اكثر اهمية عندما يكبر الاطفال ويصبحوا مهتمين في عالمهم الخارجي . وهذا يعني ان ادوار المرأة في الأسرة تكون من النوع التعبيري expressive أي تعبر عن مشاعرها واحاسيسها عبر تنشئتها ورعايتها لأطفالها ومنحهم عواطفها الدافئة والداعمة لهم ، بينما يكون دور الرجل في اسرته ممثلة للدور الواسيلي الواسطي Instrumental مركزاً في اهتمامه

الأسري على كسب الرزق لأطفاله أي المعيل لأسرته بذات الوقت يعمل على تجسير أسرته بالعالم الخارجي المحيط بها .

وعلى هدى ما تقدم فإن تقسيم الأدوار هكذا المقامة على اساس احتمال مفاده ان هذه الاختلافات ما هي سوى طبيعية وناجئة عن اختلاف تنشئة الاولاد عن البنات داخل الأسرة . وإن نموذج الدور الجنسي يكون مستنبطاً من الخصائص البيولوجية في النظرية الوظيفية فيما يخص الاكتساب (التعلم) أي اكتساب صفات الذكر والانثى من اسرتيهما وليس بسبب وليس بسبب تكوينها البيولوجي او بسبب الحاجة البيولوجية عندهما وهكذا فإن العلاقات بينهما تكون مبنية على النفوذ اعني نفوذ الرجل يعلو على نفوذ المرأة او نفوذ الاشتهاء للمغاير Heterosexuals يفوق اللوطي المشتهي للمثال Homosexuals هذا التوصيف يسري وكأنه محتوم لا يمكن تغييره وانه يمثل موضوعاً طبيعياً لا يمكن تحديه او تغييره فهي اذن بهذه الرؤية تمثل حالة اعتيادية مبنية على التنشئة الاجتماعية والضوابط الاجتماعية لأنها تبدأ بالظهور على انها حالة سوية مصممة من قبل الفعل او التصرف الطبيعي عبر الثقافة الاجتماعية . بينما تمسي الرؤية البيولوجية حالة مهمة في محاولتها في ربط الصفات السلوكية مع البيولوجية ومع ذلك فأنها لا تشرح التنوع والاختلاف القائم بين ادوار الجند او انقساماته عبر الثقافات علاوة على ذلك فأنها لا تفسر حقيقة كون الرجال لا يسلكون نفس الطريق وكذا الحال مع النساء جميعهم أي انهم غير متشابهين في تصرفاتهم على الرغم من انهم يمثلون نوعاً واحداً من الجندر . مع ذلك فان العديد من الافراد يحتملون بأن الادوار الجندرية وعلاقتهم هي مستقاة من جنس الشخص وهذا يعني انها فطرية بالسليقة وطبيعية اكثر مما هي مبنية اجتماعياً أي من صنعة المجتمع . وإزاء ذلك يميل الأفراد لطرح تعميمات جائرة مثل ان النساء لا يستطعن قيادة السيارة بشكل جيد او انهن لا يستطعن قراءة الخرائط او ان الرجال ضعفاء في اتصالاتهم مع الاخرين او ان الرجال لا يستطيعوا ان يعملوا عمليين في وقت واحد .

لا اريد ان ابرح من هذا الموضوع مالم اشير الى الكتاب المشهور في علم النفس لمؤلفه جون جراي ١٩٩٥ الذي جاء فيه ما يلي : إن الرجال هم من المريخ والنساء من فينوس (إله الحب والجمال عند اليونانيين) وطرح مرشد

عملي لتحسين الاتصالات والحصول على ما يريده الفرد عبر علاقات تروج مثل هذه التعميمات والخلاصات القولية التي تفهم من ظاهرها لتقدم قاعدة عملية لهم . إن سياق الحديث يلزمني ان لا اغفل ان التحديد البيولوجي يشير الى ان الاختلافات السلوكية والصفات الشخصية تعكس الاختلافات البيولوجية الفطرية (الموروثة بالسليقة) بينما يعتبر الشراح والمفسرين الاجتماعيين انها مكتسبة (متعلمة) تعكس نمط تنشئة نوع الجندر . في الواقع يرفض الشراح والمفسرين الاجتماعيين بفكرة مفادها ان البيولوجي قادر على تقديم شروحات وتفسير للعلاقات الاجتماعية المتسلطة والتابعة .

زبدة القول : لكي تكون رجلاً او من اجل ان تكوني امرأة او ما يكون الذكورية والانثوية تختلف من ثقافة اجتماعية الى اخرى ومن مرحلة زمنية الى اخرى هذا ما يعنيه الجندر . ولا يوجد هناك من ادنى شك حول اهمية الاختلافات الجنسية إنما علينا ان لا نستقري او نستخرج فكرة تفترض ان جميع النساء يقمن بالرعاية والاهتمام الأمومي لأطفالهن بذات الوقت الحالة ذاتها مع الرجال أي لا نريد ان نستقري الأمور ونقول بشكل جازم بأنهم جميعهم متسلطين ومسيطرين على النساء ، إذا كان هذا صحيحاً إذن نتوقع ان جميع الرجال والنساء في جميع المجتمعات يكونوا متشابهين ولهم نفس الصفات والخصائص اكثر مما ننظر اليه من زاوية الاختلافات الجسمية والمعاني التي تقول بأن مجتمع معين يمنحهم هذا الاختلاف . انه ليس من المهم إذا الرجال والنساء كماوا مختلفين ويعترفوا بذلك إنما الجندر تعكس التقسيم الاجتماعي الذي يرجع الى اختلافات النفوذ والفرص وحرية الوصول الى المصادر .

١ / ح - كيف ينظر العالم للجندر ؟

تتأثر هذه النظرة بتقلبات الاقتصاد العالمي وبثروات مناطق مختلفة في مصادرهما الاقتصادية وهذا بدوره يؤثر على موقع الرجل والمرأة في المجتمع . ومع نمو الاقتصاد العالمي وتوفر القوى العاملة الرخيصة خارج الولايات المتحدة فإن ذلك تبعاً يؤثر على القوى العاملة الأمريكية فتصبح جزءاً من نظام تقسيم العمل العالمي ، لا سيما وان الولايات المتحدة قائمة على شركات متعددة الجنسيات وتتنظر حول العالم باحثة عن الاعمال الأرخص فوجدت ان النساء والاطفال هم الأرخص في نظام تقسيم العمل الكوني وهذا يعني ان الاخير اكتسب وتأثر بذلك

والدول الفقيرة عادةً ما يقدموا خدمة رخيصة (بسبب رخص الأيدي العاملة المكونة من النساء والأطفال) للدول الغنية .

الملفت للانتباه ان عمل المرأة في كافة بقاع العالم يكشف ان عدد ومعدل النساء اعلى واكثر من الرجال في سوق العمل لدرجة انه من الصعب بمكان العثور على بلد واحد يتضمن فصل جندي ، أي ان جميع بلدان العالم تمارس الفصل الجندي في العمل ، وفي معظم بلدان العالم نجد عمل المرأة مقترن مع اهتمامها بشؤون المنزل والعناية بالأطفال وكبار السن بذات الوقت فأن دفع الأجر للمرأة في العمل تزايد لدرجة انه يتجاوز ما يتم دفعه للرجل وان تقديرات الأمم المتحدة لعمل المرأة غير المدفوع اجر لها عليه (أي في المنزل) يصل الى ١١ ترليون دولار .

وعلى الرغم من هذه الميول الجندرية فأن وضع المرأة يختلف من مجتمع الى اخر فمثلاً الصين تميزت في هذا المضمار إذ هناك اشتراك كبير او تحمل كبير لمسئوليتها المنزلية اكثر من باقي المجتمعات الأخرى حيث كلا الرجل والمرأة في الصين يعملان لساعات طويلة في عملهما خارج المنزل أي في وظائف مدفوعة الاجور ويتم تشجيع المرأة لتبقى عاملة في سوق العمل عندما يكون لديها اطفال وهناك مساعدات عديدة ومتنوعة متعلقة برعاية الأطفال (في الصين) إذ هناك ٥٦ يوم يدفع للمرأة كمستحقات عندما تقوم برعاية اطفالها وهناك العديد من التنظيمات التي تعمل فيها المرأة زادت من هذا الاستحقاق فوصلت الى ستة أشهر كذلك تخسر المرأة حقوقها الرئيسية (يعتبر هذا غير قانوني في الولايات المتحدة) .

نقيض ما قدمناه آنفاً حالة المجتمع الياباني المعروف بعدم مساواته ومفاضلته للرجل على المرأة في الحياة الأسرية ومحيطها المنزلي والعائلي . فالمرأة اليابانية غالباً ما تترك سوق العمل بعد زواجها واحياناً بعد ولادتها للطفل وهنا تتحدد هوية المرأة اليابانية من خلال ممارساتها لأدوارها المنزلية والأسرية وإذا قمنا بمقارنة وضعها وحالتها الجندي مع المرأة الصينية نجدها (المرأة اليابانية) اكثر قرباً ومشابهة من نمط عيش المرأة البريطانية والى حد معين مع المرأة الأمريكية ، فضلاً عن انخراطها البسط والقليل في الاعمال التي تدفع الأجر لها وانه من المضحك مقارنة المرأة الصينية مع اليابانية والبريطانية إذ وجد الباحثين ان المرأة الصينية اكثر تدمراً واستياءً مما تحصل عليه بسبب عدم العدالة

الجنديرية الممارسة عليها من قبل مجتمعها على نقيض ذلك النساء اليابانيات والبريطانيات يعبرن عن امتنانهن ورضاهن الكبير لما يحصلن عليه من اعمال على الرغم من قلته ومحدوديته ،هذا من جانب ومن جانب اخر فأنه من المدهش تقديم مساواة جنديرية بشكل كبير للمرأة الصينية مع الرجل الصيني . يشرح علماء الاجتماع هذه الحالة المدهشة الى الفجوة الناتجة للمرأة الصينية التي ترى من خلال مقارنتها بين العقائد الرسمية للمساواة الجنديرية مع ملاحظاتها المستمرة لعدم المساواة في الترقيات والحصول على فوائد مهنية اثناء العمل .

حريّ بنا ان نشير الى ان العمل وحده لا يمثل مقياساً يمكن قياس مكانة المرأة من جميع انواع وانحاء المجتمعات الإنسانية لأن مكانتها – عبر العالم – متدنية واكل مكانةً واعتباراً من الرجل فإذا اخذنا تمثيلها في المجالس الشعبية (البرلمانية) او باقي اشكال التمثيل الرسمي الحكومي في كل مكان نجد انه في القرن التاسع عشر كانت المرأة بالعالم تمثل في البرلمانات الوطنية بحوالي ٢٥% وعلى الصعيد العالمي ايضاً تحتل المرأة فقط ١٨% شاغلة مقاعد برلمانية وإن هناك ٢٩% رئيسة الحكومة فيها من النساء .

هذا ولا بد لي بعد هذا الاستطراد ان اشير الى ان الامم المتحدة تلخص هذا العنف ضد المرأة والبنات وهذا وباء كوني واحد اكبر انواع العنف شمولاً لحقوق الإنسان . فالعنف ضد المرأة يأخذ اشكال بما فيه الاغتصاب والعنف الأسري وواد الأطفال وسفاح ذو القربى والنخل والاحشاء وبتتر الاعضاء والقتل بما فيه القتل غسلاً للعار عندما تقتل المرأة بسبب حملها سفاحاً يمس شرف العائلة إذا تم اغتصابها او عبر ممارسات جنسية عابثة وهناك العنف المكتوم – السري – فبعض الجماعات النسوية يتم الاعتداء عليهن واغتصابهن بسبب كونهن من الاقليات او كونهن معوقات او كبيرات في العمر او من الفقراء او من المهاجرات او ممن يعشن في بلدان يعج فيها الصراع السياسي او العرقي او الطائفي او الديني إذ ترىنا الاحصاءات الخاصة بالعنف ضد المرأة انه من الصعب التعرف عليه بدقة بسبب السرية والكتمان المحيط به وبسبب الاختلافات السائدة عند المجتمعات والأمم . مع ذلك فإن الأمم المتحدة تقدر بحوالي ما بين ٢٠ و ٥٠% من نساء العالم لديهن خبرة بالعنف صادر من احد اقاربهن او اعضاء اسرهن او شريكهن ، فضلاً عن المعايير الثقافية واقتصاد المرأة واعتمادها على الرجل في العيش وبسبب الممارسات السياسية او احد العوامل

التي تدعم الحماية الشرعية غير المتكافئة وجعل المرأة تابعة للرجل ، جميع ذلك يجعل العنف ضد المرأة غير معلن عنه او مصرح به وهذا يكشف لنا عدم التكافؤ المرأة مع الرجل او عدم المساواة بينهما التي ترجع الى الثقافة الاجتماعية او الممارسات السياسية وسواها .

بقيّ ان اشير في هذا المقام الى الادوار التقليدية للنوع الاجتماعي (الجندر) في المجتمع العربي من وجهة نظر باحثة غربية اسمها ماركرت نايدل في كتابها الموسوم " تفهم العرب " ٢٠١٢ قالت في هذا الموضوع " نسمع ونقرأ عما يحصل للمرأة العربية في اسرتها ومجتمعها من إجبار على زواجها والعقوبات الجسدية واللفظية والعزل وهذا ما يعده الغربيين - حسب معايير ثقافتهم - بأنها تمثل نماذج من القهر والاستبعاد لها بيد انهم لم يفسروها على انها تمثل ضوابط تقليدية لا صلة لها بالدين لأن الشرقي (الرجل والمرأة) لا ينظر الى هذه الضوابط على انها قيود قامعة وكابحة بل هو قواعد تتناسب مع طبيعة المرأة ولا يشعر بقساوتها او احتقاراً لها او ازدراء منها ، بل انهنّ يجدنّ الرضى بذلك لأنهنّ يشعرنّ بان النسق الاجتماعي يمنح لهنّ الأمن والحماية والاحترام . آلت هذه الرؤية القول بأن ادوار الجندر في المجتمع العربي تمثل تقاليد صادرة من قبل النظام الأبوي (البطريقي) والنسق القرابي الذي هو موجود اصلاً في الثقافة العربية لكن هناك اختلافات محلية تختلف من منطقة الى اخرى مثل (تغطية وجه البنت ببرقع او خمار) ومهمة الرجل تنحصر في المسؤولية المالية نحو اسرته ومسؤولية المرأة تنحصر بتربية الأطفال حيث قالت احدي العربيات أنا لا اريد ان اقترف نفس الخطأ الذي اقترفته الفتاة الغربية إذ اني احب ان تكون الأسرة محوراً رئيسياً لي كامرأة . أي الاهتمام بأسرتي قبل كل شيء " [Nydell. 2012 . P.p 44 – 45] لذا فإن المرأة العربية لا تشبه المرأة الغربية لأن الأولى لا تتوقع ان تتحرر مرة واحدة من قيود مجتمعها التقليدي وبالذات من ادوار النوع الاجتماعي (الجندر) التي فرضتها ثقافتها الاجتماعية ونظامها الأبوي لأنهنّ يعملنّ ضمن قيمهنّ الدينية . [Nydell. 2012 . P.36]

١ / خ - الجندر في وثائق الامم المتحدة الدولية

يمثل مصطلح الجندر Gender " المصطلح المنظومة " الذي تدور حوله معظم مصطلحات الامم المتحدة وهو مصطلح مضلل وقد ظهر لأول مرة في وثيقة

مؤتمر القاهرة للسكان في ٥١ موضعاً ، منها ما جاء في الفقرة التاسعة عشر من المادة الرابعة من نص الاعلان الذي يدعو الى تحطيم كل التفرقة الجندرية ولم يثر المصطلح احداً لأنه ترجم بالعربية الى (الذكر / الانثى) ومن ثم لم ينتبه اليه .

ومراعاة لخطا التهيئة والتدرج في فرض المفهوم ظهر المصطلح مرة ثانية ولكن بشكل اوضح في وثيقة بكين ١٩٩٥ م حيث تكرر مصطلح الجندر (٢٣٣) مرة ولذا كان لا بد من معرفته والوقوف على معناه من معرفة اصله في لغته التي صك فيها والتعرف على ظروف نشأته وتطوره الدلالي .

تعرفه منظمة الصحة العالمية على انه " المصطلح الذي يفيد استعماله وصف الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة كصفات مركبة اجتماعية ، لا علاقة بها بالاختلافات العضوية " بمعنى ان التكوين البيولوجي سواء للذكر او للانثى ليس له علاقة باختيار النشاط الجنسي الذي يمارس . فالمرأة ليست امرأة إلا لأن المجتمع اعطاها ذلك الدور وكذلك الذكر ، ويمكن حسب هذا التعريف ان يكون الرجل امرأة ... وان تكون المرأة زوجاً تتزوج امرأة من نفس جنسها وبهذا تكون قد غيرت صفاتها الاجتماعية وهذا الأمر ينطبق على الرجل ايضاً .

وتعرف الموسوعة البريطانية ما يسمى بالهوية الجندرية Gender Identity : " ان الهوية الجندرية هي شعور الإنسان بنفسه كذكر او انثى ، وفي الاعم الأغلب فإن الهوية الجندرية والخصائص العضوية تكون على اتفاق (او تكون واحدة) ولكن هناك حالات لا يرتبط فيها شعور الإنسان بخصائصه العضوية ، وقد يكون هناك توافق بين الصفات العضوية وهويته الجندرية (أي شعوره بالذكورة او الانوثة) لذلك فإن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة بل تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية وهي تتغير وتتغير بتأثير العوامل الاجتماعية كلما نما الطفل كما انه من الممكن ان تتكون هوية جنديه لاحقة او ثانوية لتتطور وتطغى على الهوية الجندرية الأساسية حيث يتم اكتساب انماط من السلوك الجنسي في وقت لاحق في الحياة إذ ان انماط السلوك الجنسي وغير النمطية منها (بين الجنس الواحد) ايضاً تتطور لاحقاً " .

وعادةً ما يطرح سؤال في التدريبات الجندرية للتجمعات النسائية والرجالية : ما هي اللحظة الأولى التي وعيتم فيها انكم ذكور او أناث ؟ وسؤال آخر : متى كان

ادراككم الأول بوصفكم ذكوراً او اناثاً ان عليكم ان تفعلوا اشياء او لا تفعلوها ؟
او : ما هي الاشياء التي تفرض عليك بسبب جنسك وتكره ان تفعلها ، والاشياء
التي تفرض على الجنس الاخر وتود ان تقوم بها !!؟؟

" ومن ثم فإذا قام الرجل بوظيفة المرأة وقامت المرأة بوظيفة الرجل فانه لن
يكون هناك ذكر وانثى وانا سيكون هناك نوع " جندر " وهذا النوع هو الذي
سيحدد طبيعة دورة الحياة ، بحيث يجوز للانثى ان تمارس دور الذكر والعكس ،
وبحيث لا تكون هناك اسرة بالمعنى التقليدي ولا ابناء ولا رجل ولا امرأة وإنما
أسر جديدة شاذة وابناء نتاج للتلقيح الصناعي ، فأى فكر شيطاني ذلك الذي تتباه
" النسوية الجديدة " ؟ واي قوة تجعل من الامم المتحدة وامريكا والغرب تتبنى
هذا الفكر الشيطاني لفرضه على العالم؟! إنها تعبير عن ارادة لا نقول علمانية
وانما الحادية لتحويل الوجود البشري وجوداً بلا قيمة ولا معنى تنتفي معه العناية
من استخلاف الله للإنسان في الأرض . وفي الواقع فأن هذا الفكر الاجرامي ليس
خطراً على المجتمعات الإسلامية فحسب ولكنه خطر على الحضارة الإنسانية
ذاتها : لكن المجتمعات الإنسانية تأتي في القلب من معتقد هذا المخطط الإجرامي
البديل والجديد " . [كمال حبيب (عولمة المرأة) iicwc.org]

وفي هذا قول الدكتور شريف حتاته (زوج الدكتورة نوال السعداوي) في
ختام مؤتمر (الاحتفال بمرور مائة عام على اصدار كتاب تحرير المرأة لقسام
امين - ١٩٩٩ م) " نحن لا نريد الخطاب الديني ، نحن نريد خطاب نسوي
ابداعي جديد " إذن مفهوم الجندر او مفهوم النوع او الجنس وغيرها من الكلمات
المستخدمة في الجندر هي الادوار التي يقوم بها الجنسان حسب ما حدده لها
المجتمع مسبقاً كأنثى او كذكر ، وغالباً ما ترتبط هذه الادوار بمجموعة من
السلوكيات التي تعبر عن القيم السائدة في هذا المجتمع ، تحدد مدى اجادة كل من
الجنسين في القيام بالدور المنوط به درجة قبول بصورة المجتمع لهما ، وهذا
التعريف لإدوار النوع او الجنس الاجتماعي يوضح بصورة جليّة ان المجتمع هو
السبب في وعي الفرد بذكورته او انوثته بعيداً عما يسمى بالاختلافات البيولوجية
بين الجنسين وبناءً على ذلك فأن حركة المجتمعات في تطور مستمر مما يؤدي
الى تطور دور النوع وتغييره حسب الوسط الاجتماعي من ذكر الى انثى او
العكس او استحداث انماط جديدة للأسرة بعيداً عن لفظ مذكر ومؤنث مثل أسر
الشواذ .

اما في بكين فقد رفضت الدول الغربية تعريف الجندر بالذكر والانثى وهذا ما يثبت سوء النية وبُعد المرمى والاصرار الكامل على فرض مفهوم حرية الحياة غير النمطية كسلوك اجتماعي . واستمر الصراع اياماً في البحث عن المعنى الحقيقي للمصطلح إذا صرّت الدول الغربية على وضع تعريف يشمل الحياة غير النمطية كسلوك اجتماعي ورفضت الدول الأخرى اية محاولة من هذا النوع فكانت النتيجة ان عرّفت اللجنة المصطلح بعدم تعريفه The non definition of the term وتكشف وثائق مؤتمر Gender روما انشاء المحكمة الجنائية الدولية المنعقدة في روما ١٩٩٨ م عن محاولة لتجريم القوانين التي تعاقب على الشذوذ الجنسي حيث اوردت الدول الغربية " ان كل تفرقة او عقاب على اساس الجندر يشمل جريمة ضد الإنسانية " وكان ادخال كلمة Gender في تعريف الجرائم بالإنجليزية امراً غريباً في حد ذاته إذ ان النصين العربي والفرنسي استعمالاً لكلمة (الجنس) ولم يستعملوا كلمة (الجندر) اذ ليس له تعريف واضح ومدلول محدد . وهذا الأمر دفع الوفود العربية والإسلامية الى استبدال كلمة الجندر بالجنس وقد قال احد المفاوضين العرب : ان كنتم تقصدون ان جندر مرادف جنس فلم الاصرار ؟ وان كانت تختلف في المعنى فافهمونا الخلاف (باعتبارها لغتكم) لنستطيع ان نرى انسجامها مع القانون اولاً ، وهذا الاختلاف الشديد دعاهم لأن يعترفوا بأنها تعني " عدم الحياة النمطية للنوع الواحد " بمعنى انه اذا مارس احدهم الشذوذ الجنسي فعوقب بناءً على القانون الداخلي للدولة كان القاضي مجرمًا بحق الإنسانية . وعلى الرغم من المعارضة الشديدة من الدول العربية والإسلامية إلا انها لم تنجح في حذف كلمة (الجندر) من النص الإنجليزي (وهو النص الذي يتم توقيعه ومتابعته) وإنما حوّر المعنى حيث عرّف الجندر بأنه " يعني الذكر والانثى في نطاق المجتمع " وكلمة نطاق المجتمع - بكل اسف - لا تخرج عن مجمل التعاريف التي اوردتها سابقاً عن الجندر باعتبار ان دور النوع لكليهما مكتسب من المجتمع ويمكن ان يتغير ويتطور في نطاق المجتمع نفسه .

واتماماً لهذه المسيرة الطويلة لغرض هذا المصطلح دعا اعلان مؤتمر لاهاي للشباب ١٩٩٩ الى انشاء جهاز خاص في كل مدرسة " لتحطيم الصورة التقليدية والسلبية للهوية الجندرية للعمل على تعليم الطلبة حقوقهم الجنسية والإنجابية بهدف خلق هوية انجابية للفتيات والفتيان كما يدعو الاعلان بوقاحة الحكومات

الى اعادة النظر وتقديم قوانين جديدة تتناسب مع حقوق المراهقين والشباب للاستمتاع " بالصحة الجنسية " والصحة الإنجابية بدون تفرقة على اساس الجندر " [iicwc.org]

ويتضمن هذا العنوان (الجندر في وثائق الأمم المتحدة الدولية) موقف الفكر العربي الإسلامي من استخدام الجندر وممارسته بين الأفراد إذ ان هذا المصطلح الجديد وصل متأخراً للثقافة العربية والإسلامية (في بداية العقد التاسع من القرن العشرين) فكانت استجابتها سلبية ومرفوضة لأنه معادي للصورة النمطية لدور المرأة والرجل الاجتماعي والذي يترتب عليه العديد من المتغيرات السلوكية والمعارية والقيمية للتربية الإسلامية لذلك وقفت (الثقافة العربية) موقف المتحفظ منه بل وحتى الرفض له وإدانتة .

إذ ان الجندر هو نتاج التطور التكنولوجي الذي افرز تغييراً في الادوار الاجتماعية للأفراد فأصاب المرأة والرجل مبيناً تشويشاً في دورهما حسب رؤية الثقافة العربية الإسلامية .

تعقيب وتعليق

لا نستطيع ان نعتبر موضوع الجندر بأنه حديث ليس له جذور في الدراسات السوسولوجية لأن دراسة الأدوار الاجتماعية ووجود نظريات دورية في علم الاجتماع تمثل الخلفية العلمية لعلم النوع الاجتماعي لكن هذه الخلفية لم تجلي ولم تسلط ضيائها على اللا مساواة بين الرجل والمرأة بل ميزت بينهما من حيث التوقعات الثقافية والاجتماعية وكانت الصفة الغالبة قبل الربع الأخير من القرن المنصرم صفة المحافظة الكلاسيكية مع بعض السلوكيات المتحررة لسلوك المرأة إلا ان هذا لا ينطبق على اجورها في العمل وفرص عملها وتبخيصه والعنف الممارس عليها في المنزل وسواها . لكن مع ظهور حركات تحرر المرأة التي فصلت الاختلافات البيولوجية والدورية عن المفاضلة او عدم المساواة في العمل واجوره ونشاطها السياسي وسواها . أي ارادت اثبات هويتها الانثوية في المجتمع وعدم طمس معالم ذاتها في الحياة الاجتماعية والسياسية والمهنية هادفة الدفاع عن نفسها ليس من الرجل وحده بل من النظام الرأسمالي والأبوي (البطريقي) والتعصب العرقي والديني وحقوقها في الزواج والطلاق ليس تمرداً على المجتمع بل تحرراً من قيود الماضي التي وضعها الأموات لتقييد الاحياء .

ولما حصلت المرأة على قسط كبير من التعليم والثقافة العلمية والمعرفية ارادت ان يواكب هذا التحصيل كماً ونوعاً من التعامل اليومي والمؤسسي والقانوني من قبل انساق البناء الاجتماعي وإلا ينتج عن هذا التباين خللاً في ايقاعات الحياة الاجتماعية التي تبرز على شكل ارتفاع معدل الطلاق والزيجات غير الشرعية والانجاب غير الشرعي وجنوح الاحداث والانحرافات الجنسية النسوية (السحاق) وهذا يؤدي فيما بعد الى تفكك اجتماعي بدءاً بالتفكك الأسري وانتهاءً بالتفكك النسقي .

اذن نستطيع القول بأن التحولات الاقتصادية وتطوراتها تتطلب تحولات في ادوار الرجال والنساء وتقليص الفجوة بينهما وتحول مفاضلات وعدم مساواة النساء بالرجال في الحقوق والواجبات . وعندما لا يتم ذلك تتولد عندئذ حركات نسوية متطرفة تطالب بأهداف متطرفة وهذا ما حدث في العقد الثامن من القرن المنصرم التي تؤدي الى خلخلة الخلايا الاجتماعية الصغيرة مثل الأسرة والمدرسة فتعيق حركة تقدم المجتمع وتجذب انتباه الساسة والناشطين الاجتماعيين والاعلاميين للدفاع عن حقوق المرأة وإزالة القيود التقليدية والمتكلسة بأخرى متفتحة لذا علينا مراقبة التطورات الاقتصادية وما تنتجه من تغيرات في بنیان تنظيماتها لأنها هي المحرك الأقوى في تغيير المجتمع وتبديل مفاهيمه ، لذلك مثل هذه الحركات الجمعية التي سادت معظم المجتمعات الغربية المتقدمة بادرت منظمة العمل الدولية مثل الحكومات المحلية والاقليمية وذلك لإدراكها اهمية المطالبة بالمساواة والعدالة بين النوع الاجتماعي (الجندر) لصالح التقدم والتطور الاقتصادي وللحاجة الماسة للقوى الناعمة في تنشيط مناشط الحياة المتجددة ولتغطية مساحات مهنية لا يستطيع الجنس الاخر (الرجل) تغطيتها لذا يجب اشراك المرأة في التخطيط والتصميم والتنفيذ وتقييم السياسات والبرامج السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

إضافة الى منظمة العمل الدولية في استخدام هذا المصطلح كانت هناك الحركات النسوية توجه انتقاداتها لنظريات الدور الاجتماعي في علم الاجتماع في الربع الأخير من القرن الماضي . ولما كانت هناك في علم الاجتماع دراسات حول التمييز العرقي والعنصري في معاملة الطبقة والعرق والاقليات فإن هذه اللا مساواة تم استخدامها في إقامة مقارنات ومقاربات بين المفاضلات الجندرية معها ولما كانت هناك دراسات في علم الاجتماع ايضاً حول النظام الأبوي والرأسمالي

فقد تم كذلك استخدامه في تفسير وتحليل اللا مساواة بين الرجل والمرأة في العمل والمجتمع معاً .

اما الجندر فإنه يمكن تعريفه على انه التمييز القائم بين الانتماء الجنسي – البيولوجي وبين التضمينات الثقافية والاجتماعية لذلك الانتماء وهذا يعني ان الاختلافات بينهما ليس فقط اختلافاً بيولوجياً او فيزيولوجياً وحده بل اختلافات اجتماعية وثقافية تتضمن توقعات تحدد نوع الجنس . اقول ان الجندر يجمع بين البيولوجي والاجتماعي يطغي عليه الجانب الاجتماعي – الثقافي . وقد اطلق كونييل (عالم اجتماع استرالي) على هذه الحالة بالصيرورة المجسدة اجتماعياً أي ان الانثى متجسدة اجتماعياً والذكر متجسر اجتماعياً بمعنى ان هناك توقعات اجتماعية وثقافية خاصة بجسد الذكر واخرى خاصة بجسد الانثى وهذا لا يعني انكار الجانب الفيزيولوجي او البيولوجي .

علماً بأنه لا يوجد فرد يجمع بين النوعين او التوقعين وان حصل فيكون من الشواذ والنوادر جداً يصعب التعامل معه لأنه بأي اسلوب يتم التعامل والتفاعل معه ؟ هل مع التوقعات الذكورية ام الأنثوية ؟ لأن هويته الجنسية مشوشة وغير واضحة المعالم (أي خنثى)

نعود ثانية الى ما ذكرناه سابقاً عن التحولات والتطورات الاقتصادية هي المحرك او مهماز التطورات التي تحصل في المجتمع وهذا يعني ان المحرك المهمازي (الاقتصادي) يؤثر على موقع الرجل والمرأة في المجتمع ويؤثر على نظام تقسيم العمل العالمي الذي جعل من الأيدي العاملة الناعمة النسوية ومن الاطفال رخيصة في نظام تقسيم العمل الكوني وهذا يشير ايضاً ان عدد العاملات اكثر من العاملين في سوق العمل ومع ذلك فإن التعامل معها ما زال متسم بعدم المساواة مع الرجل وبالذات في اليابان .

اخيراً علينا ان نشير الى ان الهوية الجندرية لا تخرج من شعور حاملها بأنه ذكر أو انثى أي لا تخضع للولادة بل تؤثر فيها العوامل النفسية والاجتماعية بل انها متغيرة ومتطورة مع تطور حياة الإنسان والمجتمع مما تجعل طغيانها على الهوية الجندرية الاصلية .

الفصل الثاني

ماهية الجندر

استهلال

٢ / أ – لماذا الاختلاف الجندري ؟

٢ / ب – الهوية والآخرين المختلفين .

٢ / ت – ثمن الامتثال المطابق للنوع الاجتماعي (الجندري)

٢ / ث – تصور مغاير لنوع الجنس .

استهلال

تعني الجندر : الصنعة الاجتماعية للأدوار والحقوق والمسئوليات المعتمدة والمحددة من قبل المجتمع المحلي والمجتمع العام تتناسب طردياً مع الرجل والمرأة . إذ ان الفرد يولد ذكر او انثى لكنه يصبح بعد تنشئة الأسرة والاجتماعية ولداً او ابنة ومن ثم يمسي رجلاً او امرأة ، هذا ما تلقنه او تعلمه اسرته ومجتمعه . لذا يمكن القول بأن هذه الصنعة الاجتماعية تغلف الاختلافات البيولوجية بين الذكر والانثى لتحولهما الى ولد او بنت ومن ثم تحولهما الى رجل او امرأة وهذه هي القاعدة المميزة التي تركز عليها هوية الجندر ، هذه هي الصنعة الاجتماعية .

وعلى هذا الاساس فإنه لا جرم من القول بأن الجندر تعني مفهوماً انسيابياً يسير كالمسائل في المجرى (ان جاز التعبير) يتغير ليس فقط عبر الثقافات أي لا يمثل نمطاً واحداً في كل الثقافات بل يختلف من ثقافة الى اخرى وبناءً على ذلك فإنها (الجندر) تتغير وتتبدل من جماعة الى اخرى بل وحتى داخل الثقافة الواحدة ، لذا فإن ادوار الجندر غير متساوية ومتعادلة في موازينها وقيمها ومعاييرها بل ذات معايير غير متوازنة لأنها غير طبيعية ناتجة عن الفوارق البيولوجية بل هي محددة ومقرره من قبل الانساق والثقافات التي تعيش فيها وهذا يعني اننا نعلن عن ذواتنا وتساهم في تغيير الادوار الاجتماعية عبر تحدي الوضع الراهن والقائم والبحث عن تغيير اجتماعي .

وعلى الرغم من المساعي والجهود المحلية والوطنية والدولية فإن البنات والنساء بقين مستمرات في مواجهة التمييز والتحييز ضدهن لأن القاعدة

التمييزية للجنس والعنف وعدم المساواة في الحقوق القانونية والمهنية بين الرجل والمرأة بقيت سائدة في كل وقت ومكان إلا ان الفرق بالدرجة لا بالنوع حيث مازلت النساء لم يحصلن على نفس اجور الرجل الذي يقوم بنفس عمل المرأة .
[Healeg . 2009 . P.4]

٢ / أ - لماذا الاختلاف الجندي ؟

سوف نجيب على هذا السؤال من خلال ، مرئية عباس محمود العقاد المبنية على النص القرآني في سورة النساء آية ٣٤ (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) .

القوامة هنا مستحقة بتفضيل الفطرة ثم فرض على الرجال من واجب الانفاق على المرأة وهو واجب مرجعه الى واجب الأفضل لمن هو دونه فضلاً وليس يغنيها عن نفقة الرجل او يمكنها من الانفاق عليه . وحكم القرآن الكريم بتفضيل الرجل على المرأة هو الحكم البين من تاريخ بني آدم منذ كانوا قبل نشوء الحضارات والشرائع العامة وبعد نشؤها . [العقاد . ٢٠٠٣ . ص . ٥]

هذه المرئية القرآنية التي تبناها العقاد اراد فيها الرد على الحركات النسوية الليبرالية الغربية المعاصرة وجماعة الماديين الذين يردون كل قوة في الإنسان الى قوة البنية الجسدية والمادية ، مبرهنناً على منطلقه القائل بأن رجحان الرجل على المرأة ناتج عن تخلف كفاءة المرأة وقدرتها بالمنافسة مع الرجل المستبد والمسخر لها في خدمة مطالبه واهوائه في جميع العصور والأمم ولا لرجحان الرجال عليهنّ وزيادتهم بالمزيّة لما استطاع بها تسخيرهنّ لصالحه . هذا هو رأي العقاد المنطلق من التأويل القرآني .

وسوف نوضح بالتفصيل هذه المرئية التي تختلف عن المرئيات الغربية التي سوف نتناولها في هذا الباب .

حدد عباس محمود العقاد ثلاثة صفات رئيسية اتصفت بها المرأة في جميع العصور وهي :-

- ١- صفتها الطبيعية وتشمل الكلام على قدرتها وكفايتها لخدمة نوعها وقومها
- ٢- حقوقها وواجباتها في الأسرة والمجتمع .
- ٣- المعاملات التي تفرضها لها الآداب والاخلاق ومعظمها في شئون العرف والسلوك .

ففي كل أمة وفي كل عصر تختلف المرأة والرجل في الكفاية والقدرة على جملة الاعمال الإنسانية ومنها اعمال قامت بها المرأة طويلاً او انفردت بالقيام بها دون الرجال .

ومن قصور الفكر عند الداعين الى قيام المرأة بجميع اعمال الرجل في الحياة العامة والخاصة ، ان يقال : ان المرأة إنما تخلفت في الكفاية والقدرة بفعل الرجل نتيجة استبداده وتسخيره المرأة في خدمة مطالبة واهوائه .

فأن هذا القول يثبت رجحان الرجل ولا ينفيه فما كان للرجال جملة ان يسخرُوا النساء جملة في جميع العصور وجميع الأمم لولا رجاحتهم عليهنّ وزيادتهم بالمزية التي يستطيع بها التسخير ولو كانت مزية القوة البدنية دون غيرها .

ومما يلاحظ ان اكثر القائلين بدعوة المرأة الى القيام بعمل المرأة الى القيام بعمل الرجل جماعة الماديين الذين يردون كل قوة في الإنسان الى قوة البنية المادية فإذا قيل ان قوة الجسد هي مزية الرجل على المرأة فليست هناك قوة اخرى تحسب من باب المفاضلة بين الجنسين .

على ان الواقع ان الكفاية التي تمكن الإنسان من الغلبة على سائر الناس لم تكن قط من قبيل القوة الجسدية دون سائر القوى الإنسانية وكثيراً ما كان المتغلبون المتسلطون على من دونهم أضعف جسداً من الخاضعين لهم . العاملين في خدمتهم وكثيراً ما كانت قوة الحكم بمعزله عن قوة الاعضاء وصلابة التركيب وأياً كان القول في هذا فإن الجنس لا يمتاز في جملته بقوة الجسد دون ان يرجع ذلك الى فضل في التكوين يوجب الامتياز والرجحان .

إذا نظرنا الى سوابق التسخير في تاريخ الإنسان تبين لنا انه كان نصيباً عاماً لجميع الضعفاء الخاضعين للأقوياء المسلطين عليهم وكان نصيباً عاماً على الأقل لطوائف العبيد الذين خضعوا للأقوياء والضعفاء ممن كانوا يسمون بالأحرار تمييزاً لهم عن الأرقاء المستعبدين وقد نبغ هؤلاء الأرقاء المستعبدين زمرة من الأدباء واصحاب الفنون ، كما نبغ منهم (سادة) يزاحمون الاحرار على اعمال الرئاسة والقيادة وينتزعون الحكم وهم غرباء عن البلاد التي يحكمونها وهم في

عددهم قلو ضئيلة بالقياس الى عدد النساء من الحرائر والإماء وهنّ نصف الجنس الإنساني او يزدنّ قليلاً على حساب الاحصاء .

وفضل الرجال على النساء ظاهر في الاعمال التي انفردت بها المرأة وكان نصيبها منها اوفى وأقدم من نصيب الرجال وليس هو بالفضل المقصور على الاعمال ومنها الطهي والتطريز والزينة وبكاء على الموتى ومالكة اللهو والفكاهة التي اقترنت فيها السخرية بالتسخير عند كثير من المضطهدين افراداً وجماعات .

طفولتها في مساكن الأسرة والقبيلة وتحب الطعام وتشتهيه وتتطلب مشتبهاته وتوابله في اشهر الحمل خاصة كما تطلب المزيد منه في ايام الرضاع ، ولكنها - بعد ثورات هذه الصناعات الأف السنين - لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذي يتفرغ لها بضع سنوات ، ولا تجاربه في إجادة الاصناف المعروفة ولا في ابتداع الاصناف والافتنان في تنويعها وتحسينها ولا تقدر على ادارة مطبخ بتعدد العاملين فيه من بنات جنسها او من الرجال .

وصناعة التطريز وعمل الملابس - كصناعة الطهي - من صناعات النساء القديمة في البيوت ولكنها تعوّل على الرجال في ازيائها ولا تعوّل فيها على نفسها وتفضل معاهد (التفصيل) التي يتولاها الرجال على المعاهد التي يتولاها بنات جنسها ، وكذلك تفضل معاهدهم على معاهد النساء في اعمال التجميل والزينة العامة ومنها تصفيف الشعر وتسريحه واختيار الاشكال المستحبة لتصفيره وتجميعه . وقد عنيت المرأة بألوان الطلاء منذ عرفت الزينة والتحلية الصناعية ولكنها لم تحسن من هذه الصناعة ما احسنه الرجل في سنوات قصار حين اشتغل بتغيير الملامح لتمثيل الادوار على المسرح او حين اشتغل بتغيير الملامح وللتنكر والاستطلاع ، وقد كان هذا التفوق في صناعة (التغيير) أولى بالمرأة لطول عهدها بفنون المداراة والحجاب .

وتنوح المرأة على موتاهها ، وتتخذ النواح على الموتى صناعة لها في غير مآتمها ولم تؤثر عن النساء قط في لغة من اللغات مرثاة تضارع المراثي التي نظمها الرجال ولا تظهر في (مراثيهنّ) مسحة شخصية تترجم عن النفس وراء الكلمات والمرددات المتواترة التي تقال في كل مآتم وفي كل وفاة وتنقل محفوظة كما تنقل مرتجلة من نظم قائلها في فجيعتها التي تعنيها ولا تعني غيرها كأنها الاصوات التي تترجم عن غرائز الاحياء على نحو واحد من الحزن والالام او في

الشوق والحنين والملاهي - ولا سيما ملاهي الرقص والغناء - من ضروب التسلية التي يتسع لها وقت المرأة في الجذور وفي البيوت التي لا تحسب من الجذور وقد شجعها الرجال على ذلك وجعلوها من فنون التربية النسوية التي تروقهم منها ولكن الاستاذية في الرقص المفرد وفي رقص الجنسين لم تكن من حظ المرأة في العصر الحديث ولا في العصور القديمة ولم يزل عمل المرأة في الرقص اقرب الى التنفيذ منه الى الابتكار والابتداء .

ومن اللهو الذي كان خليقاً بالمرأة ان تحذقه وتتفوق فيه على الرجال لهو الفكاهة والنكتة المضحكة لأنها تحب ان تمرح وتلعب ولأنها تشعر بالضغط وبالحاجة الى التنفيس عن الشعور المكبوح . وقد عرف من طبائع النفس البشرية ان ضحايا الضغط والاستبداد يلجؤون الى السخرية لرد غوائل الظلم التي لا يقدرّون على ردها بالقوة وان المعترضين لضرورات الخضوع والاذعان يقضون حق (التمرد) بالمزاح حيث لا يتاح لهم ان يقضوه بالجد والمقاومة ولكن المعهود في المرأة انها قليلة الفطنة للنكتة إلا في النادرة التي تحسب من الفلتات العارضة وانها لا تحسن ان تقابل نكات الرجال بمثلها مع كثرة النكات التي تصيبها في انوثتها ، فضلاً عن سبقها لهم وامتيازها في هذا الباب عليهم لأنها خليقة ان تحس من ضغط الاستبداد ما لا يحسه جمهرة الرجال .

وليس بالمجهول ان النساء قد نبغن من قبل وينبغن الآن في طائفة من الاعمال التي يضطلع بها الرجال وقد اشتهر منهنّ الملكات وقائدات العسكر واشتهر منهنّ الباحثات والخطيبات كما اشتهر منهنّ الصالحات الممتازات في شؤون الدين والدنيا وشمائل الفضائل والاخلاق وقد تكون منهنّ من تفوق جمهرة الرجال في بعض الاعمال . [العقاد . ٢٠٠٣ . ص . ص . ٣ - ٨]

٢ / ب - الهوية والآخرين المختلفين

خلال العقد الثامن من القرن المنصرم وبالتحديد ما بعد البنيوية والحدثة بات يؤثر على علم الاجتماع بحيث امسى هذا العالم يحتل الاهتمام المتنامي مع الخبرات المتفاعلة والهوية الذاتية اكثر مما يهتم بالتفسير البنيوية للتنظيمات الاجتماعية والسلوك . وقد يبدو للنظرة الاولى ان تحدي ما بعد الحدثة لعلم الاجتماع قد ترك اثراً بارزاً على علم اجتماع الجندر وعلى مفهوم الذات مع رفضه للذات المستقرة والموحدة والغير محورية . يحسن بنا ان نطرح في هذا الوطن تمييز ما بعد الحدثة الطرق والمسالك التي سلكها ويسلكها الناس في المجتمع الحديث بانخراطهم بشكل فاعل في تحقيق ذواتهم وهوياتهم وهنا يمسي الاختلاف عبارة عن لهجة مشتركة . ومن احدى المشاكل المؤكدة على موقع الذاتية هي ممارسة الافراد وتصريحهم بأنهم محايدون او غرائزيون فطريون او لديهم مشاركة تاريخية او روابط قرابية كل ذلك من اجل تحقيق ادعائهم .

في العالم المعاصر تستقي الهوية الذاتية من مصادر متنوعة مثل القومية او العرقية او الطبقة الاجتماعية او المجتمع المحلي او الجندر او الجنس وهنا قد تتصارع هذه المصادر في ارساء مواقع الهوية الذاتية وتؤول بالتالي الى تمزيق الهوية ، لكن يكون من مصلحة الهوية الذاتية ان تعبر عن نفسها من خلال احتفال المنخرطين فيها من اجل التعبير عن فرديتهم ووحدتهم وهذا ما يحصل للجماعات السحاقية واللواطين التي تتحدى العلاقة الجنسية السوية (العلاقة الجنسية المغايرة وليس المثلية) وتحتفل باختلافها امام المختلفين معها .

الجندر والنفوذ

ميشل فوكايلت ١٩٧٧ م منظر اجتماعي فرنسي يرى النفوذ في المجتمع المعاصر غير مرتبط بالقوة العضلية ولا يمثل الرجولة ولا فقدانه عند النساء بل يتألف من شبكة من العلاقات الاجتماعية بين الأفراد أي كلما اتسعت شبكة

العلاقات الاجتماعية زاد النفوذ والعكس صحيح ولا دخل له بكون الفرد رجل او انثى او هو في القمة والآخر في القاعدة ولا دخل للأساليب العنيفة في اكتسابه بل بدخل المعايير الاجتماعية التي تتضمنها العلاقات الاجتماعية ولما كان الرجال اوسع شبكة في علاقاتهم الاجتماعية من النساء فإن ذلك تمتعهم بنفوذ اجتماعي اعلى واكبر من نفوذ النساء . جدير بذكره في هذا السياق الى ان بورديو ١٩٩٣ علق على هذا النموذج النفوذي قال عنه انه نموذج مفيد ونافع لتحليل هيمنة وسيطرة الرجل المتسيد على الانثى التابعة له والذي يبرز بشكل تلقائي عبر العادات الاجتماعية اليومية لتحديد مفهوم الرجولة والانوثة . ولم ينسى فوكايلت ١٩٧٧ مقاومة المرأة عند التسلط الرجولي الذي يبرز على الصعيد الاجتماعي البعيد والقريب المدى إذ يظهر بأشكال متنوعة ومتعددة . وإن افكار طروحات فوكايلت فيما يخص المقاومة تقدم الأرضية للتفاوض والمرونة لأنها توضح بأن ليس جميع الرجال يملكون النفوذ وفي جميع مراحل حياتهم ولا النساء فاقدى النفوذ جميعهم وفي جميع مراحل حياتهن ولا هنّ جميعهنّ تبع الرجال في كل الاوقات والأزمان وهذا ما يمنح النساء شعوراً داخلياً جديداً مثيراً في علاقاتهنّ مع الرجال ومع الآخرين .

وعلى الجملة ، ان نفوذ الرجال ليست مطلقة ودائمة يتمتع بها كل الرجال ولا جميع النساء تبع للرجال في كل الاوقات والاحوال وذلك بسبب مقاومة المرأة لتسلط الرجال عليهنّ الأمر الذي يجعل من نفوذ الرجال ان يكون مرناً يبعث الأمل والرجاء المتفائل عندهم في تغيير معادلة النفوذ بين طرفي المعادلة .

الرجولة الذكورية masculinities

تم اكتشاف ما بعد البنيوية والحداثة الطبيعية المرنة لهوية الجندر ومدى جديتها في هذا الحقل المعرفي الذي كان مقترناً مع وجود مناخ سياسي متطرف أبان العقد الثامن من القرن المنصرم الذي عبر عن القول الحاصل في علم الاجتماع في تركيزه على المرأة الى الجندر الذي بدوره شجع وسمح علماء الاجتماع اهتمامهم بدراسة الرجولة الذكورية وضرورة كشف مضامينها إذ كان في العقد السابع من القرن الماضي ندرة تناول علماء الاجتماع موضوع دراسة المرأة وخبراتها ، هذه الالتفاتة خضعت ايضاً الى التأثير الفعال للحركة النسوية التي برزت على شكل تنظيم منسق بل والأكثر من ذلك برزت كتابات لعلماء الاجتماع جدد امثال جيف هيرن وديفيد مورجان اللذان ناقشا العديد من نظريات

علم الاجتماع وبالذات تلك التي تناولت دراسة المنحرفين والمجرمين فوجدوا انها تناولت الرجل والرجولة فظهرت كتابات جاي عن الرجولة والرجل وأثرها على بناء نظرية خاصة بالشاذين من الذكور وهوية الجندر .

هناك عالم اجتماع استرالي ، بوب كونيل ، الفت انتباه الدارسين في حقل علم الاجتماع في استراليا حول مواضيع جديدة لم ينتبه ولم يكن منتبهاً لها الأستراليين منها بنية الرجولة الذكرية في كتابه الموسوم (الرجولة الذكرية) وبنية الرجولة في الحياة اليومية واهمية الاقتصاد والأبنية المؤسسية واهمية الاختلافات بين الرجولة ونقيضها المغاير والخصائص الحيوية للرجولة .

من احد النقاط المهمة التي طرحها كونيل هي الأنواع المتعددة للرجولة ، احدها هي السيطرة الرجولية hegemonic masculinity حدد كونيل هذا المفهوم على انه شكل من اشكال الممارسة الجندرية التي تدعم وتعزز موقع الرجل المسيطر على موقع المرأة التابع له . في الواقع استخدم كونيل هذا التحديد استعارة من تحديد وتعريف جرامسي (عالم اجتماع الماني معاصر) أي ان مصطلح السيطرة ونفوذها لم يكن تحديده من قبل كونيل موضحاً بذلك ممارسة جماعة واحدة سيطرتها عبر الممارسات الثقافية اكثر من وساطة العنف والقوة . بمعنى ان كونيل وجرامس يريان سيطرة الرجل على المرأة متأتي من المعايير الثقافية التي تدعو الى ذلك اكثر من استخدام القوة الجسدية التي يتمتع بها الرجل على المرأة .

ثم حدد كونيل الرجولة الذكرية الطرق التي تستخدمها الجندر كممارسة اجتماعية في علاقاتها ببنية اجتماعية اكبر من خلال تصيه مفهوم الرجولة الأوربية والامريكية في المرحلة الواقعة بين ١٤٥٠ لغاية ١٦٥٠ أي عبر قرن من الزمن وعندما ظهرت الجندرية الحديثة بالظهور في اوربا حدث التغير الثقافي الأول عندما كانت الكاثوليكية في اوربا ابان القرون الوسطى سائدة ثم حلت محلها الاصلاحيين البروتستانتيين ومنها انتشرت الثقافة العلمانية وكانت هذه بمثابة متطلبات ذات شرط اساسي لفكرة الرجولة الذكرية ذاتها .

ثم حصل تطور ثاني أبان مرحلة الاستغلال والتطور الاستعماري الامبراطوري عند عدة قوى اوربية فكانت ثقافتهم تمثل ثقافة رجولية ذكرية بالمعنى الحديث لأن رجالها كانوا يبحثون عن الأرض والنفوذ والذهب والتحول ولديهم نزعة عدوانية بشكل مطلق جميع هذه المكونات الثقافية تجعل من افرادها صعب

السيطرة عليهم وتحجيم نزعتهم التسلطية . أعقبَ هذه المرحلة تطور ثالث - طبقاً لكونيل - ظهرت مدن اوربية كبرى ومنتامية مثل امستردام ولندن كمراكز تجارية رأسمالية وتباعاً لذلك بدا الجندر استناداً لهذا التغير الذي تم وصفه من قبل كونيل بأنه بات مرئياً وبالذات في القرن السابع عشر والثامن عشر إذ جلبت الثورة الصناعية التغير في مجال التجارة والزراعة والمقاولات جميعها عملت على تطوير السيطرة الاستعمارية التي طبعت وأصبغت الثقافة الاجتماعية وبلورت نماذجاً جديدة لثروة الجندر ونفوذه . بتعبير آخر ان الاستعمار ونمو المدن الكبر ضاعف من سيطرة الرجل على المرأة لأن هذين المتغيرين (الاستعمار والمدن الكبرى) تحتاج الى القوة والاندفاع والاستحواذ وتملك الثروة التي بدورها تخللت في بنية الثقافة الاجتماعية ومنحتها معاني معيارية تعزز نفوذ الرجل الذي يملك المال والقوة وبالتالي تجعله مسيطراً على المرأة التي لا تمتلك الثروة ولا المواقع الاجتماعية المتميزة . وهذا يشير الى انه على الرغم من العلمانية والاصلاحات البروتستانتية والاستعمار ونمو المدن الكبرى لم يغير طرفي المعادلة الجندرية بل بقت تابعة للرجل لأن الثقافة الاجتماعية تطورت مع تطور قوى العالم الاستعماري والرأسمالي والعلمانية .

بعدها حصل التطور الرابع عند اجتياح الحرب الأهلية الكبرى في اوربا مع ظهور حكومة مركزية قوية موحدة و متماسكة وكان هذا ابان القرن الثامن عشر في اوربا وامريكا . ثم اضاف كونيل الى ما تقدم فقال ان نظام الجندر تضمن الرجولة بمعناها الحديث ذات الخصائص الفردية والمتحدد من قبل المواقع الخاصة بالحركة النسوية والتأسيس الذي ساد الاقتصاد والحكومة التي بلورت الاستقرار في المجتمع . كذلك اشار كونيل الى مفهوم رجولة الطبقة العليا او الحاكمة - الارستقراطية Gentry masculinity التي بنيت على امتلاك الأرض والعقار وسعة العلاقات الاقتصادية الرأسمالية إذ ان هذه المصادر تجعل من هؤلاء ان يكونوا على اتصال مع أسر اخرى أما عن طريق العلاقات القرابية او الزواج الاستراتيجي الذي يجمع الأسر الثرية والقوية والمتنفذة معاً فضلاً عن صلتها المتواصلة مع رموز الدولة التي تزودها بالقادة الإداريين المحليين وتشغل المواقع العسكرية والبحرية الأمنية المتميزة . جميع هذه الوظائف والمصادر تشكل حالة رجولة الطبقة الحاكمة او العليا في المجتمع .

لا اريد ان ابرح من هذا المقام مالم اوضح هذه الحالة في المجتمع العربي الذي تميزت فيه ظاهرتين فاعلتين لعبت دوراً ناشطاً في تغذية الثقافة العربية بتسيّد وتسلب العربي على العربية أي الرجل على المرأة وهما رجولية الفئة الحاكمة او العليا gantry masculinity المتكونة من اسرة الحاكم العربي وأقاربه وقيادة حزبه (كان هذا قبل الربيع العربي) اما بعده فقد استمرت هذه الظاهرة في طمس مؤهلات وكفاءات وقدرات المرأة العربية بل زادت من قيودها وضغوطها عليها فتضاعفت اندحارها امام هيمنة الرجل العربي . وتفاعلت ظاهرة اخرى مع الظاهرة السابقة وهي ظاهرة الزواج الاستراتيجي (strategic marriage) الذي يعني الزواج المخطط له والبارع في المصاهرة بين المستويات لاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتقاربة من اجل الحفاظ على درجة المستوى بين ابناء الطبقة العليا (الارستقراطية والحاكمة) مع الاستمرار في صلاتها مع رموز الدولة في المؤسسات السياسية والعسكرية والأمنية . بتوضيح اكثر اندمجت رجولية الطبقة العربية الحاكمة (حكام البلد وأهلهم واقاربهم وابناء عشيرتهم وطائفتهم الدينية واقليمهم وملاك الأراضي والعقار واصحاب المصادر الاقتصادية الثرية) في زواج بارع في خطته بالمحافظة على ثرواتهم ومناصبهم ونفوذهم وهذا بدوره يجعل المرأة في اسرهم العربية تحت نفوذهم وسلطتهم وتسيّدهم ولا يسمح لها بالتنبؤ في مراكز نفوذية او لها صدى في الأنشطة الاقتصادية والسياسية المستقلة عنهم . هذا ولا ننسى الثقافة العربية ذات النظام البطريقي (الأبوي) تضع الرجل فوق كل شيء في اتخاذ القرارات العائلية والمحلية والمؤسسية فضلاً عن جعل الدين الإسلامي الرجال قوامون على النساء . كل ذلك يجعل من المرأة العربية تحت ضغوط متعددة ومتنوعة في مصادرها القوية مثل (الدين والنظام البطريقي في الثقافة العربية وهيمنة الطبقة الحاكمة والزواج الاستراتيجي) لذلك عندما نسمع ونشاهد ونقرأ بأن هناك وزيرة عربية او منظمة نسوية او اتحاد نسائي عربي وتعليم الفتاة العربية وممارسة عملها في الطب والهندسة والتعليم نستطيع ان نعرّف انها وان انجزت هذه الانجازات الجديدة في حياتها المهنية ما زالت تحت النفوذ الرجولي العربي في الأسرة والعمل التطوعي والعمل أي انها غير مستقلة في رأيها وحررة في فكرها ومتمردة على واقعها ومتواصلة مع الثقافة الغربية الليبرالية .

اما في ظل الإرهاب والمفخخات والتفجيرات والأحزمة الناسفة التي سادت المدن العربية في العراق وسوريا ومصر وليبيا وتونس واليمن وباقي البلدان العربية فأن هذا زاد من مصادر النفوذ الرجولي على المرأة العربية إذ ان هذا المصدر (الإرهابي) جعلها تقبع في الدار خائفة ومرعوبة ومرهوبة من القتل العشوائي الصادر من الرجال وخائفة لنصيبتها وقدرها لا أحد يتجرأ ان يدافع عنها او يحميها بل زادت في خنوعها وتبعيتها وانصياعها لجبروت الرجل يوماً بعد يوم ولم يسعفها تعليمها الجامعي والعالي او مهنتها البناءة والإنسانية بل ارتفع ظلمها وبؤسها وجهلها وفقرها فأمست مسألة (الجندر) شيء مضحك ومخجل في رأيها اقول مضحك لأنها في واد غير واد المرأة الإنسانية الحرّة والمبدعة ... ومخجل لأنها في القرن الحادي والعشرين وهي في حالة نكوص وتقهقر سريع الى القرن السابع عشر تعيش كامرأة خلقت للإنجاب وتربية الأبناء وخدمة الرجل فقط .

ولا ننسى غزو العراق واحتلاله وهدم دولته تحت دعوى بناء نظام ديمقراطي وما يجري الآن في سوريا تحت وقع ضربات التحالف الغربي والطائفي رغم فشلها في حكم العراق ومصر إذ كان سعيهما على الانفراد بالحكم واقصاء الآخرين والعمل على تشييع الدولة العراقية وأخونة الدولة المصرية مثل هذه الحركات تجعل المرأة العراقية والمصرية تحت ظلم مستبد يحمل في طياته مصادر قوية لحرمان المرأة العربية من التعبير عن كونها مواطنة او انسانية .

لا اريد ان ابرح من هذا الموضوع ما لم أثبت حقيقة مفادها ان هدف الحروب والثورات والزواج الاستراتيجي والرجولة الذكورية لم يكن بالدرجة الأساس بسبب التأثير الجانبي side effect لهذه الاحداث التي ابرزت الرجل في نشاطها العسكري والتجاري والصناعي والاقتصادي التي بدورها جعلت المرأة تابعة له بسبب عدم تمكنها الحربي والثوري والاقتصادي فبقت مستمرة في نشاطها التقليدي (الانجاب والتربية) والعمل المناسب لأنوثتها مثل التعليم والتمريض وحتى الاعمال المتميزة كالطب والهندسة والالكترونيات لم تتبوأ مناصب قيادية بسبب حداتها في هذه المهن وطبيعتها الانثوية الموروثة التي لا تسمح لها الاستمرار والتميز بما تفوقت به بسبب المنافسة المهنية الحادة وارتباطها الوجداني بأفراد الأسرة وبأناقته وذوقها وجمالها الذي يوازي قوة

الرجل الذي يتباها بها امام الاخرين . إنما لا ننكر ان كلاهما يريدان جذب اهتمام وتعلق الآخر به من خلال الاهتمام به (المرأة بأنوثتها وجمالها واناقتها والرجل بقوته وماله) فتحول التعصب الى استخدام الجاذبية عند كليهما لجعل الآخر تحت جاذبيته او جاذبيتها ، لم تصل الى درجة الصراع بين الجنسين ولم يصل الى حد التعصب والتحيز في ظل التحولات والتطورات الثقافية والتقنية والعلمية. نعود ثانية الى طروحات كونيل فيما يخص سيطرة الرجولة الذكورية التي كانت مرئية في العلاقة الجنسية المغايرة (أي علاقة الرجل بالمرأة وليس المثلية) وسيطرة النظام الأبوي هذه المرئيات سادت المجتمع الاوربي والامريكي لعدة قرون من الزمن إلا انها واجهت تحديات بشكل متدرج من عدة جوانب فحصل استبدال لها بأشكال جديدة من السيطرة الذكورية أي لا تعكس السيطرة البطريقية ولا الزواج الطبيعي بين الرجل والمرأة بل من ثلاث تحديات حددها كونيل وهي التطور الرأسمالي واستقطاب التكنوقراطيين أي استقطاب الاختصاصيين التقنيين من رجال الاعمال الذين يعملون في الاسواق العالمية ، والقادة السياسيين المتفاعلين مع التكنوقراطيين جميعهم تحدوا الحركة النسوية . وفي عام ٢٠٠٠ اشار كونيل الى هذه الاشكال وقال عنها بأنها تمثل رجولة المشروط للذات الفردية والاحساس الأقل للزوال نحو المسؤولية تجاه الاخرين ثم قال بأن نظام الجندر العالمي واجهت حالات عززت من وجوده مثل ضعف سيطرة الرجل على المرأة التي تعلمت وحصلت على كفاءة مهنية للعمل في الاشغال العامة والمؤسسات التجارية والصناعية وحصل ايضاً ضعفاً في الهوية الجنسية الذي كان مصدره الشذوذ الجنسي مع ظهور احساس جديد للرجل لم يكن ظاهراً عنده من قبل .

لا جناح من تقديم مصطلح نصيب النظام الابوي patriarchal dividend الذي طرحه كونيل مشيراً الى امتياز الرجل المكتسب من افرزات نظام تقسيم العمل الجندري الذي لا يشمل فقط عدم تساو اجور الرجل مع اجور المرأة بل من خلال عملية تراكم الرأسمال المتأتية من البناء الاجتماعي للرجل في مجال الملكية والثقافة الاجتماعية والامتياز الجنسي . معنى ذلك انه على الرغم من التطور الذي اصاب كفاءة ومهارة المرأة في العصر الحديث فإن امتيازات الرجل المتأتية من النظام الابوي ما زالت تمنحه المفاضلة في العمل والاجور على المرأة في العالم الحديث .

٢ / ت - ثمن الامتثال المطابق للنوع الاجتماعي (الجندي)

لا جرم من القول بأن ثمن الامتثال المطابق ينطبق على النوعين (الرجل والمرأة) على السواء . ولا ريب من طرح مثال حي على هذا الامتثال وهو ممارسة السلوك العنفي ضد المرأة (سواء كان جسدياً او جنسياً او عاطفياً او لفظياً) في جميع انواع المجتمعات الإنسانية وعادةً ما يعكس هذا العنف القوة الجسدية والنفوذ الاجتماعي للرجل والضعف الجسدي والنفوذ للمرأة لكن تحاول بعض الدول الغربية إذ تقلل استخدام العنف ضد المرأة وتوعية الرجال حول المعايير الثقافية التقليدية التي تبخس مكانه المرأة وتعظم رجولة وفحولة الرجل عضلياً ، حيث تغذي الثقافة التقليدية موقف الرجل ضد المرأة وطرح مرئيات مغلوطة عن الانوثة والرجولة التي لا تتناسب طرذاً مع تطور العقل البشري والمساواة بين الرجل والمرأة .

ومن العادات التي تدعم الامتثال المطابق للأنثى هو نظام الحماية الذي يتطلب النخافة والرشاقة للمرأة الأمر الذي يجعلها ضعيفة جسدياً وتقليل وزنها الذي يؤثر على صحتها ويهزل قوتها الجسدية او التدخين لكي تبدي اكثر انوثة وتمنع شهيتها للأكل . جميع هذه الممارسات (الحماية والرشاقة والتدخين) تعزز الامتثال والمطابقة للنوع الانثوي للمرأة .

وهنا ينجم سؤال مُلح اتكاءً على ما تقدم ، هل هذه الحالة مقتصرة على الاناث فقط ام تصيب الرجال ؟ الجواب هو ، الرجال ايضاً يدفعوا ثمن الامتثال المطابق للنوع الاجتماعي إذا كانوا متابعين وملتزمين بتوقعات الجندر عبر تعبيرهم عن استقلاليتهم وجلادة عاطفتهم واعتمادهم على انفسهم في اداء مهامهم إلا ان هناك العديد من الرجال الان اكثر ميلاً عما سبق في تعبيرهم عم مشاعرهم الدوية . وفي الواقع غالباً ما تقوم التنشئة الجندرية بتثبيط او عدم

تنشيط المشاعر الودية بين وعند الذكور وهنا يتطلب الامتثال المطابق لأدوار الجندر التقليدية انكار اية محاولة تسمح للمرأة اكتساب او الحصول على نفوذ وسلطة واداء واستقلالية امام الناس بالعلن وتنكر ايضاً بأن الرجال اكثر تهذيباً وتنكر على النساء بأنهنّ مسالمات ومتعودات على السكون والدعة .

إن سياق الحديث يلزمني ان لا اغفل حقيقة مفادها ان تعلم واكتساب ادوار الجندر التقليدية في استطاعتها ان تكسب وتعلم الرجال والنساء معاً التحدي والجسارة والاندفاع الجسدي والمبادرات الخطرة التي تؤدي الى الموت المفاجئ او الإيذاء الخطر . الملفت للانتباه اليوم ان الثقافة المعاصرة تركز على الرجولة والقوة العضلية في قدرتها بتعلم ادوار الجندر التي تضع الرجل والمرأة في مواقف وحالات خطيرة .

العرق ، الجندر والهوية

ديديني في هذا العنوان الولوج الى هوية النوع الاجتماعي التي لا تتبلور من العوامل الاجتماعية فحسب بل يشارك العرق مساهمة حيوية في تحديد ملامح هوية الجندر أي ان توقعات دور الرجل او المرأة المنحدرين من عرق واحد تختلف عن المنحدرين من عرق اخر مثال على ذلك الامريكي من اصول افريقية لديهم مساواة معتقداتيّه فيما يخص الدور النوعي (الرجل او المرأة) اكثر مما هي عند البيض من الامريكان وان المرأة السوداء لديها فرص عمل كثيرة اكثر من المرأة البيضاء في سوق العمل وقد يرجع ذلك الى الاختلاف الحاصل في مواقف البيض والسود تجاه ادوار النوع الاجتماعي التي تمثل حجماً كبيراً (من النساء البيض) في سوق العمل والذي ينمو بتزايد مطرد . اللاتينيين والامريكان من اصول لاتينية يكونوا محافظين اكثر في نوعهم الاجتماعي وبالذات في معتقداتهم الدورية وكذلك الامريكان من اصول افريقية بيد ان هذه الاختلافات باتت في انحدار وهبوط عبر الوقت على الرغم من وجود فكرة مفادها ان الامريكان الاصليين لديهم مساواة في مظهرهم الخارجي اكثر من باقي الجماعات لكنهم لا يختلفون في عقائدهم الجندرية عن باقي الجماعات الاخرى . علاوة على المواقف فان العرق هو الذي يصوغ هوية الأفراد فالمرأة الأمريكية من اصول افريقية – مثلاً – تكون منشأة بان تكون مكنتية ذاتياً وطموحه تعليمياً وماندفة في طلبها للعمل المهني معتبرة العمل جزء من توقعات دور المرأة . الحالة كذلك مع الرجل أي متأثرة بعرقه . فاللاتيني مثلاً يحمل صفة المبالغة في

رجولته وقوته الجسدية وآبائه وشممه وكرامته وعنفوانه وشهامته وتغطرسه الجنسي جميعها تعكس الثقافة اللاتينية التي تؤكد على معايير الشرف والكرامة والاحترام والاعتبار الاجتماعي . فالهوية اللاتينية للرجل تتحدد من قبل عرقه كلاتيني إضافة الى العوامل الاخرى مثل الدين والتعليم والاقران والاعلام والمنطقة السكنية والجيّرة وسواها .

تنشئة النوع الاجتماعي والخوف والبغضاء من العلاقة الجنسية المثلية بين الذكور

هناك متغير فاعل ومؤثر في تنشئة الجندر تنشئة تقليدية ملتزمة وملتزمة بممارسة الدور الرجولي للذكر وهو متغير يعبر عن المشاعر النافرة من العلاقة الجنسية المبكرة وللاعبة دوراً جوهرياً في تنشئة النوع الاجتماعي وذلك راجع لكونه يحث على ويشجع على التماثل الصارم مع التوقعات التقليدية وبالذات للرجل والشباب . ولما كان تلوث السمعة وتلطخها فيما إذا كان الشاب يمارس علاقة جنسية مثلية ويُعد منحرفاً عن المعايير والقيم الاجتماعية الضابطة للسلوك الشرفي والاعتباري فإن هذا النفور والكراهية للمنحرفين جنسياً يكون عاملاً مؤثراً في تشجيع الاولاد بالتصرف بالمتزم بمعايير الرجولة لكي يؤكد ويثبت امام اقرانه واسرته ومجتمعه المحلي بأنه ليس منحرفاً جنسياً . وازاء ذلك يكون الخوف والنفور من العلاقة الجنسية المثلية بين الذكور اداة مثبتة بالتحلي او ممارسة او حمل الصفات الجنسية الانثوية كالتخنت عند الرجال مثل الملاطفة والميوعة والرقّة العاطفية والشعور الحسي الدمث ، باختصار شديد خوف الافراد من ان يوصموا بوصمة الانحراف الجنسي تدفعهم الى التشبث بتوقعات الدور الذكري التقليدية والنفور من التصرف السلوكي الانثوي لفظاً وسلوكاً وعلاقة مع الشخص المثلي . وتباعاً لذلك فإن هذا لا يعني فقط التماثل مع ادوار الجندر بل يعني ايضاً اكتساب وتعلم الموقف المعادي والمعارض للواطين والسحاقيات فضلاً عن ذلك يشير الى ان هذا الخوف من العلاقة الجنسية المثلية تمثل موقفاً مكتسباً يعبر عن الجانب السلبي او حكم اجتماعي سلبي نحو جماعات معينة ولهذه الاسباب (رجالاً ونساءً) لذلك غالباً ما يتم تربية الاولاد على انهم رجالاً في سلوكهم وتفكيرهم بعيداً عن التخنت لكي لا يتم معاقبتهم من قبل اقرانهم من

خلال وصمهم بمسميات جارحة مثل خنثى ، هذا على صعيد الذكورية انا على صعيد الانوثة فالبنيت في مرحلة مراهقتها إذا تصرفت خشناً او فظاً او عنيفاً مع صديقاتها فأنها توهم بأنها سحاقية تجذب الصبايا اللواتي ينجذبن الى من يحببن من المسترجلات .

القواعد المؤسسية للنوع الاجتماعي

تخبرنا عملية تنشئة النوع الاجتماعي (الجندر) الكثير عن كيف تتشكل هوية الجندر على ان نعلم انها (الجندر) لا تعني فقط الهوية بل هي القاعدة العريضة للمؤسسات الاجتماعية لدرجة تمنعها النمط الجندي الذي يبرز على شكل توقعات مختلفة وفرص خاصة بالرجال واخرى بالنساء . اما علماء الاجتماع فأنهم يقوموا بتحليل ليس فقط من زاوية التوقعات المتداخلة بل على انها صفات خاصة بالمؤسسات وهذا يعني ان الجندر ما هي إلا مؤسسة متمطه من قبل او بواسطة الجندر ذاتها .

آيتنا هنا ابتغاء القول بأن المؤسسات الجندرية ما هي سوى نمط كامل من العلاقات العامة المتضمنة توقعات مصنفة ومتطبعة والعلاقات الشخصية المتداخلة والاماكن المختلفة للرجل والمرأة تبني عليها المؤسسات الاجتماعية مثل المدراس فهي ليست مكان يتعلم فيها الاطفال ادوارهم الجندرية بل هي مؤسسة خاصة بنوع اجتماعي تم تأسيسها على هذا الغرض وتعمل له فهي إذن عبارة عن صيرورة وممارسة العقائد وتوزع النفوذ على عدة مقاطع ومناحي الحياة الاجتماعية .

كمثال على مفهوم مؤسسة الجندر دعنا نقول ماذا يحصل لعمل المرأة في شركة او تنظيم مسيطر عليه من قبل الرجال ؟ في هذه الحالة تقول النساء بأن اهمية الرجال في هذا التنظيم هو التواصل بشكل ذكي وداهي ويتم ايضاً اشعار النساء من قبل الرجال بأنهن غرباء في هذا التنظيم . ان التنظيمات التي يغلب على موظفيها الرجال تكون متمأسسة على المعتقد القديم الذي مفاده ان العمل للرجال فقط والنساء لا مكان لهم في عمل التنظيم وفي هذا الاسلوب المهياً نتيجة التنظيمات لتؤكد على الولاء اكثر للعمل وليس المساواة بينهما . وهنا يبرز تأثير

الجنـدر على الرجل مثلما يؤثر على المرأة وبالذات إذا حاولوا (الرجال والنساء) إرساء الموازنة والمساواة بين العمل والحياة الخاصة وذلك راجع الى ان المؤسسات او التنظيمات فيها تراكم منسق يؤثر على التنظيم من خلال الجنـدر . بات واضحا إن من خلال ما آلت اليه هذه الرؤية الى ان الجنـدر ليست فقط تعلم او اكتساب الدور بل هي جزء من لبناء الاجتماعي ايضاً حالها حال الطبقة الاجتماعية والرس العرقي فهي إن يهدا الطرح تمثل ابعاد بنائية للمجتمع . على ان نتذكر ان الناس لا يفكرون حول النسق الطبقي او المفاضلة العرقية في مجال الادوار الطبقيـة او الادوار العرقية هي بصراحة علاقات عرقية وطبقيـة اكثر من كونها تفاعلات شخصية متداخلة . خـليق بنا ان نشير الى ان العرق والطبقة والجنـدر غير متكافئين لأنها تعكس علاقات متداخلة فالعلاقات العرقية في المجتمع الامريكي يحكم عليها من قبل تنشئة الدور العرقي . كذلك انه من الخطأ التفكير بأن العلاقات الجنـدرية ناتجة عن التنشئة الجنـدرية وحدها . أنها اشبه بالعرق والطبقة ، الجنـدر هي نسق المفاضلة والتعصب التي فيها النساء لا يتمتعن بمفاضلات افضل من الرجل أي مفاضلة الرجل عليها هناك علاقات ذات قوة مؤسساتية بين الرجل والمرأة وكلاهما عندها مداخل ومخارج غير متساوية وغير متكافئة في المصادر الاقتصادية والاجتماعية . وهذا يؤكد عدم التساوي بينهما في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية .

التدرج الجنـدري او سلم النوع الاجتماعي Gender Stratification

يفضي هذا النوع الى الاشارة لتوزيع مراتب او مواقع متسلسلة على شكل هرم . أي تسلسل هرمي لمواقع اشخاص يتمتعوا بمصادر اقتصادية واجتماعية مبنية على اساس النوع الاجتماعي . ثمة حقيقة تنطوي على ان معظم المجتمعات تمتلك اشكالا خاصة بالتوزيع النوعي للأفراد وإن هذا الشكل يتباين من مجتمع لآخر ومن اجل تبصير هذا التباين ندون ما جاء به بحث مقارن وجد النساء متساويات في المجتمعات الإنسانية بالصفات التالية :-

- ١- يمثل عمل المرأة المحور الاقتصادي .
- ٢- يتمتعن النساء بفرص التعليم كافة .
- ٣- الدعم والتعزيز العقائدي والديني في مفاضلة الرجال على النساء لا يكون قويا انما هو قائماً .

- ٤- يقوم الرجال بشكل مباشر في مساعدة زوجاتهم في الشؤون المنزلية والعناية بالأطفال .
- ٥- لم يحصل فصلاً تاماً ما بين الجنسين في العمل .
- ٦- للمرأة فرص للحصول على نفوذ رسمي وسلطة في اتخاذ قرارات الجمعية العامة التي تخص عموم المجتمع .

حالة اللامساواة و المفاضلات الاجتماعية عديدة ومتنوعة في حياة الافراد داخل المجتمع منها ما هي مقامة على المفاضلة الطبقية وأخرى لا مساواة عرقية او قومية او طائفية او دينية او معتقداتيه تظهر بشكل جلي في التعصب والتحيز في فرص العمل او في دفع الاجور لهم . اما بالنسبة للمرأة فإنه يظهر في نفوذها وامتيازاتها داخل الأسرة والمجتمع . مثال على ذلك في المجتمع الاسترالي مازالت المرأة لم تحصل على مساواتها مع الرجل في الحياة السياسية ومن قبل مائة عام كانت المرأة تمثل ٢٥% في المجلس البرلماني ولحد الآن مازالت النسبة غير متساوية مع الرجل . وهناك مثال اخر يعكس عدم مساواتها مع الرجل وهي في دفع الأجور والعمل المستمر إذ تأخذ اجوراً اقل من الرجل ولا تحصل على عمل كأقل الساعات في العمل . اما فيما يخص راتبها التقاعدي فإنه اقل بكثير من راتب تقاعد الرجل وذلك راجع الى انشغالها بالإنجاب وتربية الاولاد الذي يمنعها من الحصول على راتب تقاعدي عالي وهذا يعني ان دخلها الشهري والتقاعدي اقل بكثير من راتب الرجل وهذه عدم مساواتها بالرجل في المجتمع الاسترالي .

بعد هذه الاطلالة العاجلة اعرج الى موضوع تمتع المرأة السويدية في السويد بمساواة عالية في وتائرهما مع الرجل في سوق العمل ويشاركها الرجل في الشؤون المنزلية والرعاية للأطفال علماً بأن هذا التمتع مدعوم من سياسة الحكومة السويدية . وإزاء هذا التمتع فإن لدى المرأة السويدية دوراً فعالاً في النسق السياسي لكن على الرغم من كل ذلك فما زالت تحصل على اقل مما يحصل عليه الرجل السويدي في السويد . اما المرأة في اقطار غير السويد فإن لها فرص اقل في التعليم مما يحصل عليها الرجل لكن الفجوة التي بينهما باتت

مقفلة او لا تمثل بُعداً اجتماعياً بينهما بينما بقيت معدلات الامية بين النساء اعلى بكثير من معدل الأمية بين الرجال .

وبناءً على ذلك ، فإن تدرج النوع الاجتماعي في بعض المجتمعات تكون النساء فيها يتمكن حريتهن في بعض مجالات الحياة لكن ليس في جميعها . ففي اليابان على سبيل المثال لا الحصر فإن فرص التعليم المتاحة لهن كثيرة ومفتوحة في جميع اختصاصاتها ومراحلها ويحتلن نسبة عالية في سوق العمل ضمن الأسرة ، مع ذلك فإن دورهن الأنثوي مقنن ومحدد غير مرن مع ذلك فإن معدل حالات العنف ضدهن في اليابان في مجال الاغتصاب والبلغاء واطي جداً إذا ما قورنت معدلاتهن مع معدلات المجتمعات الأخرى لكنهن يعملن كعاملات في المناشط الجنسية داخل نوادي الضيافة والبارات والنوادي الليلية التي تمارس الاتصالات الجنسية . في الواقع تبرز المفاضلة الجندرية في المجتمع الياباني عند دفع الرواتب حيث يكون راتب المرأة اقل من الرجل .

إن سياق الحديث يلزمنا ان لا اغفل التطرف الجندري في بعض المجتمعات مثل المجتمع الافغاني تحت حكم طالبان الذي يمثل اقصى درجات التطرف ضد المرأة أبان حكمهم ١٩٩٦م حيث جرد النساء والبنات من الأسس الأولى من حقوق الإنسان وتم اقصائها من سوق العمل والمدارس والجامعات لدرجة انه (أي نظام طالبان في افغانستان) منعها من مغادرة المنزل بالدهان الأسود لكي لا تشاهد الحياة العامة هذا التطرف في العزل والفصل وحرمان المرأة من الحياة العامة فضلاً عن مشاهدة هذا التمييز العنصري في المجتمع السعودي الذي تكون فيه المرأة ممنوعة من سياقة السيارة وفي الكويت التي لم يسمح لها في الانتخابات البرلمانية إلا بعد عام ٢٠٠٦م [Anderson and Taylor . 2013 .

[P. 262

النظام الأبوي والاختلاف الجنسي Sexism and Patriarchy

يقصد بالنظام الأبوي تميز سلطة الأب المطلقة على الأسرة وانتساب الابناء اليه لا للأم . في الواقع يتعزز ويتقوى التدرج النوعي الاجتماعي من قبل المعتقدات التي تتعامل مع المفاضلات بين الذكر والانثى التي تنظر اليها على انها حالة طبيعية ومقبولة لدى الجميع بينما الاختلاف الجنسي يحدد ويعرّف المرأة على انها مخلوق مختلف عن الرجل وتحتل ادنى مرتبة منه أي هي احط منه في

موقفها الاجتماعي على الرغم من كونها رقيقة وداهية . ان الاختلاف الجنسي لا يختلف عن التعصب العرقي - الرسي لأن الجنس يجعل من الادوار النوع الاجتماعي يبدو شيئاً طبيعياً وعادياً لا يراها الجميع على انها غريبة او شاذة او مرضية وبالذات عندما تكون متجذرة في الانساق المتفاعلة في نفوذها ومفاضلاتها وامتيازاتها . هذا الشعور الجنسي - في الواقع - راسخ في المعتقد والمؤسسات الاجتماعية ، مثال على ذلك ، فكرة مفادها ان الرجل هو كاسي الرزق وولي الأمر وبناءً على ذلك يتم دفع اجور ورواتب له اكثر من المرأة ليس هذا فحسب بل ان هذه الفكر راسخة في نسق دفع الاجور والرواتب إذ ان هذه الانساق لها ابعاد جنسية أي متطبعة بطابع الاختلاف الجنسي ومفاضلة الذكر على الانثى . لذلك نستطيع القول بأن هذا الاختلاف لا يختلف عن التعصب العنصري فضلاً عن كون الاختلاف الجنسي يحرك ويحفز الاساطير الاجتماعية التي تعزز الامتياز المستمر والمفاضلة الدائمة للجماعات المسيطرة على الاتباع وهناك معتقد (في المجتمع الامريكي) يقول بأن المرأة الملونة (غير البيضاء) تم تشغيلها اكثر واسرع من الاخرين . في الواقع لقد تم إساءة تفسير هذا المعتقد لأن النساء نادراً تؤخذ الاعمال منهن من قبل الرجال وذلك بسبب ان معظم النساء الملونات يعملن طبقاً للمفاضلة النوعية (أي مفاضلة الرجل عليها) واستناداً ايضاً الى التعصب العرقي ان المرأة الملونة تمثل عبء وثقل عائق لحركة العمل التي لا تظهر امام الرجال وبالذات من البيض . ان الاسطورة التي تقول ان المرأة الملونة تحصل على جميع الاشغال التي تجعل من الرجل الابيض ضحية التعصب العرقي والمفاضلات النوعية كذلك هناك حالات احيائية تكون فيها المرأة الملونة حاصلة على عمل يكون فيه الرجل الابيض متقدم لها وطالباً لها لكن عادةً ما تكون المفاضلة النوعية (الجندرية) او العرقية لصالح الرجل الابيض .

إن سياق الحديث يلزمنا ان لا اغفل ان المفاضلة الجنسية التي تمارس على المرأة تقوم بتخفيف قيمة عملها من الناحية المالية (الأجور) ومن الناحية الادائية . وللدالة على هذه التبخيس الجائر على المرأة نورد المثل التاريخي الذي يوضح الاشغال التي كانت تشغل من قبل الرجال واصبحت فيما بعد بيد المرأة هبطت اجورها وذلك بسبب كثرة الاعداد النسوية المتقدمة لإشغال تلك الاشغال ليس هذا فحسب بل ان حتى الاعتبار المهني لتلك الاشغال قد هبط ايضاً فتم

وصم هذه الاشغال بوصمة (ضريبة مامي) أي ضريبة الأم التي تشير الى فقدان دخل المرأة وخبرتها إذا تم اعادة دخولها الى سوق العمل بعد ما كانت قابعة في دارها مهتمة بتربية اطفالها . وعطفاً على ذلك فإن خريجة الكلية ولديها طفل في حضانتها كانت بحوالي مليون دولار في حياتها المعاشية نتيجة ضرب مامي وهذه الضريبة ادت الى اصابة الموظفين والعاملات من الامهات بالهم والغم والحزن بسبب دخلهن المتدني وقساوة العمل الممارس عليهن .

تميط هذه الحالة اللثام على المفاضلة الجنسية التي برزت في المجتمعات ذات البناء البطريقي الذي يشير الى المجتمع او الجماعة التي يكون فيها الرجل مالكاً النفوذ والسلطة على المرأة وممارسته عليها في المجالات الخاصة مثل الأسرة التي يكون فيها الزوج متمتعاً بسلطة قوية على زوجته . بات واضحاً ان البطريقية موسومة بأنها تمثل مؤسسة عامة عندما يكون الرجال متمتعين بجميع او معظم المواقع المتسلطة وذات نفوذ فعال بيد ان اشكال ونماذج البطريقية متباينة من مجتمع لآخر لكنها سائدة بشكل عام عبر العالم . ففي بعض المجتمعات تكون مدعومة بشكل قوي امام العامة والخاصة في المجالات الرسمية والعرقية لدرجة ان النساء لا يتمتعن بالتمثيل النيابي ولا الانتخابات والترشيح والتصويت بل وحتى محرومات من اشغال ادارات مكتبية حكومية او الاشتغال خارج المنزل . فالمجتمع الامريكي على سبيل المثال لا الحصر العائلة البطريقية قد تكون سائدة في المجالات الخاصة مثل ربات البيوت إنما في المجالات العامة تكون مستمرة في اعتمادها على العلاقات البطريقية .

النظام الأبوي Patriarchy

يُعدّ هذا النظام النابض او الباعث الرئيس القوي في الحركة النسوية . يكون فيه الرجل والمرأة ادوار جندرية (نوعية اجتماعية) في المجتمع لكن للمرأة دوراً مفروضاً عليها من قبل الرجل (هذا الفرض منزل عليها بشكل شعوري ولا شعوري) وهذا ما هو سائد في كل الثقافات وفي كل الاوقات فهنّ سجينات ضمن هذا العالم المفروض عليها . إذن النظام الأبوي يمثل قانون ذكري نفذ الى جميع اوجه الحياة الاجتماعية العامة والخاصة في المجتمع لدرجة انه وصل الى استبداده على كافة الأصعدة التي فيها تدرجاً اجتماعياً ومن هنا تتحدد جذور الظلم والجور المستخدم من قبل تسلط الرجل وقوته وخشونته وفظاظته المترافق مع

فزع وخنوع المرأة له لدرجة ان تفكيرها مؤدلج لصالح النظام الأبوي فأضحت مستعبدة وخاضعة ومُذلة في مشاعرها وتفكيرها وعاطفتها وحيالها لخدمة الرجل لا مرية من القول بأن الدين يمثل الركن الركين لعقيدة النظام الأبوي . إذ ان معظم الأديان حددت وخصصت دوراً تسلطياً للرجل ولم تجعل دوراً تسلطياً للمرأة لا في انساق البناء الاجتماعي ولا في لاهوتها (علم الاديان) فالديانة اليهودية والمسيحية والإسلامية وضعت المرأة مكانة تابعة لمكانة الرجل في تعاليمها الدينية وفي الحياة الاجتماعية وهكذا فقد بين النظام الأبوي على اساس القاعدة الاجتماعية وليس الطبيعية . لذلك وجدنا جميع الحكومات النسوية باتت تبحث عن التحرر من النظام الأبوي من خلال او عبر عدة طرق واساليب بدأت من الحملات السياسية الخاصة مثل المطالبة بقوانين تجير الاجهاز مروراً بالمحاضرات والمناقشات والعيش بشكل طبيعي متبين اسلوب عيش متحرر والعيش مع الأنثى في وسط علاقات اخوية متساوية .

اما الأسرة الأمومية Matriarchy

التي تكون السلطة بيد الأم فقد تم تحديدها تقليدياً على انها مجتمع او جماعة تكون المرأة فيها متمتعة بنفوذ تمارسه على الرجل . في الواقع هناك حالة موجودة في جزيرة سومطرة الغربية (في إندونيسيا) موجود هذا النوع من الأسر (الأمومية) تكون فيها المرأة متمتعة بنفوذ اجتماعي واقتصادي لكن المجتمع لا يحكم من قبلها بل من قبل الرجل والمرأة معاً ، اخيراً فإن الأسرة الأمومية لا تمثل المرأة العاكسة لحالة العائلة البطريقية .

باختصار شديد ، يعني تدرج النوع الاجتماعي نسقاً متمأسساً معتمداً على نسق المعتقدات الخاص بتغذية مفاضلة الرجال على النساء . قيمة المرأة ما زالت غير متساوية مع الرجل .

إن اهمية الولوج في هذا الموضوع يبدأ من استولاد الفجوة السائدة بين الرجل والمرأة الناتجة عن تدرج النوع الاجتماعي لكن تم تجسير هذه الفجوة في العقد السادس من القرن العشرين عندما حصلت المرأة على ٥٩% مما يكسبه الرجل . فالمرأة التي تشتغل على مدار العام لمدة اربعين ساعة في الأسبوع بقت كاسبة معدل ٧٧% مما يحصل عليه الرجل . والمرأة التي لديها شهادة البكالوريوس تكسب راتب مساو للرجل الحاصل على نفس الشهادة وفي عام ٢٠٠٩م كان متوسط المرأة العاملة التي تشتغل ٤٠% ساعة بالأسبوع وعلى مدار العام تكسب

٣٦.٢٧٨ دولار بينما يكسب الرجل ٤٧.١٢٧ دولار واثكأء على ذلك فأن الفجوة الحاصلة في دخل الرجل والمرأة بقيت واضحة على الرغم من كثافة مشاركة المرأة في سوق العمل . وان معدل المشاركة في سوق العمل وصلت عند النساء ٦٠% ويكسبوا ما يقارب ٧٢% مما يكسبه الرجل منذ عام ١٩٦٠م . اما المرأة المتزوجة ولديها اطفال فان مشاركتها ثلاثة اضعاف في سوق العمل وان نصف عددهم لديهم اطفال رضع . هذه الحالة تنطبق على المرأة الملونة والبيضاء في المجتمع الامريكي .

إن سياق الحديث يلزمنا ان اطرح السؤال التالي : لماذا استمرت النساء في حصولهن على اجور ورواتب ادنى من اجور ورواتب الرجل حتى تمنع القوانين التمييز الجندي الذي مَعنى على صدوره اكثر من خمسين سنة مضت ؟ في الواقع ظهر تساو الدفع في عام ١٩٦٣م في المواد القانونية الفيدرالية التي نصت على ان يحصل الرجل والمرأة اجور متساوية عندما يعملوا اعمالاً متساوية وقد حاز هذا التشريع على موافقة اغلبية المجتمع الامريكي . لكن واقع الحال فأن التفريق والتمييز بين الأجور نادراً ما يكون ظاهراً وجلياً ولم يتم طرحه من قبل النساء على الرغم من وجود انتباه حاد ومشروعية قانونية عند الافراد بقت الاختلافات واضحة ومستمرة في دفع الأجور بين الرجل والمرأة .

اخيراً اطرح مصطلح ثنائية الجندر لتعزيز ثمن الامتثال للجندر وهي كما يلي : لا يمكن فهمها ما لم نعرف معادلتها إذ ان دور المرأة لا يمكن فهمه إلا بوجود دور الرجل والحالة ذاتها مع دور الرجل الذي لا نستطيع فهمه إلا من خلال حضور دور المرأة لأنهما وجهان للفرد الاجتماعي الذي يعيش داخل المجتمع لذلك انهما لا يتصارعان بل يختلفان ويتباينان وهذا امر طبيعي بسبب اختلاف قدراتهما العقلية والحسية وشخصيتهما التي نشأت في بيئات متباينة لكنهما يلتقيان في بناء الخلية الاجتماعية الأسرة والبناء الاجتماعي في انساقه وانماطه حسب تقسيم عمل قائم على قدراتهما الذهنية والحسية والجسدية انها لا تشكل حالة مرضية باثولوجيه بل حالة حركية حيوية نابضة بالحركة والبناء .

اما إذا حصل تبادل ادوار في الوظائف الاجتماعية تحت عنوان الجندر فأن ذلك يؤدي الى اضطراب ثقافي واجتماعي على السؤال لأنه سوف تختلط المسؤوليات والواجبات وتضيع القاعدة الاجتماعية التي وضعتها الطبيعة البشرية بين الرجل والمرأة وإذا حصل ذلك بسبب ظروف قاهرة (كالحروب والثورات

والكوارث الطبيعية والحصار الاقتصادي او الحربي او ما شابه) فأن ذلك يفرز حالات غير طبيعية (شاذة) تؤذي المجتمع كأثر من أثار تلك الكوارث لا تؤدي الى استمرار قيام المجتمع بوظائفه الطبيعية المعتادة إنما لا تبقى هذه الحالة الشاذة مستمرة الى الأبد بل تزول وتحل محلها الحالات الطبيعية بعد زوال مسبباتها لأنه في النهاية لا يصح إلا الصح المتناسب مع مكونات ومؤهلات كل جنس في النسيج الاجتماعي والبناء الاجتماعي .

٢ / ث - تصور مغاير لنوع الجنس

ماذا سوف يحصل لو ان الرجل يريد ان يمارس دور المرأة او ان المرأة تتصور ان تلعب دور الرجل ، ماذا يجب ان يبدأ بالتغيير ؟ بادئ ذي بدء التغيير الأولي يبدأ من تغيير المظهر الخارجي كالملابس وتسريحة الشعر واي زينة يستخدمها المرء ثم يأتي تغير السلوك المعتاد عليه في التعامل مع الآخرين بشكل مغاير للمعتقد الشعبي العام . مثال على ذلك عادة ما يتكلم الرجال اكثر من النساء ويتكلموا بصوت عالٍ ويقاطع المتحدث عندما يتحدث معه اكثر مما تفعله النساء وعند حديثهم مع الاخريات ، اما النساء فأنهن يضحكن اكثر من الرجال ويعبرن عن ترددهن وعادة ما يكن اكثر تأدباً من الرجال .

ليس هذا فحسب بل هناك فروقات في النوع الاجتماعي (جنس) يبرز بشكل واضح في التواصل غير اللفظي إذ يستخدمن اماكن خاصة اقل ويتلمسن اكثر ويبتسمن اكثر من الرجال حتى عندما لا يكونوا سعداء وفرحين .

وقد وجد الباحثين ان كلا الرجال والنساء يكتبون في الانترنت بأسلوب مختلف ايضاً فالنساء يكتبن آرائهن بدرجة اقل من الرجال ويستخدمن لغة رقيقة من اجل المحافظة على المودة والألفة والمحبة . لذا إذا اراد الرجل ان يمارس دور المرأة عليه ان يُغير العديد من مواقفه وذلك ان الرجال والنساء مختلفين بشكل جوهري في العديد من المستويات ان لم يكن اغلبها وبالذات في القضايا السياسية والاجتماعية ، وإذا انت رجلاً وتريد ان تلعب دور المرأة التي تسير في الشارع وحدها في الليل فأن سوف تشعر بالخوف من ذلك لكنها راضية من دورها كأم وصداقاتها خارج محيط الزواج .

باختصار شديد ان كلا الجنسين منافع ومضار كلفة وفائدة وآثار متأنية من التحديدات الاجتماعية المقترنة مع النوع الاجتماعي . لأن الهوية البيولوجية اقل

اهمية من الهوية الاجتماعية والثقافية إذ ان الاختلاف بينهما كبيراً لأنها محددة ومصاغة من قبل التوقعات الاجتماعية والثقافية في كل موقف وعلاقة ومكانة وفعل وزمان ومكان أي اكثر تعقيداً من الهيئة الجسمية البيولوجية عند كليهما أي ان المرأة توقعات دورها كزوجة تختلف عن دورها كأم وتختلف عن دورها كأم وتختلف عن دورها طيبية (مثلاً) او عضوة في نادي رياضي وصديقة لجمعية خيرية وهكذا .

المكونات الأولى لبنية النوع الاجتماعي

يبدأ تأسيس المكونات البنيوية الأولى للنوع الاجتماعي منذ لحظة ولادته حيث تبدأ تأثيرات التوقعات الاجتماعية النوعية (الجندرية) من كيفية التعامل مع الولد او البنت . وفي الوقت الراهن بات بالإمكان معرفة نوع جنس الجنين وهو في رحم امه ومن ذلك الحين تبدأ التوقعات الاجتماعية النوعية ممارستها قبل ميلاده وساعتئذ يبدأ الأبوين واهلهما في اختيار لون الملابس ونوع اللّعب لهذا النوع (اللون الوردي للبننت واللون الأزرق للولد فضلاً عن الملابس الزاهية والبراقة للبننت وذات الصور الرياضية للولد) وحتى إذا ارادوا ان يتجاوزوا هذا الاختلاف في الملابس واللعب فأنها غير ممكنة لأن جميع المنتوجات الخاصة بالأطفال (ملابس ولعب) تخضع لهذا التمييز والاختلاف فلا يمكن تجاوز هذا التنميط النوعي للأطفال . فضلاً عن ذلك هناك العديد من البحوث توصلت الى نتائج تقول كيف يتصرف الأبوين والأهل في تعاملهم مع اطفالهم وكيف انها منمطة منذ طفولتهم فهم يستدعونها من خبرتهم الطفولية ليستخدموها مع ابنائهم فالبنات يتم توقع التعامل معهن ورقة ودعابة في حين يتم التعامل مع الولد بشكل مغاير عما يتم التعامل مع البننت مثل تدريبه على ان يكون معتمداً على نفسه وتدريبه على الحركات الرياضية والقدرة الجسدية القوية .

من هنا تبدأ عملية بناء التكوين الاجتماعي للجنس بدءاً بالألوان الخاصة بالبننت في ملابسها ولعبها وكذا الحال مع الولد مروراً بتعاملهم اللفظي والحركي إذ هناك عبارات وإشارات ومداعبات خاصة بالبننت واخرى خاصة بالولد مستوحاة من طفولة الأبوين او اهل الطفل / الطفلة وصولاً الى تدريب النوع الاجتماعي على التعامل الحركي معه / معها (الرقة والحنان مع البننت

والحركات الرياضية والاعتماد على النفس مع الولد) هذه هي المكونات الاولى لبنية النوع الاجتماعي .

هل مفهوم الجنس والجنس واحد او متشابه او مختلف ؟ انه مختلف كلياً على الرغم من هناك سوء استخدام من البعض فمن لا يفرقون بينهما طالما كلاهما يتعاملان مع الرجل والمرأة . بيد ان هذا تشوش مفهومي واستخدامي شاسع . إلا ان علماء الاجتماع يميزوا بينهما من اجل التفريق البيولوجي بين الهوية الجنسية والادوار الممارسة من قبل النوع الاجتماعي المتعلم والمكتسب . اقول يكون الجنس موروث بيولوجياً في حين النوع الاجتماعي (الجندر) مكتسب ثقافياً واجتماعياً . إذ يشير الجنس Sex الى تكوين المتماهي البيولوجي ذكراً ام انثى بالنسبة لعلماء الاجتماع يأخذ مفهوم الجندر التوقعات الاجتماعية المتعلمة (المكتسبة) والسلوكيات المقترنة مع اعضاء كل جنس (ذكر او انثى) بمعنى هناك سلوكيات تحددتها ثقافة المجتمع خاصة بالانثى واخرى خاصة بالذكر ولا دخل للجينات الوراثية علاقة فيها لأنها مكتسبة ثقافياً حيث هناك قاعدة ثقافية تحدد وتوجه الذكر والانثى حسب معاييرها وقيمها الموروثة من اجيال سابقة تظهر بشكل جلي عندما تشاهد ثقافات اخرى لأن كل ثقافة لديها تصورات خاصة بالذكر واخرى بالانثى تختلف من مجتمع الى اخر ومن ثقافة الى اخرى ، فمثلاً المجتمعات الزراعية والتقليدية تستعمل ثنائية متقابلة مختلفة في عناصرها (ذكر وانثى) ويتم التعامل بينهما على انهما جنسان مختلفان وهناك تقسيم عمل قائم على هذا الأساس حيث تحدد الثقافة الاجتماعية للمجتمعات الزراعية والتقليدية توقعات دورية للمرأة تختلف عن التوقعات الدورية للمرأة في المجتمع الصناعي وفي مجتمع النفاهو (مجتمع الهنود الحمر في الولايات المتحدة) هناك جنس ثالث يقع بين الذكر والانثى ليس من الناحية البيولوجية بل من الناحية السلوكية (المانعة) يتزوجه الذكر الهندي ولا يعتبره مجتمع النفاهو لوطي او من اللواطين على الرغم من انه يمتلك الاعضاء الذكرية مثل الرجل إلا انه يكون متخناً لا يتزوج من الاناث بل يتزوجه الذكور ولا يُعد هذا انحرافاً سلوكياً (لوطياً) في ثقافته ، هذا النوع من الجنس يسمى في ثقافة النفاهو بـ (بيرداجيس) [Andersen & Taylor . 2013 . P.253] وهناك اختلافات جوهرية اخرى تكمن في البنية التكوينية للجنس مثل الطبقات الاجتماعية وداخل الثقافة الفرعية القائمة في الثقافة العامة فضلاً عن الانتماء الاجتماعي للجماعات العرقية

والرسيه . جميع هذه الانتماءات (العرقية والطبقية والثقافية) تلعب دوراً كبيراً في تعليم واكساب الذكر والانثى صفات خاصة بها تكون احد توقعات دور الانثى والذكر بحيث تطبعها بطابع يختلف عن الذكر والانثى في مجتمعات وثقافات اخرى تختلف عن الصفات البيولوجية الموروثة مثل لون البشرة وكثافة الشعر وطول القامة والحيوية الجسدية والجاذبية الجمالية وسواها .

الاختلافات الجنسية ، الطبيعية والتهديبية

أي عدم التشابهات الجنسية بين الذكر والانثى من زاوية الطبيعة والتطبع . من الملفت للنظر انه على الرغم من معرفة الكثير من الناس بقوة التوقعات الاجتماعية عن الاختلافات القائمة بين الرجل والمرأة هناك منهم مازال يرى هذه الاختلافات حددتها المحددات البيولوجية . في الواقع الاختلاف البيولوجي ما هو سوى فرق واحد او تمييز واحد بينهما . لكن علماء الاجتماع لا يهتموا كثيراً بهذه الاختلافات بقدر ما يهتموا بكيفية انتاج او تشكيل الهوية الشخصية للجندر (النوع الاجتماعي) وكيف تنتج الثقافة الاجتماعية هذه الهوية الشخصية للذكر وللأنثى ؟ إذ ان التحديدات البيولوجية تشير الى التفسير والشروحات المساهمة لظاهرة اجتماعية لخصائص جسمانية . بمعنى الظواهر الاجتماعية هي التي تحدد الخصائص الجسمانية عند الذكر والأنثى وليس العكس . مثال على ذلك ، هناك نقاش دائر بين الباحثين حول العدوانية التي يتصف بها الذكر اكثر مما تتصف بها الانثى وارجاع هذه العدوانية الى الاختلافات الهارمونية (وبالذات الهرمون الذي تفرزه خصية الذكر وهذا تحديد بيولوجي صرف) وهناك اعتقاد اخر عند الناس بشكل عام بأن هذا الهرمون الذي تفرزه خصية الرجل تسبب له العدوانية وقد اكدت دراسات علمية ايضاً على وجود علاقة بين سلوك الرجل للعدوان والهرمون الذي تفرزه الخصية لا يفرز ولا ينتج تغيرات عدوانية عند الرجل وإذا عدنا الى مرحلة الطفولة المبكرة عند الجنسين نجد ان الاختلافات الهارمونية بينهما بسيطة جداً ومع ذلك فقد وجد الباحثين الاختلافات بينهما كبيرة في تعبيرها عن العدوانية .

في الواقع ان الهوية الجنسية للشخص منذ بداية وجود السائل المنوي للأب الذي يكون حاملاً كروموسوم X أو Y مغذي بها البويضة في عملية الاخصاب وان مساهمة الأم يكون عن طريق او بواسطة كروموسوم X الى العضو التناسلي وان تشكيل اثنان من الكروموسومات يجعل الانثى بينما تركيبية X و Y يعملان

الجنس الذكري وتحت الظروف الاعتيادية تتوجه الاحداث الكيمائية بواسطة الجنس ذكر او انثى . ثم هناك التداخل الجنسي أي الخنثى الذي تسببه عدم انتظام صيرورة تشكيلة الكروموسومات او الاختلافات العديدة التي تنتج الشخص مع اختلاط الخصائص الجنسية البيولوجية .

لا جرم من القول ان الطفل الذي يحمل خصائص الذكورية والانثوية معاً Intersex يعني انه قائم بين جنسين أي يولد ومعه مبيض الانثى Ovary او تولد ومعها الخصية Testes وهذا يوضح لنا صورة مشوشة عن الجنس او ان الجنس نفسه مختلط لأن هذا الطفل يجمع بين جنسين يتضمن كرموسوم ذكري ولديه عضو ذكري غير ناضج او ليس عنده قناة بولية . هناك دراسة حال عن هذا النوع من التشويش الجنسي او بين جنسين كشفت لنا قوة تأثير الجانب الاجتماعي في تحديد هوية الشخص أي اتخاذ قرار حاسم في تحديد نوع جنس واحد ذكر او انثى . وعدم ترك حالة الجمه بين الجنسين في وقت واحد . 'ذ عادةً ما يتدخل اصدقاء ابوي الطفل الجامع بين جنسين فيقدموا نصائح لهم بالموافقة على اجراء عملية جراحية لطفلهم بالتخلص من هذه الازدواجية الجنسية وجعلها جنساً واحداً ذكراً او انثى فقط ليس هذا فحسب بل منح الطفل (بعد الغاء الازدواجية) اسماً جديداً وقصة شعر جديدة ولبس ملابس جديدة تعكس احادية الجنس مطابقاً للصورة الاجتماعية التي يراها المجتمع والغاء حالة الازدواجية لأن المجتمع وثقافته ليس لديهما توقعات وصورة اجتماعية خاصة بالأفراد المزدوجة صورتهم الجنسية .

ومن نافلة القول ان عملية تحويل الجنس Transgender او التغير الجنسي للأفراد فإنه يعني هناك من الأفراد يعيشوا على انهم من نوع اجتماعي (جندر) يختلف عن اولئك الذين تم تحديد نوعهم الاجتماعي (جندر) عند ولادتهم . وهؤلاء ايضاً يخضعوا الى ضغوط اجتماعية من المحيطين بهم بأن يغيروا جنسهم لكي يتناسبوا او يتطابقوا مع التوقعات الاعتيادية لنوع واحد او جنس واحد . اقول تمارس عليهم ضغوط اجتماعية كبيرة تصدر من المحيطين بهم من الناس لكي يتحولوا الى نوعاً واحداً من الجنس . أي تغير هويتهم بسبب اضطرابها لكي تكون متناسبة مع توقعات الناس خصائص نوع اجتماعي واحد . وانه أي شخص يختلف جنسه عن توقعات الناس يواجه ضغوطاً لكي يغير نوعه الاجتماعي ليكون نوعاً واحداً من الجنس .

لكن من زاوية نظر علماء الاجتماع فإن العامل البيولوجي وحده غير كافٍ لتحديد وتقرير الهوية الجنسية للأفراد بل هناك توقعات الآخرين والتفهم الاجتماعي حول صورة المرأة أو الرجل . عموماً لا يوجد خط فاصل وقاطع من الناحية البيولوجية إذ ان هناك رجال اضعف من النساء واقل طاقة في المنافسة من النساء وان الالعب والساحات الاولمبية خير شاهد على ما نقول وكلا الجنسين يؤكدان على المحافظة على الوضع القائم عندهما . وأن علماء الاجتماع يركزوا على القاعدة الاجتماعية لكلا الجنسين والنوع الاجتماعي (الجندر) ويروا ايضاً ان هوية جنس الافراد وهوية نوعهم الاجتماعي متأثر بمؤثرات اجتماعية وان التحديد الثقافي يحدد السلوكيات الجنسية على انها ملائمة وترسي توقعات خاصة بالمرأة والرجل وهذا تم اكتسابه عبر صيرورة التنشئة الاجتماعية للنوع (الجندر) ولا يفوتني ان اشير الى ان هناك بعض النساء عنيفات اكثر من الرجال وهناك رجال اقل منافسة من النساء وهذا يعني اننا لا نعيش ضمن حدود ما تحده لنا العوامل البيولوجية لكننا لا نكون من نحن بدون وجود المجتمع وثقافته بمعنى انها (المجتمع والثقافة) هما اللذان يحددان من نحن جنسياً هل نحن من الرجال ام من النساء ؟ وليس العامل البيولوجي .

تنشئة النوع الاجتماعي (الجندر) Gender Socialization

تعني التنشئة الصيرورة التي من خلالها يتم تعلم واكتساب التوقعات الاجتماعية وعبرها تتم تنشئة النوع الاجتماعي التوقعات المقترنة مع جنسهم الذكري او الانثوي . ان سياق الحديث يلزمني ان لا اغفل حقيقة اتساع ادوار النوع الاجتماعي لكافة اوجه الحياة اليومية والاجتماعية . ويتعين عليّ ذكر ان تنشئة الجندر تؤثر بشكل مباشر على مفاهيم الذات سواء اكانت للمرأة او للرجل على مواقفهم السياسية والاجتماعية والشخصية وحتى على ادراكهم للآخرين في علاقاتهم ومشاعرهم نحوهم . ولا يفوتني ان اشير الى انه ليس الجميع يتنشأوا بشكل كامل ويخضعوا بنفس الدرجة لمؤثرات التنشئة الجندرية بل يعتمد على تماثل الجندر وتطابقه مع توقعات نوعه الاجتماعي . وغني عن البيان القول بأن التنشئة الجندرية تتمتع بقوة مفعالة في توجيه سلوك الرجل والمرأة بطرق خاصة بالنوع الاجتماعي بل وحتى الناس الذين يتماثلون مع التوقعات التقليدية إذ غالباً ما يجدوا انفسهم بأنهم مذعنين ومستسلمين للتأثيرات القوية التنشئية ، ثمة حقيقة

تقول ان النساء اللواتي يرفضن بشكل عمدي وشعوري ادوار المرأة التقليدية بقينّ يجدنّ انفسهنّ ميالات للتصرف على انهنّ ربّات المنزل او سكرتيرة في جماعة معينة وتشبيهاً او قياساً على ذلك نجد الرجال معترفين بقبول المسؤولية المتساوية للعمل المنزلي مع ذلك فإنهم (الرجال) فشلوا في ملاحظتهم عند عملهم في تلبية احتياجات الاطفال او تنظيفهم في الحمام . هذه التوقعات هي شاملة وعامة ونلاحظ هذا عندما نقوم بشراء ملابس او لعب للأطفال لا تخضع للنوع الاجتماعي او عندما تحصل محادثة بين الأطفال والأبوين الذين يتحدثوا مع ابنائهم بعيداً عن التأكيد على نمطية النوع الاجتماعي .

كيف تتكون هوية النوع الاجتماعي (الجندر) ؟

هي احدى افرازات تنشئة النوع الاجتماعي والتي من خلالها يتم تحديد الذات الذكورية او الانثوية ، مآلي من هذا القول التأكيد على ان الهوية الذاتية للنوع الاجتماعي تمثل القاعدة الرصينة لمفاهيمنا الذاتية والمقررة لتوقعاتنا حول ذواتنا والمهذبة لقدراتنا ولمصالحنا واسلوب تفاعلنا مع الاخرين .

ولكي نجول طرداً مع موضوع الهوية الذاتية للنوع الاجتماعي يحسن بنا ان نشير الى عدم وقوفها عند تقرير كيف نفكر حول ذواتنا وعن الاخرين بل تذهب لتؤثر على العديد من تصرفاتنا مثل الادمان على الكحوليات والمخدرات والسلوك العنفي والكآبة وحتى كيف نقود سيارتنا بشكل عدواني .

هناك مساحة اخرى يتم فيها تماهي النوع الاجتماعي وبالذات تلك التي تمثل تأثيراً قوياً على مرئية الأفراد حول مظهرهم الخارجي . جدير بذكره الإشارة الى الدراسات التي وجدت تأثيرات قوية للهوية الذاتية للنوع الاجتماعي على هيئة الجسم مع الأخذ بعين الاعتبار هيئته كيف كان يبدو في مرحلة المراهقة ، وهناك دراسات عن الاطفال الصغار وجدت غياب الاختلافات الجندرية حول كيفية شعور الذكور والاناث فيما يخص هيئة اجسامهم ، انما في مرحلة المراهقة المبكرة ظهرت هذه الاختلافات بشكل واضح . وفي هذه المرحلة العمرية ذكرت البنات في مقارنة اجسامهن مع الاخريات بأنها متقاربة اكثر مما ذكره الاولاد في تصورهم عن هيئة اجسامهم . وعبر المراهقة المبكرة ذكروا البنات ان اعتبارهم الذاتي واطناً اكثر من شعور الذكور حول اعتبارهم الذاتي ليس هذا فحسب بل ذكروا ايضاً انها اكثر سلبية حول هيئة اجسامهم اكثر مما يشعروا به الاولاد .

هذا النوع من التفكير بين البنات يرجع الى او مرده الى الاعتبار الذاتي الواطئ والحالة ظهرت بين طالبات الكلية انهن غير قانعات وراضيات بمظهرهن اكثر من الذكور من الطلبة . في الواقع تشير هذه الدراسات بأن الصورة المثالية لهيئة اجسام البنات في وسائل الاعلام تمثل او اشبه بضغط جماعة الاصدقاء في يتأثر بكلام الاخرين . وفي هذا الخصوص ذكرت ديبرا جملي إن المظهر [Taylor . 2013 . P. 256

نستشف من العرض الأنف الذكر إن مكونات الهوية الذاتية للنوع الاجتماعي تتألف من :

- أ- المفاهيم الذاتية حول الذات .
 - ب- المفاهيم المهدبة للقدرات والمصالح وأسلوب التفاعل مع الآخرين .
 - ت- التفكير حول المظهر الخارجي للجسم (الذي لا يكون موجوداً عند الاطفال بل عند الصبية والناضجين وان الصبايا اكثر من الصبية الذكور .
- اما المؤثرات التي تؤثر على تكوين الهوية الذاتية في التفكير حول المظهر الخارجي للجسم فهي وسائل الاعلام وكلام الناس الصادر عن الجماعة العمرية – الرفاق والمعايير الثقافية السائدة في المجتمع وهذا يعني ان هوية الجندر تصاغ من قبل تنشئة الاجتماعية والثقافية .

مصادر تنشئة النوع الاجتماعي (الجندر)

هناك عدة مصادر متنوعة تقوم بتنشئة الجندر عبر عمرها الاجتماعي وكل مصدر يطلق عليه علماء الاجتماع بالوكالة وهي : الأسرة وجماعة الأقران ولعب الأطفال والمدرسة ورجال الدين والوسائل الاعلامية والثقافية الشعبية جميعهم يقوموا بتعزيز وتقوية ما يتصل بسلوك الجندر وما يقابل من استحسان او استهجان التي تتمثل مؤثرات موجهة ، فمثلاً الأبوين الذين يمثلوا أهم مصادر هذه التنشئة إذ انهم يشجعوا ابنائهم على اللعب باللعب التي تتماثل مع جنسهم أي عندما يلعب الاولاد مع لعب خاصة بهم وليس خاصة بالبنات ويشجعوا البنات على اللعب مع لعب خاصة بالإناث . وقد وجدت بعض البحوث ان الابوين اكثر تسامحاً مع بناتهم عندما لا يتماثلون مع ادوارهم النوعية (الجندرية) بينما يكون تسامح الابوين اف=قل مع اولادهم من الذكور عندما لا يتماثلون مع ادوارهم النوعية ، علاوة على ذلك فإن الاباء لا يشجعون الابناء على اختراق المعايير الجندرية او الانحراف عنها . بذات الوقت فإن الاباء في الوقت الرهن اكثر

انخراطاً عما مضى في اهتمامهم بأطفالهم . أي سابقاً لم يكن لهم اهتمام في نظافة وتحميم ومداواة وتبديل ملابس ابنائهم مثلما هم الان . أي الان اكثر اهتماماً والتزاماً عما كانوا عليه في الماضي .

ومن اجل تمحيص ما تقدم نوكد بأن التوقعات الخاصة بالجندر قد تبدلت الان اكثر واسرع من التغيير الذي اصاب سلوك الافراد وفي ضوء ذلك فأن الامهات والاباء اضحوا اكثر انخراطاً وبشكل متساوٍ في تربية اطفالهم هذا على الصعيد النظري انما على الصعيد العملي فأن الام اكثر انشغالاً واهتماماً من الرجل في تربية الاطفال التي تسبب لها الأرق والقلق على راحتهم وصحتهم اكثر من الاب هذا وان هذا الاهتمام يختلف من عرق لآخر او من رس لآخر ففي الأسر اللاتينية على سبيل المثال لا الحصر فأن الأسر اللاتينية اكثر التزاماً بالتقاليد التنشئية وان هذا الالتزام يمثل العمود الفقري في تنشئة النوع الاجتماعي (الجندر) في الأسر العرقية .

الأقران Peers : هم اصدقاء النوع الاجتماعي المقربين منه ويمثلون نفس عمره او عمرها او من نفس الشريحة العمرية ولهم نفس الهوايات والألواع والطموح والمشكلات النفسية والأسرية لذا فهم يكونوا من اقوى العوامل المؤثرة على تنشئة الجندر واحياناً يكون تأثيرهم اقوى واعمق من تأثر اسرة الجندر ، لذا تكون علاقة الاقران عاملاً فعالاً في تهذيب انماط سلوك الاطفال في تفاعلهم لأنها تلعب دوراً حيوياً في لقاءاتهم بتهذيب وصياغة بناء المهارات بقيم ومواقف تنمي مهاراتهم الشخصية . هناك دراسات كشفت عن تنظيم تصرفات ومناشط الابناء (الذكور والاناث) بطرق معينة بحيث تعزز معايير عمر وعرق الجندر بل وحتى تعزز ثقافتهم فيما يخص معايير الذكورية والانثوية لذا فأن الاولاد الذين ينخرطون في سلوك مشترك ومقترن مع البنات وهذا ما يثير الاستهزاء والسخرية والتندر من قبل الاصدقاء اكثر من البنات اللواتي يلعبن او يتصرفن تصرف الذكور وهذا يعني ان مواقفهم متشابهة ويتم التعبير عنها بشكل روتيني بين الاقران . وهنا عندما يتصرف الولد تصرف بناتي انثوي يكنى ويوصم بالمخنث Sissy والبنات التي تتصرف تصرف الذكور تكنى وتوصم بالمستولدة او المستغلمه to m boy وهي من الاحكام القاسية والمهنية والجارحة التي تقلل من اعتبار ومكانة الولد والبنات بين الاقران .

نستشف من العرض الأنف الذكر ان الاقران لهم تأثير موسم على الجندر عندما يتصرف تصرفات شاذة عن الانماط السلوكية السائدة في المجتمع ويكنى بها ويعرف بها بين اقرانه والحالة ذاتها إذا تصرف تصرفاً لامعاً ورائعاً ومتميزاً يُعبر عن النمط النموذجي لمعايير ثقافة الاقران ايضاً يكنى بأسماء تميزه بتميزه .

لعب الأطفال Children's play : انها مصدر اخر يفعل فعله في تنشئة النوع الاجتماعي (ذكوراً واناثاً) ويؤثر على ممارسة ادواره ومن الملاحظ بشكل واضح ان لعب الاولاد من الذكور معظمها تمارس خارج الدار او في الفضاءات على عكس البنات التي تكون معظمها ممارسة داخل الدار وليس في الفضاءات هذا من جانب ومن جانب آخر فإن لعب الاولاد تشجعهم على ان يكونوا عدوانيين وعنيفين وماندفعين لا ساكنين ، مثل الاسلحة الحربية واجهزة عسكرية ويتصارعوا مع الاعداء وهذا غير وارد عند لعب البنات وخالية من القيم . ونجد مثل هذا التميز في الكتب المدرسية وعند اصحاب دور النشر الذين يلبون متطلبات الجندرية ولا يقومون بمغايرة التوقعات الاجتماعية لكل من الولد والبنات بل حتى الكتب المقررة تقوم بشرح ووصف الولد بأنه عدواني ومجادل ومناقش وفي هذه الكتب نجد ان صورة الاب لا حضور لها وإذا حصل ذلك فإنها لا تكن فعالة او تصور بشكل بسيط وأولي وهامشي .

المدارس School : مصدر اخر يضاف الى وكالات تنشئة النوع الاجتماعي (الجندر) ولها تأثير خاص وتمتيز في قوتها على تنشئة الناشئة من النوع الاجتماعي وذلك بسبب طول المدة الزمنية التي تقضيها الناشئة فيها . والمعلمين غالباً ما يكون لهم توقعات مختلفة نحو الذكور والاناث في المدرسة حيث يحصل الاولاد على اهتمام اكثر من البنات حتى إذا كان اهتمامهم سلبياً في بعض الاحيان ، فالمعلمين – بغض النظر عن جنسهم – فإنهم يستجيبوا للذكور اكثر من استجابتهم للإناث سواء كانت استجابتهم هذه سلبية او إيجابية على الرغم من ان سياسة المدرسة تحرم التفريق والتعصب لأي نوع اجتماعي لأن القانون يجرم التمييز والتعصب المبني على الجندر إنما مع ذلك لا تكن الجندر متساوية وهذا ما يمكن ملاحظته في الدروس ومناهج التدريس وتفاعل المعلمين مع التلاميذ وتفاعل التلاميذ بعضهم مع البعض .

الدين Religion : هذه الوكالة التنشئية ذا تأثير مشحون ومحمل فوق اللازم وانه يمثل مصدر جوهرى في عملية المربى الاجتماعية (التنشئة الأسرية حسب تسمية العلامة العربى ابن خلدون) فالديانة اليهودية والمسيحية فى المجتمع الأمريكى تضع تركيزاً خاصاً ومتميزاً على الاختلافات النوعية بين الذكر والانثى مع التأكيد الجازم والصريح والجلي لسلطة الرجل على المرأة واليهودية الأرثوذكسية عندما يصلى الرجل فى هذا المذهب اليهودى يشكر الله فى عدم خلقه امرأة او عبداً . واللغة البطريرقية أى لغة سيادة الرجل فى الأسرة فى معظم الديانات تضع المرأة موضع متدنى دون مكانة الرجل وبالذات المؤسسات الدينية فأنها تحمل رؤية متعسفة وظالمة على المرأة وبالذات المعتقدات التقية والورعية فأنها متمسكة بالرؤية التقليدية لدور المرأة ودور الرجل وسيادة الأخير على الأولى [Andersen & Taylor . 2013 .P.258] وهذا الموقف الدينى يكون مكملاً لباقي الوكالات التنشئية للنوع الاجتماعى إلا ان هناك طموح للديانة المسيحية فى مساواة الرجل مع المرأة وتقاوم المتطرفين ضد المرأة ، اما فى الدين الإسلامى فقد ذكر القرآن الكريم لبني آدم " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم " أى الدين الإسلامى لا يفاضل الرجل على المرأة .

الاعلام Media : التى تشمل التلفاز والأفلام والمجلات والموسيقى والصور المتحركة (افلام كارتون) جميعها تُعبّر عن تنميط النوع الاجتماعى وتعزز التفريق بين الرجل والمرأة وتبرز دور الرجل فيها بأنه حيوى ويفوق عدداً على ادوار المرأة وادوار الأخيرة دائماً ما يكون تابع لدور الرجل ومعتمد عليه واكل اهمية منه بحيث لا يضعوا دوراً قيادياً للمرأة وتصوير المرأة عاملة خارج المنزل وتشتغل بأشغال متخصصة تختلف عن تخصصات الرجل ولكن مهما تم تصويرها فأن جميع صورها وادوارها تم وضعه فى نمط الشهوة الجنسية والمتعة المخصصة للرجل لدرجة ان جمعية علماء النفس الأمريكية ذكرت وقالت بأن خلاصة الافلام عن المرأة لا تخرج عن كونها هدفاً مخصصاً للمتعة الجنسية والهدف الجنسى .

اخيراً علماء العلوم الاجتماعية **Social Scientists** الذين يجادلون ويناقشون ما يشاهده الناس من برامج تلفازية تعرض احداث عن الاطفال والنساء والسلوك

العدواني للذكور وتأثرهم بالدعايات الاعلانية التجارية لذلك نجدهم يؤيدوا المواقف التقليدية المحافظة للمرأة ولا ينتقدوا تصوير المرأة شبه عارية ومستخدمة ومسخرة جنسها وانوثتها للدعاية السلعية التجارية وعدم تأييدهم لحركة الانوثة بل معادين لها ولا ينتقدوا المواقف والعروض العنيفة التي نشجع الناشئة على ممارسة العنف الجسدي والجنسي واللفظي .

٢ / ج - تبخيس قيمة عمل المرأة The devaluation of woman's work

إذا نستعرض عمل المرأة في سوق العمل نجها تميل الى التركيز على الاعمال الاكثر انخفاضاً في قيمتها مسببة بهذا الميل إثارة الاستغراب والتساؤل إذا كانت الحقيقة تقول بأن الاشغال المشغولة من قبل المرأة هي التي تؤدي الى تبخيس عملها . مثال على ذلك مهنة طبيبة الاطفال تشغل من قبل المرأة لها اقل اعتباراً اجتماعياً من طبيب جراحة القلب ووظيفة التعليم الابتدائي مشغولة من قبل النساء إذ هناك ٨١% من هذه الوظيفة مشغولة من قبل النساء ويُدفع لها راتب اقل مما يدفع لعامل ميكانيك الطائرات التي فيها ٩٨% من الرجال . وأن الاطفال في المدارس اكثر تماهياً مع النساء ومع ذلك فإن اعتبارها الاجتماعي قليل وقيمة اقتصادية اقل ايضاً . إذن من الذي يبخس عمل المرأة ، الرجل أم المهنة ذاتها المختارة من قبل المرأة؟! في الحقيقة إذا تم قياس هذه الحالة من خلال الرواتب والأجور المرتبطة بالمهنة نجد ان وظيفة رعاية الاطفال تمثل اعتباراً اجتماعياً واطناً حتى لو تم دفع اجور عالية (هذه الحالة في المجتمع الامريكي) إذ يدفع لها بمعدل ٣٦٨ دولار اسبوعياً في عام ٢٠٠٧ التي تكون في المحصلة النهائية اقل من خط الفقر الفدرالي [U.S Bureau of Labour Statistics .2010]

إنما هناك نسبة صغيرة من النساء يعملن في مهن تقليدية والحالة ذاتها عند المهارات التجارية . وان تمثيل النساء في مهاراتهم في الاعمال الأولية في تزايد الكهربائي والسمكري وملمعي اصباغ السيارات [U.S Bureau of labour statistics] وقياساً على ذلك فإن القلة من الرجال يعملون في مهن تاريخياً تعتبر خاصة بعمل النساء مثل التمريض وتعليم المدارس الابتدائية وموظفات الاستقبال . الرجال الذين يعملون في مهن معتادة او خاصة بالنساء فأنهم يبدون

ان يكونوا ذا حراك عمودي ضمن هذه الاشغال اكثر من النساء ممن يدخلون حقل خاص بالأعمال التقليدية للرجال .

الفصل بين النوع الاجتماعي (الجندر) في سوق العمل سائد في معظم الاشغال وهذا ما يسهل علينا معرفة الاعمال الخاصة بالرجال والخاصة بالنساء وعادةً ما يعزز هذا الفصل الجندري على تغذية المعتقدات الاجتماعية التي تحدد الاشغال الخاصة بالرجال والآخرى بالنساء . فمثلاً عندما نسأل احداً ما هو تصورك لصفات الجندري ؟ فإنه سوف يجاوب على سؤالنا بأنه قوي البنية وجريء وجور وغير خجول وعندما نسأل عن صورة السكرتيرة فإن الجواب يكون بأنها انيقة ورزينة وغير معنّدة برأيها وخدمومة . وهذا يجعلنا القول بأن المهنة ذاتها هي التي تحدد من النوع الاجتماعي وليس النوع الاجتماعي (الرجل والمرأة) هو الذي يحدد من يشغل المهنة والاخيرة هي التي تحدد المظهر الخارجي وسلوك وتصرف النوع الاجتماعي . وإذا لم يلتزم النوع الاجتماعي بمتطلبات المهنة التي يشغلها فإنه يُعد من قبل الناس بأنه منحرف مهنيًا ، فالجندري إذا كان مائعاً ومتخنناً فإنه يعتبر من قبل المحيطين به بأنه منحرف عسكرياً ، وهذا يقول لنا بأن الفصل المهني يحدد النوع الاجتماعي جنساً وسلوكاً وتفكيراً . مثال على ذلك في المجتمع الامريكي تكون مهنة التمريض خاصة بالنساء (هذا تحديد نوع المهنة) وليس خاصة بالرجال وهذا فصل نوعي مفروض من قبل الفصل الجندري المحدد بواسطة نوع المهنة . وهناك حالة تحصل فيها دخول النساء الى مهني اغلبها من الرجال او بالعكس دخول بعض الرجال الى مهن اغلب شاغليها من النساء مثل هذه الحالة تكون مرفوضة من قبل اغلب الناس وعدم ارتياح المنحشرين في مهن تحدد النوع الاجتماعي .

وبناءً على ما تقدم فإن الرجال والنساء إذا اشتغلوا في مهن غير تقليدية يشعروا بأنهم تحت ضغوط تمارس على سلوكهم وانهم يشعروا بأنهم مكرهين على العمل في هذه الاعمال . وإذا كانوا منحرفين جنسياً فأنهم يشعروا بأنهم مضغوطين من خلال عدم الافصاح عن خصوصيتهم الجنسية أي يتخفوا او يتتكروا اجتماعياً أي يتصرفوا بشكل مغاير لما هم في الحقيقة والمرأة السحاقية التي تعمل مع الرجال مهنة اغلبها من الرجال فأنها تخفي انحرافها الجنسي ولا تكشف عن كونها مسترجلة (مثلاً) وهذا يعني ان المهنة والعمل مع نوع الموظفين يحدد سلوك الجندر . أي عمل المرأة في محيط رجالي تكون خافية العديد من سلوكياتها

الخاصة وكذلك الرجل الذي يعمل في محيط نسوي يبرز ويبالغ في العديد من سلوكياته امامهنّ . وهذا يشير الى ان ضغوط العمل على الرجل او المرأة تجعل عندهم مشاعر غير طبيعية اما المبالغة او الاخفاء في سلوكياتهم . خلاصة الحديث ان قيمة عمل المرأة يتم تحديده من قبل نوع العمل ونظرة الناس الى هذا النوع وإذا تم تحدي هذه النظرة فأن المتحدي يتم وصمه بأنه منحرف مهنيًا . وإذا عملت المرأة في اعمال غير تقليدية (غير خاصة بها تاريخياً) فأنها تُعدّ مسترجلة او مستنقطة وتواجه العديد من الانتقادات والحالة ذاتها مع الرجل .

٢ / ح - الجندر والتغير الاجتماعي

عندما يحدث التغيير الاجتماعي فإنه لا يصيب كافة اجزاء وجوانب المجتمع ولا يصل الى جميع فئاته الاجتماعية . وما قامت به حركة نصير المرأة من تغير في مواقع وادوار المرأة الاجتماعية فأنها لم تمس جميع جوانب حياتها إذا قامت حركة نصير المرأة بفتح فرص عديدة لعمل المرأة وسنت قوانين جندرية تحمي حقوق المرأة وأرست تنظيمات تنتج تأثيرات مؤثرة على الرأي العام نيابة عن المرأة وقامت بتغيير المواقف العامة تجاه المرأة وإزاء هذه التحولات اخذ العديد من الشباب والشباب وبشكل مضمون وأكد حرية الكفاح من اجل الاجيال القادمة . ومن بين هذه التغيرات التي احدثتها حركة نصير المرأة فتح ابواب لضبط النسل وتشريع قوانين لمساواة الفرص بين الجنسين وحضور اكثر للمرأة في الحياة السياسية ومنافذ عديدة وكبيرة لممارسة الالعاب الرياضية وقوانين حماية ضد التحرش الجنسي ومنافذ عديدة لرعاية الاطفال والعناية بهم ، جميع هذه التغيرات انجزت بوقت قصير . في الواقع هناك العديد من الافراد يتعقدوا بأن ثورة الجندر قد اخذت مكانها ولا توجد هناك حاجة اكثر للتغير اكثر مما غيرته وأن الادوار التي احرزتها من المناشط السياسية والمسارح السياسية اكدت وصول المرأة الى قمة النفوذ والقوة والتأثير ليس له سابقة من نوعه في تاريخ الولايات المتحدة . إن الحملات السياسية لـ هيلرا رودهام كلنتون وسارا بالين مثال حي على ذلك . فضلاً عن وجود حركات نسوية محافظة امثال تي بارتي Tea Party وربما خيبت او احبطت من قبل الادوار الثانوية للمرأة التقليدية في السياسة حيث باتت المرأة متحدثة رئيسية عن الاسباب المحافظة في صلب الحركة النسوية المحافظة .

ان التغيير سوف يبقى مستمراً وهذا لا جدال منه لأنه يمكن ملاحظة هذا التغيير في مواقف عامة الناس وتأييدهم لمتطلبات الحركة النسوية فيما يخص الاجهاض والزواج المثلي والأم العازبة وبروزها في مواقع سياسية قيادية ووزارية سيادية وعسكرية وشرطوية (بوليسية) وسواها .

لا اريد ان ابرح من هذا الموضوع ما لم اقوم بإيلاء عناية واهتمام للمواقف المعاصرة التي برزت على سطح التيارات الشعبية والمواقف الجمعية لعموم الناس فيما يخص ادوار الجندر التي تغيرت بشكل ملموس وبالذات فيما يخص المعتقدات المتعلقة بالأسلوب المثالي للعيش في الواقع هناك اقلية صغيرة من الناس لا يؤيدوا اشتغال المرأة خارج المنزل عندما يكون لديها اطفال صغار مسؤولة عن رضاعتهم وتربيتهم ورعايتهم وتنشئتهم . وكلا الرجال والنساء قالوا بأنه ليس من العدالة بمكان ان يكون الرجل وحده صاحب القرار في الأسرة . اما الشباب فلديهم افكار خاصة بهم تعكس مرئية مختلفة لمستقبلهم الذي سيعيشون فيه وليس الاجيال الماضية لديهم الحق في تخطيط مستقبل الشباب الذي يمثل الجيل الصاعد . ويرى هؤلاء ان شريك الحياة يجب ان يعيش معاً لفترة طويلة ويتحمل مسؤولية العمل والأسرة وهناك ايضاً وجدت المرأة ان الرجل اكثر من المرأة في موازنته بين العمل والأسرة . وإذا تمت مطالبة المرأة بالعمل خارج المنزل والرجل كذلك فأن ذلك سوف يكون على حساب العلاقة الزوجية وتنشئة الاطفال أي هناك من يكون احد الاطراف خاسراً ودافعاً ثمن هذا المطلب العسير إن نموذج العمل خارج المنزل والعناية المنزلية والأسرية لا يلتقيان معاً عند الزوجة والزوج بل سوف يحصل نمط العيش التقليدي وهو اشتغال الرجل خارج المنزل وبقاء المرأة داخل المنزل تهتم بشؤون العائلة .

اخيراً يجب ان تكون مطالب الجندر اكثر مرونة وغير متصلبة ولا متطرفة والمحافظة على معايير الجندر التقليدية لصالح افراد الأسرة . إن اراء ومواقف وتوقعات الافراد تتغير باستمرار لكن المؤسسات الاجتماعية تقاوم تغير ادوار ومواقع اعضائها (الزوج والزوجة) حفاظاً على وظائفها البنوية وتماسك أنساقها اما اراء ومواقف وخبرات افراد الأسرة فأنها في تغيير مستمر .

وتباعاً لذلك فأن المؤسسات الاجتماعية تقاوم التغيير وأن التغيير سوف يكون على شكل ثورة وعرة غير مستوية في بعض من اعتباراتها ومستقرة في اعتبارات اخرى .

العمل المتوازن والأسرة

الملاحظ في الحياة العصرية تصاعد مشاركة المرأة في سوق العمل بجانب مسؤوليتها المنزلية وشئون العائلة وهذا ما يثقل كاهلها . فالمرأة الشابة والرجال في نفس الوقت يرغبان في العمل خارج وداخل المنزل معاً بسبب متطلبات العيش الاقتصادية . أي ان المرأة المعاصرة تجمع بين مسؤولية العمل خارج المنزل وداخله وكذا الحالة مع الرجل الذي بات يجمع بين العمل خارج المنزل مع تحمل مسؤولية شئون المنزل اكثر مما كان في السابق إذا كان لا يقوم بأي مسؤولية منزلية بل جميع شئون المنزل (من ترتيب وتنظيف وطبخ ورعاية الاطفال وسواها) تقوم بها المرأة إلا ان البحوث الميدانية وجدت ان المؤسسات الرسمية تقاوم هذا الجمع بين المسئوليتين والتكيف مع هذا التغير الأسري . لكن مهما ساهم الرجل في رعاية الاطفال والاهتمامات المنزلية يبقى جلّ العمل والمسئولية تقع على عاتق المرأة . هذا التحول في نمط التوازن او الجمع بين العاملين امسى وصمة سميت بالتحول الثاني .

لا يغيب عن بالنا سرعة عجلة التغيير في الوقت الراهن الذي تطلب زيادة ساعات العمل للرجل والمرأة على السواء (إنما على المرأة ظهر اكثر لأنه عمل مضاف الى المسؤولية البيتية والرعاية الأمر الذي بلور ضغوط نفسية وعصبية وجسدية وذهنية عليها) على ان لا ننسى الاعمال الاضافية التي تحملها الرجل داخل المنزل . إنما الفجوة بين الرجل والمرأة ما زالت قائمة فأمسى العمل خارج المنزل مكاناً للدعم الاجتماعي والراحة النسبية أي ان العمل خارج المنزل اضحى يحل محل المنزل من هذه الزاوية فلا نستغرب إذا تدمرت المرأة من وجودها في المنزل وعدم تدمرها في العمل لأنها تجد فيه الراحة واحياناً الارضاء النفسي عندما نجد زملائها وزميلاتها في العمل يحملون نفس المتاعب والاشكالات . انه تحدي لها وللرجل وزيادة في الضغوط على كليهما يؤثر على رومانسية علاقتهما (في حالة الزوجين) ويؤثر على متانة علاقتها مع اخوتها ووالدتها عندما لا تكن متزوجة . وهذا يعني ان التوازن بين عمل المنزل والعمل خارج المنزل امر صعب يبلور متاعب وضغوط وارهاق يؤثر على علاقة افراد الأسرة .

الفصل الثالث حقوق المرأة الإنسانية

استهلال

- ٣ / أ - التمييز ضدهنّ
- ٣ / ب - مبادئ اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضدهنّ
- ٣ / ت - المرأة في مرآة الفلاسفة
- ٣ / ث - من يصدق هوليدود ضد المرأة؟
- ٣ / ج - الفوارق الفعلية بين الفتيان والفتيات
- ٣ / ح - الثقافة الناعمة ... ما هي وما دورها في المجتمع؟
- ٣ / خ - تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة في المجتمع العربي
- ٣ / د - نماذج من انتهاك حقوقهنّ
- ٣ / د - ١ - النموذج الأول : حق التملك الجسدي
- ٣ / د - ١ - ١ - نموذج الاتجار بأجسادهنّ
- ٣ / د - ١ - ٢ - نموذج استغلالهنّ كلاجئات
- ٣ / د - ١ - ٣ - نموذج جهاد النكاح
- ٣ / د - ١ - ٤ - نموذج اغتصابهنّ
- ٣ / د - ١ - ٥ - نموذج التحرش بهنّ
- ٣ / د - ٢ - النموذج الثاني : حق الوجود الاجتماعي
- ٣ / د - ٢ - ١ - نموذج الزواج من القاصرات
- ٣ / د - ٢ - ٢ - نموذج تعدد الزواج من المطلقات
- ٣ / د - ٢ - ٣ - نموذج الصاق وجودهنّ بوجوده
- ٣ / د - ٣ - النموذج الثالث : حق الأنوثة البيولوجية
- ٣ / د - ٣ - ١ - نموذج استئجار ارحامهنّ
- ٣ / د - ٣ - ٢ - نموذج ختانهنّ

الفصل الثالث حقوق المرأة الإنسانية Woman's human rights

استهلال

لماذا تنادي الحركات النسوية والمنظمات الدولية بالدفاع عن حقوق المرأة الغير متساوية مع اخيها المواطن (الرجل) والتعامل معها كإنسانة ؟ الإجابة على هذا السؤال الواسع سوف نحدده على شكل نقاط كما يلي :

١- هناك شكاوي تنادي بإيقاف العنف الممارس عليها من قبل الرجل لإسكاتها وإخراسها وجعلها لا تطالب بحقوقها لكي تبقى تابعة له .

٢- هناك قوانين جائرة وثقافات اجتماعية ودينية معادية بشكل علني وصريح للمرأة ومتعصبة ضدها بشكل منظم تعمل على عزلها في الممارسات الحياتية اليومية واغتصابها بالقوة وضربها في منزلها وانكار حقوقها في الطلاق والارث واجبارها على الزواج بالإكراه وإيذائها بسبب عدم مماثلتها لمعايير الجندر وبيعها في سوق العمل .

٣- تهيمش مكانة المرأة واذلالها وطمس كرامتها من قبل ثقافات اجتماعية خاصة .

٤- منح الحرية الإنسانية للمرأة واخذ مبادرة فعلية لإيقاف التعصب والعنف ضدها .

٥- الزام الحكومات على حمايتها والدفاع عنها من العنف الجسدي في منزلها

٦- تقوية المرأة لجعلها قادرة على الدفاع عن جسدها ضد اجبارها على الزواج من شخص ليس لديها الرغبة في الزواج منه .

٧- رفع مستوى وعيها بما يدور حولها من فرض قيود وتعصب وتحيز ضدها من قبل بعض القوانين الجائرة ومعايير ثقافية متكلسة ومواقف اجتماعية متخلفة واعتداء جنسي عليها من قبل حراس السجون والتحرش الجنسي من قبل المسؤولين .

بعد هذا الاستطراد تكون اجابتنا على السؤال وافية بعدها ، نخرج على تقديم بعض الشواهد الدلالية على ما ذكرناه في هذه النقاط السبعة من خلال الملايين

من النساء في الوقت الراهن يعيشون في كافة انحاء العالم في اجواء الحرمان والاعتداء المعادي لأبسط حقوق الإنسان الأساسية بدون وجود سبب بل مجرد لكونهن نساء وهذا ما اكدته وتبنته منظمات دولية تراقب الحقوق الإنسانية وما يحصل لها من اختراق عدواني ونزاعي يحصل للنساء في الدول التالية : سيراليون ، كوسوفا ، الجمهورية الديمقراطية في الكونغو ، افغانستان وراوندا التي فيها يحصل اغتصاب النساء كأسلوب حربي مقابل اعفائهن من العقاب . اما الرجال في باكستان وافريقيا الجنوبية والبيرو وروسيا واوزبكستان فأنهم يضربون المرأة في منزلها بشكل وحشي ومصعق دون تدخل حكومات هذه الدول لحماية المرأة المعتدى عليها ورفضها (الحكومة) من معاقبة المعتدي مثل هذه الممارسات والمواقف العدوانية تجعل من المرأة ان تشعر بأنها مذنبه ومدانة وملامة بسبب العنف الممارس عليها .

إن سياق الحديث يدفعني ان اقترب من حالة المفاضلة وعدم المساواة السائدة في اوكرانيا ومولدوفا ونيجيريا وجمهورية الدومنيكان وبورما وتايلاند في بيعهم وشرائهم للنساء أي المتاجرة بهم عبر الاتجار البشري من اجل اجبارهم على ممارسة البغاء التي تعرف بها حكومات هذه الدول وكونها حكومات غير كفوءة فأنها لا تحمي حقوقهن او معاقبة المتاجرين بهن .

اما في غواتيمالا وجنوب افريقيا والمكسيك تكون النساء فيها خاضعات للمتحمكين في سوق العمل وعادةً يكونوا من اصحاب الشركات الخاصة الذين يستخدموهم في وظائف مؤقتة وعند حبلهم يتم طردهم من العمل طبقاً لقوانين العمل عندهم المتحيزة ضد المرأة ، أي هناك تعصب اعمى ضد المرأة صادراً من قوانين جائرة ضدها .

ثمة تعصب متميز اخر لكنه من نوع ثاني سائد في الولايات المتحدة الامريكية يُعبّر عن تمييز الطلبة في المدارس والمعاهد والكليات والجامعات ضد الطالبات السحاقيات والمسترجلات والمتحولات جنسياً وكل من تتصرف تصرف يتماثل مع السلوك الانثوي .

ولا ريب من الإشارة الى نساء المغرب والأردن والكويت وقطر والعربية السعودية تواجه المرأة في مجتمعاتها من تحيز ضدها من قبل حكومات هذه الدول وعدم مساواتها مع اخيها الرجل في حقوقها وواجباتها مدعماً (هذا التحيز) بحكم القانون والثقافة الاجتماعية واعراف ومعايير الأسرة التي وضعت

مصير البنت والمرأة بيد الرجل (الأب او الزوج او الأخ او العم او الخال)
كمحرم مع فرض قيود وشروط قاسية على مشاركة المرأة في الحياة العامة .
ديني من هذا الاستعراض الوصول الى القول بأن سوء معاملة المرأة
تمثل عدم الرحمة بشكل منظم ومباحة علناً ومتغاضي عنها عمداً وجلباً واتكأً
على ذلك فان هذه الحالة تميظ اللثام عن العنف والتعصب ضد المرأة يشكل
مشكلة كونية اشبه بالمرض الوبائي الذي ادى الى ان يقضي تنشيط حركة حقوق
الإنسانية للمرأة العالمية وأخذ المبادرة في ارقاء ورفع مستوى وعي المرأة لما
يدور حولها لكي تتحدى ذلك وتذكيرها بأنها تعيش في عالم لا تكون فيه مالكة
لأبسط قواعد السيطرة على ما يحدث لجسدها وكرامتها . إذ هناك الملايين من
البنات والنساء قد تم اجبارهم على الزواج وممارسة الجنس مع رجال ليس لديهم
الرغبة في ذلك . نساء غير قادرات بالاعتماد على الحكومة في حمايتهن من
العنف الجسدي في منازلهن وجعلهن تابعات بشكل محتوم ومهلك مع تفاقم
مخاطر اصابتهن بمرض الايدز فضلاً عن اعتداء حارس السجون والمعتقلات
والمعسكرات عليهن ولا ننسى معاقبتهن عندما يكون لديهن علاقات جنسية خارج
الزواج او مع شخص تختاره هي وليس من اختبار اسرتها . [. 2005 . Healey

[P.p. 9 – 10

٣ / أ - التمييز ضدّهَن Sex discrimination

لكي نحدد معنى التمييز الجنسي بين الرجل والمرأة نطرح الاسئلة التالية :-

١- هل حصل وان فقدتي عملك بسبب حملك ؟

٢- هل سبق وان حصلت مضايقات وتحرشات جنسية في عملك ؟

٣- هل حصل وان رفضت ترقيةك بسبب كونك امرأة ؟

إذا كان الجواب بنعم فإن ذلك يعني تمايزاً جنسياً وتحيزاً ضدك . مثل هذه المواقف والافعال المنحازة - والمتحيزة تكون ضد القانون لأنها تعكس تمييزاً ضدك بسبب كونك امرأة - بنت او متزوجة او حامل وتمثل مضايقة جنسية لك ولأنها تمثل عزل او طردك او ابعادك من عملك وذلك لكون لديك مسؤوليات عائلية .

بعد هذا التوضيح ألا نسأل ماذا يعني التمييز الجنسي ؟ انه يعني بأن التعامل معك قد تم بشكل غير عادل بسبب كونك بنت او زوجة او حامل ، كذلك ينطوي على ان الطرد من العمل كان بسبب مسؤولياتك الأسرية ، مثال على ذلك إذا قال المدير المسئول بأن جميع الموظفين من الرجال سوف يحصلوا على زيادة في رواتبهم لكن الموظفات لا يحصلوا على هذه الزيادة . يعني هذا تمييزاً جنسياً . ليس هذا فحسب بل يعني ايضاً عند حدوث متطلبات مثل قواعد وسياسة او ممارسة او اجراءات تتعامل بشكل غير عادل مع الموظفين مثال على ذلك إذا اعلن المدير المسئول بأن الموظفين من الرجال إذا كانت خدمتهم مستمرة بدون انقطاع لمدة عشرين عاماً فسوف يحصلوا على زيادة في رواتبهم وغير ذلك لا يحصلوا على الزيادة مثل هذه الحالة تمثل ايضاً تمييزاً لأن المرأة غالباً ما لا تستمر بشكل متواصل في عملها بسبب الولادة والرضاعة وسواها .

إن سياق الحديث يلزمني ان لا اغفل حقائق عن الثقافة العربية التي تميز بين الذكر والانثى بشكل علني وصريح ووضوح ظاهر في تفاعلات وعلاقات الأسرة العربية . إذ يفاضل الأبوين الابن على البنت (سواء كان الوليد الأول او الأخير او الوحيد او المتعدد) في المكافآت المالية والمصروف اليومي وتلبية طلباته وخروجه من المنزل والبقاء خارجه لفترة طويلة في الليل دون مساءلة او محاجة ، ويطلب من البنت ان تسمع كلام اخيها وتلتزم به وان تهتم بأكله ولبسه وترتيب اغراضه وعدم استخدام استخداماته الخاصة . وعند الزواج يقدم للأبن هدايا وعطاءات مادية اكثر مما يقدم للبنت بل وفي احدى دول الشرق الأوسط

تجبر البنت بالتنازل عن وراثتها من والديها عند زواجها ولا يطلب من الأبن ذلك جميع هذه الممارسات تمثل تمييزاً جنسياً في الثقافة العربية ، بل وحتى تسمية الأب أو الأم باسم ابنها الأول وليس ابنتها مثل ابو محمد او ام محمد حتى لو كان المولود الأخير في الأسرة ولد ولا يكنى الأب أو الأم بأبو فاطمة او ام فاطمة حتى لو كان تسلسلها الأول في الأسرة .

هذا التمييز الجنسي يمثل موروثاً ثقافياً سائداً في جميع المجتمعات العربية انها مفاضلة متحيزة تعكس النظام الأبوي (البطريقي) في المجتمع العربي لم يتغير على الرغم من وجود حراك تعليمي وثقافي واكاديم للرجال والنساء لم يؤثر على هذا الموروث المحابي والمتحيز للذكر ضد المرأة علماً بأن الأخيرة (المرأة) لم تعترض على ذلك بل تمارسه مع ابنها وحفيدها واخيها حتى لو تدرجت على السلم الجامعي الاكاديمي تبقى مفاضلة ذكرها (ابنها) على انثنتها (ابنتها) وكأنما النظام الأبوي يتساير ويتساق مع الطبيعة البشرية التي ميزت الرجل عن المرأة .

أعود ثانية الى التمييز الجنسي من زاوية المضايقة الجنسية المستمرة التي هي احدى انواع التمييز حيث الازعاج الجنسي المضايق هو سلوك جنسي غير مرغوب فيه وغير مرحب به لأنه يجعل من الشخص الشعور بالإهانة والإساءة او الاذلال لأنه لا يدل على الجاذبية المشتركة بين الجنسين او وجود علاقة صداقيه بينهما . مثال على ذلك التحرش الجنسي بين الذكور والإناث .

جدير بذكره ان طرح السؤال التالي :- اين تقع ممارسة التمييز الجنسي غير القانوني ؟ ان يحدث في الأماكن العامة عبر الحياة اليومية مثل اماكن العمل وعند ابرام الصفقات والاتفاقات التجارية وعبر تقديم المكافئات والجوائز وعند شراء وبيع العقار وعبر البرامج الاعلامية وسواها .

التمييز الجنسي هو ضد القانون ولدى الفرد في المجتمع الغربي المتحضر والمتقدم الحق في رفع دعوى على كل من يفاضل على الفرد بغض النظر سواء كان ذكراً او انثى وذلك باعتبارها تمييز متعارض مع القانون تحت عنوان الحقوق المدنية وفرص المساواة موصفاً ما حدث من مفاضلة وتمييز في المكان والزمان وما صاحبها خلال اثنتي عشر شهراً من وقوع التمييز الاعتراض يشمل التأثير المباشر الذي احده التمييز وأي شيء بما فيه الجماعة المتأثرة من التمييز

نيابة عن الجماعة المتضررة او النقابة التجارية نيابة عن اعضائها . وذلك
مخاطبة مدير لجنة حقوق الإنسان بشكل سري . [Healey . 2005 .P.11-12]

٣ / ب - مبادئ اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضدهنّ

إن الدول الاطراف في الاتفاقية ، إذ تلاحظ أن ميثاق الامم المتحدة يؤكد من جديد الإيمان بحقوق الإنسان الأساسية ، وبكرامة الفرد وقدره ، ويتساوى الرجل والمرأة في الحقوق وإن الاعلان العالمي لحقوق الإنسان يؤكد مبدأ عدم جواز التمييز ويعلن ان جميع الناس يولدون احراراً متساويين في الكرامة والحقوق وان لكل انسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات الواردة في الاعلان المذكور ، دون أي تمييز بما في ذلك التمييز القائم على الجنس . وأن على الدول الاطراف في العهدين الدوليين الخاصين بحقوق الإنسان واجب ضمان مساواة الرجل والمرأة في حق التمتع بجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية ، وإذ نأخذ بعين الاعتبار الاتفاقيات الدولية المعقودة برعاية الامم المتحدة والوكالات المتخصصة التي تشجع مساواة الرجل والمرأة في الحقوق ، وإذ يساورها القلق ، مع ذلك لأنه لا يزال هناك على الرغم من تلك الصكوك المختلفة ، تميز واسع النطاق ضد المرأة وأن التمييز ضد المرأة يشكل انتهاكاً لمبدأ المساواة في الحقوق واحترام كرامة الإنسان ، ويُعد عقبة امام مشاركة المرأة على قدم المساوان مع الرجل في حياة بلدهما السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ويعوق نمو ورخاء المجتمع والأسرة ويزيد من صعوبة التنمية الكاملة لإمكانات المرأة في خدمة بلدها والبشرية ، وإذا يساورها القلق وهي ترى النساء في حالات الفقر لا يبنلن إلا ادنى نصيب من الغذاء والصحة والتعليم والتدريب وفرص العملة والحاجات الاخرى . وإذ تؤمن بان إقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد القائم على الانصاف والعدل ، سيسهم إسهاماً بارزاً في النهوض بالمساواة بين الرجل والمرأة . وإذ تنوه بانه لا بد من استئصال آفة الفصل العنصري وجميع اشكال العنصرية والتمييز العنصري والاستعماري الجديد والعدوان والاحتلال الأجنبي والسيطرة الاجنبية والتدخل في الشؤون الداخلية للدول إذا اريد للرجال والنساء ان يتمتعوا بحقوقهم تمتعاً كاملاً ، وإذ تجزم بأن من شأن تعزيز السلم والأمن الدوليين وتخفيف حدة التوتر الدولي وتبادل التعاون فيما بين جميع الدول بغض النظر عن نظمها الاجتماعية

والاقتصادية ونزع السلاح العام ولا سيما نزع السلاح النووي في ظل رقابة دولية صارمة وفعالة ، وتثبيت مبادئ العدل والمساواة والمنفعة المتبادلة في العلاقات بين البلدان وإعمال حق الشعوب الواقعة تحت السيطرة الأجنبية والاستعمارية والاحتلال الأجنبي في تقرير المصير والاستقلال وكذلك من شأن احترام السيادة الوطنية والسلامة الإقليمية ، النهوض بالتقدم الاجتماعي والتنمية والإسهام ، نتيجة لذلك في تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة وإيماناً منها بأن التنمية التامة والكاملة لأي بلد ورفاهية العالم وقضية السلم تتطلب جميعاً مشاركة المرأة على قدم المساواة مع الرجل أقصى مشاركة ممكنة في جميع الميادين .

وإذ تضع نصب عينيها دور المرأة العظيم في رفاه الأسرة وفي تنمية المجتمع الذي لم يعترف به لحد الآن على نحو كامل ، والأهمية الاجتماعية للأمومة ولدور الولدين كليهما في الأسرة وفي تنشئة الأطفال وإذ تدرك ان دور المرأة في الانجاب لا يجوز ان يكون اساساً للتمييز بل ان تنشئة الأطفال تتطلب بدلا من ذلك تقاسم المسؤولية بين الرجل والمرأة والمجتمع ككل ، وإذ تدرك ان تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة يتطلب إحداث تغيير في الدور التقليدي للرجل وكذلك في دور المرأة في المجتمع والأسرة .

وقد عقدت العزم على تنفيذ المبادئ الواردة في اعلان القضاء على التمييز ضد المرأة وعلى ان تتخذ لهذا الغرض التدابير التي يتطلبها القضاء على هذا التمييز بجميع اشكاله ومظاهره .
وقد اتفقت على ما يلي :-

الجزء الأول

المادة (١) : لأغراض هذه الاتفاقية يعني مصطلح " التمييز ضد المرأة " أي تفرقة او استبعاد او تقييد يتم على اساس الجنس ويكون من إثارة او اغراضه ، توهين او احباط الاعتراف للمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية او في ميدان آخر او توهين او احباط تمتعها بهذه الحقوق او ممارستها لها بصرف النظر عن حالتها الزوجية وعلى اساس المساواة بينها وبين الرجل .

المادة (٢) : تشجب الدول الاطراف جميع اشكال التمييز ضد المرأة وتتفق على ان تنتهج بكل الوسائل المناسبة ودون الابطاء سياسة تستهدف القضاء على التمييز ضد المرأة وتحقيقاً لذلك تتعهد بالقيام بما يلي :

أ- إدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية او تشريعاتها المناسبة الاخرى إذ لم يكن هذا المبدأ قد ادمج فيها حتى الان وكفالة التحقيق العلمي لهذا المبدأ من خلال التشريع وغيره من الوسائل المناسبة .

ب- اتخاذ المناسب من التدابير ، تشريعية وغير تشريعية بما في ذلك ما يناسب من جزاءات لحظر كل تمييز ضد المرأة .

ت- فرض حماية قانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل وضمن الحماية الفعالة للمرأة عن طريق الحاكم ذات الاختصاص والمؤسسات العامة الاخرى في البلد ، من أي عمل تمييزي .

ث- الامتناع عن مباشرة أي عمل تمييزي او ممارسة تمييزية ضد المرأة وكفالة تصرف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا للالتزام .

ج- اتخاذ جميع التدابير المناسبة ، بما في ذلك التشريعي منها ، لتغيير او ابطال القائم من القوانين والانظمة والاعراف والممارسات التي تشكل تمييزاً ضد المرأة .

ح- إلغاء جميع الاحكام الجزائية الوطنية التي تشكل تمييزاً ضد المرأة .

المادة (٣)

تتخذ الدول الاطراف في جميع الميادين ولا سيما الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية كل التدابير المناسبة بما في ذلك التشريعي منها لكفالة تطور المرأة وتقديمها الكاملين وذلك لتضمن لها ممارسة حقوق الإنسان والحريات الإنسانية والتمتع بها على اساس المساواة مع الرجل .

المادة (٤)

١- لا يعتبر اتخاذ الدول الاطراف تدابير خاصة مؤقتة تستهدف التعجيل بالمساواة الفعلية بين الرجل والمرأة تمييزاً بالمعنى الذي تأخذ هذه الاتفاقية ولكنه يجب الا يستتبع على أي نحو ، الابقاء على معايير غير متكافئة او

منفصلة كما يجب وقف العمل بهذه التدابير متى تحققت اهداف التكافؤ في الفرص والمعاملة .

٢- لا يعتبر اتخاذ الدول الاطراف تدابير خاصة تستهدف حماية الامومة بما في ذلك تلك التدابير الواردة في هذه الاتفاقية إجراءً تمييزياً .

المادة (٥)

تتخذ الادوار الاطراف جميع التدابير المناسبة لتحقيق ما يلي :

أ- تغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لسلوك الرجل والمرأة يهدف تحقيق القضاء على التحيزات والعادات العرفية وكل الممارسات الاخرى القائمة على الاعتقاد يكون أي من الجنسين ادنى او اعلى من الاخر ، او على ادوار نمطية للرجل والمرأة .

ب- كفالة تضمين التربية العائلية فهما سليما للأمومة بوصفها وظيفة اجتماعية ، الاعتراف يكون تنشئة الاطفال وتربيتهم مسؤولية مشتركة بين الأبوين على ان يكون مفهومها ان مصلحة الاطفال هي الاعتبار الأساسي في جميع الحالات ،

المادة (٦)

تتخذ الدول الاطراف جميع التدابير المناسبة ، بما في ذلك التشريعي منها ، لمكافحة جميع اشكال الاتجار بالمرأة واستغلال بغاء المرأة

الجزء الثاني

المادة ٧

تتخذ الدول الاطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في الحياة السياسية والعامه للبلد ويوجه تكفل للمرأة على قدم المساواة مع الرجل الحق في :-

أ- التصويت في جميع الانتخابات والاستفتاءات العامة والأهلية للانتخاب لجميع الهيئات التي ينتخب اعضاؤها بالاقتراع العام

ب- المشاركة في صياغة سياسة الحكومة وفي تنفيذ هذه السياسة وفي شغل الوظائف العامة وتأدية جميع المهام العامة على جميع المستويات الحكومية .

ت- المشاركة في اية منظمات وجمعيات غير حكومية تهتم بالحياة العامة والسياسية للبلد .

المادة ٨

تتخذ الدول الاطراف جميع التدابير المناسبة لتكفل المرأة على قدم المساواة مع الرجل ودون أي تمييز فرصة تمثيل حكومتها على المستوى الدولي والاشتراك في اعمال المنظمات الدولية .

المادة ٩

١- تمنح الدول الاطراف المرأة حقوقاً مساوية لحقوق الرجال في اكتساب جنسيتها او تغييرها او الاحتفاظ بها وتضمن بوجه خاص ألا يترتب على الزواج من اجنبي او على تغيير الزوج لجنسيته اثناء الزواج . ان التغيير تلقائياً جنسية الزوجة او ان تصبح بلا جنسية او ان تفرض عليها جنسية الزوج .

٢- تمنح الدول الاطراف المرأة حقاً مساوياً لحق الرجل فيما يتعلق بجنسية اطفالهما .

الجزء الثالث

المادة ١٠

تتخذ الدول الاطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة لكي تكفل لها حقوق متساوية لحقوق الرجل في ميدان التربية وبوجه خاص لكي تكفل على اساس المساواة بين الرجل والمرأة .

(أ) شروط متساوية في التوجيه الوظيفي والمهني والالتحاق بالدراسات والحصول على الدرجات العلمية في المؤسسات التعليمية على اختلاف فئاتها في المناطق الريفية والحضرية على السواء وتكون هذه المساواة مكفولة في مرحلة الحضانة وفي التعليم العام والتقني والمهني والتعليم التقني العالي ، وكذلك في جميع انواع التدريب المهني .

(ب) التساوي في المناهج الدراسية وفي الامتحانات وفي مستويات مؤهلات المدرسين وفي نوعية المرافق والمعدات الدراسية .

(ج) القضاء على أي مفهوم نمطي عن دور الرجل ودور المرأة في جميع مراحل التعليم وبجميع أشكاله عن طريق تنقيح كتب الدراسة والبرامج المدرسية وتكييف أساليب التعليم .

(د) التساوي في فرص الحصول على منح والإعانات الدراسية الأخرى

(هـ) التساوي في فرص الاستفادة من برامج مواصلة التعليم ، بما في ذلك برامج تعليم الكبار ومحو الأمية الوظيفي ولا سيما البرامج التي تهدف إلى التعجيل بقدر الإمكان بتضييق أي فجوة في التعليم قائمة بين الرجل والمرأة .

(و) خفض معدلات ترك الطالبات الدراسة وتنظيم برامج للفتيات والنساء اللاتي تركن المدرسة قبل الأوان .

(ز) التساوي في فرص المشاركة النشطة في الألعاب الرياضية والتربية البدنية .

(ح) إمكانية الحصول على معلومات تربوية محددة تساعد على كفاءة صحة الأسر ورفاهها بما في ذلك المعلومات والإرشادات التي تتناول تنظيم الأسرة .

المادة ١١

١- تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في ميدان العمل لكي تكفل لها على أساس المساواة بين الرجل والمرأة نفس الحقوق ولا سيما :-

(أ) الحق في العمل بوصفه حقاً ثابتاً لجميع البشر .

(ب) الحق في التمتع بنفس فرص العمالة بما في ذلك تطبيق معايير اختيار واحد في شؤون الاستخدام .

(ج) الحق في حرية اختيار المهنة ونوع العمل والحق في الترقية والأمن على العمل وفي جميع مزايا وشروط الخدمة والحق في تلقي التدريب وإعادة التدريب المهني بما في ذلك التلمذة الحرفية والتدريب المهني المتقدم والتدريب المتكرر .

(د) الحق في المساواة في الأجر ، بما في ذلك الاستحقاقات والحق في المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالعمل ذي القيمة المساوية وكذلك المساواة في المعاملة في تقييم نوعية العمل .

(هـ) الحق في الضمان الاجتماعي ولا سيما في حالات التقاعد والبطالة والعجز والشيخوخة وغير ذلك في حالات عدم الأهلية للعمل وكذلك الحق في إجازة مدفوعة الأجر .

(و) الحق في الوقاية الصحية وسلامة ظروف العمل بما في ذلك حماية وظيفة الأنجاب .

٢- توخياً لمنع التمييز ضد المرأة بسبب الزواج او الأمومة ضماناً لحقها الفعلي في العمل تتخذ الدول الاطراف التدابير المناسبة :

(أ) لحضر الفصل من الخدمة بسبب الحمل او إجازة الأمومة والتمييز في الفصل من العمل على اساس الحالة الزوجية مع فرض جزاءات على المخالفين .

(ب) لإدخال نظام إجازة الأمومة المدفوعة الأجر او المشفوعة بمزايا اجتماعية مماثلة دون فقدان للعمل السابق اوللأقدمية او للعلاوات الاجتماعية .

(ج) لتشجيع توفير الخدمات الاجتماعية العائلية وبين مسؤوليات العمل والمشاركة في الحياة العامة ولا سيما عن طريق تشجيع انشاء وتنمية شبكة من مرافق رعاية الأطفال .

(د) لتوفير حماية خاصة للمرأة اثناء فترة الحمل في الاعمال التي يثبت انها مؤذية لها .

٣ - يجب ان نستعرض التشريعات الوقائية المتصلة بالمسائل المشمولة بهذه المادة استعراضاً دورياً في ضوء المعرفة العلمية والتكنولوجية وان يتم تنقيحها او الغاؤها او توسيع نطاقها حسب الاقتضاء .

المادة ١٢

١- تتخذ الدول الاطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في ميدان الرعاية الصحية من اجل ان تضمن لها على اساس المساواة بين الرجل والمرأة الحصول على خدمات الرعاية الصحية بما في ذلك الخدمات المتعلقة بتنظيم الأسرة .

٢- بالرغم من احكام الفقرة ١ من هذه المادة تكفل الدول الاطراف للمرأة خدمات مناسبة فيما يتعلق بالحمل والولادة وفترة ما بعد الولادة موفرة لها خدمات مجانية عند الاقتضاء وكذلك تغذية كافية اثناء الحمل والرضاعة .

المادة ١٣

تتخذ الدول الاطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في المجالات الاخرى للحياة الاقتصادية والاجتماعية لكي تكفل لها على اساس المساواة بين الرجل والمرأة نفس الحقوق ولا سيما :-

(أ) الحق في الاستحقاقات العائلية .

(ب) الحق في الحصول على القروض والرهن العقاري وغير ذلك من اشكال الائتمان المالي .

(ج) الحق في الاشتراك في الانشطة الترويحية والالعاب الرياضية وفي جميع جوانب الحياة الثقافية .

المادة ١٤

١- تضع الدول الاطراف في اعتبارها المشاكل الخاصة التي تواجهها المرأة الريفية والادوار الهامة التي تؤديها في توفير اسباب البقاء اقتصادياً لأسرتها بما في ذلك عملها في قطاعات الاقتصاد غير النقدية وتتخذ جميع التدابير المناسبة لكفالة تطبيق احكام هذه الاتفاقية على المرأة في المناطق الريفية .

٢- تتخذ الدول الاطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في المناطق الريفية لكي تكفل لها ، على اساس المساواة بين الرجل والمرأة ، ان تشارك في التنمية الريفية وتستفيد منها ، وتكفل للريفية بوجه خاص الحق في :-

(أ) المشاركة في وضع تنفيذ التخطيط الانمائي على جميع المستويات

(ب) الوصول الى تسهيلات العناية الصحية الملائمة ، بما في ذلك المعلومات والنصائح والخدمات المتعلقة بتنظيم الأسرة .

(ج) الاستفادة بصورة مباشرة من برامج الضمان الاجتماعي .

(د) الحصول على جميع انواع التدريب والتعليم الرسمي ، وغير الرسمي بما في ذلك ما يتصل منه بمحو الأمية الوظيفي وكذلك التمتع

خصوصاً بكافة الخدمات المجتمعية والإرشادية وذلك لتحقيق زيادة كفاءتها التقنية .

(هـ) المشاركة في جميع الأنشطة المجتمعية .

(ز) فرصة الحصول على الائتمانات والقروض الزراعية وتسهيلات التسويق والتكنولوجيا المناسبة والمساواة في المعاملة في مشاريع إصلاح الأراضي والاصلاح الزراعي وكذلك في مشاريع التوطين الريفي .

٣- التمتع بظروف معيشية ملائمة ولا سيما فيما يتعلق بالإسكان والمرافق الصحية والإمداد بالماء والكهرباء والنقل والمواصلات .

الجزء الرابع

المادة ١٥

١- تعترف الدول الاطراف للمرأة بالمساواة مع الرجل امام القانون .
٢- تمنح الدول الاطراف المرأة في الشؤون المدنية أهلية قانونية مماثلة لأهلية الرجل تساوي بينها وبينه في فرص ممارسة تلك الأهلية وتكفل المرأة بوجه خاص حقوقاً مساوية لحقوق الرجل في ابرام العقود وإدارة الممتلكات وتعاملها على قدم المساواة في جميع مراحل الإجراءات القضائية .

٣- تتفق الدول الأطراف على اعتبار جميع العقود وسائر انواع الصكوك الخاصة التي يكون لها اثر قانوني يستهدف الحد من الأهلية القانونية للمرأة باطلّة ولاغية .

٤- تمنح الدول الاطراف الرجل والمرأة نفس الحقوق فيما يتعلق بالتشريع المتصل بحركة الاشخاص وحرية اختيار محل سكنهم وإقامتهم .

المادة ١٦

١- تمنح الدول الاطراف جميع التدابير للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات العائلية وبوجه خاص تضمن على اساس المساواة بين الرجل والمرأة :-

(أ) نفس الحق في عقد الزواج

(ب) نفس الحق في حرية اختيار الزوج وفي عدم عقد الزواج إلا برضاها الحر الكامل .

(ج) نفس الحقوق والمسئوليات اثناء الزواج وعند فسخه .

(ح) نفس الحقوق والمسئوليات بوصفهما أبوين ، بغض النظر عن حالتها الزوجية في المور المتعلقة بأطفالهما وفي جميع الاحوال يكون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول .

(هـ) نفس الحقوق في ان تقرر بحرية وبإدراك للنتائج ، عدد الأطفال والفاصل بين الطفل والذي يليه وفي الحصول على المعلومات والتثقيف والوسائل الكفيلة بتمكينها في ممارسة هذه الحقوق .

(د) نفس الحقوق والمسئوليات فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبنيهم او ما شابه ذلك من الاعراف حين توجد هذه المفاهيم في التشريع الوطني وفي جميع الاحوال يكون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول .

(ز) نفس الحقوق الشخصية للزوج والزوجة بما في ذلك الحق في اختيار اسم الأسرة والمهنة ونوع العمل .

(خ) نفس الحقوق لكلا الزوجين فيما يتعلق بملكية وحياسة الممتلكات والاشراف عليها وإدارتها والتمتع بها والتصرف فيها سواء بلا مقابل او مقابل عوض .

٢- لا يكون لخطوبة الطفل او زواجه أي أثر قانوني وتتخذ جميع الاجراءات الضرورية بما في ذلك التشريعي منها لتحديد سن ادنى للزواج ولجعل تسجيل الزواج في سجل رسمي أمراً الزامياً .

الجزء الخامس

المادة ١٧

١- من اجل دراسة التقدم المحرز في تنفيذه هذه الاتفاقية تنشأ لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة (يشار اليها فيما يلي باسم اللجنة) تتألف عند بدء نفاذ الاتفاقية من ثمانية عشر خبيراً وبعد تصديق الدولة الطرف الخامسة والثلاثين عليها او انضمامها اليها من ثلاثة وعشرين خبيراً من ذوي المكانة الخلقية الرفيعة والكفاءة العالمية في الميدان الذي تنطبق عليه هذه الاتفاقية تنتخبهم الدول الاطراف من بين مواطنيها ويعملون بصفتهم الشخصية مع إيلاء الاعتبار لمبدأ توزيع الجغرافي العادل ولتمثيل مختلف الاشكال الحضارية وكذلك النظم القانونية الرئيسية .

- ٢- ينتخب اعضاء اللجنة بالاقتراع السري من قائمة اشخاص ترشيحهم الدول الاطراف ولكل دولة طرف ان ترشح شخصاً واحداً من بين مواطنيها .
- ٣- يجري الانتخاب الأول بعد ستة اشهر من تاريخ بدء نفاذ هذه الاتفاقية وقبل ثلاثة اشهر على الأقل من تاريخ كل انتخاب يوجه الامين العام للأمم المتحدة رسالة الى الدول الاطراف يدعوها فيها الى تقديم ترشيحاتها في غضون شهرين ، ويُعد الامين العام قائمة الفبائية يجمع الاشخاص المرشحين على هذا النحو ، مع ذكر الدولة الطرف التي رشحت كلا منهم ويبلغها الى الدول الاطراف .
- ٤- تجري انتخابات اعضاء اللجنة في اجتماع للدول الاطراف يدعوا اليه الأمين العام في مقر الامم المتحدة وفي ذلك الاجتماع الذي يشكل اشتراك ثلثي الدول الاطراف فيه نصاباً قانونياً له ، يكون الاشخاص المنتخبون لعضوية اللجنة هم المرشحون الذين يحصلون على اكبر عدد من الاصوات وعلى اكثرية مطلقة من اصوات ممثلي الدول الاطراف الحاضرين والمصوتين .
- ٥- ينتخب اعضاء اللجنة لفترة مدتها اربع سنوات غير ان فترة تسعة من الاعضاء المنتخبين في الانتخابات الأول تنقضي فيها فترة سنتين ويقوم رئيس اللجنة بعد الانتخابات الاول فوراً باختيار اسماء هؤلاء الاعضاء التسعة بالقرعة .
- ٦- يجري انتخاب اعضاء اللجنة الإضافيين الخمسة وفقاً لإحكام الفقرات ٢ و ٣ و ٤ في هذه المادة بعد التصديق او الانضمام الخامس والثلاثين وتنتهي ولاية اثنين من الاعضاء الإضافيين المنتخبين بهذه المناسبة في نهاية فترة سنتين ويتم اختيار اسميهما بالقرعة من قبل رئيس اللجنة .
- ٧- لملاء الشواغر الطارئة ، تقوم الدول الطرف التي كف خيرها عن العمل كعضو في اللجنة بتعين خبير آخر من بين مواطنيها ، وهنا بموافقة اللجنة
- ٨- يتلقى اعضاء اللجنة بموافقة الجمعية العامة مكافئات تدفع من موارد الامم المتحدة بالأحكام والشروط التي تحددها الجمعية مع إيلاء الاعتبار لأهمية المسؤوليات المنوطة باللجنة .
- ٩- يوفر الامين العام للأمم المتحدة ما يلزم اللجنة من موظفين ومرافق للاضطلاع بصورة فعالة بالوظائف المنوطة بها بموجب هذه الاتفاقية .

المادة ١٨

١- تتعد الدول الاطراف بأن تقدم الى الأمين العام للأمم المتحدة تقريراً عما اتخذته من تدابير تشريعية وقضائية وإدارية وغيرها من اجل انقاذ احاك هذه الاتفاقية وعن التقدم المحرز في هذا الصدد كيما تنظر اللجنة في هذا التقرير وذلك :-

- (أ) في غضون سنة واحدة من بدء النفاذ بالنسبة للدولة المعنية .
(ب) وبعد ذلك كل اربع سنوات على الاقل وكذلك كلما طلبت اللجنة ذلك
٢- يجوز ان تبين التقارير العوامل والصعاب التي تؤثر على مدى الوفاء بالالتزامات المقررة في هذه الاتفاقية .

المادة ١٩

- ١- تعتمد اللجنة النظام الداخلي الخاص بها .
٢- تنتخب اللجنة اعضاء مكتبها لفترة سنتين .

المادة ٢٠

- ١- تجتمع اللجنة عادة مدى فترة لا تزيد على اسبوعين سنوياً للنظر في التقارير المقدمة وفقاً للمادة ١٨ من هذه الاتفاقية .
٢- تُعقد اجتماعات اللجنة عادة في مقر الامم المتحدة او في أي مكان مناسب آخر تحدده اللجنة .

المادة ٢١

- ١- تقدم اللجنة تقريراً سنوياً عن اعمالها الى الجمعية العامة للأمم المتحدة بواسطة المجلي الاقتصادي والاجتماعي ولها ان تقدم مقترحات وتوصيات عامة مبنية على دراسة التقارير والمعلومات الواردة من الدول الاطراف وتدرج تلك المقترحات والتوصيات العامة في تقرير اللجنة مشفوعة بتعليقات الدول الاطراف إن وجدت .
٢- يحيل الأمين العام تقارير اللجنة الى لجنة مركز المرأة لغرض إعلامها .

المادة ٢٢

يحق للوكالات المتخصصة ان توفد من يمثلها لدى النظر في تنفيذ ما يقع في نطاق اعمالها من احكام هذه الاتفاقية وللجنة ان تدعوا الوكالات المتخصصة الى تقديم تقارير عن تنفيذ الاتفاقية في المجالات التي تقع في نطاق اعمالها .

المادة ٢٣

ليس في هذه الاتفاقية ما يسمى أية احكام تكون اكثر موثاه لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة تكون واردة :-
(أ) في تشريعات دولة طرف ما .
(ب) او في أية اتفاقية او معاهدة او اتفاق دولي نافذ إزاء تلك الدولة .

المادة ٢٤

تتعهد الدول الاطراف باتخاذ جميع ما يلزم من تدابير على الصعيد الوطني تستهدف تحقيق الاعمال الكامل للحقوق المعترف بها في هذه الاتفاقية .

المادة ٢٥

- ١- يكون التوقيع على هذه الاتفاقية متاحا لجميع الدول.
- ٢- يسمى الأمين العام للأمم المتحدة وديعا لهذه الاتفاقية.
- ٣- تخضع هذه الاتفاقية للتصديق وتودع صكوك التصديق لدى الأمين العام للأمم المتحدة .
- ٤- يكون الانضمام إلى هذه الاتفاقية متاحا لجميع الدول. ويقع الانضمام بإيداع صك انضمام لدى الأمين العام للأمم المتحدة.

المادة ٢٥

- ١- لأية دولة طرف ، في أي وقت ، ان تطلب إعادة النظر في هذه الاتفاقية وذلك عن طريق اشعار خطي يوجه الى الامين العام للأمم المتحدة .
- ٢- تقرر الجمعية للأمم المتحدة الخطوات التي تتخذ عند اللزوم إزاء مثل هذا الطلب .

المادة ٢٧

- ١- يبدأ نفاذ هذه الاتفاقية في اليوم الثلاثين الذي يلي تاريخ ايداع صك التصديق او الانضمام العشرين لدى الامين العام للأمم المتحدة .
- ٢- اما الدول التي تصدق هذه الاتفاقية او تنظم اليها بعد ايداع صك التصديق او الانضمام العشرين فيبدأ نفاذ الاتفاقية إزاءها في اليوم الثلاثين الذي يلي تاريخ ايداع هذه الدول صك تصديقها او انضمامها .

المادة ٢٨

- ١- يتلقى الأمين العام للأمم المتحدة نص التحفظات التي تبديها الدول وقت التصديق او الانضمام ويقوم بتعميمها على جميع الدول .
- ٢- لا يجوز ابداء أي تحفظ يكون منافياً لموضوع هذه الاتفاقية ورضها .
- ٣- يجوز سحب التحفظات في أي وقت بتوجيه إشعار بهذا المعنى الى الأمين العام للأمم المتحدة الذي يقوم عندئذ بإبلاغ جميع الدول بها . ويصبح هذا الاشعار تأخذ المفعول اعتباراً من تاريخ تلقيه .

المادة ٢٩

- ١- يعرض للتحكيم أي خلاف بين دولتين او اكثر من الدول الاطراف حول تفسير او تطبيق هذه الاتفاقية لا يسوي عن طريق المفاوضات وذلك بناء على طلب واحدة من هذه الدول . فإذا لم يتمكن الاطراف خلال ستة اشهر من تاريخ طلب التحكيم من الوصول الى اتفاق على تنظيم امر التحكيم . جاز لأي من اولئك الاطراف إحالة النزاع الى محكمة العدل الدولية بطلب يقدم وفقاً للنظام الأساسي للمحكمة .
- ٢- لأية دولة طرف ان تعلن لدى توقيع هذه الاتفاقية او تصديقها او الانضمام اليها انها لا تعتبر نفسها ملزمة بالفقرة ١ من هذه المادة ولا تكون الدول الاطراف الاخرى ملزمة بتلك الفقرة إزاء أية دولة طرف أيدت تحفظاً من هذا القبيل .
- ٣- لأية دولة طرف أيدت تحفظاً وفقاً للفقرة ٢ من هذه المادة ان تسحب هذا التحفظ متى شاءت بإشعار توجهه الى الأمين العام للأمم المتحدة .

المادة ٣٠

تودع هذه الاتفاقية التي تتساوى في الحجية نصوصها بالإسبانية والانكليزية والروسية والصينية والعربية والفرنسية لدى الأمين العام للأمم المتحدة وإثباتاً لذلك قام الموقعون ادناه ، المفوضون حسب الأصول ، بإمضاء هذه الاتفاقية .
[www.ohchr.org.]

٣ / ت - المرأة في مرآة الفلاسفة

يقول هيجل : " إن كلاً منا هو ابن عصره وربيب زمانه وأن الفلسفة هي عصرها ملخصاً في الفكر " وهذا واضح من الاثر الطاعي الذي كان لعادات وتقاليد المجتمع الاثني - الذي يكن كراهية واحتقاراً للمرأة ويضعها في مرتبة بين الرجال والعبيد ! وهذا ظاهر في تفكير افلاطون وارسطو .
تعتبر افكار افلاطون لغزاً محيراً " لا يقبل الحل " لأنه يذهب من ناحية الى ان جنس الانثى خُلق من انفس الرجال الاشرار ، لكنه من ناحية اخرى يقترح تربية متساوية ودوراً اجتماعياً واحداً للجنسين ، وهذا هو اللغز الافلاطوني المميّز مع انه في الواقع لا هو لغز ولا هو مميّز فأفلاطون تمام الاتفاق مع التراث اليوناني الذي كان يَكُن كراهية شديدة للمرأة وينظر اليها باحتقار أشد ! فهو يقول عن تربية الحراس : " اننا سنكون على حق لو جنبنا عطاء الرجال ذلك العويل والنحيب وتركناه للنساء " وكذلك " لن ندعهم يحاكون امرأة شابة كانت او مسنّه" وهو باختصار ينبهنا الى ضرورة استبعاد العنصر (النسائي) من برنامج التربية فنحن نريد رجالاً قبل كل شيء ، ومن ثم فلا نقبل من يحاكي النساء ! كما يحذرنا من ان نترك الحراس يتشبهون بالنساء او بأسلوب الانثى فهو اسلوب ينفّر منه جداً ونستطيع ان نلاحظ بسهولة كيف ان افلاطون يصنف النساء دائماً في احاديثه مع العبيد والاطفال والاشرار والمخبولين من الرجال او مع الحيوانات والقطيع ! فهو لا يتحدث عن المرأة كأنتى بأي قدر من التعاطف على الإطلاق .
ظل افلاطون يكره خصائص الانثى ويحتقرها طوال محاوره الجمهورية ويشترط على المرأة (المسترجلة) التي سوف يساويها بالرجل ان تتحلى عن كل ما يمت للانثى بصلة فعليها ان تسير في الشارع اثناء التمرينات الرياضية والعسكرية عارية تماماً مثلما يفعل الرجال دون ان تشعر بأي خجل . وانه عندما

عادت الملكية في محاوره (القوانين) عادت معها الأسرة ومن ثم عادت المرأة الى وضعها الطبيعي الذي فرضه عليها المجتمع الاثني .

أما روسو فإنه يرى المرأة مزودة بمواهب الجزئيات والامور الثانوية فهي ناقصة وعاجزة تماماً عن التفكير المجرد . و (روسو) يجعل من المرأة موضوعاً جنسياً للرجل ولهذا فهي لا بد ان تكون مغرية ومثيره في آن معاً بعيدة عن الخوف الجنسي مع السيطرة على رغباتها اللامحدودة ومن هنا جاءت دعوته للمرأة ان تكون جنسية ومحتشمة ، ان تكون مرغوبة وعفيفة معاً وعلى هذا الأساس يجعل روسو السيطرة المطلقة للأزواج على زوجاتهم بحيث تنحصر النساء داخل جدران المنزل عقب الزواج مع الرغبة في فصل الجنسين وانعزالهما حتى داخل المنزل ، كما يقترح تربية اخلاقية للنساء في كتابه (إميل) هي الضد المباشر لما اقترحه من تربية اخلاقية للرجال .

وهكذا يتضح ان ما كتبه (روسو) عن اللامساواة والتفاوت بين البشر ودعوته الى المساواة كان يقصد بها المساواة بين الرجال فقط .

وكلامه في بداية كتابه (العقد الاجتماعي) عن ان الإنسان يولد حراً مع انه يراه مكبلاً بالأغلال ... هذا الحديث كله ينصب على الرجال دون المرأة التي ولدت لتكون مكبلة بأغلال الرجال وقيوده .

جون ستيوارت مل : فيلسوف أنصف المرأة فدعا الى المساواة بين الرجل والمرأة في كتابيه (مذهب المنفعة العامة) و (الحرية) ثم افراد كتاباً خاصاً لقضية المرأة جعل عنوانه (استبعاد النساء) اعلن فيه ادانته للمبدأ الذي ينظم العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجنسين كما كشف عن ان صعوبة المشكلة تكمن فيما يحيط بها من مشاعر وعواطف وانفعالات تجعلها اقرب الى مشكلة تحرير الزنوج بالولايات المتحدة .

باختصار شديد ، ينظر الفلاسفة الى الأسرة على انها مؤسسة طبيعية وضرورية - حددوا النساء بوظائف الجنسية والانجاب وتربية الاطفال ونظروا ايضاً الى الدور الذي انحصرت فيه المرأة على انه دور املته عليها طبيعتها ذاتها فهم لا يمدون الى المرأة تصوراتهم عن (الطبيعة البشرية) بل ينظر اليها بطريقة مختلفة كثيراً ما تكون معارضة للرجال فهم يحاولون ان يبحثوا في طبيعة النساء عن العوامل الفطرية الكامنة الموجودة خلف الغشاء الذي انتجته

التنشئة الاجتماعية والعوامل البيئية الأخرى] امام ٢٠٠٩ . ص . ص ٧ - [١٢

٣ / ث - من يصدق هوليوود ضد المرأة ؟

تسببت ندرة انتاج هوليوود لأفلام نسائية في شح عدد الممثلات المتألمات ، ولكن لماذا يسيء البعض فهم الأمور ؟ كريستوفر غودوين مراسل هوليوود يتحدث عن قلة الأفلام الذكية في القرن الحالي مقارنة مع افلام القرن الفائت حيث برزت العديد من الممثلات المتألمات في عمر العشرين والثلاثين مثل ريتا هيوارث وغيرها .

إن اكبر مأساة لهوليوود اليوم هي قلة ادوار الممثلات الكبيرات وهذا ما جعل المرأة الأكبر عمراً تختفي عن الشاشة في السنوات الأخيرة . وإذا فكرنا بالأمر من هذا المنظور فالممثلات في عمر الاربعينيات واكثر أصبحن حالياً محط الجذب في صندوق التذاكر . يقول مراسل من جريدة هوليوود " انه انتقام الممثلات فوق الاربعين " حيث نظرت الجريدة في كون ممثلات مثل سندرا بولك (٤٨ عاماً) وكاميلرون دياز (٤٠ عاماً) وجوليا روبرتس (٤٥ عاماً) وجنيفر أستون (٤٤ عاماً) وغوينيت بالترد (٤٠ عاماً) نجومات متألمات وفي عمره ٣٨ فإن أنجلينا هي الوحيدة خارج المجموعة وهناك ايضاً ميريل ستريب وهيلين ميرين في عمر ٦٤ و ٦٧ عاماً .

افتقاد الشابات المتألمات

قد يبدو هذا شيئاً جيداً للكثيرين ، ولكنه يخفي مشكلة حقيقية فما ينقص الآن كان في السابق اساساً لهوليوود ، ممثلات متألمات في العشرين والثلاثين من العمر أي بكلمات اخرى الجيل الشاب .

تقول جانين باسنجر وهي استاذة في دراسات الأفلام في جامعة ويسليان في ولاية كونيكتيكت : " ان اكثر الأفلام نجاحاً في العصر الحديث هي افلام التشويق والمغامرة والمستوحاة من كتب فكاهية ، او كوميديا ذكورية إباحية ، لذا يصعب على الممثلات الشابات الثبات والنجاح في هوليوود . لقد برزت ممثلات مثل جوليا روبرتس في فترة هوليوود تقدم ادواراً كوميدية رومانسية اكثر . ولم ينتج فيه الأفلام المستقلة نجوماً إلا بالمصادفة " .

إن امتياز الفيلم بتوجه أنثوي كسلسلة افلام " توابلايت " قد يبرز نجمة شابة مثل كرسطين ستبورات (٢٣ عاماً) ولكنها لا تملك شخصية لأخذ كل هذا الجمهور عند تأديتها لشخصية أخرى .

هوليوود محكومة بالرجال

كما ان نجاح الممثلات امر نسبي ، فهوليوود لا تزال محكومة من قبل النجوم الرجال ، حيث ثبتت دراسة حديثة عام ٢٠١٢ شملت اكثر من ١٠٠ فيلم ان ٢٨% فقط من الادوار كانت للنساء وهي اقل نسبة منذ ٥ سنوات وخلف الكاميرا فالوضع اسوء بكثير ، حيث تصل النساء الى ما نسبته ١٦% فقط من مخرجين وكتاب ومنتجين لمئة فلم المذكورة واكثر هذه الحقائق إزعاجاً هو ان ٤% من هذه الأفلام إخراج النساء فقط .

تكثر الآمال بتغيير الحال كل عام تقريباً ، فعندما كانت افلام مثل " Mamma Mia " واول فلم Sex in the city الجنس والمدينة " رائجة في عام ٢٠٠٨ اعتقد الجميع ان هناك عصراً ذهبياً جديداً لأدوار المرأة مثل It's Complicated لميريل ستريب عام ٢٠٠٩ ، و Bridesmaids و The Help عام ٢٠١١ ، وحتى سلسلتي توابلايت والعباب الجوع The Hunger Games التي جذبت الجيل الأصغر من النساء محققة بلايين الدولارات .

قلة الأدوار النسائية

إن قلة الأدوار النسائية بارزة جداً هذا العام وافلام اليوم لا تتمحور حول امرأة شابة كنجمة فلا أحد يقول ارغب حقاً بمشاهدة فيلم ناتالي بورتمان الجديد كما كان يقال عن بيتي دينيس .

والآن مع نجاح " ذا هيبب The Heat " يعتقد الناس ان هوليوود ستبدأ بإنتاج المزيد من الادوار النسائية ، فقد حقق ١٠٠ مليون منذ بدء عرضه ، ولا يكن المراقبين الموسمييين لا يُخدعون .

تقول ليندا أوبست منتجة فيلم Sleepless in Seattle (الساهر في سياتل) "انه اول فلم يُعنى بالصدقة بين النساء منذ فيلم Bridesmaids ، الذي كان من المفترض ان يغير العالم ولكنه لم يفعل فقد جعل ميليسيا مكارثي نجمة فقط (والحقيقة المدهشة فقد تكون مكارثي النجمة الوحيدة البارزة بشكل صادق من

هوليوود في السنوات القليلة الماضية في مجال اعتماد صناعة النجمات وتقديمهن بشكل لعوب فإن النجاح المفرد لها أمر لا شك فيه) .

البطولات النسائية صعبة البيع

من السهل لوم هوليوود على قائمة الممثلات ولكن المشكلة تكمن حقاً في مكان آخر فالأفلام من بطولات نسائية اصعب للبيع عالمياً ، حيث تشكل السوق غير الأمريكية مت نسبته ٧٠% الآن من التجارة التي تقوم بها الاستوديوهات ففيلم Bridesmaids على سبيل المثال فقد حقق ١٦٩ مليون دولار في امريكا ولكن ١٩٩ مليوناً فقط في مكان آخر ، يقول بول سميغ منتج فلمي "Bridesmaids" و " The Heat " انه طالما تم تحذيره من انتاج افلام تركز على النساء ويخبره المنتجون ان لا وجود لنجمات عالميات كما كان تسويق الكوميديات الرومانسية أصعب حتى خارج البلاد لأن الجمهور الأجنبي لا يحب الأفلام الفكاهية بحوار ثقيل .

لعبة الأجيال

تقول باسنجر الشخصية المعروفة في هوليوود ، حيث يحضر صفها بعض كبار الوسط الفني : " كما كُتبت بعض الكتب عن نجوم العصر الذهبي لهوليوود من الثلاثينيات ولنهاية الخمسينات أجد ان الأمر اختلف في ايام الاستوديو حيث ركزت الاستوديوهات على الأدوار النسائية كما كانت قائمة على الأفلام الكوميديا الرومانسية " وتضيف موضحة " كانوا يسعون للعثور على نساء شابات جميلات على استعداد للخضوع لعملياتهم التطويرية ويقمن بتحسين إطلالتهن وربما أنوفهن وذقونهن كما حصل مع ريتا هيوارث حيث تم تعديل خط الشعر وصبغ الشعر حيث لا تبدو لاتينية جداً . "

كما كانت الاستوديوهات تعمل على تطوير غموض الشخصية وتألقها وتحمي نجماتها من الفضائح والهفوات بحيث تشكلن قذوة يُعتدى بها ولكن الجمهور سرعان ما يدرك عيوبهن ، كما يدرك انهن ليس مثيرات للاهتمام كالشخصيات التي يلعبنها .

لنأخذ بيتي ديفيس Bette Davis على سبيل المثال فقد كانت ملتزمة بعقد مع استوديو منذ عام ١٩٣٠ عندما كانت تبلغ ٢٢ عاماً من العمر وحققت نجاحها

الأول في Human Bound age of وبعد ذلك بأربع سنوات كانت قد شاركت فيما يقارب من ٢٠ فلماً ، اما النجوم الشباب الآن فلا يقدمون اكثر من فيلم او اثنين في السنة ولأن الجمهور فتنّ بها . بقيت ديفيس نجمة لعقود على عكس النجوم الشباب الذين يخشون على ادوارهم وللحق فلم تخف ديفيس من لعب ادوار غير محببة .

نبوءة تتحقق

تقول باسنجر " كون هذا نمطاً قوياً وان تتمكن الممثلة من اداء ادوار المرأة الشريرة ، فقد شكل تواصلاً مباشراً مع الجمهور ، خاصة النساء بتفكيرهنّ ، ان هذه المرأة قد نالت فرصة التصرف بشكل سيء وهو أمر جيد إذ لا يجب ان تكون المرأة جميلة ومتألقة فقط . "

إن نقص الممثلات الشابات اليوم يبدو أشبه بنبوءة تتحقق بنفسها ، تشير باسنجر موضحة " خلال عام سيبرز المزيد منهنّ ، ولن تتطور العلاقة بين دوام الأفلام وهؤلاء الممثلات ، فاليوم لا تتوفر للممثلة الشابة فرصة تقديم عدد كاف من الأفلام ، حتى تكون شخصية مستقلة والفيلم لا يتمحور حولهنّ كنجيمات فلا احد يقول أرغب حقاً بمشاهدة فيلم ناتالي بورتمان الجديد كما كان يقال عن بيتي ديفيس " . وتعتقد باسنجر ان للناس نظرة مشوشة عن كيفية تصوير النساء في زمن افلام الاستوديو وفي الواقع إن النساء في تلك الفترة لعبنّ ادواراً اكثر تشويقاً وقوة من افلام اليوم بلا شك . [مجلة سيدتي ، ٢٠١٣ ، العدد ١٦٩٢]

٣ / ج - الفوارق الفعلية بين الفتيان والفتيات

يُمضي الفتيان وقتاً أكثر من الفتيات في النشاطات التنقلية – أي محاولة الانتقال من أ الى ب – سواءً من خلال التدرج او الحبو او السير بخطى ثابتة ، او المشي او الركض او الاندفاع ومنذ ولادتهم يميل الفتيان الى ان يكونوا اكثر فضولاً في اكتشاف المحيط من حولهم ويبدو انهم يستمتعون باللعب الخشن وطرح الآخرين ارضاً أكثر مما هي الحال عند الفتيات .

الأطفال الذكور هم اقوى من الناحية الجسدية فهم يرفعون رؤوسهم اعلى من الفتيات لدى استلقائهم ويحركون بنشاط اكبر كل اجسامهم وهم يميلون الى التفوق في هذه المهارات التي تتطلب النفوذ والقوة وتعني عضلاتهم الكبيرة انهم قادرون وإن كانوا في سن الخامسة على القفز والركض ورمي الكرة مسافة أبعد من الفتيات اللواتي هنّ في العمر نفسه . فالتنسيق الذي يتمتعون به لدى رمي الكرة من خلال رفع الذراع فوق الكتف او جانبياً هي اكثر تطوراً وهم يتعلمون اجمالاً قبل الفتيات كيفية قيادة دراجة ذات دولابين .

من جهة أخرى ، تميل الفتيات الى ان تكنّ افضل من الفتيان في بعض المهارات الحركية التي تتطلب التوازن والتنسيق كالقفز والوثب ، وهنّ تملنّ ايضاً الى ان تكنّ افضل في إداء بعض المهام الحركية الدقيقة كالتعامل مع الأزرار او ادوات التثبيت ، لماذا ؟ لأن النجاح في المهارات الحركية الدقيقة يتطلب الانتباه والمقدرة الادراكية . وإن ميل الفتيات الى تكنّ اكثر تلهفاً من الفتيان للإرضاء قد يفسر سبب نجاحهنّ إجمالاً قبل الفتيان في المهام التي يُبدي الأهالي اهتماماً اكبر منها تناول الطعام بأنفسهنّ واستخدام المقص وعقد رباط احذيتهنّ مثلاً .

غير ان هذه الفوارق تبقى طفيفة ، فالعديد من الفتيان والفتيات سيبلغون المراحل الأسمى في الوقت نفسه تقريباً بالرغم من الاختلاف الكبير بينهم . تذكروا بأنه يوجد نفس العدد من الأطفال الناجحين بعد متوسط العمر كما كان الأمر في السابق .

ما هو تفسير هذه الفوارق ؟

هذه الفوارق الجنسية في التطور الحركي هي انعكاس لما يحدث داخل أدمغة كل من الجنسين وحتى سن السادسة . تركز ادمغة الفتيان في الدرجة الأولى (لأسباب تطورية ربما) على بناء وتشذيب الشبكات العصبية المرتبطة بالتمييز البصري – المكاني لحركات كبيرة ، والاستهداف البصري وولوج معلومات مخزنة كذلك تنمو أيضاً في ادمغة الفتيان الدوائر العصبية التي تعني بالمهارات الحركية الدقيقة ولكن بسرعة اقل . في هذا الوقت تعطي ادمغة الفتيات الأولوية لتنمية الشبكات العصبية المعينة باكتساب اللغة والمقارنة البصرية التي تتناول التفصيل الدقيقة والمهارات الحركية الدقيقة والسلوك الاجتماعي وبالنسبة الى الفتيان في السنوات الست الأولى من اعمارهم فان الجزء الأكبر من النمو العصبي يحصل في النصف الأيمن من ادمغة ، اما بالنسبة الى الفتيات فيميل تطور الدماغ لصالح النصف الأيسر .

انطلاقاً مما تقدم فلا سبب للقلق اطلاقاً في شأن ما إذا كانت ابنتكما في سن الثالثة قادرة على ادخال الخرزات في خيط في حين ان ابنكما يبدو غير قادر البتة على القيام بهذه المهمة في سن الرابعة . ويلتقي الفتيان والفتيات بقدرتهم على اكتساب مهارات حركية كبيرة وصغيرة والأمر ببساطة ليس سوى امتلاك أدمغة تنمو وفقاً لجداول مختلفة .

إصابة الهدف

يتناول احد الفوارق الجنسية الأكبر والأكثر تعويلاً عليه دقة النشاط الحركي التي قد تكون تطورت منذ بدء الأزمنة إلا وهو التصويب على هدف ما . والفوارق بين الفتيات والفتيان في عملية الرمي بدقة وصوابيه او اعتراض سبيل شيء ما ، كبيرة بمقدار كبر الفوارق في مهام الدوران المكاني وبما ان هذه القدرة غير مرتبطة بأداء الفتيان في اختبارات الدوران المكاني (spatial) فقد استنتج الباحثون انها قدرة مستغلة تماماً وتتطلب نوعاً آخر من التحليل الحركي – المكاني لسرعة المهارات .

وتظهر الاختبارات ان هذه الفوارق تظهر في مرحلة مبكرة جداً من الحياة ما بين سن الثالثة والخامسة ، عندما يكون الفتيان والفتيات غير مختلفين كثيراً في حجم العضلات او القوة او في كمية الاختبارات الاستهدافية التي قد تكون حدثت . وقد ساعدت الدراسات التي تناولت صور الدماغ على شرح هذه النتائج فمنذ الولادة وحتى سن السادسة تُنمي ادمغة الفتيان شبكات عصبية فريدة (للاتباع

البصري) رابطة المناطق الحركية بالمناطق البصريّة ومن جهة ثانية لا تنمي الفتيات دوائر مماثلة الى ما بعد سن الثامنة .

النظر الى الوقائع من خلال الاحصائيات

يملك معظمنا فكرة مسبقة حيال المهارات الحركية الدقيقة التي تتفوق بها الفتيات في حين ان الفتيان يعتبرون نجومًا في تأدية المهارات الحركية الكبيرة . ولكن هذا الامر لا ينطبق دائماً على كافة الحالات فعندما ننظر الى كيفية بلوغ بعض الاستنتاجات نكشف ان يمكن للعوامل المرتبطة بنظام المقاييس المعتمدة او عن العينة المختارة التأثير في النتائج .

الوسيلة المعتمدة للقياس

إن كيفية قياس مهارة حركية معينة تحدث فرقاً حاسماً في ذلك البحث فقد بينت إحدى الدراسات ان الفتيات والفتيان الذين تتراوح اعمارهم بين ٤ و ٦ سنوات لا يختلفون في الدقة التي يُظهرونها في اداء الرمي وبخلاف ذلك بينت دراسة مستقلة ان الفتيان كانوا افضل بكثير من الفتيات في كافة الاعمار والتي تتراوح بين ٤ و ١٤ سنة في القدرة على الرمي بدقة . وعما نتفحص بالتفاصيل الوسائل المعتمدة في الدراسات نجد ان الاولاد كان عليهم الرمي من تحت الذراع في الدراسة الثابتة في كافة الاعمار ، لا يختلف الفتيان والفتيات ككل في مهاراتهم التوازنيّة ولكن الفوارق تنشأ لدى قياس مهام معينة فالوثب من نقطة الى اخرى مثلاً تتقنه الفتيات قبل الفتيان عادةً ولكن الركل او ركوب الدراجة هما امران يتقنهما الفتيان قبل الفتيات وبشكل افضل . ولم نجد عدد من الدراسات التي تنقضى المهارات الحركية الدقيقة للأولاد أي فوارق جنسية في الوقت الذي يستغرقه الفتيان والفتيات في وضع نماذج معينة على لوح او وضعها في اتجاهات مختلفة ، او مقلوبة وقد سمح لهم باستخدام اليد التي يريدون او اليدين معاً ولكن تبين ان الفتيات اسرع من الفتيان في استخدام ايديهنّ المهيمنة في إحدى الدراسات التي فرض فيها الباحثون على الاولاد استخدام ايديهم المهيمنة او ايديهم غير المهيمنة .

وقد يكون للنتيجة الأخيرة علاقة ما بواقع ان الفتيات هنّ اسرع من الفتيان في اختبار اليد المهيمنة فعند الولادة مثلاً تجري الانعكاسات اللاإرادية للقسم السفلي

من اجسام الفتيان في الجانب الأيسر (مشيرة الى هيمنة الأنصاف اليمنى من ادمغتهم) ، في حين ان الانعكاسات اللاإرادية لأجسام الفتيات تحدث في الجانب الفتيان والفتيات قد اختاروا اليد المهيمنة في سن لثالثة وسيستخدم معظمهم (٨٥ – ٩٠%) اليد اليمنى علماً ان الفتيات يزدنّ على الفتيان بنسبة ٢% .

اعمار الأولاد المشاركين في الدراسة

إذا ما وضعنا مهارات الرمي والتعامل مع الكرة جانباً فإن الفوارق الجنسية في تادية الحركات الكبيرة تكون طفيفة في سن الطفولة وتصبح الفوارق اكثر وضوحاً في سن المراهقة ولصالح الفتيان الى حد كبير وتظهر البيانات المستمدة من دراسات جرت على نطاق واسع انه بين سن الحادية عشر والسابعة عشر يتحسن اداء الفتيات في الركض والقفز بنسبة تتراوح بين ٢ و ٧% في حين ان نسبة التحسن لدى الفتيان تتراوح بين ١٨ و ٣٦% .

الرياضيات ميزة تفوق لدى الذكور

تظهر الابحاث ان الفتيان يفوقون الفتيات بنسبة ثلاثة عشر ضعفاً في قدراتهم العالية في مجال الرياضيات ولكن بالرغم من ان الفتيان يميلون الى تحقيق نتائج افضل من الفتيات إذا كانوا لآباً عاديين ، فإن الفراق يبقى ضئيلاً وتوحي البيانات ايضاً بأن الفتيات تملنّ الى ان تكن افضل من الفتيان في الحساب المباشر ويكون الفتيان افضل في الاستنتاج المنطقي الرياضي وغالباً ما تتفوق الفتيات على الفتيان في السنوات الاولى في هذا المجال ولكن الفتيان يعودون الى الصدارة في وقت لاحق . مع ذلك يمكن لهذه الصورة عن الرياضيات ان تتبدل ففي عام ١٩٩٥ تم قياس إنجازات التلاميذ في الرياضيات في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية في ٢٤ دولة (معروفة بمسح TIMMS) وكان الفتيان متفوقون على الفتيات في كل الدول . وبهامش كبير وبعد سنوات قليلة قاس مسح PISA 2000 اداء اولاد في الخامسة عشر من العمر في الرياضيات وبكلام دقيق لا يمكن إقامة مقارنة مباشرة بين النتائج ، ولكن في هذه المعلومات توحي بان الفتيات لحقنّ بالفتيان وفي عملية المسح اللاحقة سجلت الفتيات نتائج مماثلة لما سجله الفتيان في ٢٦ دولة ، حتى أنهنّ سجلنّ نقاطاً اعلى في دولة واحدة في حين ان الفتيان تفوقوا على الفتيات في خمس عشرة دولة ، ولكن لماذا توجد هذه الفوارق الجنسية الظاهرة ؟ هل بسبب البيئة ام التكوين البيولوجي ؟

الرياضيات وتوقعات المجتمع

من المحتمل ان يكون لتأثيرين بيئيين - المواقف الاجتماعية والفوارق الجنسية في النشاطات التي تجري في اوقات الفراغ - دور في مستوى اداء الفتيان والفتيات في الرياضيات ، غير ان المواقف تتبدل ولكن إذا اعتقدت فتاة ما انها لن تبلي بلاءً حسناً في احد الاختبارات فإن هذا الأمر ينعكس على النتيجة التي تحققها . وفي احدى الدراسات سجلت الفتيات نقاطاً اقل من الفتيان في اختبار في الرياضيات ولكنهن ضاهين الفتيان في المستوى بعد ان أُخبرن بأن الاختبار غير متحيز لجنس دون آخر .

ويحب الفتيان اللعب بألعاب تطور مهاراتهم البصرية - المكانية ، الكتل الصلبة ، ادوات البناء ، نماذج الطائرات . ويتم هذه المهارات في وقت لاحق بواسطة الكمبيوتر او العاب الفيديو . وفي احدى عمليات المسح تبين ان الفتيان الذين تتراوح اعمارهم بين ثماني سنوات واربعة عشر عاماً يقضون وقتاً اكبر بمرتين مما تقضيه الفتيات على العاب الكمبيوتر ، وفي دراسة تناولت ٢٢٠٠ طفل تتراوح اعمارهم ثمانية وتسعة اعوام كانت العاب الكمبيوتر النشاط الأكثر شعبية بين الفتيان في اوقات الفراغ - ثلث الفتيان يلعبون بشكل دوري مقارنة مع عشر فتيات .

الرياضيات والفوارق الجنسية البيولوجية

قد تسهم الفوارق الهرمونية والدماغية ايضاً في تعزيز الفوارق بين الجنسين على صعيد الأداء ، وقد تبين ان الذكور ذوي المستويات العالية من التستوستيرون والذين يتراوح مستواهم الفكري بين المنخفض والعادي يبذلون كل ما في وسعهم في الاختبارات المكانية في حين ان مستويات عالية من التستوستيرون تعزي الى انخفاض النقاط المسجلة في الاختبارات المكانية ومن جهة ثانية تعزي المستويات العالية من التستوستيرون لدى الاناث الى النقاط العالية المسجلة في الاختبارات المكانية ، وفي سن الطفولة لا تختلف مستويات التستوستيرون بين الجنسين ولكن هل إن نشوء مستويات التستوستيرون العالية لدى الفتيان خلال الأشهر الست الأولى من الحياة ، ومع دنو سن البلوغ فيما بعد تُسهم في تفوقهم البسيط على الفتيات . يبدو ان نشوء الاول للتستوستيرون يسهم في جعل يفضلون بعضهم الدمى والعاب الكمبيوتر ، في حين انه يمكن للنشوء اللاحق شرح سبب تفوق الفتيان على الفتيات في صفوف الرياضيات ، إذا ما حدث في اواخر الحياة المدرسية ، وقد يؤدي التستوستيرون الى تبدلات في

الدماغ تمنح فوائد إضافية للفتيان وتدعى منطقة الدماغ التي يعتقد انها تعني بالرياضيات المنطقة الصدغية الجدارية ويوجد في داخل هذه المنطقة من كل من نصفي الدماغ بنّيه تدعى الفصيص الجداري السفلي (IPL) فبعد معالجة حجم الدماغ الأكبر حجماً للذكور ، نجد ان حجم الفصيص الجداري السفلي يكون اكبر في ادمغة الذكور البالغين بنسبة ٦ بالمائة مقارنة مع حجمه لدى الاناث ، وإضافة الى ذلك وبينما يكون الفصيص الجداري السفلي في النصف الأيمن من دماغ الفتيات اكبر حجماً بقليل فإنه يبدو اكبر حجماً في النصف الأيسر من دماغ الذكور وبشكل ملحوظ وكانت هذه البنية كبيرة في دماغ ألبرت أينشتاين على نحو استثنائي . وهنا يطرح السؤال التالي : هل تسهم الخبرة والممارسة في زيادة حجم الفصيص الجداري السفلي الاكبر لدى الفتيان ، ام انها الطريقة التي بُرمج بواسطتها ليتطور ؟ ام انه قد يكون هناك تفاعل بين هذين العاملين مما يؤدي الى تفوق واضح للفتيان في الرياضيات ؟

وما زال العلماء يحاولون تعليق الآمال على ما يجري في ادمغة الذكور والاناث عندما يعالجون مسائل مختلفة في الرياضيات وحتى الان ، هناك ما يدل على ان المناطق الموجودة داخل المنطقة الصدغية الجدارية ، ولدى الذكور على الأقل ناشطة في الاتجاهيين ولكنها اكثر وضوحاً في احد جانبي الدماغ وفقاً لنوع المهمة .

التفكير المنطقي والابداعي

بالرغم من ان المجتمع قد يعتبر الذكور الجنس الاكثر منطقية والاناث الجنس الاكثر حدسيه ، فهل تنم هذه النظرة عن اعتقاد شعبي صحيح ؟ وإذا كانت كذلك فهل يؤثر هذا الأمر على طريقة تعاطي الفتيان والفتيات مع المواد الدراسية المختلفة وعلى مدى إجادتهم لها ؟

توفر اختبارات حاصل الذكاء نتائج محققة على الصعيد الكلامي وهي اشارة الى قدرات التفكير المنطقي التي يمتاز بها النصف الأيسر من الدماغ ونتائج محققة خارج الإطار الكلامي وهي اشارة الى قدرات التفكير الحدسي التي يمتاز بها النصف الأيمن من الدماغ ولكن وبما ان اختبارات الذكاء صممت بشكل واضح للتقليل من الفوارق الجنسية فلا يمكن إذاً استخدامها للإجابة عما إذا كان هناك فارق حقيقي بين الجنسين في هذه الانواع من الذكاء .

وتشير اختبارات اخرى الى افضلية طفيفة للإناث في الاختبارات الكلامية وافضلية ذكورية في الاختبارات غير الكلامية ومع ذلك قد يحدث العمر فرقاً سواءً كان للفتيات او للفتيان افضلية في نوع او اخر من انواع التفكير . ترى الى أي مدى قد يؤثر مثلاً مسار تطور ادمغة الفتيان والفتيات في طرق تفكيرهم ؟ اليسار = تحليلي ، اليمين = حدسي

بصورة عامة ، إن الجانب الأيمن من الدماغ هو الجانب الحدسي والخلاق في حين ان الجانب الأيسر هو الجانب المنطقي والتحليلي والمنحي التفكيرى للنصف الأيمن هو منحى كلي يعي الأمور في وقت واحد . اما النصف الأيسر فيدرك الأمور بشكل متتال التفكير خطوة خطوة ويدرك كل امر بمفرده .

ويمكنكم رؤية هذا التقسيم لعمل الدماغ منعكساً على طريقة لعب الفتيان الصغار والفتيات ، فعندما تكون ادمغة الفتيان مركزة على تطوير النصف الأيمن خلال السنوات الأولى من الحياة ، غالباً ما يتضمن لعب هؤلاء الفتيان شخصيات خيالية وسيناريوهات فريدة . وبخلاف ذلك فإن الفتيات اللواتي تقوم ادمغتهن بتطوير النصف الأيسر في هذه المرحلة تؤثرن لعب ادوار اشخاص حقيقيين وتمثل احداث واعمال روتينية من الحياة اليومية .

وفي مرحلة لاحقة ، ونتيجة لظروف طبيعية في سن السادسة او السابعة تنتقل ادمغة الفتيان الى مرحلة إنماء الشبكات العصبية في النصف الأيسر ويحدث الانتقال المعاكس لدى الفتيات ولكن ليس قبل سن الثامنة او التاسعة وبما ان ادمغة الفتيات تعمل بطريقة اكثر اعتماداً على النصفين الأيمن والأيسر فإن هذا الانتقال يكون اقل إثارة وفي ما يتعلق بنمو الدماغ يحظى تطور النصف الأيمن لدى الفتيان والنصف الأيسر لدى الفتيات في هذه الأعمار بانتباه اقل لصالح النصف المقابل .

التعليم الذي يعزز مهارات التفكير الإبداعية والمنطقية

بالرغم من ان نصفي الدماغ متخصصان في تأدية مهام الى حد ما ، هناك تفاعل مستمر بينهما ، وبالنسبة لأي مهمة معينة سيختار الدماغ تنشيط عدد وافر من المواقع الدماغية ولا سيما الأكثر ملاءمة للمهمة عادةً ، غير ان نماذج التنشيط هذه تتحدد نتيجة للخبرة والتدريب .

وبما ان الكثير من هذا التدريب يجري في الصف ، يمثل اختبار طريقة التعليم اهمية كبرى بالنسبة الى الفتيان . إن نمو المنطقة الأمامية من الدماغ في

وقت لاحق (المعنيّة بالأصغاء ومراقبة السلوك والتحكم فيه) يعني ان الفتيان سيستجيبون بشكل افضل للتعليم المباشر والواضح في كافة المواد الدراسية . وللفتيان رغبة فطرية في فهم طريقة عمل الأشياء وبسرعة ويمكن لطرق التعليم الاستنتاجية إبطاء سرعة التعلم وإحباط الفتيان . كما انه لا يمكن للإبداع والفرادة الحقيقين (اللذين يشاركان في كل محاولة) الازدهار في معرفة خاوية . ولدى الكف عن تعليم الأطفال من الجنسين جداول الضرب والربط بين الحرف والصوت ، يُحرم هؤلاء من المهارات والمعرفة الاساسية المطلوبة لبلوغ قدراتهم الفكرية الكاملة .

هل الفتيان اكثر تأثيراً ؟

تظهر الابحاث ان ردادات الفعل الفيزيولوجية للذكور على الصعيد العاطفي اقوى بكثير مما هي حالة الفتيات فهم يتعرقون اكثر وتخفق قلوبهم بشكل اسرع وتحت ادمغتهم على اطلاق مزيد من هرمونات التوتر والإجهاد ، وقد تتفاجؤون لدى علمكم بأنه على الصعيد الفيزيولوجي وبالرغم من التفاوت الكبير القائم بين افراد كل جنس يبدو الفتيان انهم الجنس الأكثر حساسية وعاطفية .

هناك تفسير على مستوى الدماغ لهذا الفارق في الاحساس العاطفي تملك ادمغة الفتيان لوزات اكبر حجماً (النمو في ادمغتهم) تنسق في ما بين كل العواطف ، إضافة الى ذلك فقد اظهر بحث جديد ان دماغ الذكور اكبر بنية ، انه مطلق الهرمونات او تحت المهاد . وتتعاون هاتان البنيّتين لإنتاج ردادات فعل اكبر لدى الذكور في حالات الحث العاطفي .

ومن نتائج هذا البحث ايضاً ان الأطفال الذكور يميلون الى ان يكونوا اكثر عناداً من الفتيات ، وبما انهم قد يكونون اكثر تطلباً فإن امهاتهم تحتجنّ الى العمل بجهد اكبر من امهات الفتيات لمنح ابنائهم الشعور بالأمان ، وفي الدراسة التي تفحصت ما يجري عندما تستأنف الامهات العمل قبل بلوغ ابنائهنّ شهرهم السادس وبالرغم من ان العديد من الفتيان كانوا متعلقين بشكل آمن بأمهاتهم ، فإن عدداً اقل بكثير من هؤلاء كانوا متعلقين بأبائهم بأمان اكبر من الفتيان او الفتيات الذين لم تكن تعمل امهاتهم . ويوحى هذا الأمر بأن الفتيان يحتاجون الى مدة أطول مما تحتاجه الفتيات للتعلق بأمهاتهم بشكل قوي وآمن ، وقبل ان يكونوا مستعدين للبدء بالتعلق بالآخرين وبقوة . [ما كميلان . ٢٠٠٧ . ص . ص ٩٨

– ١٠١ ، ١٢٦ – ١٢٧]

٣ / ح - الثقافة الناعمة ما هي وما دورها في المجتمع ؟

يقول مدون another god في مضمون الثقافة الناعمة ما يلي :

لا اريد احد ان يفهم كلامي هذا على انه موجه ضده شخصياً ، ولا اريد لأحد ان يفهمه انه ضد النساء بل هي وجهة نظر قاصرة او مقصرة تجاه الثقافة الناعمة ، او ثقافة النواعم او بتعبير ادق ثقافة النساء .

انا لا اريد ان أفهم انني ضد النساء ، او اتبنى طرْحاً ايديولوجياً يقول أنهم ناقصات عقل ودين ، بتفسير حرفي للجملة ، ولا اريد ان اكون ذلك المطالب بتهميش نصف المجتمع وحبسه في المنزل للطبخ والجنس ، كلا ولكن هي ملاحظة لاحظتها من خلال علاقتي بالنساء المثقات ، أنهم لا يصلحون للثقافة "مطلقاً" .

ما إن ندخل في نقاش ثقافي معهن ، إلا وتحس أنهم من اولئك الذي يقرأ ليفهم قشور ما يقرأ لا عمق ما يكتب ، يقرأون الروايات لأن بها قصة ، لا لأنها خلاصة ثقافة كاتب وافكار يراد لها ان تمرر .

انا لا الوم الجنس الأنثوي بل ألوم المجتمع الذي ينتج هؤلاء النساء الذين لا يفكرون بصورة صحيحة ، يفكرون دائماً بصورة قشرية ، لا انفي ان هناك النذر اليسير من الشواذ ولكن الغالب الأعم لا يستطيعون تبعاً لمكاتبهم العقلية التي ينشأها المجتمع - وانا من المؤمنين ان المجتمع له دور كبير في التنشئة - غير قادرين على الابداع ، بل وحتى المبدعات على المستوى المحلي ساذجين قياساً بالذكور الضليعين بكل شيء .

انا لا ادعوا الى ذكورية المجتمع بل ألفت النظر الى واقع المرأة في مجتمعنا تحتاج المرأة الى ثورة في تكوين عقلها لكي تنتج بعد سبعة اجيال جيلاً انثوياً قادراً على ان يكون عميقاً في الثقافة وإلا فتقافة المرأة ستبقى " ثقافة ناعمة " بالإمكان ان يستمر بعض المثقفين الشبقيين في مدح ثقافة المرأة ربما ليحصلوا على ما يريدون ولكن هذا لن يعتبر من واقع إن ثقافة المرأة في بلدنا ثقافة ناعمة جداً .

وللتدليل إن من يسمك المشروع الثقافي في هذا البلد امرأة واليكم حجم الانتاج الثقافي الذي نحصد من خلال ادارتها وحجم التجاوزات . كل ذلك لأنها مدعومة من ولي العهد . [anothergod.wordpress.com]

ثقافة المرأة الفاضلة

من الناقل بأن حرية المرأة ضرورة إنسانية واجتماعية ووطنية قصوى قبل ان تكون ترفاً فكرياً وثقافياً . وحرية المرأة تبدأ في اللحظة التي تدرك فيها واقعها المنحط المزري ومحاولة فهم اسبابه فهماً علمياً صحيحاً ومن ثم تبدأ نضالها من اجل تغييره

فحرية المرأة شرط لازم لتحرر الأوطان من ربة الجهل والتخلف والاستعمار والاستبداد ، والمرأة الحرة والمسيطرة على عقلها وجسدها وعواطفها والتي لا ترضى ان تصبح أمة او جارية في بيت الذكر ، لن تقبل على الاطلاق باحتلال الأجنبي لبلدها والمرأة المتعلمة المثقفة لن ترضى بتنشئة ابنائها إلا في بيئة متعلمة ومثقفة والمرأة التي لم تتعود على طاعة الذكر طاعة عمياء لمجرد انها انثى ، لن تقبل بالتالي الرضوخ لأي نوع من انواع الاستبداد الاجتماعي او السياسي او الجنسي ومنه فالسلطات الاجتماعية والسياسية والدينية في بلداننا العربية بما هي سلطات ذكورية استبدادية مستغلة (بكسر الغين) تسعى جاهدة وبكل قواها لإبقاء المرأة " نصف المجتمع " أسيرة الجهل والطاعة والرضوخ عبر تعميم ثقافات كاذبة وملفقة كثقافة " المرأة الفاضلة " !!
فما هي ثقافة المرأة الفاضلة !!

طاعة الزوج من طاعة الله ! :- في كثير من الاحيان فإن من يخطئ في حق المرأة ويساهم في استلابها هي المرأة نفسها ! . فهي إذن تردد (دون وعي) كثيراً من المفردات التي تساهم بشكل او بأخر في تأييد سلطة الذكر ، والتي هي من اختراعه اصلاً ، فأنها تساهم في غزل الشرنقة الخائفة حول نفسها ... وإذ تظن انها تدافع عن مكارم الاخلاق وعن قيم المجتمع الفاضلة فأنها بالواقع تكون اسيرة مفاهيم الذكر وقيمه وأخلاقياته الزائفة والتي لا تهدف منها سوى جعل المرأة " ملحقاً " او " هامشاً " له ...

ومن هذه المصطلحات المقيتة مصطلح " طاعة الزوج " ... فهي تظن انها بانحناء هامتها وطأطأة رأسها والتخلي عن كبريائها وكرامتها امام زوجها فأنها ستكون بلا شك زوجة فاضلة سالحة ... وعلى خلق !

ومن سخرية القدر إن اول درس تعلمه الأم لابنتها المقبلة على الزواج هو : أطيعي زوجك وفيما بعد إن لم تطعه فإنها والعياذ بالله ، ناشز ويحق لزوجها ساعتها ان يضربها " ضرباً مبرحاً " !!!

اما لماذا عليها ان تطيعه فلأنهن ناقصات عقل ودين ! او لأن الرجال قوامون على النساء ... او

ولقد بذل " حماة الاخلاق والشرف والفضيلة " جهداً خارقاً عبر التاريخ كيب يبقوا النساء في خانة العبيد وما عليهن إلا الطاعة لأسيادهن الذكور ... واصبحت من تستحق لقب " السيدة الفاضلة " هي التي تردد مصطلحات الذكور " الاخلاقية " وتسهر على حمايتها وتنقلها الى بناتها من جيل الى جيل .

اما ان تجرات إحداهن ففتحت بوزها قائلة : من حقي ان وجهة نظري ان ... رأيي ان فعليها العوض ومنه العوض ... فما هي إلا فاجرة ، متشبهة بالرجل ... لعنها الله كثيراً !!

وفي احد المواقع " الدّعوية ! " التي تنتشر على شبكة الانترنت تقرأ النصائح التالية : " لا ترفعي صوتك في وجود زوجك خاصةً " . " الوقوف بين يديه لحظة ارتدائه لملابسه وخروجه " . " عدم التردد او التباطؤ عندما يطلب منك شيئاً بل احرصي على تقديمه بحيوية ونشاط " . " اشعريه دائماً ان واجباته هي الاولوية الاولى مهما كانت مسؤولياتك واعمالك " .

وهكذا !!!!

فقد تكون المرأة مهندسة او طبيبة او استاذة جامعية ومع ذلك عليها " الوقوف بين يديه " لحظة ارتدائه لملابسه حتى ولو كان الزوج رجلاً أجرب ! لماذا ؟ ... لأنه ... " تذكري دائماً ان الزوج وسيلة نتقرب بها الى الله تعالى " !.. وكاتب النصائح السابقة العتيد ، لا يكتفي بالطلب من المرأة بتحويل نفسها الى جارية مهمتها خدمة الذكر فقط إنما يطلب منها (و يا لوقاحتها !) بعد ان يغلف السم بالعسل ان تقوم بتعميم هذه الثقافة المتخلفة عن باقي بنات جنسها ، بعد إلباس هذه الثقافة لبوساً دينياً كاذباً ...

فيكتب : " تعرفي على الفقه الدعوي الذي يساعدك على التحرك بسهولة وحكمة في الوسط النسائي حتى تحققي الأهداف المطلوبة في الوقت المطلوب دون إضاعة وقت " . والمقصود بالفقه الدعوي ، الفقه الذي اطلقه اصحاب العمائم كي يستخدموه في تخدير عقل المرأة واطهار بأن أية محاولة للتححرر هي كفر في كفر .

" احرصى عند متابعة عملك مع اخواتك ان تخاطبي القلب قبل العقل لمناسبة ذلك مع الطبيعة النسائية " . لماذا؟! وهنا احدى الخرافات التي يروج لها اصحاب " الفكر " الذكوري ألا وهو ان المرأة لا تستخدم عقلها (إن هو وجد اصلاً برأيهم) في حكمها على الامور بل تعتمد على عاطفتها

وفي السنوات الأخيرة اخذت حلقات الدروس (الدينية) في الاتساع والانتشار وبدأت (الشيخات) في لم النسوة حولهنّ لتعليمهنّ اصول طاعة الزوج والامتثال له لأن في ذلك طاعة الخالق ! . كذلك تلقينهنّ - باسم الدين - أنهنّ ناقصات عقل ودين وبأن قدرهنّ المكتوب هو الانجاب والارضاع والسهر على راحة بيوتهنّ وبأن طلبهنّ العمل خارج المنزل وطلبهنّ العلم في المدراس والجامعات إنما هو رجس من عمل الشيطان .

وهكذا نجد بأن الذكر يطلب من المرأة ان تُعلم النساء الأخريات كيفية استلاب انفسهنّ وقهر تطلعاتهنّ التحررية .. هذا بينما هو يقهقه في نفسه ساخراً!...

" فتيات غيشا " فاضلات :- تحدث " ول ديورانت " في موسوعته الضخمة (قصة الحضارة) عن مجموعة من العاهرات اليابانيات يطلق عليهنّ " فتيات الغيشا " ... كانت هناك مؤسسة تشرف على انقضاء هؤلاء العاهرات منذ الصغر فتعلمهنّ مختلف طرق الاعتناء بجمالهنّ ولباسهنّ ... والأهم من هذا إن هذه المؤسسة كانت تعلمهنّ ايضاً مختلف فنون الشعر والغناء والعزف على الآلات الموسيقية ... وكان هناك اساتذة مختصون بتعليمهنّ شتى ضروب الثقافة والأدب! وباختصار ، كانت فتاة الغيشا تتخرج من هذه المؤسسة وهي في الرابعة

عشر من عمرها وهي تمتلك مؤهلات ثقافية وفنية رفيعة المستوى ... وكان الهدف في النهاية تقديمهنّ للترقية عن الزبائن الاقطاعيين والتجار الموسرين وكبار المسؤولين ... ويأتي الجنس كتحصيل حاصل . وهذا ما يميزهنّ عن باقي المومسات العاديات ... طبعاً الأجور في هذه الحالة تكون اعلى بكثير من اجرة المومس العادية

كانت " فتاة الغيشا " تحاول في بداية دخولها على " الزبون " معرفة ميوله واهتماماته ماذا يحب وماذا يكره ... أي نوع من الموسيقى يرغب ... نوع العطر الذي يفضله ... الخ وذلك كله كي تقدم خدماتها على اكمل وجه فيخرج الرجل راضياً منبسطة الأسارير . طبعاً هذه كانت مهمة " فتاة الغيشا " اليابانية في العصور القديمة ... أي اسعاد الرجل وكسب رضائه وكانت تؤدي هذه المهمة مقابل اجر .

المنتقاة لمختلف انواع الفنون والثقافة وكان سعر الجارية يتحدد بناءً على ما تملكه من مؤهلات جسدية وثقافية ترضي السلاطين والموسرين . (كتاب الأغاني) .

بالعودة الى كاتب النصائح والتي يعتبرها كدرر ثمينة – نجده وكأنه يطلب من زوجاتنا جميعاً ان يتحولن الى " فتيات الغيشا " او جاريات من جوارى السلطان ... لا همّ لهنّ سوى إسعاد الزوج والترفيه عنه ونيل الرضا ، دون النظر الى حاجتهنّ الداخلية النفسية والعاطفية ... المهم نيل الرضا ...!!

" انت ريحانة بيتك فأشعري زوجك بعطر هذه الريحانة منذ لحظة دخوله البيت " " كوني كل ليلة عروساً له ولا تسبقيه الى النوم إلا للضرورة " " تذكري دائماً انوثتك وحافظي عليها وعلى أظهرها له بالشكل المناسب والوقت المناسب "

طبعاً بعد ان تفني المرأة جسدها بالطبخ وتنظيف المنزل واداء الاعمال المنزلية اللامتناهية ، عليها بعد ذلك ان تكون " ريحانة " فواحة العطر ... وما بلك ايضاً بالمرأة العاملة خارج المنزل والتي يتطلب عملها في احيان كثيرة ساعات عمل الزوج هل من الواجب عليها بعد عودتها وقد هدّها التعب وزخ منها العرق ان تتحول الى " ريحانة " ! وكل ما على الزوج إلا ان يأتي ويشمها ...!؟

أخت رجّال :- حين يمتدح شخص ما امرأة يقول عنها " اخت رجّال " ! ... فهو يعني بداهة بأن الصفات الحميدة تنطبق على جنس الرجال فقط . اما الصفات السلبية والمنحطة فهي من اختصاص النساء . فالمرأة هي الخطيئة والشيطان والإثم والأفعى وناقصة العقل ... الخ ونجد كثيراً من الكُتاب ممن يجاهرون بعدائهم للمرأة وكرههم لها ، يتفننون بكتابة المقالات التي تخض على احتقار

المرأة والحط من شأنها . ثم ينتبه احدهم فجأة ويتذكر بان الأم هي امرأة ايضاً ...
فيشعر بتأنيب الضمير ويسارع الى القول : " لا ... الأم حاجة ثانية خالص " !!
وكيف ذلك؟! فيقول : الأم هي الخصب والعطاء .. هي الوطن .. هي الرمز ..
الخ من هذه الخزعبلات .

طيب والأخت والأبنة والزوجة وأبنة الجيران ، ألسن امهات ايضاً!..

- بلى لكني اعني امي فقط !

- عدم المؤاخذه ، هذا نفاق بيّن ...

واعظم نفاق شائع في هذه الأيام ما نراه من مبالغة في الاحتفال بـ (عيد الأم)
... وكذلك اعياد المرأة ... وغيره من الرشاوي المقدمة للمرأة والتي ظاهرها
تكريم وباطنها شيء اخر .

بعد ان تفني المرأة عمرها كله في خدمة اولادها وزوجها والاهتمام بها على
حساب جسدها وروحها وعقلها وبعد ان تنسى تماماً بأنها إنسان ومن حقها ان
لهؤلاء ان تقول :- اعظم تكريم للأم هو النضال في سبيل تحرير المرأة ككل .
ومن البديهي بأن من يطالب بحرية النساء يتوجب عليه ان يدفع ثمن هذه المطالبة
وهذا الخروج عن تقاليد ونواميس المجتمع المتخلف المحيط به وان يتخلى عن
الامتيازات المغرية التي يوفرها له وضعه كذكر فأن لم يفعل يصبح عندها
إنساناً متفذلماً متحذلقاً ومنافقاً .

واخيراً ، لا بد لنا من التأكيد على المطالبة والعمل على تحرير المرأة لا يمكن
النظر اليه على انه صراع جنسي محض بين الذكر والانثى ، إنما يأتي في سياق
النضال من اجل تحرير المجتمع ككل من جهله وظلاميته وتخلفه وعبوديته وكل
اشكال الاستبداد . [امجد الرفاعي . www.ahewar.org]

حقوق المرأة بين الشعار والممارسة

أثار تقرير الامم المتحدة تحت عنوان " العدالة للمرأة " الكثير من الشكوك في
العالم العربي حول توقيت التقرير ... وكما هي العادة احتلت نظرية المؤامرة في
الذهنية العربية مركز الصدارة ... وترددت الأسئلة الفورية ... لماذا اختارت
الامم المتحدة هذا التوقيت ونحن في خضم انشغالنا بالثورات ضد الظلم
والاستبداد ... ولماذا التركيز على حقوق المرأة ولماذا تحاول اظهار المرأة

العربية بمظهر الخاسر الأكبر في كل ثوراتنا ... هل هي خطة لإحباطنا ام هي خطة للتخلي عن ثوراتنا؟؟ تطرق التقرير للمشاكل التي تعاني منها المرأة في المجتمعات النامية ... والتي تحد من تطور المجتمع وتقدمه وتصيب عملية التقدم بالشلل التام ... فالمرأة وفي معظم المجتمعات تمثل ٥٠% منها ... وهي حجر الأساس في التنمية الإنسانية والاجتماعية لكل المجتمعات ... فمسئولياتها عن ثقافة وتطور الجيل الجديد تتعدى مجرد وجودها في المنزل لتلبية الحاجات الطبيعية التي تتطلبها رعاية اسرتها ... ولكن ما تغفل عنه العديد من الدول النامية هو ان حماية حقوقها وحماية كرامتها الإنسانية هي مفتاح تربية جيل سوي قادر على مواجهة الحياة بإحساس جديد ومسؤولية مشتركة ... في عالم منفتح الحدود ...

تحدث التقرير عن نسبة النساء العاملات في المجتمعات ... وان عدم وجود او انعدام قوانين عمل واضحة لحماية المرأة تضع المرأة في وضع غير صحي نفسياً حين لا تأمن على وظيفتها خاصة حين تكون العائل الوحيد لأطفالها وان احتمال تعرضها للفصل التعسفي حماية لوظيفة الرجل يعرضها لعدم الشعور بالأمان ويضاعف من خوفها من الرجل والعمل على طاعته ... إضافة الى تدني اجرها بنسبة ٣٠% عن اجر الرجل .

ايضاً " وكما يحدث في العديد من الدول العربية " حرمانها من العمل بتأثير ثقافة معينة الهدف منها حمايتها ولكنها قاصرة عن رؤية العواقب النفسية التي تواجه المرأة حين تصبح عالية على الرجل " الأبن والأخ والزوج والأب " ولا يستطيع العمل إما تحت تأثير تلك الثقافة او لحرمانها من التعليم ... والأهم ايضاً تربيتها في ظل ثقافة تمنعها من تحقيق ذاتها ولكن هذه الثقافة ايضاً ترفض مساواتها مع الرجل بحيث وفي حالة طلاقها تحصل على ملائم مؤخرها يهز كيانها النفسي والمعنوي ويجعلها مرة اخرى طيعة لرغبات الرجل .

اهمية تعليم المرأة حتى لا تصبح عالية على الرجل مهما كانت قرابة هذا الرجل وكما ورد في تقارير سابقة من السعودية تؤكد ارتفاع نسبة الأمية بين النساء في بلد يعتبر من اغنى دول العالم في الدخل القومي كما وأكدت تقارير سابقة ان الأميات في سوريا تجاوزت ٦٠% وبالتأكيد تتفاوت هذه النسبة في دول عربية الى اخرى ولكن للأسف الأمية لا زالت موجودة !!

الأمر الآخر في التقرير هو مشكلة العنف الأسري .. وهو موجود في كل المجتمعات فلقد اورد التقرير هناك ملايين النساء اللواتي يعشن في دول لا تعتبر العنف ضد المرأة جريمة ولكن المشكلة التي تواجه المرأة في العالم العربي ان هذا العنف مرخص له دينياً بحيث ترسخ في الثقافة العربية بأن المرأة بحاجة الى تأديب ... إضافة الى تبريره المستمر من فقهاء الدين ... واكبر الأمثلة على ذلك دخول القرضاوي قبل سنوات في حوار من اجل تبريره في هولندا بأن يكون خفيفاً ولا يؤذي ولا يترك اثر ... وغيره من التبريرات التي ترخص لجميع ذكور العائلة بأن يمارسوا العنف ضد المرأة بحيث تتربى الأبنه في جو مليء بالعنف تمهيداً لتقبله صاغرة في حياتها القادمة !!

لقد اثبتت تقارير رسمية سابقة بأن هناك اكثر من ٧٤١٩ حادث عنف تعرضت له المرأة الجزائرية خلال عام ٢٠١٠ ... إضافة الى النتائج التي قامت بها احدى المنظمات السعودية والتي اكدت بأن ٩٣% من السعوديات يتعرضن للعنف من ازواجهن ... وإن هناك انتشار واسع لكل انماط العنف الأسري كالعنف اللفظي والجسدي والاجتماعي والصحي والإهمال تتعرض لها المرأة السعودية ... والأدهى هو ما كشفه تقرير اردني سابق بأن ٨٠% من النساء في الاردن يقبلن بالضرب من ازواجهن ... هذا العنف الذي يجد مبرراته عوّدت المرأة على الخنوع والاستسلام مما أنشأ لديها نوع من ردة الفعل السلبية تجاه كل ما حولها وقتل عندها روح التساؤل والتمرد وفضلت التعايش مع الأمر الواقع والدليل ان هناك العديد من النساء اللواتي يتعرضن للضرب والإهانة وحتى الاغتصاب ومع ذلك لا يقمن بالإبلاغ خوفاً من الفضيحة وخوفاً من القتل ... إن قبول المرأة بالأمر الواقع وعدم شعورها بالظلم يربي عندها نفسية غير سوية وغير قادرة على تربية جيل سوي جديد بل مرة اخرى تربي في الذكر الإحساس بالفوقية وتربي في الأنثى الإحساس بالدونية وتستمر دائرة العنف ...

العنف ايضاً يأخذ اشكالاً اخرى في البلاد العربية ... مثل قتل المرأة في جرائم الشرف ... وفي تزويجها رغماً عن ارادتها ... وفي تعدد الزوجات والطلاق التعسفي ثم الاستيلاء على نصيبها من ورث ابوها ... وخوفها من اللجوء الى القضاء ... والملفت للنظر ان العنف بأشكاله (النفسي والجسدي) الممارس على المرأة والذي يجد مبرراته كما ذكرت سابقاً . بحيث انه يمنع رجال الأمن من

التعاون مع المرأة إذا ما تقدمت ببلاغ ... وفي كثير من الاحيان تعود المرأة الى بيتها خوفاً وسترأً للفضيحة وهو شكل من اشكال التمييز ضدها .

أما بالنسبة لزواج القاصرات والذي ذكره التقرير وهو ايضاً موجود في بعض الدول النامية الأخرى ... ولكن اثبتت التقارير الواردة من الدول العربية بأن تفشي ظاهرة زواج القاصرات موجودة في العديد من الدول العربية . وتتفاوت الأسباب لتزويج القاصرات من دول الى اخرى ... في مصر تزداد وتروج هذه الظاهرة خلال موسم الصيف حيث تعمل الأسر الفقيرة على تزويج الأبنوة القاصرة لأغنياء الصيف القادمين من الدول النفطية الغنية هرباً من الفقر . بينما يعمل بهذه العادة بكثرة في اليمن . واعتقد ان زواج بعض رجال الدين بفتيات اصغر منهن كما في زواج الشيخ القرضاوي بالطفلة اسماء التي يكبرها بستين عاما وتصغر احفاده في العمر يمنع من الحد من هذه العادة القبيحة لأنه يبرر في العقل العربي التمثل بهؤلاء واعتبارهم قدوة صالحة .

ثم ذكر في التقرير حرمان المرأة من الوصول للمراكز القيادية سواء في المجالس البلدية او في المراكز السياسية... واعتقد ان العديد من الدول العربية وأن اعتمدت الى عملية تجميلية بإعطاء المرأة مثل هذه الفرصة سواء ملكي او اميري او بالانتخاب ... تبقيا وفي كثير من الاحيان مجرد مظهر خارجي ولا تعطى لها صلاحية او استقلالية في أي من قراراتها (نظراً لغياب الديمقراطية الحقة) فما زالت المرأة رغم وصولها الى مراكز القرار ورغم دخولها البعض من مجالات التكوين الاجتماعي تعاني من الاضطهاد والقمع والتمييز لدرجة انها فقدت الثقة بنفسها كعضو فاعل وخوفها الدائم من الفصل ... والمؤسف بأن الأقلية من النساء اللواتي وصلن الى بعض من هذه المراكز القيادية لا يعطين الوقت والجهد الكافي لمساعدة المرأة الأخرى للنهوض ... واحياناً يعملن على تحجيم الأخريات وخاصة المنافسات منهن مما يؤكد المثل القائل بأن المرأة عدوة نفسها ...

اما في موضوع المساواة بين الجنسين ... فالعديد من الدول العربية تنتهك توقيعها على الاتفاقية العالمية المناهضة للتمييز ضد المرأة . فالثقافة التي ربت المرأة على انها مخلوق ناقص الأهلية وكرّست من خلال وسائل الاعلام ومناهج التعليم على دونيتها وفرضت عليها الولاية في كل امورها بحيث لا تستطيع اخراج شهادة ميلاد لابنها بدون موافقة ولي الامر ... لهي ثقافة جذرت لعدم

المساواة ولقد تعرضت السعودية لانتقاد شديد في مؤتمر جنيف قبل سنوات بسبب عدم المساواة ... والمثل الاكبر على ذلك حرمان المرأة السعودية من قيادة السيارة بينما وبالطبع يتمتع الرجل بهذا الحق بدون أي سؤال ... إضافة الى ان عدم السماح للمرأة بمنح جنسيتها لأولادها من زوجها برجل من جنسية اخرى هو اكبر مثال على محاباة معظم القوانين المعمول في المنطقة العربية للرجل . فالمرأة تراث النصف وشهادتها النصف وديتها النصف برغم انها النصف الأساسي في أي مجتمع !!

تعددت الاسئلة ولكني اعتقد ان الاجابة واضحة ... محاولة الامم المتحدة لفت الانتباه الى قضية المرأة التي تعتبر حجر الاساس في التحول الديمقراطي خاصة ونحن نشاهد يومياً بان أي من هذه الانتفاضات العربية لم تثمر حتى الان بتعديلات دستورية واضحة في موضوع حقوق المرأة فلا يزال المد والجزر في المواد الدستورية يراوح مكانه ... حقيقة ان البعض يزعم تُعامل كمواطن كامل الحقوق والواجبات في القانون ولكن الحقيقة والواقع يؤكدان انها تعامل كمخلوق ناقص الاهلية في مواد هذا القانون وان هناك تناقضاً صارخاً ما بين الدستور والقوانين المعمول بها فبينما تنص بعض مواد الدستور على المساواة (اللفظية والشكلية) في الحقوق تخضع المرأة لقانون الاحوال الشخصية المستمدة من احكام القوانين العثمانية التي عفا عليها الدهر وشرب والمستمدة من قوانين الشريعة الاسلامية فعلى سبيل المثال الدستور الذي منح المرأة اخيراً الحق في ان تكون قاضية تصدر احكاما على الرجل " وهم قليلون جداً في المنطقة العربية " لا زالت هذه المرأة لا تؤمن على شهادتها وبحاجة لشهادة امرأة اخرى لتكون مساوية لشهادة رجل واحد ربما يكون في مستوى اقل من كلاهما علماً وثقافة إضافة الى حرمانها من الوصاية على اولادها حتى وان كانت هي المتكلفة بهم مادياً وبينما وقعت العديد من الدول العربية على الاتفاقيات المرأة الدولية التي تنادي بالمساواة بين الجنسين . لازالت معظم الدول العربية تعتبر المرأة ناقصة الاهلية وبحاجة الى ولي ليأذن لها بالسفر او الزواج . إضافة الى حرمانها من الحق في الترشيح والانتخابات في بعض الدول الخليجية .

إن غياب دور فعال للمرأة والانتهاك المستمر لحقوقها وتبرير ظلمها هو احد اسباب ظاهرة العنف المنفشية في المجتمعات الاسلامية والعربية وان ظلم المرأة له اثر على تكوين مجتمع يتسم بالعنف ويقبله وان تراكمات هذا العنف تؤدي

حتماً الى الكثير من اشكال الارهاب . ان المنطقة العربية مقبلة على تسونامي من الثورات الفكرية لإعادة تأهيل المجتمعات العربية قبل ان تترسخ الديمقراطية والمفتاح هو المرأة . [احلام اكرم . www.musawah.net]

٣ / خ - تعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة في المجتمع العربي

احرزت المنظمة العربية تقدماً فيما يتعلق بظروف الحياة للنساء فمعدلات الخصوبة ووفيات قد انخفضت كما ان الام النساء بالقراءة والكتابة وحصولهن على كل مستويات التعليم تطور بشكل ملحوظ وقد حققت معظم الدول العربية تطوراً ملحوظاً في إزالة الفجوة بين الجنسين لجهة الالتحاق بالتعليم وخاصة بالتعليم الابتدائي بالرغم من التباينات بين البلدان ومجموعة البلدان . وقد ارتفع مؤشر المساواة بين الجنسين الذي يقيس نسبة البنات الى البنين في كل مراحل التعليم في معظم الدول العربية وتحقق هذا التطور في ظل تباينات ملحوظة لا تزال موجودة بين المجموعات الثلاث الأكثر نجاحاً وهي دول مجلس التعاون الخليجي ودول المغرب العربي وطول المشرق العربي وبين الدول الأقل نمواً . وشهدت المنطقة العربية إصلاح العديد من التشريعات التي تميّز بين المرأة والرجل ووضعت قوانين جديدة لحماية المرأة وزيادة مشاركتها في الحياة العامة وعلى الرغم من الانجازات التي تحققت في الحصول على التعليم تظل المشاركة الاقتصادية والسياسية للمرأة منخفضة في المنطقة العربية .

لمحة عامة :- على مدار العشرين عاماً الماضية شهدت المنطقة العربية تقدماً في تحسين وضع المرأة بشكل عام وخاصة في الصحة والتعليم فقد استثمرت اغلب الدول العربية في مجال جودة التعليم بإصلاح المناهج الدراسية . وتبنت استراتيجيات وطنية التعليم تضمن إتاحة التعليم العام المجاني لكل المواطنين دون تمييز إضافة الى تحسن جودة التعليم بإصلاح المناهج وتأهيل وتطوير قدرات المدرسين والوسائل التعليمية والبيئة المدرسية . كما وسعت نطاق تقديم الخدمات الصحية العامة وإتاحتها وتحسين مستواها . ومن ثم لوحظ تحسن لافت في المؤشرات الاجتماعية وارتفع متوسط عمر المرأة وانخفضت معدلات الخصوبة

ومعدلات الخصوبة ومعدلات وفيات الامهات . وتحسن معدل الإلمام بالقراءة والكتابة بين النساء وكذلك فرص الالتحاق بالمدارس في جميع مراحل التعليم . كما ارتفع مؤشر المساواة بين الجنسين الذي يقيس نسبة البنات الى البنين في كل مرحلة من مراحل التعليم في معظم الدول العربية . غير ان ذلك تحقق في ظل تباينات ملحوظة لا تزال موجودة بين مجموعات البلدان التي نجحت في احراز تقدم ، وهي دول مجلس التعاون الخليجي ودول المغرب العربي ودول المشرق العربي والدول العربية الأقل نمواً . كما شهدت المنطقة اصلاحات تشريعية إذا اعتمدت الدول تعديل العديد من القوانين التي تنطوي على تمييز ضد المرأة وكذلك سنّ القوانين التي تنطوي على تمييز ضد المرأة وكذلك سنّ قوانين جديدة لحماية المرأة وضمان زيادة مشاركتها في الحياة العامة . وعلى الرغم من تلك الانجازات لا تزال المنطقة متأخرة فيما يتعلق بمشاركة المرأة في الحياة العامة حيث سجّل ادنى المعدلات في العالم لمشاركة المرأة في سوق العمل والتمثيل السياسي . وفي الحقيقة تشارك اقل من ثلث النساء العربيات في القوى العاملة . بينما لا يمثل معدل مشاركة المرأة وتمثيلها في البرلمانات سوى ١٠% (شباط / فبراير ٢٠١٠) بالإضافة الى ذلك لا يزال العنف ضد المرأة بجميع اشكاله خاصة في الدول التي تعاني من النزاعات مثل العراق والسودان والأراضي الفلسطينية المحتلة بشكل عائقاً خطيراً امام تقدم المرأة .

تناولنا هنا التقدم الذي احرزته الدول العربية في تحقيق الهدف الثالث من الاهداف التنموية للألفية . كما نلقي الضوء على التحديات الرئيسية التي من الضروري معالجتها في المنطقة ويشتمل الهدف التنموي الثالث على غاية واحدة وثلاث مؤشرات عن الوصول الى التعليم والمشاركة الاقتصادية والتمثيل السياسي ومع ذلك ادراك متزايد بأن الغايات والمؤشرات التي تشكل إطارها هذا الهدف محدودة جداً بحيث لا تكفي لتغطية المواضيع المتشعبة المتعلقة بالمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة (تم طرح مقترحات لوضع " منظور إضافي للهدف الثالث من الاهداف التنموية للألفية " يضع الاعتبار عوامل مؤثرة اخرى مثل العنف ضد النساء والزواج المبكر وعدم المساواة في الحصول على اراضي وممتلكات والنصيب غير المتساوي من اعمال الرعاية غير مدفوعة الأجر التي تقوم بها المرأة) ويعتمد التقدم في جميع الاهداف التنموية للألفية على التقدم في تحقيق المساواة بين الجنسين ودعمها في كل الاهداف التنموية الأخرى على

تسريع التقدم نحو تحقيق الهدف التنموي الثالث وبالإضافة الى ذلك من المهم ايضاً تسليط الضوء على الظواهر العالية مثل ازمات الغذاء والأزمات الاقتصادية / المالية نظراً لتأثيرها على المنطقة العربية الذي قد يؤدي الى تبيد المكاسب التي تحققت في الاعوام الأخيرة وتعميق عدم المساواة بين الجنسين على المستويين الوطني والإقليمي .

١- إزالة التفاوت بين الجنسين في التعليم الابتدائي والثانوي ويفضل ان يكون ذلك بحلول عام ٢٠٠٥ وفي كل مراحل التعليم في موعد لا يتجاوز سنة ٢٠١٥

نسبة البنات الى البنين في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي :- يقيس هذا المؤشر التقدم الذي احرز في المساواة بين الجنسين في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي ويستعرض التقدم الذي احرزته الدول العربية في مراحل التعليم الثلاث المختلفة . ثم يلقي الضوء على التحديات الرئيسية التي تواجهها المنطقة ومع المهلة المحددة بعام ٢٠٠٥ لإزالة التفاوت بين الجنسين في التعليم الابتدائي والثانوي قد انتهت . يبقى تحقيق المساواة بين الجنسين في التعليم في المجالات التي شهدت تقدماً في المنطقة العربية .

التعليم الابتدائي :- احرزت معظم الدول العربية تقدماً في إزالة التفاوت بين الجنسين في الالتحاق بالتعليم وخصوصاً في التعليم الابتدائي مع ان الاختلافات بين البلدان ومجموعات البلدان لا تزال قائمة . نجحت بعض الدول العربية في سد الفجوة بين الجنسين في معدلات الالتحاق بالتعليم الابتدائي حتى ان معدلات التحاق البنات تجاوزت نسبة ١٠٠% في عام ٢٠٠٧ كما في عُمان والاردن والاراضي الفلسطينية المحتلة وقطر وموريتانيا والمملكة العربية السعودية . وأوشكت دول عربية اخرى تحقق هذه المساواة بين الجنسين حيث تجاوزت معدلات التحاق البنات بالتعليم ٩٠% في دول مثل قطر والامارات العربية المتحدة والبحرين والكويت وليبيا ولبنان وتونس والجزائر والجمهورية العربية السورية ومصر ورغم الجهود التي تبذلها دول مثل السودان والمغرب وجيبوتي وجزر القمر والعراق والمكاسب التي حققتها هذه الدول لتضييق الفجوة بين البنين والبنات . فلا يزال من الضروري بذل المزيد من الجهد لكي تتمكن من تحقيق هذا الهدف بحلول عام ٢٠١٥ لأن معدل التحاق البنات بالتعليم الابتدائي لا تزيد

عن ٨٠% . اما في اليمن فلا تتعدى نسبة قيد البنات ٧٣% غير ان اليمن حقق تقدماً ملحوظاً حيث زادت نسبة البنات الى البنين من ٥٠% في عام ١٩٩٠ الى حوالي ٧٣% في عام ٢٠٠٥ . وعلى صعيد مجموعة البلدان سجلت مجموعة بلدان مجلس التعاون الخليجي اعلى نسبة في عام ٢٠٠٠ في التحاق البنات بالتعليم الابتدائي حيث بلغت ١٠٦% تليها مجموعة المشرق العربي بنسبة ٩٣% وتأخرت مجموعة الدول الأقل نمواً حيث بلغت نسبة التحاق البنات بالتعليم الابتدائي ٨٢% في عام ٢٠٠٠ .

التعليم الثانوي :- حققت معظم الدول العربية تقدماً نحو تحقيق المساواة بين الجنسين في معدلات الالتحاق بالتعليم الثانوي وتمكنت عشر دول (المملكة العربية السعودية ، الامارات العربية المتحدة ، البحرين ، الكويت ، ليبيا ، لبنان تونس ، الاردن ، الأراضي الفلسطينية المحتلة والجزائر) من سد الفجوة بين الجنسين حيث تجاوزت نسبة الالتحاق البنات الى البنين ١٠٠% في السنة ٢٠٠٧ وتقترب بعض الدول العربية من تحقيق المساواة بين الجنسين في التعليم الثانوي . حيث تزيد نسب التحاق البنات بالتعليم الثانوي عن ٩٠% في دول مثل قطر ، عُمان ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية السورية ، مصر و السودان ولا تزال المغرب وموريتانيا في منتصف الطريق إذ حققنا نسبة بلغت حوالي ٨٥% و ٨٨% في عام ٢٠٠٧ ولا تزال الطريق طويل امام جيبوتي والعراق وجزر القمر ، حيث تتراوح نسبة البنات الى البنين بين ٦٩% في جيبوتي و ٧٦% في جزر القمر وكانت الدول الثلاث تتحرك ببطء شديد نحو تحقيق هذا الهدف خلال الفترة من ١٩٩٠ الى ٢٠٠٥ ومع ان اليمن سجل ادنى نسبة ٥٠% في عام ٢٠٠٥ في المنطقة بأسرها . فتقدمه نحو تحقيق الهدف كان سريعاً حيث ارتفعت نسبة البنات الى البنين من ١٤% في عام ١٩٩٠ الى حوالي ٥٠% في عام ٢٠٠٥ .

وعلى صعيد مجموعة البلدان سُجّلت زيادة ملحوظة في معدل التحاق بالبنات بالتعليم الثانوي فقد ارتفع معدل التحاق البنات بالتعليم في مجموعة دول المغرب العربي من ٨٤% في عام ١٩٩٠ الى ١٠٠% في عام ٢٠٠٠ وفي مجموعة دول مجلس التعاون الخليجي من ٨٢% في عام ١٩٩٠ الى ٩٤% في عام ٢٠٠٠ وفي مجموعة دول المشرق العربي من ٧٣% في عام ١٩٩٠ الى ٩٠% عام ٢٠٠٠ .

التعليم العالي :- شهد التحاق البنات بالتعليم العالي تقدماً ملحوظاً في الدول العربية بل ان معدل الالتحاق في بعض الدول مثل قطر والامارات العربية المتحدة والبحرين والكويت تجاوز ٢٠٠% عام ٢٠٠٧ وتمكنت معظم الدول من سد الفجوة بين الجنسين وتجاوزت معدلات التحاق البنات بالتعليم العالي ١٠٠% وذلك في دول مثل ليبيا و عُمان والمملكة العربية السعودية ولبنان وتونس والاردن والأراضي الفلسطينية المحتلة والجزائر ، ويعزي ذلك الى اسباب متنوعة منها تغير الممارسات الثقافية وتغير نظرة المجتمعات العربية للمرأة ودورها في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ودخول المرأة المتزايد الى سوق العمل من اجل المدفوع الأجر . وكان نقص فرص العمل وشدة المنافسة من العوامل التي عززت توجه المرأة نحو تحقيق مستويات تعليمية افضل تتيح لها فرصاً افضل للحصول على العمل . ولا تزال الجمهورية السورية ومصر والمغرب والسودان على الطريق نحو سد الفجوة بين الجنسين في التعليم العالي إذ تتراوح نسبة البنات الى البنين في التعليم العالي بين ٩٢% في السودان و ٨٦% في مصر . وشهدت جيبوتي والعراق انتكاسة خطيرة خلال الفترة من ١٩٩٠ الى ٢٠٠٥ خصوصاً العراق حيث انخفض معدل التحاق البنات بالتعليم العالي بشكل حاد من ١٠٤% في عام ١٩٩٠ الى ٥٩% في عام ٢٠٠٥ لأسباب متنوعة منها الاوضاع الأمنية وفي جيبوتي انخفضت النسبة بسرعة اقل من ١٠٠% في عام ١٩٩٨ الى ١٩% في عام ٢٠٠٧ ويسجل ادنى معدل التحاق البنات بالتعليم العالي في موريتانيا واليمن حيث وصلت النسبة الى ٣٦% و ٣٧% في عام ٢٠٠٦ على الترتيب .ويؤدي عدم توفر البيانات الكافية الى صعوبة في تحديد اتجاهات على مستوى مجموعات البلدان ورغم ذلك فإن مجموعتي مجلس التعاون الخليجي والمغرب العربي حققنا ما فاق التوقعات في تضيق الفجوة بين نسب التحاق البنين والبنات بالتعليم العالي بينما لا تزال الطريق طويلاً امام مجموعة الدول الأقل نمواً .

لا يزال الفقر يمثل تحدياً كبيراً وعائقاً رئيسياً امام المساواة بين الجنسين في التعليم الابتدائي والثانوي في المنطقة العربية . ففي المناطق الريفية يرتفع معدل تسرب الفتيات من المدارس ربما للعمل في المنازل او العمل في المزارع او ربما نتيجة للزواج المبكر او انتشار الفقر . وتتسرب الفتيات عادة من المدارس

الثانوية او يتغيبن لأسباب مثل بُعد المدرسة عن المنزل او قلة المرافق الصحية او عدم اهليتها أو فقدان الأمن في دول مثل العراق والأراضي الفلسطينية المحتلة ازدياد التحاق البنات بالتعليم ليس كافياً وفقاً لإعلان بيجين ومنهاج العمل فلا بد من تحسين جودة التعليم والقضاء على جميع صور التمييز والآراء النمطية عن النساء والبنات في المناهج المدرسية ومن ثم من الضروري ان تركز الدول العربية مواردها وجهودها لا على تحسين نسب الالتحاق بالتعليم والاستمرار فيه فحسب بل ايضاً على تنقيح المناهج الدراسية ويجب توجيه اهتمام خاص للبنات والنساء في الدول العربية الأقل نمواً حيث تعتبر مستويات الالتحاق بالمدراس الأكثر انخفاضاً وكذلك للمجتمعات الريفية والزراعية حيث امكانية الالتحاق بالتعليم تكون محدودة عادة .

٢- حصة النساء في الاعمال المدفوعة الأجر في القطاع غير الزراعي

يقيس المؤشر الثاني للهدف التنموي الثالث حصة النساء من الاعمال المدفوعة الأجر في القطاع غير الزراعي والتركيز على القطاع غير الزراعي يبين فوائد دمج المرأة في الاقتصاد النقدي من حيث الاستقلالية والقدرة على اتخاذ القرار في الأسرة والتنمية الشخصية . فعلى المستوى العالمي سجلت حصة النساء من الاعمال المدفوعة الأجر في القطاع غير الزراعي ارتفاعاً طفيفاً خلال العقد الأخير بحيث اصبحت تقدر نسبة ٤٠% من مجموعة العاملين في هذا القطاع . اما في المنطقة العربية فلا تتوفر بيانات شاملة عن هذا المؤشر وبالتالي من الصعب اجراء تقييم دقيق لأي تقدم على هذا الصعيد غير ان البيانات المتوفرة لعام ٢٠٠٤ تشير الى ان حصة النساء من الاعمال المدفوعة الأجر في القطاع غير الزراعي في الدول العربية تراوحت بين ١٢% في البحرين و٢٢% في المغرب وارتفعت في الاردن من ١٤% في عام ٢٠٠٠ الى ١٦% في عام ٢٠٠٩ وانخفضت في بعض الدول العربية في الفترة من ١٩٩٠ الى ٢٠٠٤ . ففي المملكة العربية السعودية انخفضت حصة النساء من الاعمال المدفوعة الأجر في القطاع غير الزراعي من ١٨% في عام ١٩٩٠ الى ١٦% في عام ٢٠٠٢ وفي الامارات العربية المتحدة من ١٦% في عام ١٩٩٠ الى ١٤% في عام ٢٠٠٠ وانخفضت ايضاً في قطر من ١٧% في عام ١٩٩٠ الى ١٦% في عام ٢٠٠٤ .

ولا تزال نسبة مشاركة المرأة في القوى العاملة في المنطقة العربية الأقل على مستوى العالم حيث بلغت ٢٢% وتساهم التشريعات التي تنطوي على تمييز بين الجنسين والفجوات في الأجور بين الجنسين وفقدان سبل إتاحة الموارد ، والحوجز الثقافية في انخفاض مستوى المشاركة الاقتصادية للمرأة وفي اعقاب الأزمة الاقتصادية العالمية في عام ٢٠٠٨ من المتوقع ان يعاني الشباب وخاصة الشابات من فقدان الفرص وقلة الامكانية الدخول الى اسواق العمل إضافة الى العقبات التي كنّ يواجهنّها في سوق العمل قبل الأزمة (منظمة العمل الدولية ٢٠٠٨) ويشير تحليل اتجاهات التوظيف وتوزيع القوى العاملة من النساء بين القطاعين العام والخاص الى ان القطاع العام كان لفترة طويلة القطاع الرئيسي لتشغيل المرأة في الكثير من الدول العربية . ولا يزال القطاع الخاص عموماً غير قادر على الاستفادة كفاية من المرأة فعمل المرأة في جزء كبير منه يتركز في قطاع الخدمات وهي لذلك بالنسبة للكثير من ارباب العمل في القطاع الخاص يُنظر للعبء المزدوج الملقى على كاهل المرأة المتمثل في كسب العيش ورعاية الأسرة إما على انه مكلف للغاية او عائق للإنتاجية . فعلى سبيل المثال في مصر والاردن يقضي قانون العمل ان يقوم ارباب العمل الذين لديهم عدد معين من النساء بتوفير حضانة في مكان العمل كما انه للنساء العاملات في مصر بفترتي راحة يومياً للرضاعة وبإجازة مدتها عامين لرعاية اسرهنّ . إلا ان تطبيق تلك المطالب يجلب مصاريف إضافية على ارباب العمل الذين يسعون الى تجنب تلك الحقوق بتعيين رجال او بتعيين نساء شابات غير متزوجات .

وثمة عامل اخر يساهم في تخفيض مستوى المشاركة الاقتصادية للمرأة في المنطقة العربية يتمثل في عدم التوافق بين التخصص التعليمي للمرأة واحتياجات السوق فمع ان التحاق النساء بالتعليم العالي هو في تزايد فهنّ لا يزلنّ يملنّ الى الاختصاصات الدراسية المرتبطة بالصحة والتعليم فيكون تحصيلهنّ استمراراً لأدوارهنّ المنزلية في رعاية الآخرين وهي ادوار لا تلقي التقدير اللازم في سوق العمل ويعتبر تشجيع المرأة على دخول مهن غير تقليدية مثل المهن العلمية والحرف الفنية من التحديات الرئيسية .

وفي هذا الإطار من الضروري ألا يقتصر مفهوم تعزيز المشاركة الاقتصادية على مجرد زيادة حصة المرأة في فرص العمل بل ان يشمل ضمان حق المرأة في توفير ظروف عمل لائقة بما في ذلك التساوي في الأجر مقابل التساوي في

العمل ولا تزال مسألة وجود فوارق في الأجور من الصور المتواصلة لعدم المساواة بين الجنسين في المنطقة العربية . إذ تتفاوت الأجور بين الدول ودواخل الدولة الواحدة وكذلك فيما بين القطاعات وعلى المستوى العالمي في اغلب الدول تتراوح اجور النساء ما بين ٧٠% و ٩٠% من اجور الرجل .

ووجدت دراسة اعدھا البنك الدولي في لبنان ان هناك فرقاً يبلغ ٢٧% في الأجور بين الموظفين من الرجال والنساء وان الفجوات بين الأجور قائمة في القطاع الواحد والمهنة الواحدة حتى بعد التعديل حسب اختلاف مستويات التعليم وبالإضافة الى التفاوت في الأجور بين الجنسين لا تزال التشريعات التي تنطوي على تميز بين الجنسين من حيث الضمان الاجتماعي وقوانين الضرائب والمعاشات والقوانين التي تقيد حرية تجول المرأة خارج المنزل ، كلها عقبات تعوق المشاركة الاقتصادية الفاعلة للمرأة وعلاوة على ذلك لا يزال ضعف تمثيل المرأة في المؤسسات العمالية مثل النقابات ونقص الوعي لدى النساء بحقوقهن في العمل من العوائق الرئيسية . كما ان بعض الدول العربية تفتقر الى وجود البنية التحتية المطلوبة لتشجيع النساء على دخول سوق العمل مثل شبكات النقل والمواصلات وتوفير دور الحضانة للأطفال . وعلى الرغم من تلك القيود فإن الاستثمار في مجال تعليم البنات في المنطقة قد ينتج نساء على مستوى عال من التعليم ممن حققن نجاحات كصاحبات اعمال يقمن بإدارة مشاريعهن الخاصة ... ولكن لا يزال عدم القدرة على الحصول على اعتمادات وموارد يمثل تحدياً رئيسياً بالنسبة لمعظم النساء في المنطقة العربية . وتشير المسوح التي يجريها مشروع البنك الدولي الى ان مشاركة المرأة في الملكية تقتصر على حوالي ١٨% من الشركات في الشرق الأوسط وشمال افريقيا فيها مقابل ٥٠% من الشركات في شرق اسيا والمحيط الهادي كما ان المتطلبات التنظيمية لتأسيس مشروع تجاري وتسجيله كثيراً ما تعرقل تأسيس المشاريع التجارية الصغيرة وهي الفئة التي يكثر نشاط المرأة فيها . بالإضافة الى ذلك تتخذ المصارف التي هي المصدر الرئيس للتمويل في المنطقة العربية موقفاً متحفظاً حيال منح القروض ومع ان التميز غير موجود من حيث المبدأ بين الجنسين في الحصول على التمويل لا تتمتع المرأة في بعض الأماكن بنفس الإمكانية المتاحة للرجل للحصول على ائتمان من المصادر الرسمية وقد ظهر هذا جلياً في دراسة البنك الدولي عن اصحاب المؤسسات والعاملين في لبنان (البنك الدولي ٢٠٠٧) حيث

تبين ان ٦٤% من الرجال اصحاب الاعمال قد مؤلوا مشاريعهم من القروض المصرفية مقارنة بـ ٤٨% من النساء . وفي الاردن وبحسب المصادر الرسمية تقدر نسبة النساء الحاصلات على قروض مصرفية ٥٥% وهي نسبة اعلى من نسبة الرجال الحاصلين على قروض ٤٥% . وفي مصر بحسب دراسة مهدي رشيد ٢٠٠٧ لم يسجل أي فرق بين النساء والرجال لجهة الحصول على قروض رسمية . إضافة الى ذلك تواجه النساء صاحبات المؤسسات الصغيرة والمتوسطة رفضاً لطلبات الحصول على القروض من البنوك بنسبة اعلى وعادة ما يطلب اليهن تأمين اقساط بمعدل ٢٥ - ٣٠% اعلى من القيمة المطلوبة من الرجال (دراسة المهدي ٢٠٠٧) كما انه في معظم الدول العربية تخصص نسبة عالية من قروض البنوك لسندات الخزينة مما يؤدي الى نقص في المبالغ المخصصة للقروض المخصصة لإقراض القطاع الخاص (المهدي ٢٠٠٦) .

٣- نسبة المقاعد التي تشغلها النساء في البرلمانات الوطنية

شهدت المنطقة العربية بعض التحسن في مشاركة المرأة في الحياة السياسية حيث وصلت نسبة تمثيل المرأة في المجالس النيابية الى ١٠% بعد ان كانت ٨% في عام ٢٠٠٦ إلا ان هذه النسبة لا تزال اقل بكثير من المتوسط العالمي ١٩% .

ومن اجل إتاحة فرص افضل امام المرأة تعتمد بعض الحكومات تدابير خاصة مؤقتة مثل نظام الحصص للإسراع في تضيق الفجوة وصولاً الى تحقيق المساواة للمرأة في الواقع وقد تبنت هذه التدابير الخاصة كل من الاردن ، تونس السودان ، العراق ، الأراضي الفلسطينية المحتلة ، مصر ، المغرب وموريتانيا . وفي هذا السياق شهدت الكثير من الدول زيادة عدد النساء في القاعدة الانتخابية والبرلمانات والمجالس المحلية وأدى العمل بنظام الحصص في البرلمانات الوطنية الى نتائج ايجابية فيما يتعلق بزيادة تمثيل المرأة في الحياة السياسية . فاعتباراً من شباط / فبراير ٢٠١٠ سجلت تونس اعلى مستوى في المنطقة العربية لتمثيل المرأة في البرلمان بنسبة ٢٨% ، يليها العراق بنسبة ٢٦% والامارات العربية المتحدة بنسبة ٢٢% والسودان ٢٥% في حين لا يوجد تمثيل للمرأة في المجالس التشريعية في قطر والمملكة العربية السعودية . ومن ناحية اخرى نتج عن التصديق على القانون الكويتي الذي يقر بالمساواة بين الرجال

والنساء عدد الاقتراع دخول خمس نساء الى البرلمان الكويتي لأول مرة في تاريخ الدولة . وفي قانون الانتخابات الجديد في الاردن لعام ٢٠١٠ ثم رفع حصة المرأة الى ١٢ مقعد عدا المقاعد التي تحصل عليها بالطريقة التنافسية . اما في مصر فأقر مجلس الشعب رفع عدد المقاعد البرلمانية التي تشغلها المرأة الى ٦٤ اعتباراً من انتخابات ٢٠١١ عدا المقاعد التنافسية .

وهناك عدة عوامل توضح انخفاض مستوى التمثيل السياسي للمرأة العربية إذ تعوق التوجهات الثقافية والصور النمطية حول دور المرأة عملية تمكين المرأة سياسياً . فلا تزال بعض القطاعات في المجتمع العربي ترى دور المرأة مقتصرأً على رعاية الأسرة وتربية الأطفال وربما العمل في مهن تعتبر امتداداً طبيعياً لأدوارها في الرعاية مثل التدريس والتمريض . ومن الناحية التاريخية كان التمثيل السياسي للمرأة في بعض انحاء العالم العربي مقتصرأً على تعيينات تشغل مناصب وزارية وبرلمانية . ونتيجة لذلك الواقع تفتقر المرأة بشكل عام الى الخبرة والمهارات المطلوبة للوصول الى مناصب قيادية ولذلك يجب ان تتضمن السياسات الخاصة بزيادة تمثيل المرأة في القيادة وتشكيل جماعات ضاغطة والانخراط ضمن الاحزاب السياسية .

علاوة على ذلك بما ان الاحزاب السياسية تكون الطريق الرئيس للمشاركة السياسية . تحتاج المرأة الى إتاحة الفرص والتشجيع على الانضمام الى تلك الاحزاب ، كما يجب تشجيع الاحزاب السياسية التي تتبنى تدابير خاصة مؤقتة مثل نظام الحصص لزيادة عضوية المرأة ومشاركتها في الدوائر الانتخابية عموماً والمجالس التنفيذية خصوصاً . وتعتبر الافكار الاجتماعية والعادات والتقاليد جزءاً من وضع المرأة في الحياة السياسية وتعد الأنظمة الانتخابية مؤشراً قوياً لزيادة التمثيل السياسي للمرأة . فالتمثيل النسبي يتيح فرصاً للمزيد من النساء للمنافسة والفوز اكثر مما تتيحه الأنظمة التي تعتمد على الاغلبية البسيطة لأن الدوائر الانتخابية ترشح اكثر من عضو حيث تخصص المقاعد بالتناسب مع نسبة الاصوات التي فازت بها الاحزاب مما يشجع على المزيد من التنوع في البرامج الحزبية والمرشحين ويوجد القليل من الانظمة الانتخابية في الدول العربية التي تطبق نظام التمثيل النسبي فعلى مستوى العالم تشير البيانات المتوفرة عن ١٧٦ دولة في عام ٢٠٠٧ الى ان المرأة شغلت متوسطاً عالمياً بلغ

٢١% من المقاعد البرلمانية في إطار انظمة التمثيل النسبي (منظمة الأمم المتحدة للمرأة ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩) .

ومع ان الهدف الثالث من الاهداف التنموية للألفية يركز على البرلمانات الوطنية ، من المهم ايضاً تشجيع المرأة على الترشيح للانتخابات على المستوى المحلي . حيث يمكنها تكوين جمهور من الناخبين يؤيد طموحاتها على مستوى عالمة الشعب وتقوم بأعداد متزايدة من الدول العربية مثل الاردن والأراضي الفلسطينية المحتلة ولبنان باعتماد نظام الحصص على المستوى المحلي والبلديات

النتائج والتوصيات على صعيد السياسة العامة

استطاعت المنطقة العربية عموماً تحقيق تقدم كبير فيما يتعلق بالجوانب الكمية الخاصة بالتعليم من حيث زيادة معدلات الالتحاق وتضييق الفجوات بين الجنسين ومع ذلك لا يزال النظام التعليمي ككل في المنطقة يواجه الكثير من الصعوبات فيما يتعلق بتحقيق جودة التعليم كما تحتاج المناهج الى التنقيح لإزالة الصور الباعثة على التمييز بين الجنسين المتعلقة بين النساء والبنات في الكتب المدرسية بالإضافة الى انه يجب تشجيع المرأة على الدخول في الميادين العلمية ومن ثم ربط تعليمها باحتياجات السوق . ولا تزال الانجازات التعليمية للنساء بحاجة لأن تترجم الى مشاركة اقتصادية وسياسية اكبر من ذلك ولن يتحقق ذلك دون القضاء على التمييز على المستوى القانوني والهيكلية والسلوكي .

وفيما يلي بعض التوصيات بهذا الشأن :-

١- حث الحكومات والمجتمعات المدنية على سن تشريعات ترفع من الحد الأدنى لسن الزواج لتحسين معدلات البقاء في التعليم خاصة بالنسبة للفتيات في المرحلة الثانوية . نظراً لأن الزواج المبكر هو من العوامل الأساسية التي تؤدي الى تسرب الفتيات من المدرسة .

٢- تحتاج الحكومات الى ان تشجع الالتحاق بالمدارس بين اطفال الأسر الفقيرة خاصة البنات منهم في كل مراحل التعليم وذلك من خلال تنفيذ آليات تمويل تعتمد على جانب الطلب منها ان تقدم للأسرة الفقيرة رواتب و كbonat موجهة واعانات مالية للطلاب ومنح دراسية وأوجه دعم في صورة طعام او تحويلات نقدية شروطه بالحضور في المدرسة .

٣- تحتاج الحكومات الى ان تركز مواردها وجهودها على تنقيح المناهج المدرسية وتحسين جودة التعليم بشكل عام وإزالة الصور الباعثة على التمييز بين الجنسين والمفاهيم النمطية المتعلقة بالنساء والبنات من الكتب المدرسية بالإضافة الى تحسين معدلات البقاء في التعليم .

٤- يجب ان يتم توجيه اهتمام خاص للبنات والنساء في الدول العربية الأقل نمواً . حيث تكون مستويات الالتحاق بالمدارس هي الأدنى وكذلك في المجتمعات الريفية والتي تعتمد على الزراعة حيث يكون الالتحاق بالتعليم محدوداً . وسنسهل عملية توفير بنية تحتية داعمة فيما يتعلق بتحسين سبل المواصلات والاتصالات اللاسلكية والإمداد بالكهرباء والمياه . مشاركة المرأة في المجال العام وكذلك زيادة معدلات التحاق البنات بالمدارس وذلك بتخفيف الاعباء المنزلية الثقيلة التي يتحملنها خاصة في المناطق الريفية . وفي نفس السياق على الدول تكوين شبكات الأمن الغذائي والتنمية الريفية وتفعيل نظام الانذار المبكر للتعرف على مواطن واحكام الفجوات الغذائية في الوقت المناسب .

٥- تحتاج الحكومات الى إزالة التشريعات المميزة بين الجنسين بما في ذلك القوانين التي ترعى الضمان الاجتماعي والضرائب ورواتب التقاعد وحرية التجول بالإضافة الى ضمان حق المرأة في ظروف عمل لائقة تشمل التساوي في الاجر مقابل التساوي في العمل .

٦- يجب ان يتم تشجيع المرأة على دخول مهن غير تقليدية مثل المهن العلمية والحرف الفنية وربط تعليم النساء باحتياجات السوق ومن ثم على الحكومات ضمان ان المرأة يمكنها ان تلتحق ببرامج التدريب والتحديث المنتظمة لإكساب المهارات الفنية والتعليمية .

٧- يجب على الحكومات ان تشجع المشاركة المرأة في المؤسسات العمالية مثل النقابات وتسهيل المتطلبات التنظيمية المتعلقة بإقامة مشاريع صغيرة وتسجيلها تشجيعاً للمرأة على المشاركة الاقتصادية والمبادرة بالدخول في مجال تنظيم المشاريع .

٨- تحتاج الحكومات الى تبني تدابير انقالية تتيح مساحة اكبر للمشاركة السياسية للمرأة مثل نظام الحصص في البرلمانات الوطنية وعلى المستوى المحلي / القطري وإتاحة فرص اكبر للأنشطة الخاصة ببناء القدرات

وصقل مهارات النساء في مجال القيادة وتكوين جماعات ضاغطة والانخراط ضمن حزب سياسي .

٩- يجب على الحكومات ان تدمج منظور النوع الاجتماعي في السياسات الوطنية وتخصيص موارد خاصة لدعم السياسات التي تهدف الى تحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة بما في ذلك إدخال عملية وضع ميزانيات مراعية للتنوع الاجتماعي وبناء القدرات في هذا المجال ومراجعة الاداء على الاساس .

١٠- تشجيع مؤسسات المجتمع المدني بما في ذلك المنظمات غير الحكومية النسائية على مراقبة التزام الدولة بتنفيذ اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة وسحب التحفظات غير الضرورية على بعض بنودها وذلك بصياغة تقارير دورية لهذه الاتفاقية وتقديمها الى اللجنة المعنية باتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة التابعة للأمم المتحدة في جنيف .

١١- حيث الاحزاب السياسية على تبني تدابير خاصة مثل نظام الحصص لزيادة عضوية المرأة ومشاركتها ضمن الدوائر الانتخابية بشكل عام واللجان التنفيذية بشكل خاص .

١٢- حث وسائل الاعلام على اداء دور اكبر في تعزيز حقوق المرأة السياسية والتي تحثها على التصويت وتقديم نفسها ضمن المرشحين في الانتخابات الوطنية .

١٣- تقديم الدعم الفني وبناء قدرات الدول الاعضاء في عملية دوج منظور النوع الاجتماعي في السياسات الوطنية وتخصيص موارد لتعزيز المساواة بين الجنسين وتمكين المرأة .

١٤- رفع مستوى الوعي بين واضعي التشريعات خاصة البرلمانيين بضرورة تعديل التشريعات المميزة بين الجنسين وتنفيذ اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة بشكل عام . [التقرير العربي الثالث حول

الاهداف التنموية الالفية ٢٠١٠ www.arab-hdr.org]

٣ / د - نماذج من انتهاك حقوقهن

للمرأة كيان بشري تمتلك كل حقوق الوجود الإنساني حالها حال الرجل في الحب والكره والعيش والتعليم والعمل واثبات الذات والهوية والانجاب والتملك والابداع إلا ان هناك احداث كونية واقليمية وسياسية واقتصادية تحدث تتفوق فيها عوامل القوة الجسدية والمالية والعسكرية والسياسية التي يتفوق فيها الرجل بحكم عمله خارج المنزل معظم الاوقات فيمسي فيها مالك لهذه الاليات الطاغية يمارسها على المرأة لأنها تمتلك السمات الجمالية والاساليب الشفافة والرقيقة في التعامل مع الجنس الاخر مستخدمة عواطفها اكثر من ذكائها اكثر من ذكائها في الامور الإنسانية لذا نجدها تميل نحو بناء الخلية الاصغر في المجتمع (الاسرة) ورعايتها وتنشئة ابنائها غير ميالة للتقاطع مع الرجل في عمله او طموحه او التصارع معه في كفاحها بالحياة . جميع هذه الخصال تجذب الرجل للتقرب منها والاستفادة من سماتها الانثوية في بناء حياته الخاصة وتحقيق مصالحه الرجولية ليجعلها شرية له في حياته الخاصة . لكن هناك من الخارجين عن النواميس الإنسانية والقوانين الوضعية والمبادئ السماوية يقوموا باستغلالها من اجل الربح المالي عبر الاتجار بجسدها او اشباع رغائبهم الجنسية او استغلال بعض اعضاء اجسادهم (كالرحم والبض) لتحقيق مآربهم ومنهم من يستثمر التعاليم الدينية لتحقيق نزعاتهم الجنسية وآخرين يوظفون النظام الأبوي (البطريقي) لصالح سيطرتهم عليها ويجعلونها تابعة لهم وخانعة لسيطرتهم مستغلين نزعتها وميولها الإنسانية والعاطفية لخدمتهم ومجردين وجودها وحق ممارسة حياتها والتمتع بمباهج الدنيا إلا بوجود الرجل او بمعيته لأنه يعتبرها كيان قاصر ومشروع فتنه كل هذه الممارسات ادت الى انتهاك حقوق المرأة في المجتمع سواء كانت المرأة عربية او غربية .

ديديني في هذا الاستهلال هو القول بأن المعادلة بين الرجل والمرأة في نموذج الاتجار بأجسادهن غير متكافئة في وزنها وقوتها واحتياجاتها وعملها . فالقطب الرجالي يتسم باحترافهم للتجارة بأجساد النساء مع القطب الثاني المتصف بنساء عاطلات عن العمل ومن الطبقة الفقيرة مع غياب نظام سياسي وقانوني يحميهم من هؤلاء التجار بسبب انهيار النظام السياسي في البلد .

اذن نستطيع ان نصنف هذه النماذج الى ما يلي :- النموذج الاول نماذج تنتهك حقوق النساء عند سقوط الانظمة السياسية وحصول الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي تصبح فيها قسم من النساء ضعيفات امام

الاحداث وامام المستغلين لهذه الاحداث مثل الاتجار بأجسادهنّ واستغلال اللاجئات منهنّ وجهاد النكاح . والنموذج الثاني يعكس سيادة النظام الابوي (البطريقي) يكون فيه الرجل مستحوذاً عليها وهي صغيرة السن (قاصره) ليتزوجها والصاق وجودها بوجوده والزواج منها بدون حساب واغتصابها او التحرش بها . ونموذج ثالث يعكس اجبارها على الخضوع للرجل من خلال استئجار رحمها او ختانها لأثبات انوثتها امام الناس .

هذه النماذج الثلاثة يستطيع الرجل استغلالها واستثمار الاضطرابات السياسية وانهيار النظام السياسي والنظام الأبوي والخلل الفسيولوجي فعند غياب هذه الحالات الثلاثة لا يستطيع الرجل ان يجعل من المرأة تابعة له لأنها متكافئة معه ولا يوجد معيار واحد لمفاضلته عليها لأنها إنسانة مثله وقوية بإرادتها وذكائها وجهدها . اقول تكون المعادلة متكافئة بين الرجل والمرأة في حالة غياب هذه الحالات الثلاثة لكنها لا تكن متكافئة في حالة وجود حالة واحدة من هذه النماذج الثلاثة :-

النموذج الاول :- الاتجار بهنّ ، استغلال اللاجئات منهنّ وجهاد النكاح واغتصابهنّ والتحرش بهنّ .

النموذج الثاني :- فينطوي على النظام الأبوي وزواج القاصرات منهنّ وتعدد الزوجات المطلق منهنّ والصاق وجودهنّ بوجوده .

النموذج الثالث :- متألف من اجبارهنّ على الخضوع له من خلال استئجار ارحامهنّ او ختانهنّ لأثبات انوثتها .

انتقل بعد ذلك الى تقديم بعضاً من نماذج انتهاكات حقوقهنّ لأوضح عدم المساواة بينهنّ وبين الرجل وتبعيتهنّ له وتحيز المجتمع ضد حقوقهنّ وعدم مطالبتهنّ بتغيير وضعهنّ وكأنهنّ مستمتعات بعدم مساواتهنّ مع الرجل او لا يرغبنّ في تحمل مسؤولياتهنّ بالعيش والكفاح من اجل تحرير قيود المجتمع لهنّ او الرغبة في استغلال حياتهنّ الشخصية والتخطيط لمستقبلهنّ الحر .

النموذج الأول : حق التملك الجسدي

٣ / د - ١ - ١ - نموذج الاتجار بأجسادهن Trafficking in woman's

body

نعني بهذا المصطلح تحويل الإنسانية الضعيفة نفوذياً ومالياً والمضطهدة اجتماعياً وسياسياً ، عن طريق الاحتيايل او القوة او الاجبار الى سلعة بشرية جزيلة الاستثمار لأجل طويل وذلك عن طريق استغلال الجسد في هذا الاستثمار او تسخيرها لإعمال منافية لقيمتها البشرية . لذا وقفت الدولة المتقدمة والمنظمات الإنسانية التي تدافع عن حقوق الإنسان الى محاربة هذا التحويل اللإنساني والاسترقاقي والاستعبادي لأنه لا يمثل المرحلة التطورية التي يمر منها الإنسان في الوقت الحاضر .

لذا فإن الاتجار يعتبر جريمة ضد المجتمع والإنسان والقانون على السواء مستخدماً صوراً جديدة من الاسترقاق والاستعباد مستحدثاً صيرورة عصرية في عواقبه الاستثماري لصالح المتاجرة بأجساد النساء والبنات يعني انها من الظواهر الإجرامية الدولية التي تظهر وتنتعش في ظل الاضطرابات الاقليمية والدولية مستغلة احداثها المتناقضة ومسخرة كوادرها في انتقاء عناصر بشرية ذات خلفية اجرامية او فاسدة سياسياً او اخلاقياً او اجتماعياً من اجل الاستفادة منها في مراميها الخاصة عبر تطبيق اهدافها المخالفة للقوانين والاعراف المرعية في مجتمعات تضعف فيها الضوابط الاجتماعية والأمنية مكرسة نشاطاً إجرامياً يُسخر بعض العناصر البشرية الواهنة اخلاقياً والباحثة عن الثراء السريع والتكسب الرخيص لتنشيط عملية إجرامية تتجاوز الحدود الاقليمية وتستثمرها في اكثر من دولة .

آلت هذه الرؤية الى ان النساء من البشر الذي لا يخضع للإتجار بجسده او جنسه ولا يصلح ان تُسلب منه حريته واستقلالته وإنسانيته وتتعارض ايضاً مع استخدام القوة والإساءة والاجبار والالزام مع الإنسان في عيشه لأنه هو الذي يملك حق العيش ولا توكل لشخص مضطهد او ظالم او متاجر بإنسان ضعيف او قاصر او فقير .

ففي مدار الجندر Gender فإنه يتعارض جملة وتفصيلاً مع هذا الانجاز الذي يغذي الدعارة المطلوبة في كل المجتمعات وتمارس في السر والعلن وهذا يعني ان سوقها يحتاج الى عناصر نسائية شابة وعادةً لا تكن بداية الانخراط بهذا الكار (العمل) اللا إنساني واللا قانوني فإن ذلك يتطلب سماسرة له لجلب عامله وهذا لا يتم بمحض الصدفة او الرغبة الذاتية ما لم تمارس عليهم عمليات نصّب واحتيايل او قوة قاسية وتعامل قهري مع بعض المغريات المادية . لذا يتطلب من

السماسة ان يكون لهم وكلاء يقومون بالبحث عن نساء وبنات يحملون مواصفات تساعدهم على نصب شباك صيدهم لهم تبدأ بالإغراءات المالية وتنتهي باستخدام الاحتيال او القوة او الاغتصاب الجنسي بمعن اخر البحث عن فرائس (جمع فريسة) تخضع لظروف معاشية فقيرة ومحتاجة للعمل والمال لكن ليس عن طريق الدعارة او فرائس نكبوا نكبات سياسية او اقتصادية او اسرية وباتوا محتاجين للمساعدة هذه المهمة والمسئولية التي يواجهها الوكلاء تسمى بالتجنيد Recruitment او البحث عن عناصر بشرية ضعيفة ومتهالكة على العمل الشريف لا تجد في مجتمعها من يساعدها على ذلك بسبب التغيرات الاجتماعية السريعة (ثورة او حرب او نظام حكم ديكتاتوري او تفشي الفساد) .

فلا غرو من القول بأن المهتمين بالجندر واغلبهم من النساء المثقفات والواعيات اجتماعياً وإنسانياً يقوموا بالدفاع عن حقوق المرأة والبنات الذين يعيشون في مثل هذه الظروف ويتم تجنيدهم للاغتصاب والاستغلال الجنسي والاتجار بجنسهم فاستندت هذه النسوة على قرارات الأمم المتحدة التي صدرت عام ١٩٤٥ التي دعت فيه الى حماية الحقوق الإنسانية للمرأة فطرحت ٢٠ آلية ترفع بها مقام وشأن المرأة والتعامل معها على انها إنسانة لها قيمة نفس قيمة الرجل وعدم تحويلها الى ضحية تجني عليها العصابات الإجرامية مستغلة فقرها وعوزها لتمارس عليها شتى انواع العنف (الجسدي والجنسي واللفظي والمعاشي) فضلاً عن جني مبالغ مالية هائلة من وراء استغلالهم الجنسي في الدعارة التي تصل الى ما بين ٧ - ١٢ بليون دولار هذا سبب واحد من بين اسباب تهافت العصابات الإجرامية بالإتجار بهم فضلاً عن ضعف وتخلف القواعد القانونية السائدة في معظم دول العالم في معاقبة وتجريم التجار الذين يتاجرون بالبشر ورفد اسواق الدعارة والبغاء بعناصر جديدة وان خطورة العمل فيها اقل بكثير من الاتجار بالأسلحة والمخدرات . كل ذلك دفع بالمدافعين عن حقوق المرأة الوقوف موقف المدافع عليها ومحاربة الاتجار بها لكن هناك جماعتين من هؤلاء النساء الجماعة الاولى قبلت قرار المرأة في اختيار عملها بالدعارة لكنها أدانت الاتجار بجنسها ، والجماعة الثانية أدانت اجبار وفرض عمل المرأة بالدعارة وحسبته عملاً وحشياً وهمجياً ، إذن هذا موقف المدافعين عن حقوق المرأة نحو الاتجار بها وبجنسها وهذا مؤيد لقرارات الأمم المتحدة في هذا الشأن ومناصرة للقوانين الوضعية المرعية في معظم دول العالم .

علاوة على ذلك فغالباً ما تحصل حالات كثيرة للإتجار بالنساء داخل البلد الواحد مثل هجرة القرويين من الريف الى المدن (حصل هذا في بانكوك) من اجل الدعارة والاستغلال الجنسي .

لا جناح من الاشارة الى ارتباط الاتجار بالبشر بالهجرة غير الشرعية والاستغلال الجنسي والصناعة الجنسية والدعارة وباقي الخدمات الجنسية التجارية . أي ان هذه التجارة الدالة على الاتجار بالنساء والبنات بالدرجة الاساس إذ هناك ٧٠٠.٠٠٠ ضحية من النساء والبنات وقعت عام ٢٠٠٢ في اوربا واسيا وجنوب شرق اسيا وكانت عوائد هذه التجارة تتراوح ما بين ١٥٠ الى ٢٠٠ مليون يورو [Lehti & aroma . 2002 . P.1] ثم اعتبار هذه التجارة غير قانونية لعدة اسباب ابرزها :-

١- انها تجارة عابرة للحدود الدولية مخترقة القوانين المرعية للدول التي تمر منها وتستقر فيها .

٢- إجبار النساء المتاجر بهم على العمل في بلد المقصد مخالفاً لرغبتهم وإرادتهم أي إلزامهم بالعمل في اشغال صعبة وقذرة .

٣- ممارسة العنف الجسدي عليهم .

٤- عزل الضحايا عن محيطهم الأصلي الذي أتوا منه .

٥- الاستغلال الجنسي للمتاجر بهم وإجبارهم على ممارسته من اجل الكسب المالي الذي يجنيه السمسار او التاجر الذي يقوم بإجبارهم واستغلالهم .

أضحى الاتجار بالنساء يُمارس في وقتنا الحاضر بشكل واسع ومكثف إذ يُقدر ما بين ٦٠٠.٠٠٠ و ٨٠٠٠.٠٠٠ شخص يُهرب كل عام أغلبهم من النساء والأطفال [Obakata . 2006 . P . 1] يجني التاجر من عمله هذا مبلغ مالي يصل قرابة ٩.٥ مليون دولار [Obakata . 2006 . P. 1] وهذا ما يجعل الحكومات التي تتعرض للإتجار بالبشر متأثرة بنشاط غير شرعي يجلب لها المشاكل الاجتماعية والقانونية والاخلاقية .

إن الحديث عن الاتجار بالنساء في القرن الحادي والعشرين واعتباره من الجرائم المستحدثة تختلف اسبابها وآثارها عما كان معروفاً في العصور الغابرة عن العبودية والاسترقاق وتجارة الرقيق وسوق النخاسين لأن الاتجار بالبشر أخذ ابعاداً مختلفة ومتنوعة عما كانت عليه هذه التجارة غير الشرعية ، بيد ان تجارة

العبيد ونقلهم من افريقيا الى اوربا وامريكا الشمالية الذي كان آخذ طابع تجارة الرقيق والاستغلال الجنسي والاتجار بالمومسات والنساء البيضاوات داخل اوربا في حين ابان وقتنا الحالي انتعشت وازدهرت جريمة الاتجار بالنساء التي غذتها ورفدتها عوامل دولية متعددة ومتنوعة منها :-

- ١- انتهاء الحرب الباردة .
- ٢- سقوط الستار الحديدي الذي كان يحجب اوربا الشرقية عن العالم .
- ٣- ظهور و بروز حكومات مستقلة جديدة تكافح في سبيل ارساء حكومات عصرية تعكس حداثتها وتمدنها .
- ٤- ضعف فاعلية القانون الضابطة للحدود الدولية .
- ٥- صيرورة العولمة .
- ٦- تطور وتقدم وسائل الاتصالات الالكترونية والمواصلات البرية والجوية والبحرية

جميع هذه الاسباب وغيرها جعل من الاتجار بالنساء امراً يسيراً واقل عسراً عما قبل وبالذات للذين يرغبون بالهجرة غير الشرعية . وازاء هذه الظروف العالمية والتقنية أمست اوربا الشرقية غير محصنة امام موجات الاتجار بالبشر ، اقول باننت معرّضة لهجمات وموجات المناشط الإجرامية بما فيها التهريب البشري والاتجار بهم .

ولا ننسى التعصب والتحيز العرقي والقومي والجنسي (ضد المرأة) او الطائفي (الديني) إذ يولد هذا احتكار العمل على قومية واحدة او عرق واحد او للرجال فقط او طائفة دينية ضد القوميات او الاعراق او الطوائف الاخرى وهذا بدوره يجبر التعصب ضدهم بالبحث عن فرص عمل في مكان اخر غير بلدهم وبالتالي يفرض عليهم الخضوع الى ممارسات الاتجار المتاجرين بالنساء ، علماً بأن معظم هؤلاء المتعصب ضدهم يكونوا من صغار السن الذي لا يتجاوزوا العشرين عاماً أي من المراهقين وغير الراشدين ممن يملكوا طموحاً افاقاً واحلاماً واسعة في العيش . هذه الحالة استغلها تجار الاتجار بالبشر فقدموا لهم فرص عمل وهمية موعودة خارج بلدهم ذات اجور عالية وعيش رغيد فأمست هذه الوعود الوهمية محفزاً لشباب مضطهد يبحث عن مصدر عيش يعناش منه ويتخلص من التصعب ضده .

ولا ننسى العنف الممارس ضد المرأة المتأتي من بنية الأسرة التقليدية التي تجعلها تابعة للرجل (اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً) .

إن سياق الحديث يلزمني ان لا اغفل لماذا يختار التجار النساء للإتجار بأجسادهنّ ؟ نقول ابرزها وهي :-

١- عائدها المالي يكون وفيراً يصل احياناً الى ٩.٥ مليون دولار بالسنة .

٢- غير مكلفة بالنسبة لهم . أي لا تحتاج الى مصاريف مالية كثيرة للحصول على ضحايا هذا النوع من الاتجار .

٣- لا تحتاج الى استعداد مسبق وتدريب خاص للمتاجرين بالنساء .

٤- نزوح اعداد كبيرة من المتجرين بالأسلحة والمخدرات بشكل مستمر للإتجار بالنساء وذلك لسهولةها والثراء المجني منها وقلة الصدمات والمواجهات مع رجال الشرطة والأمن والجمارك .

٥- بساطة عقوبة الاتجار بالنساء من الناحية القانونية وجزاءاتها المالية إذا ما قورنت مع الاتجار بالأسلحة والمخدرات .

٦- تكون الفترة الزمنية لاستغلال واستثمار النساء والبنات طويلة الأمر الذي يجلب ارباحاً كثيرة للمتاجرين بهم التي غالباً ما تكون اكثر من الاتجار بالأسلحة والمخدرات .

٧- مرونة وانفتاح قوانين العديد من البلدان المتقدمة في التعامل مع العبيد والخدم وعمال المنازل ، أي عدم وجود قوانين متشددة وصارمة ضد العمالة المنزلية والخدمية وبالذات في الانشطة الجنسية وذلك لأنهم يخافوا من الاعتماد على السياسة المتشددة التي تخلق لهم اضرار اقتصادية وتعيق نشاطهم السياحي الذي يؤول بالتالي الى هبوط في عوائد الضرائب .

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الاسباب الاقتصادية والظروف المعاشية التعيسة انتجتها الهجرة الجماعية لا سيما وان بعض البلدان لا تستطيع تأمين الظروف الملائمة لمواطنيها او حتى السيطرة والتحكم بالتغيرات السكانية حيث قامت الظروف بإشباع وارضاء احتياجات سوق العبيد الحديث الامر الذي دعا الى توازن العرض مع الطلب في المصادر البشرية الغير شرعية

[Glanti.2004 . P.70]

بشيء من التفصيل اقدم النموذج الاوربي في انتهاك حقوق المرأة من خلال الاتجار بها وبجسدها حيث لا يأخذ هذا النوع من الاتجار وجهاً واحداً بل وجهين

في اوربا يعكس الاول دول الاتحاد الاوربي التي تمثل منطقة المقصد للمتاجر بهم ويمثل الوجه الثاني دول شرق اوربا مثل البلقان ودول C/S التي تمثل دول مصدرة للإتجار بهم ومنطقة عبور لهم بذات الوقت ، لكن بالنسبة للهجرة غير القانونية بشكل عام اخذت ستة مسالك رئيسية مختلفة وهي :-

١- المسلك الأول :- يبدأ من موسكو عبر لتوانيا وبولندا او جمهورية الجيك الى المانيا والنمسا .

٢- المسلك الثاني :- يبدأ من اوكرانيا عبر يوغسلافيا وهنغاريا وجمهورية الجيك او بولندا الى النمسا والمانيا .

٣- المسلك الثالث :- يبدأ من الشرق الاوسط وتركيا الى اليونان وايطاليا .

٤- المسلك الرابع :- يبدأ من شمال افريقيا الى اسبانيا وايطاليا .

٥- المسلك الخامس :- يبدأ تركيا عبر البلقان الى ايطاليا والنمسا .

٦- المسلك السادس :- يبدأ من جنوب ووسط امريكا الى البرتغال واسبانيا .

هذه هي المسالك الرئيسية التي يسلكها التجار الذين يتاجرون بالنساء في العالم في الوقت الراهن .

لا جرم من القول بأن الاتجار بالنساء والأطفال يرتبط بالدعارة والاستغلال الجنسي . إذ هناك اكثر من ٨٠% من ضحايا هذا الاتجار هم من جنوب شرق اوربا فباتت منطقة رئيسية للإتجار بالنساء ويتم استغلالهم كبغايا وبحودود ١٥% منهم يمثّلنّ مصدراً للقيام بالخدمات الشهوانية والجنسية الاخرى اما اعمارهم بالتقريب فأنها تقع ما بين ١٥ - ١٨ وان ١٠ الى ٣٠% منهم تقع اعمارهنّ باقل من ١٨ سنة بذات الوقت هناك اعمار اعلى من ١٨ من النساء فضلاً عن الاطفال .

فالسويد مثلاً تقدم تقديرات سنوية عن النساء والاطفال الذين يتم الإتجار بهم في بلدها التي قدرتهم بما يقارب ٥٠٠.٠٠٠ امرأة وطفل لغرض الاستغلال الجنسي حيث يتم تصديرهم الى دول الاتحاد الاوربي واستناداً الى التقديرات الاخيرة التي قامت بها الامم المتحدة فإن إجمال الاتجار بالنساء في دول الاتحاد الاوربي يبلغ ١٢٠.٠٠٠ امرأة وطفل وعدد النساء والاطفال الذين تم الاتجار بهم في اوربا الشرقية بما يقارب ٢٠٠.٠٠٠

جدير بذكره في هذا السياق الى ان الاتجار بالنساء والاطفال في الاتحاد الاوربي بات مألوفاً ومشاعاً كما هو الحال في شمال امريكا والشرق الاوسط

واليابان وجنوب شرق اسيا . اما تقديرات الولايات المتحدة في هذا النوع من الاتجار في العالم الذي وصل الى ٥٠٠.٠٠٠ ضحية من النساء عبر البلقان ٢٠٠.٠٠٠ وطبقاً لتقديرات وزارة الداخلية الامريكية فأن الرقم الذي طرحته كان ٧٠٠.٠٠٠ [Lehti & etal . 2004 .P.115]

خليق بنا ان نقول بأن جميع هذه الارقام لا تمثل الحقيقة الدقيقة بل دلالات تقديرية تشير الى ظاهرة جريمة الاتجار بالبشر لتقول لنا بأنها في تفاقم مضطرد وتزايد سريع وذلك بسبب ازدياد الطلب على الدعارة والخدمات الجنسية والصناعة الجنسية في الافلام والمجلات المصورة السبب الثاني هو ان انهيار النظم الاشتراكية في اوربا وما آلت اليه من ظهور مشاكل اقتصادية واجتماعية كان مصدراً غريزياً لممارسة الاتجار بالبشر واخذهم الى اوربا الغربية وبشكل منظم وميسر اكثر بكثير من المصدر القديم للدعارة والاستغلال الجنسي (نقصد بالمصدر القديم جنوب شرق اسيا وغرب افريقيا وامريكا اللاتينية) .

إن سياق الحديث يلزمنا ان لا اغفل حقيقة مفادها ان اغلب ضحايا الاتجار بالنساء هم من البانيا ولتوانيا ومالديفيا ورومانيا وروسيا واورانيا قد تم اجبارهم واقهارهم بالعمل في الدعارة إذ كان نصفهم من مالديفيا وربعهم من رومانيا وعشرهم من اوكرانيا . في الواقع اضحى الاتجار بالنساء حالة رائجة وسائدة ومألوفة ليس فقط في غرب اوربا بل في معظم بلدان البحر الابيض بسبب الخلفية التاريخية لها إذ كانت تايلاند وكولومبيا والبرازيل وجمهورية الدومنيكان وشمال غرب افريقيا كالمغرب ونيجيريا وسيراليون وطبقاً لمعطيات الشرطة الاوربية فإن هذه التجارة باتت في تزايد مستمر ورائجة في اوربا الشرقية بعد سقوط الاتحاد السوفيتي والتغير السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي حدث لباقي الدول الاشتراكية وانخرطهم في دول الاتحاد الاوربي . [Lehti & etal

[2004 . P.p 110 - 114

ثم هناك النموذج الجورجي (نسبة الى جورجيا) إذ يعد انهيار الاتحاد السوفيتي حصلت سياسة سلبية وانهيارات اقتصادية وسكانية قادت الى حدوث تفكك بنائي في كافة انساق المجتمع الجورجي وفوضى اجتماعية وأزمات اقتصادية حادة وصراعات عرقية وحروب اهلية وتغير متطرف في حياة المجتمع الجورجي كل ذلك ادى الى جذب التجار بالخوض في تجارة الاشخاص الباحثين عن العمل وبالذات من النساء العاطلات عن العمل في بلدان القوقاز

فوصلت الاتجار بهنَّ بأعداد كبيرة تتراوح ما بين ١٠.٠٠٠ الى ١٥.٠٠٠ جميعهم كانوا يبحثوا عن الهجرة غير الشرعية للعمل في الاعمال الزراعية والخدمات المنزلية والمعامل الصغيرة جميع هذه الاعمال لم تكن تطوعية بل قسرية وجبرية . فظهرت تجارة الرقيق الأبيض White Slavery التي باتت مربحة في جورجيا ساهم فيها المجرمين اطلق عليهم بلصوص القانون في جورجيا يمثلون اعداداً كبيرة ولهم شبكة واسعة من الاتصالات والمواصلات لها علاقات مستمرة مع تنظيمات إجرامية خارج جورجيا وبالذات مع روسيا واوكرانيا وحكومات غنية مثل الولايات المتحدة الامريكية .

إذ عملت هذه الشبكة الواسعة على اجبار ٥٠٠٠ امرأة جورجية بالعمل في الدعارة وهناك افراد اكثر من هذا العدد ثم اجبارهم واستغلالهم في اعمال وضیعة كانوا ضحايا خداع وإغواءات مادية قذرة [Glonti . 2004 . P.p 70-71]

وهناك نموذج عراقي يعكس الإتجار بجسد المرأة كأحد مناشط تجارة الرقيق الأبيض للفتيات العراقيات يكون فيها الجاني عصابة منظمة مكونة من شركات منظمة وأجهزة مخبراتية وسماسرة دوليين واطباء وعاملين اخرين في القطاع الصحي وشرطة أداب (يقوم الاطباء والموظفين الصحيين بعمليات الاجهاض إذا دعت الحاجة) تقوم هذه العصابة المتنوعة الاختصاصات بتسويق المخطوفات والمستدرجات او المتعاملين معها بسبب آثار الحرب وسقوط النظامي الصدامي البعثي عام ٢٠٠٣ الذي سبب انفلات أمني كبير وسقوط المعايير الاخلاقية والقيمية التي يسميها إميل دوركهايم بـ (الأنومي) .

أما وسيلة اصطياد النساء فيتم عن طريق :-

١- الخطف : إذ تقوم العصابة (بواسطة مجندين محليين) بخطف فتيات صغيرات السن تتراوح اعمارهنَّ من ١٣ سنة لغاية ٣٥ سنة .

٢- الاستدراج والأغراء من قبل نساء كنَّ يعملنَّ في الدعارة يقمن باستدراج فتيات جميلات ممن يعشنَّ حالة فقر مزرية او ممن فقدنَّ ابائهنَّ او ازواجهنَّ بالحرب وأصبحنَّ بلا مصير .

أما آلية اصطياد النساء

فيكون عن طريقة تجنيد العصابة الدولية مجرمين محليين او ممن لهم خبرة في الخطف أي من اصحاب السوابق الإجرامية في العراق . هذا على صعيد الخطف ، اما عم طريق الاستدراج فيكون من خلال صاحبات السوابق في الدعارة . أما الطعم الذي يُقدم للنساء من قبل المجندين والمجنذات المحليين فهي :-

١- اغراءات توعدهم بالعيش في دول الخليج الغنية .

٢- او العيش في بيوت الأثرياء العرب .

٣- او العمل في صالونات للمساج والتدليك .

٤- او الاشتغال في النوادي الليلية والفنادق .

٥- او العمل كشغالة في تنظيف المنازل .

٦- او العمل في صالات الفنادق .

السمات الشخصية للنساء المستهدفات في الاتجار بأجسادهنّ فهي :-

١- فتاة صغيرة السن .

٢- من أسرة فقيرة مالياً .

٣- وفاة والد المرأة او وفاة زوجها .

٤- فتاة تبحث عن عمل من اجل عيشها .

٥- فتاة تعيش في مجتمع منهار بنائياً وقيماً وسياسياً مثل المجتمع العراقي بعد سقوط النظام الشمولي الصدامي الدكتاتوري .

٦- الغشمة (الجهل بالأمور) .

٧- قلة الخبرة في الحياة .

الإجراءات اللاحقة

يتم تجنيد الفتاة التي تم خطفها او استدراجها من قبل السماسرة الى الاردن او سوريا على شكل :- ١- سائحات ٢- زائرات بغرض الإقامة ٣- زائرات بغرض العمل في المجال الفني .

كيف يتم تحويل المخطوفة الى ضحية

في هذه المرحلة يتم نقل الفتاة الى العصابة المنظمة ليتم - عندها - إزالة عذريتها مع تصويرها لأكثر من مرة ومع اكثر من زبون حتى لا تستطيع التفكير بالعودة إذا اردت وتهديدها إذا فعلت ذلك .

اما سعر الفتاة العذراء العراقية كان بعد الاحتلال يعادل عشرة الاف دولار امريكي لكنه وصل فيما بعد الى مائتين دولار وربما الى مائة دينار اردني او حتى ١٠٠ دولار إذا نقلتها العصابة الى عمان .

اما وضع المرأة بعد وقوعها في شبكة الاضطهاد فإنه يتم اسكانها في مباني خاصة بالضحايا في سوريا ويحظر على الناس الاقتراب منهنّ لأنهنّ محميات من قبل حراسة شخصية يوفر لهنّ الشخص الذي جلبهنّ ليعملنّ لديه ولا يسمح لأحد بالوصول لإمكان سكن الفتيات او الخروج معهنّ او سؤالهنّ عن شيء يتعلق بهنّ او بطبيعة عملهنّ . ثم العمل احياناً في عدة نواد في ليلة واحدة بحيث يقدمنّ برنامجاً في كل نادي ويبلغ ما تحقّقه احياناً في الليلة من ارباح يصل الى ٥٠٠ دولار هذا عدا (الرشّة) وهو ما يقوم بها الزبائن (برشّة) عليها او عطائها اثناء قيامها بالرقص الاستعراضى وإذا اراد احد الزبائن ان يتصور معها بدفع ٦ دولارات . اما العمل في الشقق المفروشة فإن اجور كل ضحية تعمل كعاهرة يتراوح من ١٥ الى ٢٠ دولار في الساعة . [العمر . ٢٠١٢ . ص . ص

[٨٦ - ٨٢]

ينطوي هذا النموذج على صورة اخرى من صور انتهاك حقوق المرأة في امتلاك جسدها وعدم التفريط به لأي إنسان إلا الشخص الذي تختاره هي ليكون زوجها وابو اولادها ، لكن إذا تم استغلال ظروفها المعاشية والاقتصادية والوطنية كلاجئة خارج بلدها وفي بلد اخر قاصدة اللجوء الإنساني والعيش في معسكر خاص باللاجئين تنقصهم معظم الاحتياجات الضرورية للعيش وبدون عمل ومصدر مالي ومهني ، جميع هذه الظروف تجعلها في موقع إنساني واجتماعي وصحي واقتصادي مزري وبئس جداً تمسي عرضه للاستغلال لمن يعيش عيشه طبيعية من الناحية السياسية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية تضطر تحت الظروف المعاشية القاسية والصعبة المليئة بالحرمان والعجز والخنوع وتحت رحمة المقتدرين ان تتقبل الزواج من أي رجل لكي لا تستثمر في هذا الحرمان الإنساني لكي تعيش كإنسانة في ظروف افضل حتى لو كان الفرق كبيراً من الناحية العمرية وبعيداً عن اسرتها ومجتمعها لأنها تعيش في ظروف شاذة وقاسية وتجد دعماً وتشجيعاً من والديها وافراد اسرتها لكي تخفف من معاناتها المعاشية لا سيما وان هناك من الرجال ممن يتربصون لمثل هذا التفاوت العمري والاقتصادي والسياسي لكي يستخدموها كزوجة صغيرة السن وكزوجة ثانية لانعاش شهوتهم الجنسية المتقدمة . أقول تببع هي جسدها وشبابها برمتها لرجل لا تعرفه ولا توجد علاقة قرابية او عاطفية بينهما إنما تريد الستر والعيش الكريم مع شخص اسمه زوج بغض النظر عن اخلاقه وطبائعه ووضعها الاجتماعي ومكان اقامته وحالته الاقتصادية والثقافية ، انها مغامرة فجة تفقد الفتاة فيها حقها في ارادتها ومستقبلها واسرتها ، لذا عبّر هذه الحالة ابشع صور الاستغلال لحقوق المرأة لكنها تختلف عن نموذج الاتجار بالجسد من حيث ان اسرتها تقبل بهذا النوع من الزواج ولا تصبح باغية او عاهرة بل زوجة لزوج واحد لكنه يمثل احد اشكال الاستغلال الظرفي الشاذ لها ، بيد انه مبارك من قبل والديها بسبب تخفيف مأساتهم المعاشية وستر ابنتهم بزواج شرعي وقانوني إنما من زاوية الجندر فهو يعكس الاستغلال البشري للذين يعيشوا في اوضاع او ظروف شاذة وتعييسة .

ديدي من هذه المقدمة الوصول الى حالة نسوية معاصرة للاجئين السوريين في الاردن تتضمن ٢٩٣٦ امرأة سورية تزوجن في الاردن في عام ٢٠١٣ . إذ كشفت دائرة قاضي القضاة الاردنية عن ٢٩٣٦ حالة زواج من

مختلف الجنسيات من نساء سوريات في الاردن خلال العام الماضي ٢٠١٣ وبنسبة ارتفعت الر قرابة اربعة اضعاف العدد من العام الذي سبقه . وأفادت الاحصائية بأن عدد الاردنيين الذين تزوجوا من سوريات بلغ ١١٧٤ حالة زواج بينما بلغ عدد الجنسيات الاخرى التي تزوجت من سوريات ١٧٦٢ حالة زواج وتشير الاحصائية الى ان عدد المتزوجات ممن هنّ اقل من ١٨ عاماً قد تضاعف الى خمسة اضعاف عن عام ٢٠١٢ ليصل الى ٧٣٥ حالة زواج في عام ٢٠١٣ .

وسجلت الفئة العمرية من ٢٦ الى ٢٩ عاماً ٢٩٦ حالة وفئة من ٣٠ الى ٤٠ عاماً ٢٨٠ حالة بينما سجلت الفئة العمرية التي يزيد عمرها عن ٤٠ عاماً ٦٣ حالة واحدة .

اعلى حالات الزواج لغير الاردنيين كانت لسوريين وسوريات وبلغ عددها ١٥٨٥ حالة تلاها الجنسية السعودية ب ٥٥ حالة ثم الفلسطينية ب ٣٦ حالة والعراقية ب ١٣ حالة والمصرية ب ١٣ حالة ثم الامريكية ب ٩ حالات والامارتية ب ٨ حالات والليبية بست حالات تلاها البحرينية والفنزويلية والبريطانية بأربع حالات لكل منها ثم اللبنانية والالمانية والقطرية بثلاث حالات لكل منها والكندية والهولندية والسويدية والتونسية بحالتين لكل منها ثم النمساوية والقبرصية والاسترالية والايطالية والتركية والكويتية واليمينية بحالة واحدة لكل منها [جريدة التلغراف الاسترالية عدد ٥٨٠١ بتاريخ ٢١ شباط ٢٠١٤]

تعليقي على هذه الحالة من زاوية الجندر اقول ان هذا النوع من الزواج لا يمثل المساواة بين الجنسين بل اللا مساواة لأنه حاصل بين لاجئة ورجل جاء قاصداً ومتعمداً استغلالاً وضعفها في عيشها وخروجها من بلدها هروباً من القتل والاعتصاب فجاءت الى مخيم خاص باللجوء الإنساني . انه لا يمثل التكافؤ في متطلبات الزواج المبنية على العلاقة الدمية او تقارب عائلتين بل مبنية على طرف فاقد النفوذ والمكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي والمكانة الاقتصادية والسياسية وطرف اخر مالك للنفوذ والدور والمكانة الاقتصادية والاجتماعية في بلد امن ومستقر ، مستغلاً ضعفها وضعف حالة اسرتها الهاربة من القتل والاعتصاب تحت هيمنة النظام الأبوي الذي تكون فيه سيطرة الرجل متسيده ، فهي راغبة بذلك تخلصاً من البؤس والتعاسة والفقر والعيش في قيمة داخل المعسكر بعيد عن المدينة والمدنية فاقداً لأبسط شروط العيش الكريم مع رجال

يبحثون عن امرأة رخيصة في مهرها ومتطلبات زواجها إنما تبحث فقط عن
الستر ولا يهم عمر الرجل ومهنته ومكانته ومشاعره وعواطفه وهنا يتحول
الزواج الى بيع وشراء بين اسرة لاجئة محتاجة الى ابسط انواع العيش الكريم
وبين مشتري يبحث عن زوجة لا تطلب المهر العالي بل البسيط وتقديم الخدمات
الجنسية والاهتمام به حتى لو كان متزوجاً من قبلها . إن هذا الزواج هو نموذج
للاستغلال البشري الواقع بين الضعيفة مالياً واجتماعياً ورسمياً والقوي مالياً
 واجتماعياً ورسمياً . انه زواج اشبه بالإنجار البشري الخاص بالنساء خالي كلياً
 من صفات الزواج السائد في المجتمعات العربية المبني على مصاهرة عائلتين او
عشيرتين من اجل بناء اسرة انه اشبه بالزواج المؤقت وليس الدائم لأنه خاضع
 لظروف شاذة لا تصلح لبناء اسرة سليمة خالية من التفكك الأسري والعنف
 المنزلي وسواه .

تتعرض قاصرات سوريات لإعمال اغتصاب ممنهجة على ايدي من يفترض
فيهم انهم حراسهنّ او القيمين على ايصال المساعدات العينية والطعام اليهنّ والى
عائلتهنّ في معظم الاحيان في اكثر من مخيم في دول الجوار مثل تركيا والاردن
والعراق ولبنان حيث بات الاستغلال الجنسي للاجئات السوريات على انواعه
ظاهرة لا تقتصر على بلد معين إنما تكاد تكون اصبحت اشبه بسوق نخاسة تباع
فيها الفتيات على الطريقة (المزاد العلني) حيث حُلنّ في لبنان مكان ما يعرفنّ
بـ (الفنانات) اللواتي يستقدمنّ من دول اوربا الشرقية للعمل في الملاهي
والنوادي الليلية المنتشرة في مناطق سياحية معينة في لبنان وفي منتجعات بحرية
في منطقتي وادي الزينة في جبل لبنان وكفر عبيدا في الشمال تبين ان قوام
الشبكة الاولى يديرها سوري مع زوجته اللبنانية اربع فتيات والثانية مؤلفة من
ست فتيات بينهنّ قاصرات . إذ كنّ يجبرنّ على ممارسة الدعارة تحت وطأة
التهديد والضرب العنيف من مشغليهنّ إضافة الى حجز بطاقات هوياتهنّ
وجوازات السفر الخاصة بهنّ لضبطهنّ في اماكن اقامتهنّ تلك وعدم هربهنّ الى
امكنة اخرى ولا سيما في الشوارع العامة والطرق حيث تنشط شبكات اخرى في
استغلالهنّ اما اسعار الاستغلال فأنها تتفاوت بين فتاة واخرى وتبعاً للوقت الذي
يريد المشتري والمكان والمعدل الوسط للأسعار هو حوالي مئة دولار بل يذهب
المبلغ كاملاً الى الشبكة المستغلة .

وللساحات والشوارع العامة ومفترقات بعض الطرق في لبنان حكايات اخرى مع لاجئات يتم تشغيلهنّ (على عيون الحراس) في ظروف تبدو مختلفة نسبياً عن اوضاع (شبكات المنتجات) إذ بات معلوماً لدى عابري تلك الطرق انها امكنة اصطياد الزبائن حيث يتمركز عدد من الفتيات عند بعض المفترقات المعلومة في المناطق اللبنانية كافة وينتظرنّ (سيارات الأتوستوب) وإن اسعار فتيات الطريق زهيد تقتصر احياناً على بضعة الاف من الليرات . الموقف الاكثر إثارة للاشمئزاز موقف اباء البعض من الفتيات الذين (يبيعون) بناتهنّ القاصرات منهنّ بصورة غير مباشرة عندما يوافقنّ على اجراء (زواج براني) كما يوصف ان يحضر أي كان الى والد الفتاة وينقده مبلغاً معيناً لقاء موافقته على هذا الزواج ثم يصطحب الفتاة حيث يبيعه ويشغلها على هواة من دون ان يردعه احد [جريدة التلغراف الاسترالية عدد ٥٨١٦ بتاريخ ١٤ اذار ٢٠١٤]

ولا ريب من تناول موضوع القاصرات السوريات تحت سيف الاغتصاب الذي يصب في مجرى هذا النموذج من الاستغلال حيث قالت صحيفة كرستيان ساينس مونيتور الامريكية : ان بعض اللاجئين في الاردن اضطروا لبيع بناتهم في (زيجات حماية) غير قانونية في كثير من الاحيان برجال اكبر في السن حيث يبدو الاستغلال الجنسي والهجر من المشاكل الرئيسية . وازافت الصحيفة انه منذ بدء الصراع السوري في مارس ٢٠١١ تدفق اكثر من ١.٢ مليون لاجئ الى البلدان المجاورة منهم ٧٠% من النساء والاطفال وفي الوقت نفسه ظهر في مخيمات اللاجئين في تلك البلدان الرجال العرب الباحثون عن عرائس صغيرات السن .

وتنقل (ساينس مونيتور) عن عمال الاغاثة قولهم ان المراهقات السوريات اصبحنّ عرضة لخطر الاستغلال الجنسي تحت ذريعة الزواج . هذه الزيجات غالباً ما تكون غير توافقية تفتقر الى غطاء قانوني ويمكن ان يؤدي هجر الزوج الى نتائج اسوء على المدى البعيد بما في ذلك البغاء القسري . [مجلة روز اليوسف عدد ٤٤٦١ بتاريخ ١٤ ديسمبر ٢٠١٣] .

اتحول بعد ذلك الى نوع اخر من النموذج الاول من انتهاك حقوقهنّ الذي يعكس استغلال الصفة الدينية لابتزاز المرأة من قبل الاخوان المتأسلمين في تونس منتهكين حقوقها في امتلاكها لجسدها تحت غطاء ديني كاذب يعكس هذا النموذج عدم تكافؤ الطرفين بين الاول الذي يمثل الذئب المفترس والمتلبس بلباس

ديني وطرف اخر يمثل الحمل الوديع الساذج في الامور الحياتية الجديدة المليئة بالغدر والابتزاز والاستغلال ذلك هو نموذج جهاد النكاح .

٣ / د - ١ - ٣ - نموذج جهاد نكاحهن

انها بدعة طرحها الاخوان المتأسلمين ومشايخهم الذين حللوا الحرام وحرموا الحلال وفقاً لأهوائهم وغرائزهم المكبوتة . فقد عادت مؤخراً الفتيات التونسيات اللاتي سافرن الى سوريا من اجل النكاح ولكنهن عدن حوامل بعد ان تناوب على كل واحدة منهن ما بين ٢٠ - ١٠٠ رجل من التنظيمات الدينية المحاربة هناك والمكونة من العديد من الجنسيات والتابع للتنظيم الدولي للإخوان الإرهابيين ، ليس ذلك فحسب بل تم اكتشاف انهن أصبن بالإيدز وكذلك الأجنة في بطونهن قبل ان يروا الحياة !

وكان مفتي الديار التونسية قد اشار الى ان فتيات تونسيات سافرن الى سوريا للمشاركة في (جهاد النكاح) مع مسلحين من جبهة النصره يقاتلون قوات الجيش العربي السوري . وقد كان مفتي الديار التونسية اكد انه تم التغرير بهن وارسالهن للجهاد في سوريا ضمن جهاد النكاح وأكد ذلك وزير الداخلية التونسي (لطفى بن حدو) يوم ١٩ سبتمبر ٢٠١٣ .

ونقلت صحيفة الشروق التونسية عن مصدر أمني تونسي إن عدد الفتيات اللاتي عدن الى تونس وهن حوامل من (مقاتلين) عرب وأجانب يبلغ اكثر من ١٠٠ فتاة جميعهن من المناطق الشعبية ومستواهن الدراسي لا يتجاوز الصف التاسع اساسي - الاعدادية . وأضاف المصدر ان وزارة الداخلية التونسية اكتشفت انتشار هذه الظاهرة منذ بدايتها منذ سنة حين تقدمت احدى العائلات بشكوى ضد بعض السلفيين المتشددين في الحي الذي يقطنون به وكانت لهم علاقة بأبنتهم القاصر التي تبلغ من العمر ١٥ سنة وهي تلميذة بالسنة الثامنة اساسي - الثانية من المرحلة الاعدادية وتعاني مشاكل نفسية بسبب فشلها المتواصل في الدراسة . ونقلت الشروق في تحقيقها عن مصدر مطلع من وزارة الداخلية التونسية ان التونسيات اللاتي سافرن الى سوريا وعدن حوامل من هناك تم التغرير بهن بثلاث طرق تم رصدها من الجهات الأمنية وهي :-

١- اتخذت الطريقة الاولى من الخداع وسيلة لها من خلالها الايقاع بالضحايا عن طريق عدد من السلفيين التكفيريين الذين يوقعون بالفتيات في حبهن ثم

يعدنهنّ بالزواج منهنّ اثر عودتهنّ نت (الجهاد) الى تونس وهذا طبعاً لن يحصل لأنهنّ عندما رجعنّ بحثنّ عنهم كثيراً ولكن الاتصالات انقطعت وفي الاصل لا يعرفنّ سوى القليل عنهم وعن حياتهم وقد حاولنّ البحث عنهم دون جدوى .

٢- اعتمدت الطريقة الثانية على بعض (الجمعيات الخيرية غير الحكومية) والتي ظهرت مؤخراً وما يجمع هذه المؤسسات الاجتماعية انها لا تملك مقرات رسمية معروفة بل تعتمد على الجوامع والمقاهي ومراكز الانترنت للتواصل مع الضحايا وكما تلتزم هذه الجمعيات لضحاياها بمصاريف النقل والاكل والشرب فأنها تتعهد بإجهاضهنّ عند العودة .

٣- اعتمدت الطريقة الثالثة على اقناع الضحية بالسفر عن طريق احدى صديقاتها اللواتي تربطهنّ علاقة زواج عرفي بعدد من الشباب السلفي التكفيري ويلتقينّ خاصة في الجوامع ونقلت الصحيفة عن مصدر امني تونسي مسؤل ان هناك من يوفر اموالاً للسلفيين الذين يقومون بالتغريب بالفتيات حيث يحصل كل شاب من المجموعة على ٢٥٠ الف دينار تونسي عندما ينجح في عمليتين إحداهما تتمثل في تسفير عدد من الشباب الذين يوهمونهم بأنهم ذاهبون لمقاتلة الكفار وثانياً عندما يقومون بأقناع بعض الفتيات للسفر لتسلية المجاهدين عن طريق القيام بعلاقات جنسية معهم مقنعين اياهنّ ان هذا يعتبر عملاً خيرياً ستجزي به في الجنة ويصفونهنّ بأنهنّ حوريات على الارض بعثنّ من اجل فعل الخير .

اما الجناة فهم من جنسيات باكستانية وأفغانية وليبية وتونسية وعراقية وسعودية وصومالية وهندية وباكستانية وشيشانية .

اما الضحايا فهنّ من القصيرين والكاف وحي التحرير والمروج وبنزرت وقفصة وصفاقس .

اما في مصر فقد ظهرت فتوى نكاح الجهاد في اعتصامي رابعة العدوية والنهضة ووصل الامر في ذلك الوقت ان كتبت صحيفة الجارديان البريطانية قدمنّ لمحتجي الاخوان اطلاق العنان لجهاد المناكحة لخدمة ودعم الاحتجاجات المقدمة من قبل الاخوان المسلمين والحفاظ على المظاهرات المستمرة ضد الجيش وان الدعاة الذين اطلقوا الدعوة من النساء ينتظرون اشارة خضراء من

الشيوخ وقيادات الجماعة لتقديم خدمات المناكحة للرجال) [مجلة روز اليوسف عدد ٤٤٥٠ بتاريخ ٢٨ سبتمبر ٢٠١٣]

ونشرت صحيفة الشروق التونسية تفاصيل جديدة ومثيرة عن " مجاهدات النكاح" الحوامل العائدات من سوريا حيث صنع " الجهاد " في سوريا لهنّ جحيماً جديداً " الأخوة المجاهدين " مارسوا نزواتهم وجاهدوا في سبيل " النكاح " والى الآن لم يسقط النظام في سوريا . ثم تم تجنيد المئات من الفتيات التونسيات لممارسة "جهاد النكاح" في سوريا في المتاجر والمساجد ليعدنّ حوامل الى البلاد ويثرنّ حالة من الاحتقان والغضب في الشارع التونسي ولم يجدنّ في بيوتهنّ في تونس سوى وحدتهنّ مع جدران الغرف الباردة ونظرات مقبّية وصعبة ومفرّعة تأتيهنّ من افراد العائلة والأقارب والجيران .

وأكد مصدر امني ان هناك عدد من طالبات الجامعات التونسية ضمنّ قائمة جهاد النكاح ورغم مستواهّن العلمي فإنه تم التفرير بهنّ للسفر نحو سوريا والمشاركة في فضيحة ما سموه " الجهاد الجنسي " ولحسن الحظ فإنهنّ لم يعدنّ حوامل من رحلتهنّ لأن اثنتين منهنّ أجهضنّ هناك منذ بداية الحمل في حين ان الباقيات لم يحملنّ منذ البداية واتخذنّ الإجراءات الوقائية . وقال المصدر ان النسبة الكبيرة لضحايا جهاد النكاح تم تجنيدهنّ في المساجد والجامعات وفي المتاجر المختصة لبيع الثياب وفي " الحمام " وحسب نفس المصادر الأمنية المطلعة فأن ضحايا ما يسمى جهاد النكاح كنّ يلتقين مع مجموعة من السيدات التي تتراوح اعمارهم بين ٣٠ و ٥٠ سنة في المساجد الموجودة خاصة بالضواحي ومهمتهنّ الاعداد النفسي والديني للضحايا في مرحلتي ما قبل وبعد السفر . وفي عدد من المتاجر التجارية المختصة في بيع الثياب نجحت بعض الاخوات على حد تعبير الضحية (س . ع) في اقناع عدد من الفتيات بضرورة السفر نحو سوريا لمساندة المجاهدين في حربهم ضد " الطواغيت " و " الكفار " وفوزهنّ " بالجنة وبرضى الله عليهنّ " مضيئة في هذا السياق ان الاغراءات كانت هامة ابتداءً من المبلغ المالي وصولاً الى الحصول على امتيازات لعائلتهنّ دون علمهم .

كما أكدت هذا الفتاة العائدة من سوريا مؤخراً ان احدي " الاخوات " وفرت لشقيقها موطن شغل براتب محترم وهو الذي كان عاطلاً عن العمل مدة سنتين بعد ان اغلقت جميع الابواب في وجهه وهو خريج معهد الدراسات بالعاصمة ،

ثم انهارت باكياً " لقد بعث نفسي ولم اجد من يساندني فلا عائلتي قبلتني ولا المجتمع سيرحمي " . تقول محدثتنا ان اول مرحلة للتجنيد تتم اولاً عبر دعوتهم لحضور دروس دينية مغلقة تجمعهم مع ثلاث سيدات منقبات لم تشاهد وجوههن إلا مرة واحدة وعندما سألتهم لماذا لا نراكن ؟ اجابت احدهن والملقبة " ام ايمن " انهن مراقبات من قبل قوات الامن ويخفن ان يتم مداهمة المسجد في أي لحظة ، كما اضافت الضحية انها نجحت في اقناع ثلاثة من صديقاتها للالتحاق بهن في الدروس الدينية ليتعلمن اصول الدين واصبحت المجموعة تتكون من ١٥ فتاة كن مواظبات على الحضور بلا تأخير وبعد شهرين جاءت مرحلة الحسم واعلمونا انه علينا ان نساfer الى سوريا عبر الحدود الليبية لنلتحق بالمجاهدات هناك .

يوم ٢٠ سبتمبر ٢٠١٢ وعند الساعة الرابعة عصراً اجتمعت الضحية (س . ع) مع ١٥ من صديقاتها اللاتي تعرفت عليهن في الدروس الدينية وتم اعلامهن ان السفر الى سوريا سيكون ٢٧ من نفس الشهر وجرى تسليمهن مبلغاً مالياً قدر بألفي دينار لكل واحدة منهن كمصاريف لباس وتنقل قبل السفر ووعدهن بمضاعفة المبلغ خمس مرات اذا حضرن في الموعد المحدد .

وقالت الضحية انها فعلاً سعدت بهذا المبلغ الذي وصفته بالضخم اول مرة امسك مالاً بهذه القيمة وسعدت كثيراً بأني سأحصل على ١٠ الاف دينار لاحقاً عند عودتي مع " البنات " ، عبرت لي بعضهن عن رفضهن للسفر متعللات برفض عائلاتهن لهذه الخطوة مضيضة انها تتذكر كلمات صديقتها ابتسام التي قالت بخوف " والله يقتلونني " ومرت ٧ ايام ليأتي يوم الحسم ولم تحضر إلا ٩ فتيات فقط من المجموعة وهذا ما ثار غضب الاخوات حسب تعبيرها .

يوم ٢٧ سبتمبر ٢٠١٢ التقت المتحدثة مع المجموعة المكونة من ٩ فتيات وانتظرن حضور سيارة رباعية الدفع بيضاء اللون قديمة نوعاً ما ومتسخة يقودها شاب ملتج مضيضة " اتذكر انه طيلة الطريق الى ولاية سوسة كنا نستمع الى قرص ليزر يتحدث عن الجهاد في الاسلام وكل مرة يلتفت الينا السائق قائلاً ان شاء الله يكتب لكم الجهاد يا اخواتي " . وازافت انه عند الوصول الى ولاية سوسة نزل السائق واحضر لنا اكلأ وشرباً واعلمنا ان هناك من سيعوضه وفعلاً بعد انتظار ١٠ دقائق استلم شاب اخر يدعى " حمزة " المقود وغادرنا سريعاً

نحو الحدود الليبية التونسية لنبداً رحلة العذاب نحو المجهول وكنا ننظر بعضنا البعض ولا نقدر حتى طرح أي سؤال خوفاً من ان نُعاقب او نُقتل .
وصلنا ليبيا ووجدنا مجموعة من الشباب السلفي بانتظارنا هناك وبعد ساعتين من الانتظار حصلنا على جوازات سفر لنسافر الى تركيا برفقتهم ثم بعدها تنقلنا الى سوريا بمساعدة شيخين لا اتذكر ملامحهما جيداً ولم نكن نتوقع ان نجد كل هذا الكم من المقاتلين من كل الجنسيات على غرار التونسيين والشيشان والجزائريين والمغاربة والأفغان والهنود والباكستانيين .

مرت ايام ولم يحضر أي شخص ونحن نعيش في منزل واحد يحرسنا شابان لا نعرف جنسيتهما ولكن يبدو انهما سوريان وكنا نراهم عندما يحضران لنا الاكل والشرب وكل ما يلزمنا من ادوية واغطية وازافت " تجربتي انطلقت مع شاب مصري وكتبنا ورقة عرفية ووافقت على الارتباط به وكنت سعيدة بذلك لأنني خلت انني سأبقى على ذمته ولكن بعد اسبوعين طلقني شفاهياً ورفض اعطائي الورقة الممضاة بيننا وفوجئت بإحضاره لصديقه المدعو " ابو يزن " لتتكرر التجربة معه ولكن هذه المرة بلا أي عقد .

اكثر من مائة فتاة عدن حوامل الى تونس بعد ممارستهن لجهاد النكاح وهنّ يعشنّ ظروفأ صعبة خاصة ان عدداً منهنّ تم طردهنّ من منازلهنّ ورفضهنّ عائلتهنّ والأن هنّ في حيرة من امرهنّ وقد اقدمت ثلاث منهنّ على الانتحار بسبب ظروفهنّ الصعبة من الناحية المادية والعائلية هذا بالإضافة الى ان مستواهنّ التعليمي اقل من المتوسط فأحدهنّ لن تحصل على الشهادة الابتدائية في حين ان (م . خ) طردت من المعهد بسبب مشاجرة مع استاذها .

اليوم هناك ١٠٠ فتاة حامل تحت غطاء " جهاد النكاح " وغدا ١٠٠ طفل ينضاف للمجتمع التونسي أي ٢٠٠ قنبلة موقوته مشحونة إذا اعتبرنا الجانب النفسي الاجتماعي والاقتصادي والأمر الأدهى صعوبة تضييف الفتيات الحوامل بعد الولادة هل هنّ ضمن قائمة الامهات العازبات امن قائمة الأرامل ؟ ام المطلقات ؟ ويصير الطفل ، اذا كانت حامل بدورها قاصراً فكيف ستتولى وصاية طفل قاصر ؟ وهل سيقع قبولها من العائلة والمجتمع ؟ وتختم صحيفة الشروق التونسية تقريرها بالقول : هنا المسؤولية ليست مسؤولية المجتمع المدني فقط بل كذلك مسؤولية الحكومة والوزارات لوزارة المرأة والشؤون الاجتماعية وهي كارثة ونتيجة عن اخطاء تهجير ابنائنا للنكاح وغير النكاح والسؤال أي

مصير الطفل " النكاح " الذي جاء نتيجة تخميره غير شرعية ؟ هل سيكون شخصاً سوياً بعد ان يترعرع في مجتمع يعرف انه ناتج عن ظاهرة غريبة عنا .

[جريدة الشرق الأوسط الاسترالية بتاريخ ٨ / ١٠ / ٢٠١٣]

ثم هناك حالة اخرى ظهرت في بريطانيا تقدم صورة مجاهدات النكاح وهي ما يلي : مسلمات بريطانيات يشاركن في (جهاد النكاح) في سوريا ، دعت الشرطة البريطانية الامهات والاباء المسلمين في بريطانيا للعمل بجد من اجل منع ابنائهم وبناتهم من السفر للمشاركة في القتال الدائر في سوريا الى جانب التنظيمات المتطرفة التي تسعى لتغيير نظام الحكم هناك . فيما قال مسؤولون من قسم مكافحة الارهاب في شرطة اسكوتلانديارد ان اعداداً متزايدة من الشبان المسلمين في بريطانيا يتوجهون للقتال في سوريا ومن ضمنهم عدد من الشابات اللواتي ذهبن للمشاركة في ما يسمى (جهاد النكاح) ويبحثن في سوريا عن مقاتلين يتكلمون الانكليزية للتزوج منهم . وقال المركز الدولي لأبحاث التطرف والعنف السياسي التابع لجامعة (كنغز كولدج) في لندن وساري في جنوب لندن تزوجن مقاتلين في سوريا مضيفاً ان الفتيات يسافرن من بريطانيا ويدخلن الى الاراضي السورية من دون ان يرافقهن احد على نحو لم يشاهد مثله من قبل . وقالت مساعدة المفوض العام للشرطة البريطانية ومنسقة الامهات المسلمات بالتدخل من اجل اقناع ابنائهن وبناتهن بالعدول عن تصميمهم على السفر خوفاً من ان تكون المشاركة في الحرب الأهلية السورية مقدمة لحمل السلاح على الاراضي البريطانية . ووفقاً لمصدر في الشرطة تم توقيف فتاتين مسلمتين في سن ١٧ عاماً في مطار هيثرو في يناير الماضي كانت متجهتين الى اسطنبول للمشاركة في (جهاد النكاح) وذلك بعد ان تلقت الشرطة بلاغاً حولهما من افراد عائلتيهما في يور كشاير (شمال انكلترا) وقال المصدر انه تم لاحقاً الافراج عن الفتاتين من دون تقديمهما الى المحاكمة وازداد المصدر ان تعاون اولياء الامور في هاتين الحاليتين شجع الشرطة على وضع برنامج يخاطب الامهات واولياء الامور للمساعدة على منع ابنائهم من السفر للقتال في سوريا . [جريدة التلغراف الاسترالية . عدد ٥٨٤٤ بتاريخ ٢٨ / نيسان / ٢٠١٤]

٣ / د - ١ - ٤ - نموذج اغتصابهنّ

تجد النسويات ان للاغتصاب دوراً محورياً في ضبط سلوك النساء ، وتحقيق السيطرة عليهنّ وذلك عبر بثّ الخوف الناجم عن التهديد بالاغتصاب ، فالمرأة تختبر مشاعر من الخطر المحبق وكأنها في حالة من الحصار الدائم . فالاغتصاب - برأي النسويات - مؤسسة ارهابية تحقق اهدافها السياسية أي تحقيق تبعية النساء عبر ترهيبهنّ . فللاغتصاب هدفان ، الضحايا المباشرون اولاً ، والمجتمع الأعم من النساء ثانياً . فهذا المجتمع يتلقى رسائل تعمل على القاء الرعب في قلوب النساء بواسطة المغتصابات . وبفعل الرعب المذكور تقوم النساء عامة بتضييق مجالات اختياراتهنّ طوعاً - ماذا يلبسنّ ، واين يذهبنّ ، ومن يعاشرنّ ، وكيف يضبطنّ سلوكهنّ الخاصة خوفاً من ان يجري تأويلها بشكل خاطئ من الرجال ... الخ وذلك للتأكيد من انهنّ يتبعنّ القواعد غير المكتوبة التي تميّز بين النساء " الطيبات " وبين " العاهرات المستدعيات للاغتصاب " فتستوي بذلك النساء اللواتي يشعرنّ بالتهديد المباشر للاغتصاب مع النساء غير المهّدّات عبر الخضوع للقواعد المذكورة .

هكذا ، يخلق الرجال القواعد الذهبية ثم لا يلبثون ان يقدموا انفسهم في ظلّها ك(مخلصين وحماة) للنساء من تقييدات هذه القواعد وإرهابها مقابل خدمات واخلاص وطاعة جنسانية ، اما دائمة او ظرفية لكن غالباً وهمية . أي ان الرجال يقومون بحماية النساء الطيبات والمطيّعات والمتوافقات مع النموذج الأنثوي المرغوب اجتماعياً من الرجال " الشريرين " ومن ترفض هذه الجماعة من النساء تُلوم إذا اغتُصبت وتكون النتيجة ان الرجل يقدم الحماية للمرأة لتخسر مقابل تلك الحماية ، استقلالها الجنسي .

والتهديد والاغتصاب يلعب ، برأي النسويات ، دوراً مهماً في تدريب الاناث على الانوثة . فالجسد الانثوي الذي تم تدريبه جيداً على الانوثة يتصف بأية جسد مهياً ليكون ضحية . فهو جدّ متردد ، ضعيف نسبياً ، مرهف وبالغ الرقة ومضبوطة حركاته ، أي انه متمتع بكل الصفات التي تجعل من حاملته قابلة لأن تكون النتيجة ان الرجل يقدم الحماية للمرأة لتخسر مقابل الحماية استقلالها الجنسي .

والتهديد والاغتصاب يلعب ، برأي النسويات ، دوراً مهماً في تدريب الاناث على الانوثة ، فالجسد الانثوي الذي تم تدريبه جيداً على الانوثة يتصف بأية جسد

مهياً ليكون ضحية . فهو جُد متردد ، ضعيف نسبياً ، مرهف وبالغ الرقة ومضبوطة حركاته ، أي انه متمتع بكل الصفات التي تجعل من حاملته قابلة لأن تكون مغتصبة - هكذا نتعلم الانثى ان تنظر الى جسدها الجنسي بوصفه موضوعاً مرشحاً للاعتداء عليه ، فيتعين عليها ضبطه واخفاؤه ومراقبة حركاته كي لا تجلب المصيبة الى ذاتها . يصبح جسدها إذ ذاك " ضحية مذنبه حتماً " (في حالة تعريضه في امكنة غير ملائمة ، وعبر سلوك غير ملائم ، مثلاً) .
وحيث تتم قبوله الاناث على الانوثة وعلى توليم الذات ، فان التهديد بالاغتصاب يخرب قدرة المرأة على المقاومة ، لا للاغتصاب الفعلي فحسب ، بل ايضاً لأسباب اخرى من القمع . والتهديد الواسع النطاق ، مضافاً اليه الترقب منه يجعلان المرأة تقع فريسة الاغتصاب الفعلي نشعر بأن ما حدث بمثابة " تهديد تم تحقيقه " .

تلخيصاً ، ترى النسويات ان مؤسسة الاغتصاب هي مؤسسة ذكورية تعمل على تعزيز مكتسبات الرجال وحماية مصالحهم وتثبيت سلطانهم التي خولهم إياها النظام البطريركي يفعل انتمائهم الى جنس الذكور البيولوجي وهي تعزز هيمنة الرجل ، إن في تعريف الرجولة لا الذكورة او في مصادرة جنسانية النساء واحتجاز حرياتهن لضمان نجاح تلك المصادرة . إن اعتبار الاغتصاب مؤسسة ذكورية ينطوي ، من وجهة نظر حقوق الإنسان ، على نتيجة سياسية مهمة : إن توزع الإفادة من هذه المؤسسة على كل الرجال يفترض توزع المسؤولية تجاه ضحاياها هذا يعني ان الرجال وان كانوا غير مغتصبين ، هم مسؤولون بالرغم من ذلك ، ويتعين عليهم تحمل مسؤولية قيام قسم منهم يفعل الاغتصاب وذلك لأن الفعل المذكور إنما هو إعادة تحمل مسؤولية قيام قسم منهم بفعل الاغتصاب ، وذلك لن الفعل المذكور إنما هو إعادة تذكير النساء بأنهن مهددات وإعادة تثبيت سلطة الرجال عامة لذا هو تذكير في الوقت نفسه لكل الرجال بأنهم مستفيدون وإذا فأنهم كلهم مسؤولون وهم إذا مدعوون لمناهضة الاغتصاب من منطلق مناهضة كل ما من شأنه إعلاء مصلحة مجموعة إنسانية على اخرى بسبب كونها مولودة بامتيازات قائمة ، لأسباب اعتبارية ، (الجندر في هذه الحالة) على سلب مجموعة اخرى حقوقها الإنسانية وذلك يشمل الناس المنتمين الى المجموعة ذات الامتيازات المذكورة ، ألم يكن هذا مطلوباً من الرجال البيض حيال الرجال السود ، مثلاً ؟ الرجال أسوة بالنساء مسؤولون عن مناهضة

مؤسسة الاغتصاب وتضميناتها لأنهم إذا لم يفعلوا يسعنا استنتاج انهم قابلون
بكونهم في موقع المستفيد من امتيازاتها والمستغل لضحاياها . [بيضون . ٢٠١٢
ص . ص . ١٥ - ١٦]

٣ / د - ١ - ٥ - نموذج التحرش بهنّ Sexual harassment

من اكثر السلوكيات المنحرفة ذيوعاً وانتشاراً في الحياة الاجتماعية (العامة
والخاصة) في العمل والسوق والشارع والاماكن الترفيهية والدينية والتجارية
والقاطرات والحافلات العامة وسيارات الاجرة والطائرات والمطارات والموانئ
وحدائق الحيوانات والمدارس والكليات والاحرام الجامعية والمستشفيات
والمراكز الصحية والسينمات وسواها . تكون التحرشات هذه صادرة من قبل
الجنسين لكيهما أي تحرش الذكور بالإناث وتحرش الاناث بالذكور وتحرش
الذكور بالذكور وتحرش الاناث بالإناث . من الصفات البارزة في التحرش انه ل
يقوم على معرفة او علاقة سابقة بين المتحرش والمتحرش به او بها . إذ يبدأ من
المصادفة الغريبة او المفاجئة لا يتم التخطيط لها او التفكير بها في اغلب الاحيان
تثيرها المغريات الجنسية وتحفزها الرغبات النفسية المتطفلة او المتعطشة
للممارسات الجنسية .

ففي المكاتب الرسمية يتحرك اصحاب النفوذ والسلطة او المواقع العليا
(المسؤولون) للتحرش بنساء يتمتعنّ بنفوذ اقل وسلطة اضعف وموقع رسمي ادنى
وفي الحياة الاجتماعية العامة مثل الشوارع والسوق والاماكن الترفيهية سواء
أكان من الاناث او من الذكور وفي الاحرام الجامعية وحدائق الحيوانات
والمستشفيات والسينما يتحرش الافراد المتعلمون والمتقفون بالجنس الاخر من
اجل الحصول على صداقات بريئة او علاقة زواجية او علاقة جنسية او
مداعبات عاطفية .

لا جرم من القول بأن التحرش الجنسي يبدأ من المبادرة الوقحة والجرأة
الصارخة لتصل فيما بعد الى تحقيق هدف التحرش لكنها لا تخلو من رقة مهذبة
وحاذقة وماهرة منطوية على التلميح والترميز للجانب الأثاري الجذاب للمظهر
الجسدي الخارجي (اناقة ، تبرج ، تعطر او حركات الجسم عند المشي) مقترنة
مع عبارات معسولة ورومانسية منمقة تعبر عن اعجاب كاذب (في معظم
الاحيان) وانبهار مبالغ فيه وغير صادق لكي يصل الى مبتغاه الجنسي . وإذا لم
يستطيع الوصول الى مبتغاه في المكاتب الرسمية يتحول هذا التحرش الى إيقاع

عقوبات ادارية او مالية على المتحرش بها مثل تأخير الترقية او قطع راتب لعدة ايام او نقلها الى مكان سيء لا ترغب العمل فيه . لكن مما لا شك فيه تكون العقوبة الورقة الأخيرة التي يلعبها المتحرش على الرغم من ابتدائه باللطافة واللباقة والأناقة الكلامية .

لا جرم من الإشارة الى ان التحرش الجنسي يتضمن ما يلي :-

١- تسميع عبارات تعبر عن الاعجاب والمحبة .

٢- ملامسة جسد المرأة وبالذات المناطق المثيرة جنسياً .

٣- التقبيل .

٤- التحضن .

٥- التودد المفتعل .

٦- الغيرة المصطنعة .

٧- المضايقة الكلامية المشاكسة او الجارحة .

لنأخذ مثال على التحرش الجنسي السائد في المجتمع الغربي وهو النادلة التي تعمل في البار والمطعم . يكون صلب عملها خدمة الزبون بلطف ورقة والحديث معه بود وشفافية وعدم ازعاجه او الحديث معه بجفاء او جفاف لكي تحصل على البقشيش ولكي تكسب زبائن يعجبون بها وبعملها ، حتى تستمر في عملها وهذا المتطلب يجعلها تخضع للعديد من المضايقات والتحرشات الجنسية من قبل الزبائن الذين يترددون على المطعم او البار .

حريّ بنا ان نميز بين الرغبة الصادقة في اقامة علاقة اجتماعية نزيهة والتحرش الجنسي ولا سيما ان المجتمع الغربي تسوده صفة المجهولية بين الافراد بسبب كبر حجمه وتشابك شبكاته العلائقية والبعيدة عن الصلات الرحمية - الدموية التي تستدعي بدء الفرد علاقته مع الاخر بكلام لطيف وعبارات مجاملة ومعسولة لكي تمهد الطريق لإقامة علاقة ودية وحميمة ثم زمالة تصل الى الصداقة او العلاقة الزوجية . وهذا لا يعني تحرشاً جنسياً . في الوقت ذاته لا جناح من الاشارة الى التقرير الذي ظهر في عام ١٩٨٥ في المملكة المتحدة بأن هناك ٧ من ١٠ من الوظائف البريطانية قد تعرضنّ للتحرش الجنسي في اماكن عملهنّ من قبل زملائهنّ الموظفين او رؤسائهنّ خلال عملهنّ وقد انتهى بهنّ الأمر الى ان يأخذنّ اجازة مرضية من العمل او يتركز عملهنّ نهائياً تخلصاً

من الضغوط والازعاجات او التحرشات الجنسية التي تلاقينها في عملهن
[Giddens . 1994 . P . 188]

وإزاء ذلك نستطيع القول بأنه سلوك منحرف لأنه خرج عن العلاقة الودية
النزيهة وتطبع بالطابع الغريزي الحيواني وشوه المعايير الصداقية الدافئة وإساءة
الى الآداب الاخلاقية الرفيعة المستوى وأفسد الثقة بالناس .

لا ريب من الاستعانة بحالة التحرش بالنساء التي تحدث بالنازحات
السوريات في لبنان من قبل اقرباء لهنّ او من المجتمع المحلي المضيف وحتى
من قبل بعض ممثلي الجمعيات والمؤتمنين على توزيع الاموال والمساعدات
على النازحين . التحرش الجنسي يتم بطرق مختلفة وتحت عناوين متعددة منها
الحاجة ومنها الترغيب والتهديد . وقد شاعت في الآونة الاخيرة اسماء لهنّ وذلك
على نحو بدأ يترك اثراً نفسية على العديد منهنّ ممن افادت المعلومات عن
محاولاتهنّ الانتحار نظراً للواقع واحتجاجاً على ظروف ادت الى وجود حالات
اضطرابيه عديدة لديهنّ . وإذا كانت محاولات الانتحار باءت بالفشل بعد التمكن
من اسعافهنّ لكنها سلسلة تساؤلات حول مصير هؤلاء بعد تلقيهنّ العلاج وكيفية
تأقلمهنّ مع واقعهنّ الجديد وتحديداً لجهة الخوف من المجتمع الذي لا يتقبل مثل
هذه الاضطرابات ومن يحمي هؤلاء من تكرار هكذا تجارب خصوصاً ان شيئاً
من الاسباب التي كانت دفعت بهنّ الى الانتحار لم يتغير وفق افادات بعضهنّ .
وبعد تكرار تلك الظاهرة نتيجة طبيعية لواقع النزوح الذي يعاني من اشكاليات
كثيرة بدءاً بالإقامة وصولاً الى تأمين الاحتياجات وما بينهما من تفاصيل تتعلق
مباشرة بظروف هؤلاء الفتيات وعلاقتهنّ مع محيطهنّ اللبناني إضافة الى
الاضطرابات النفسية التي تعاني منها نازحات ففقدن اقرباء لهنّ او احد ابنائهنّ
وبينهنّ من فقدت كامل افراد عائلتها في سوريا او بعضهنّ فقدنّ التواصل معها
ولا يعرفنّ شيئاً عن مصيرها .

كل تلك المشاكل المتعلقة بالنزوح والتي تخلفها الحروب ادت الى بروز
ظاهرة الانتحار التي يبدو انها تسجل ارقاماً تستدعي الوقوف عندها وان كان يتم
التكتم الشديد حولها وحول الاداء بأي تصريح بهذا الخصوص وكانت المعلومات
تتحدث عن محاولة بعض النازحات الانتحار عبر تناول كميات كبيرة من الادوية
او السموم المخصصة للمزروعات وجرت المباشرة بمعالجتهنّ في احدى
العيادات الخاصة في عكار بعد ما كنّ وصلنّ اليها في وضع صحي مزرٍ للغاية

إضافة الى من تم اسعافهنّ في احدى مستشفيات المنطقة حيث اجريت لهنّ الاسعافات الضرورية وغسيل معدة . هناك فتاة سورية عمرها (١٩ عاماً) تعرضت للاغتصاب على يد شبان لبنانيين بعد خمسة اشهر على نزوحها من سورية الى احدى البلدات اللبنانية حيث كانت تقيم مع عائلتها كتمت ساره بداية ما حدث لها ولم ترو لأهلها أي شيء وذلك بعدما اقنعها احد الشبان بأنه سوف يتقدم لخطبتها . تقول ساره لقد اقنعني بلقائه وعند ذهابي لرؤيته تفاجأت ان نعه شابين اخرين واقدم الثلاثة على اغتصابي مرة ثانية . لم تتحمل ساره وقع الصدمة واخبرت عائلتها بالأمر وبالطبع حاولت العائلة للفة الأمور كما حاول الوالد التواصل مع اهالي الشبان فتمت اهانتته وطرده فاضطرت العائلة المكونة من فتاتين إضافة الى الوالد والوالدة الى مغادرة البلد والتوجه الى عكار حيث قامت العائلة بنصب خيمة صغيرة في بلدة الكويخات . [جريدة التلغراف الاسترالية . عدد ٥٨١١ بتاريخ ٧ آذار ٢٠١٤]

اتحول بعد ذلك لعرض نوع اخر من انواع التحرش الجنسي الذي يحدث في الشارع العام مثل الشارع المصري الذي بات معتاداً الى احد وصوله الى حالة الآفة الاجتماعية بعد ما كان يمثل انحرافاً سلوكياً . فجريدة الجزيرة السعودية الصادرة في ٢٨ / ١٠ / ٢٠٠٧ ذكرت ما يلي :- التحرش يتم بصورة يومية وتعرض له كل المصريات وامام انظار الأمن من خلال نظرات شبيهة وتعليقات جنسية ولمسات صار التحرش بالنساء معتاداً في شوارع مصر الى حد ان المراقبين باتوا يعتبرونه آفة اجتماعية يمكن ان تعرقل عملية التنمية . ويعرف المركز المصري لحقوق المرأة التحرش بأنه أي سلوك غير لائق له طبيعة جنسية يضايق المرأة ويعطيها احساساً بعدم الامان . ويؤكد المركز الذي يصف هذه الظاهرة بأنها سرطان مجتمعي . ان التحرش يتم بصورة يومية في الأماكن العامة وليس مقصوراً على فئة عمرية او طبقة اجتماعية بعينها .

ويشير المركز المصري لحقوق المرأة الى ان كل النساء المصريات معرضات للتحرش سواء كنّ محجبات او لا . وقالت رشا شعبان وهي شابة في الثالثة والعشرين تغطي مدينة الاسكندرية لوكالة فرانس برس " بمجرد ان اخرج الى الشارع اشعر انني محاطة بنظرات شبيهة) وتضيف (لا اشعر بالامان والمشكلة تتزايد يوماً بعد يوم واصبح الأمر لا يطاق الى حد انني افكر بمغادرة البلد) وطبقاً لتقرير المركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية وهو مؤسسة تابعة

للدولة فإن الجرائم ذات الطابع الجنسي في تزايد مستمر ولا توجد احصاءات رسمية حول التحرش ولكن جريمتي اغتصاب تقعان كل ساعة بحسب دراسة لهذا المركز تشير الى ان ٩٠% من مرتكبي هذه الجرائم من العطلين عن العمل. وتقف عوامل عدة خلف اتساع ظاهرة التحرش الجنسي الى جانب البطالة هناك تأخر سن الزواج وصعوبته بسبب ارتفاع تكاليفه في مجتمع غالبية تدين الاسلام الذي يحرم العلاقات الجنسية بدون زواج . وتعتبر إنجي غزلان وهي المسؤولة عن الحملة ضد التحرش في المركز المصري لحقوق المرأة ان الرجال يفرغون كل كبتهم الجنسي وكل احباطاتهم أياً كانت مسبباتها في النساء ويؤكد المركز المصري لحقوق المرأة ان التحرش بات مؤثراً بشكل متزايد على التنمية الاقتصادية . وتقول غزلان هناك نساء وشابات يتوقفن عن الذهاب الى العمل او الجامعة بسبب التحرش فكيف يمكن تحقيق تنمية إذا لم تحدث تعبئة شاملة في المجتمع . وتضيف إذا ارادت وزارة السياحة الاحتفاظ بالسائحين فينبغي على الأجهزة الأمنية ان تكون اكثر صرامة مع الاشخاص الذين يتحرشون بالنساء في الشوارع وتؤكد انها لو ذهبت الى بلد لا تحظي فيه بالاحترام فأنها لن تعود اليه ابداً وتأسف هذه الناشطة لأن المشكلة ليس معترفاً بها من قبل المسؤولين الذين ينكرون الظاهرة او في احسن الاحوال تقول الحكومة نعم يحدث تحرش ولكن الأجهزة الاعلامية تبالغ جداً في حجمه وحسب دراسة للمركز فإن ١٢% فقط من النساء اللواتي يتعرضن للتحرش يقدمن بلاغات للشرطة وهو دليل على فقدان الثقة التام في اجهزة الأمن وفي النظام القضائي وكان مدونون مصريون قالوا ان مجموعات من الشباب تحرشت العام الماضي ثاني ايام عيد الفطر بالنساء في وسط مدينة القاهرة امام اعين الشرطة . وقال احد هؤلاء المدونين وهو وائل عباس الذي كان موجوداً بالصدفة عندما وقعت الحادثة : لقد كانوا يتحسسون السيدات الموجودات سواء كنَّ محجبات ام لا وحتى المنقبات لم يفلتنَّ ونفت وزارة الداخلية هذه المعلومات مؤكدة انها لم تتلق أي شكاوي . [جريدة الجزيرة السعودية بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ٢٠٠٧]

نلاحظ على هذا الخبر المهم انه يتضمن عدة قضايا اجتماعية نستطيع استخدامها لمعرفة الكثير من التحرش الجنسي في احد المجتمعات العربية وهي :
١- انه على الرغم من كونها مشكلة مزعجة ومسيئة للنساء والفتيات إلا ان الأجهزة الأمنية غير عابئة بها ، بل انها غير مهتمة بها ولا تعترف

- بوجودها وهذا شيء مخجل جداً لأنه يمكن مشاهدة التحرش في الشوارع والمحلات امام اعين الناس .
- ٢- لكون التحرش له مساس بسمعة وشرف البنت فأنها لا تبلغ الشرطة او الأمن او المسؤولين عما حصل لها لكي لا تتحول الى فضيحة تنعكس سلباً عليها وعلى اسرتها لكون المجتمع العربي ينظر الى المتحرش على انه لبق وجريء وجسور ويتصرف بفحولة وجاذبية وسواها من الصفات التي يُفتخر بها الشاب ويعززها المجتمع العربي .
- ٣- عدم ثقة الناس التامة بالأجهزة الأمنية والنظام القضائي عند نظرها الى مثل هذا الإساءات الأخلاقية لأن المجتمع بشكل عام لا يراها كذلك .
- ٤- عدم انحصار التحرش بشريحة عمرية واحدة بل اكثر من ذلك عند الشباب وغيرهم ولا تقتصر على بناء الشوارع بل تشمل الطلبة والموظفين والعسكريين وجميع الشرائح الاجتماعية . وهذا يعني انها مقبولة اجتماعياً بين الذكور اكثر من النساء تعكس معايير الاجتماعية الذكرية المتفوقة على الانوثة وحتى على الاخلاقية العامة والسلوك الشفاف الراقى والمجهرولية في العلاقات الاجتماعية المدينيه (المدينة الحضرية) .
- ٥- ضعف الضوابط الاجتماعية العرفية داخل المجتمع المديني وعدم اهتمام الضوابط الرسمية بها بشكل جدّي .
- ٦- التحرش الجنسي يمثل سلوكاً لا يليق بالإنسان المتحضر والمتمدن لأن هدفه الدافع الجنسي وليس شيئاً اخر .
- ٧- يعطي انطباعاً للمرأة المتحرش به الاحساس بعدم الامان عندما يتحرش بها الشاب وانها بحاجة الى من يحميها من اسرتها او اقاربها عندما تخرج خارج منزلها .
- ٨- اغلب المتحرشين يكونون من العاطلين عن العمل او من المتسربين مدرسياً .
- ٩- وهناك سبب وجيه لهذا الانحراف السلوكي مرجعه الى تأخر سن الزواج عن الشباب بسبب ارتفاع تكاليفه في المجتمع الأمر الذي يجعله بنفس طاقته الجنسية بالتحرش الجنسي والانخراط في ممارسات انحرافيه اخرى
- ١٠- وهناك الكبت الجنسي الذي يكون دافعاً اخر في دفع الشباب انحرافهم وتحرشهم بالجنس الاخر .

١١- ولما كانت البطالة وتأخر السن الزواج موجودتين في حياة الشاب فإن الوسيلة الأسهل عنده لتفريغ كبتة الجنسي وكل احباطاته على النساء اللواتي لا يعرفهنّ وهنّ كثيرات يجدهنّ في الشوارع والمحلات التجارية والمنتزهات ومحطات القاطرات والحافلات .

إن هذه الحالة المصرية متكرر حدوثها في كافة العواصم والمدن الحضرية العربية وتتصف بنفس الصفات التي ذكرتها لدرجة اننا نأسف عن عدم النظر اليها من قبل المسؤولين اليها بعين الجدية والمسئولية التي ادت الى هبوط المستوى الادبي والاخلاقي في مجتمعنا العربي والخط من شأن المرأة وجعلها تشعر بعدم الامان وهي في شوارع مدينتها ومحلاتها التجارية واماكنها العامة إلا بمصاحبة احد من اسرتها . إذن فالتحرش مشكلة متعددة الاسباب ومتنوعة المؤثرات لها علاقة بالمعايير الاخلاقية والاختلاط الجنسي في المدارس والكلليات والجامعات واماكن العمل والمصانع والمتاجر فإذا كان هناك عزل جنسي بينهما فإن التحرش سوف يزداد عند لقاءهما في الاماكن العامة وعندما لا يكون هناك عزل بينهما في المدارس واماكن العمل فإن نسبة التحرش تقل نسبياً إلا انها لا تمثل علاجاً وافياً ومانعاً لها لأنه احياناً يكون التحرش بداية لإرساء علاقة صداقة نزيهة او علاقة زواج .

بعد ان طرحنا بعض الامثلة عن انواع التحرش الجنسي في البلدان العربية والمملكة المتحدة نقدم تحليلاً اخر قدمته عزة بيضون عن انتهاك حقو النساء وهي ما يلي : ينطوي فعل التحرش بالنساء في الحيز العام على رسالة موجهة الى كل النساء مفادها ما يلي : " أن تطالبنّ بالمساواة مع الرجل يعني انه يتعين عليكّ تحمّل تبعات تلك المساواة " . فالنساء اللواتي اخترنّ ان يلجّن فضاءات انشأها الرجال لذواتهم عليهنّ الخضوع للقواعد التي صاغتها هؤلاء فيها . فمن ارادت ان تتواجد في الفضاء العام - مجال الرجل العربي بامتياز مثلاً - ينبغي ان تتكيف مع القواعد التي وضعها ذلك الرجل فيه . ومن ارادت من النساء ان تعمل في مهن " رجالية " (في الولايات المتحدة كالمهن العسكرية مثلاً) "اختارت" ان تكون مستباحة في اجواء مشحونة بالرموز والمعاني الجنسية ، فالكلام المتداول بين الرجال في فضاءاتهم يتخلله مفردات وعبارات جنسية وحيطان امكنتهم " تزينها" الصور الاباحية لذا فهي مثيرة لغرائزهم وحيث ان التحرش بالنساء من بعض رسائلهم لإشباعها .

وهذا ويحيط بالتحرش الجنسي في الأماكن العامة اتجاهان يغذي الواحد منهما الآخر هناك من جهة إنكار لوجود التحرش ، وهو إنكار من الصعب دحضه في غياب دليل حسي عليه ، فالتحرش بخلاف الاغتصاب مثلاً لا يترك آثار عنف على اجساد ضحاياه لذا فهو مرشح للتغاضي عنه ولتفويضه ولإنكار حدوثه جملة وتفصيلاً بل لاتهام المرأة بأنه من " بنات مخيلتها " و " تعبير عن رغباتها الجنسية الدفينة " !

هناك ، من جهة ثانية ميل لدى النساء للسكوت حوله وذلك لأن الحجة الماثلة بوجهين ابدأً من انهنّ " لا بد " مسؤولات عن التحرش بهنّ واستدراجهنّ له بسبب لباسهنّ او سلوكهنّ او الخ ... ليتحملنّ بذلك مزيداً من التمادي في التحرش إن السكوت عن التحرش يعزز المعتقدات السائدة حول النساء ، أي لكونهنّ قابلات بالعذاب المعنوي الناجم عن التحرش لكن هناك صعوبات فعلية تعترض سبيل النساء امام الشكوى وكسر الصمت حول المسألة ، حتى في المجتمعات التي جرّمته فاللجوء الى القضاء في الولايات المتحدة مثلاً لا تقتصر موانعه على التكلفة المادية التي لا تستطيع اكثر النساء تحملها ، بل ايضاً على التبعات الحياتية العلمية فالشكوى القضائية على زميل في العمل مثلاً قد تؤدي بالشاكية الى استعداء زملائها الآخرين وربما الى الحرمان من الترقية في المهنة ووضع علامة سوداء غير رسمية على ملفها في حال كان المتحرش رئيس قسمها او احياناً طردها من العمل في حال كان المتحرش هو ربّ العمل نفسه .

وترى النسويات في البلدان التي صاغت قوانين تعاقب التحرش المذكور (يفعل نضال النسويات كما هي الحال في الولايات المتحدة مثلاً) ان السكوت عن يضيّع الفرصة امام النساء لكبحه ، وذلك لأن عدم إبرازه الى العلن يجعل النساء يتحملنّ وزره وهدهنّ فيما لو جرى لإبلاغ عنه فإن الرجل يدفع ثمن تحرشه ، كما ينبغي له ان يفعل استناداً الى القانون الذي يجرّم ذلك التحرش الى ذلك فإن مفاعيل الشكوى القضائية (كما هي الحال مع كل شكوى قضائية) لا تقتصر على عقاب المعتدي بل تتجاوزها الى ردع المرتكبين المحتملين عبر التهديد بالعقاب الذي ينتظرهم .

في بلادنا تشير شهادات خاصة وتقارير وتحقيقات اعلامية متفرقة الى تفشي ظاهرة التحرش الجنسي في الشوارع وفي اماكن العمل والمدارس وغيرها من الأماكن العامة وهي قلما تحظى بالتغطية الشاملة إذ لم تأخذ حجماً فضائياً كما

حصل مثلاً في عيد الفطر من العام ٢٠٠٦ في شارع طلعت حرب في القاهرة حيث تحرش مجموعة من الشبان بمجموعة من النساء المحجبات وغير المحجبات ورُوِّعنهنَّ لساعات طويلة قبل تدخل البوليس . وترى شريفة زهور ان معالجة قضية التحرش الجنسي مازالت في بداياتها عندنا وان ذلك قد يكون عائداً الى شيوع الأساطير حول الموضوع التي ترى انه قليل الحدوث عندنا بالمقارنة مع المغرب بسبب العزل التقليدي بين الاناث والذكور ، عامة لكن الأقاليم المروية في النساء والتي اصبحت اكثر تواتراً في الاعلام بكل قنواته تبين بوضوح عذابات النساء في الشوارع وفي وسائل النقل العامة وفي العمل في اغلب البلدان العربية... الخ مشتملة على تلك البلدان التي تضع قيوداً غير قليلة على تحرك المرأة في المجال العام . وثبتت الباحثة زهور حالة شكوى قضائية بالتحرش الجنسي تقدمت بها عاملة في احدى مستشفيات تونس ، لكن إدارة المستشفى تحركت لإسكانها مستعينة بالبوليس الذي حاصر المستشفى وهدد المدعية (ومحاميها) بالاغتصاب إن هي ثابرت على شكواها ! هذا وقد استخدم التحرش الجنسي في القاهرة وفي السودان مثلاً وسيلة لترهيب النساء الناشطات في العمل السياسي / المعارضات للنظام القائم ، ويثبت مرصد التمييز ضد النساء في المجتمع المصري انه " اثناء قيام بعض المتظاهرين والمتظاهرات بالاحتجاج على تعديلات المادة ٧٦ في الدستور المصري " تعرضت محرّرات صحفيات ثلاث " لأشكال مختلفة من الاعتداء أخطرها هتك العرض " على ما جاء في الشكوى التي قدمها نقيب المحامين الى النيابة المصرية العامة .

في ثورة شباب ٢٥ يناير المصرية الحالية ، لاحظ الصحفيون والناشطون الشباب غياب التحرش الجنسي في الشوارع التي شهدت التظاهرات والاعتصامات وذلك برغم تواجد كثيف للنساء وللرجال فيها وبرغم اكتظاظ الساحات بهم . إن الفرق في حدوث التحرش ما قبل الثورة وغيابه في ساحاتها وعلى امتداد ايامها الثمانية عشر أمر جدير بالتأمل ، نتساءل في هذا المقام ، هل اجساد النساء في الحيز العام كانت بمثابة " كبش فداء " للشباب المحيطين من الظلم والتعسف ومن إهانة الكرامات - بحسب تعبير بعضهم - فلما سنحت لهم الفرصة لتفعيل غضبهم صراحة وبمواجهة مصادر الظلم والتعسف والإهانة الفعلية ، ما عادوا بحاجة الى كبش الفداء ذلك . [بيضون . ٢٠١٢ ص . ص .

٣ / د - ٢ - النموذج الثاني : حق الوجود الاجتماعي

٣ / د - ٢ - ١ - نموذج الزواج من القاصرات

سوف اتناول هذا النموذج السالب لحقوق المرأة من زاوية زواج الرجل العربي من فتاة عربية دون سن الثانية عشر عاماً يمارس في القارة الاسترالية من اسر عربية مهاجرة اليها في هذا الخصوص قالت مديرة خدمات صحة المرأة المهاجرة الدكتورة إيمان شاروبيم في استراليا إن زواج القاصرات منتشر في مدينة سدني ويجب القيام بعملية توعية إذ ان المهاجرين الجدد يجهلون القانون الاسترالي وتشير ارقام مكتب الاحصاء الاسترالي ان هناك ٦٠٤ حالات زواج غير شرعية لفتيات قاصرات تبلغ اعمارهن بين ١٤ - ١٧ عاماً مولودات في استراليا و٦٣ حالة زواج غير شرعي لقاصرات مولودات خارج استراليا .

وأكدت الوزيرة غورد ان والديّ الفتاة القاصر التي تتزوج يجب ان يخضعا للمحاكمة والجدير بذكره في السن القانوني للزواج في استراليا هو ١٨ عام وفي حالات خاصة ويقرها القاضي ١٦ عام واعترفت وزيرة الخدمات الاجتماعية بروغورد ان زواج القاصرات منتشر وان هناك عدداً كبيراً من الزيجات غير القانونية وغير مسجلة وان الدائرة تعلم بتلك الحالات وخصوصاً في مناطق جنوب غرب سدني وغرب سدني والبلو ماونتن . وإن القانون يجب ان يأخذ مجراه حينما يكتشف امرهم فأن الفتيات لهنّ الحق التمتع بطفولتهنّ وعدم حرمانهنّ من الحياة البريئة وحذر مستشار صحي رائد في مجال الصحة ان المئات يرسلنّ الى خارج استراليا في سن ١١ عاماً للزواج هناك [صحيفة التلغراف الاسترالية عدد ٥٧٩٢ بتاريخ ١٥ شباط ٢٠١٤] في الواقع تعبر هذه الزيجة على ان الثقافة العربية في المهجر (استراليا) لم تخضع لقوانين الدولة المهاجر اليها خوفاً من انغمار البنت العربية في الثقافة الليبرالية والحرية الفردية والاستقلال الشخصي والمالي والتنشئة الغربية في علاقاتها مع الجنس الاخر وذلك خوفاً على سمعة العائلة اولاً ومن اللغظ الاجتماعي على شرف وسلوك افراد الاسرة المهاجرة ثانياً والتخلص من المسؤولية الملقاة على عاتق الوالدين في متابعة بناتهم في حياة غريبة لا تشبه تنشئتها الأسرية في المجتمعات العربية ثالثاً ومن اجل المحافظة على وحدة الأسرة وتضامنها وعدم الانجراف في مغريات الحياة الشبابية للبنات ، رابعاً وإزاء ذلك يدلف الأبوين الى تحريم فتياتهم

القاصرات من التمتع بطفولتهنّ وحرمانهنّ من الحياة البرية او حياة متساوية مع تنشئة تتمتع بحرية العلاقات الصداقية والجنسين مع الجنس الاخر او السهر خارج المنزل وشرب الكحوليات واستخدام العقاقير المخدرة وما شابه .

أي ان سيطرة الرجل (الأب او الأبن) على البنت العربية في المهجر عند الأسرة المهاجرة تتضاعف عليها ليس فقط بسبب المعايير الثقافية العربية وتعاليم الدين بل تخلصاً من مسؤوليتهم الأسرية في تنشئة بناتهم حسب النمط الغربي والمحافظة على مكانة الأب والأم في الأسرة بالسيطرة (البطريقة) على البنات تحديداً ولي هدفهم كسر قوانين البلد المهاجر اليه . هذا من جانب رأي والدي الأسرة المهاجرة إلا انه يختلف من وجهة نظر الجندر الذي يرفض مثل هذه الزيجة لأنها لا تمثل المساواة بين الرجل والمرأة من الناحية العمرية بل تمثل الاستغلال الذكوري للأنثى .

ولا جناح من طرح ما سجلته مليحة احمد شهاب الكاتبة السعودية في كتابها " المرأة السعودية صوت وصورة " عن حالة الزواج من القاصرات في المجتمع السعودي قالت عنه أنه يمثل " وأد الطفولة " ذكرت فيه ما يلي :-

لم نكد ننتفس الصعداء على اثر خلاص طفلة عزيزة حتى نفاجئ بطفلة الثقبه ، فبدأ الأمر وكأنه انتكاسة لكن في حقيقته هو إشارة الى ان الأمر ليس مجرد استثناء جاء نتيجة ظروف صعبة يمر بها والد الضحية ولم يكن له مخرجاً إلا بالتضحية بمن لا حول ولا قوة ، ف جاء المخرج في صورة فتاة تتقافز في ثوب طفولتها بل هو اشبه ما يكون ثقافة ضارية تُسير شريحة من المجتمع كنا نظن انها مجرد استثناء في نسيج المجتمع لكننا نفاجئ بأن تقديرنا لحجم هذه الشريحة كان خاطئاً . وفي الحقيقة ليس مهماً حجمها ومدى تبني المجتمع لها . فحالة واحدة كافية لكي تهز الضمير الإنساني وتجعلنا في مواجهته مباشرة مع إنسانيتنا حالة واحدة كافية لأن تنحط مجتمع كامل بأسره في عيون الخارج ، بانه يتجار بالصغيرات ويعتدي على حقوقهنّ وهذا بالضبط ما تؤكد الحكاية التي ذكرت لها لي صديقتي التي تدرس في الخارج فلقد كانت زميلتها الأمريكية مهتمة بالإسلام ومعجبة جداً بتعاليمه وتشريعاته لدرجة انها طلبت من صديقتي ان تعطيها دروساً في الإسلام حتى جاء ذلك اليوم الذي قرأت فيه تقريراً على موقع CNN الاخباري والذي كان يغطي حكاية طفلة الثقبه . وعلى اثره تغيرت نظرتها

للإسلام وتوقفت تماماً عن تعلمه ، قائلة : كيف يمكنني تعلم دين يبيح اغتصاب الأطفال !!..

نعم انه اغتصاب ، وهذا ما تصفه الدراسات العلمية واليكم ما صرح به الدكتور الصبيحي والذي نشرته العربية نت حيث قال في وصفه الزواج من فتيات صغيرات بأنه اغتصاب وأضاف قائلاً : إن تجربة الليلة الأولى لفتاة قاصر لا تعني معنى الجنس " ستكون موقفاً في غاية البشاعة ، وهذا يدخل في باب الاغتصاب ، ونحن نعرف ان الطفلة التي تتعرض للاغتصاب تصاب بأمراض نفسية عميقة جداً ، حين يعرفون معنى تلك التجربة ويعيشون مرارتها ". وابعده من ذلك ما كشفه عن الدراسات العلمية اكدت ان الذين يعتمدون الزواج من صغيرات هم في الأصل شواذ جنسياً ، شارحاً ذلك قائلاً : " كما هو معروف فإن الشخص اللواطى لا يرغب في الكبار بل يبحث عن الاطفال القصر تحت سن ١٨ ، وبالتالي حينما يكون في مجتمع من الصعب عليه ان يمارس هذه الجريمة وهو يعرف مثلاً ان عقوبتها في السعودية الاعدام بالنسبة للمتزوج ، وعلى وجه الخصوص للشخص المسن فهو يبحث عن مخرج كمقاس الجسد ، لذا يختار الأمر الذي يبعده عن العقوبة الشرعية فيكون امامه الزواج من طفلة يكون جسمها مشابهاً لأجسام الغلمان " لا تعليق بعد كلام الدكتور . لكن كلنا أمل وثقة بأن قادة هذا الوطن ومن بيدهم سن القوانين التشريعية الكافلة لحقوق إنسان هذا الوطن صغيرة قبل كبيرة لن يطول بهم المقام ليصحوا الوضع الراهن ويوقفوا وأد الطفولة على ارض هذا الوطن . [شهاب ، ٢٠١٠ ، ص . ص ٩٧ - ٩٨]

وهناك صورة اخرى قدمتها لنا مليحة احمد شهاب عن هذا النموذج من انتهاك حقوق المرأة حمل عنوان " من يجيز وأد الصغيرات " قالت فيه : " اود ان اوجه الشكر الجزيل لمركز الفحص الطبي لما قبل الزواج في مدينة جدة على قيام طاقمه الطبي بواجبه الإنساني بالتزامن مع واجبه المهني ، نشكر افراده على محاولتهم لإنقاذ طفلتين (الكبرى لم تتجاوز العاشرة والصغرى ذات خمس سنوات) من جريمة كانت والدتهما تسعى لارتكابها في حقهما بتزويجهما لرجلين من اقربائها ، فكما ورد في التقرير الصحفي ان اللجنة (بينت للأم خطورة ذلك وضرر اقدامها على تزويج بنتيهما في هذه السن وتقبلت الأم النصح ووعدت بالتريث وعدم التسرع في قرار الزواج) .

ولقد تضمن الخبر حالات اخرى لصغيرات يعمدن اهلن الى تزويجهن مثل الأخ الذي سعى الى تزويج اخته ذات العشر سنوات (من صديقه البالغ ٤٠ عاماً ومتزوج من امرأتين) !!!

الأم وعدت فقط بالتريث وليس التراجع وهذا يعني ان مشروع الجريمة ما زال محتملاً ام الأخ الذي لم يتلقى أي محاولة لإقناعه بالتراجع لأن الرجل في ثقافتنا كلمته واحدة لا يحيد عنها ولو على الخطأ فمن المؤكد ان اخته ذات العشر سنوات اغتصبت طفولتها بأبشع صورة .

من المسؤول عما يحدث لصغيراتنا ؟ لا تقولون انهم الأهل فهذا يعني اننا نتجاهل اننا نعيش تحت ظل دولة تحكمها قوانين وتشريعات تستند الى الشريعة الإسلامية التي حفظت الحقوق للحيوانات فيكف بالإنسان .

هذا الباب لا بد ان يغلق الى الأبد فهذا الواد لا يرضاه الدين ولا منطق ولا ضمير نائم فضلاً عن الصاحي . إن زواج الصغيرات وآد للضمير الإنساني ومتاجرة بالطفولة وهتك فاحش للبراءة وخروج عن قيم الدين الإسلامي العليا القائمة على حفظ وصيانة النفس البشرية وحمياتها من أي مستقبل لذا شرعت الوصاية للقصر ، لكن ما يحدث ان هناك استغلال بشع للولاية من قبل الولي التي منحها الشريعة له ليقوم بحفظ حقوق القاصر لا انتهاكها واستغلالها ، وفي حال وجد المشرع ان يعطل هذه الولاية ولا بد من سحبها منه الى شخص اكثر تأهيلاً للقيام بواجبات الوصاية لكن هذا لا يحدث ، فالولي له سلطة مطلقة ، والطفل لا يملك ما يكفي في الادراك ليعرف حقوقه فضلاً عن المطالبة بها وحمياتها وفي غياب مؤسسات تقوم على مراقبة ما يحدث لهؤلاء القصر فاستغلال الطفولة والمتاجرة بها سيظل قائماً .

زواج الطفلات حالة إنسانية مستعجلة لا تحتل التأجيل لا تحتل التأجيل لا تحتل انتظار ان يعي رجال الدين فداحة هذا الجرم ليصدروا فتوى بعدم جوازه فعلى وزارة الشؤون الاجتماعية ان تقوم بدورها وتصدر القوانين التي تمنع وقوع جريمة اغتصاب الطفولة تحت غطاء سامي وهو الزواج " [شهاب ٢٠١٠ ص . ص ٩١ - ٩٢]

اخيراً انتهت مليحة شهاب ملاحظاتها عن انتهاك حقوق المرأة السعودية بمقال عنوانه " صباح الخير يا هيئة حقوق الإنسان " قالت فيه : " مجتمع لا يتفاعل مع ما يحدث لأفراده بكل شرائحهم وهو مجتمع متبلد (على الحد الأدنى

من الوصف) ويعيش حالة ما قبل السبات التي هي الوجه الاخر للموت
كنت اخشى ان مجتمعنا مر بهذه الحالة وانا ارى خبر طفلة ذات ثمان سنوات
التي تم تزويجها ، يتداول في الصحف دون ان تسمع ذاك الصدى الطبيعي الذي
كان له ان يكون عند نشر خبر كهذا . نعم كنت اخشى على مجتمعي منه انه
وصل به الحال الى هذا الحد من التبدل الذي يجعلنا نفقد الثقة في اننا كغيرنا من
بني البشر الذين لو تجرأ احدهم على تزويج طفلة لزوجَّ به في غياهب السجون
فهذا تقرير (هيومان رايتس واتش) الذي صدر مؤخراً يضعنا ضمن خمسة
دول اسلامية تقوم بإعدام صغار السن الجناة ، فالعام تستنكر إنسانية إعدام صغار
السن وإن كانوا جناة فكيف بالذين لم يرتكبوا جرماً ولا خطيئة ...؟ نعم كنت
اخشى من ان مجتمعي يفقد إنسانيته شيئاً فشيئاً مما يعني عدم الوثوق بعدالته
... نعم كدت ان اعتقد ذلك لولا الخبر الذي نشر في جريدة الوطن تحت عنوان
(حملة وطنية شعبية لمنع تزويج الأطفال) يعلن عن جهود جمعية الدفاع عن
حقوق المرأة في السعودية ، تحت التأسيس (في اعداد عريضة يتم الرفع بها
لهيئة حقوق الإنسان في ذكرى اليوم الوطني للمطالبة بوضع حد لظاهرة تزويج
الأطفال) . من الملاحظ ان هذه الجهود ليست فقط في رفع صوت الاحتجاج
ورفض ما يرتكب في جريمة في حق صغيراتنا اللاتي لم يدركن شيئاً من امور
الحياة . ببعثرة الكلمات الرافضة دون الإقدام على الفعل الايجابي الذي يعبر عن
الحجم الحقيقي لإبعاد مأساة ما يحدث لمن لا حول ولا قوة ... هذه الجمعية تبذل
جهوداً إيجابية نتيجة احساسها بوجود القيام بذلك وهذا الاحساس ليس فائضاً عن
الحاجة بقدر ما هو مرتبط بإملاءات الحس الإنساني لعضواتها الذي لولاه
سيشعرن بأنهن أي شيء غير كونهن كائن إنساني . حينما يصاب الجسد
بالمرض لا شيء يدل على حياته سوى الاحساس بالألم وما تقوم به الجمعية
إشارة اننا احياء وان هناك خلل بحاجة الى اصلاح كل ما ارجوه ان تأخذ هيئة
حقوق الإنسان في عين الاعتبار العريضة التي سترفعها الجمعية وان تتحمل
الدور كاملاً في وضع حد لما يسمى بالمتاجرة بالطفولة وعليها ان تضع برنامجاً
لضخ دماء الإنسانية في عروق مجتمع تكاد ان تفرغ من دماء الإنسانية " .

[شهاب . ٢٠١٠ . ص . ص ٨٩ - ٩٠]

ملك سوازيلاند له ١٣ زوجة واحتفالاته تحييها العذارى ! هناك في القارة
السمراء بقعة ارض فيها من الخيال ما فيها تحيط بها جنوب افريقيا من ثلاث

جهات وموزمبيق من الشرق هي سوازيلاند التي لم يقف احد عند عاداتها الاجتماعية إلا اصابة الذهول بسبب احتفالها السنوي الذي يشكل مادة دسمة لكل وكالات الأنباء العالمية فما الذي يدور في خلد اكثر من ٢٠ الف فتاة يجتمعن امام ملك البلاد !

لا تزال سوازيلاند بلداً بعيداً عن حركة التقدم العالمية يتزوج فيها الأمراء المسنون من طفلات غير بالغات بحجة التقاليد والثقافة الوطنية يحكمها الملك مسواتي الثالث الذي تولى مقاليد الحكم عام ١٩٨٦ بعد والده "سوبوزا الثاني" . " مسواتي " هو الابن الوحيد لوالدته (انتوني) المعروفة ايضاً باسم "انغوسيكتي لاتفاولا" وكانت اصغر زوجات الملك ، كما انه احد ابناء الملك سوبوزا الثاني كانت له ٧٠ زوجة و ٢١٠ اطفال وعند وفاته كان لديه ١٠٠٠ حفيداً . حيث تولت امه (الوصاية) على العرش لحين إكمال دراسته في بريطانيا ليعود بعدها ويتولى شؤون البلاد .

موقف ملكي

تشير الأرقام الرسمية الى ان شخصاً من كل اربعة مواطنين يعاني من فيروس الإيدز في تلك المملكة والارقام السيئة تكون بين الحوامل التي اثبتت دراسة ان ٤١% منهن مصابات بالمرض ولهذا السبب فإن ثلث أطفال البلاد اصبحوا أيتاماً هنا اخذ الملك موقفه في العام ٢٠٠١ وحاول الحد من انتشار مرض الإيدز ودعا الى ممارسة طقوس (العفة القديمة) المعروفة باسم (أمتشواشوا) والتي تمتع المرأة تحت سن ١٨ من ممارسة الجنس ورغم ان شرطة سوازيلاند طبقت قانون خطر ارتداء التنورات القصيرة جداً والسراويل المنخفضة الخصر لأنها تسهل عمليات الاغتصاب – حيث اعتبرت المرأة التي تتعرض للاغتصاب وهي في هذه الملابس هي المسؤولة – فإن الحظر لم يشمل الملابس التقليدية التي ترتديها الشابات في الاحفالات السنوية التي تقام في سبتمبر من كل عام وترقص خلالها الفتيات اللاتي يتجاوز عددهن الـ ٢٠ ألفاً ويفترض ان يكن عذارى شبه عاريات امام الملك ليختار منهن زوجة له .

تقول " إيمي سيميلين " ١٥ عاماً وهي واحدة من الفتيات الراقصات في الحفل : " تحاول امي إعالتي بعد وفاة ابي بالإيدز لكننا نحصل على طعامنا من برنامج الغذاء العالمي اريد ان اعيش في قصر ، فمياه الامطار تتسرب من سقف الكوخ

الطيني الذي تعيش فيه " فيما لا تهتم " نابسيلي دلاميني " ١٣ عاماً ان يكون للملك نساء غيرها فكل ما تريده هو ان تقود سيارة مرسيدس .

تقليد انثوي

من وجهة نظر الملك ان رقصة " اوملانجا ريد " التقليدية هي تعبير عن الانوثة والعذرية لكن الجماعات النسائية في البلاد ترى ان ولعه يتعدد الزوجات يلحق القدر بالبلاد التي تعاني اعلى معدلات إصابة في العالم بفيروس نقص المناعة المكتسبة . ورغم تطور الذي يشهده العالم فإن الملك – الذي قدرت مجلة فوريس ثروته بـ ٢٠٠ مليون دولار امريكي – يصّر على البقاء بملابسه التقليدية المكونة من جلود الفهود والأسود وان يكون زوجاً لـ ١٣ امرأة كل ذلك بينما ثلثا سكانها يعيشون تحت خط الفقر و ٤٠% منهم يعانون من البطالة بالإضافة الى قرارات حكومية يخفض الاتفاق وصلت لإطفاء اضواء الشوارع واغلاق المدارس حتى طعام السجناء تم تقليله !

٣٦٠ مليون دولار

تمضي ملكات سوازيلاند الـ ١٣ عطلتهنّ السنوية الفاخرة وهنّ يتجولنّ في طائرة اشترها لهنّ بكلفة ٣٦٠ مليون دولار كل هذا بالإضافة الى تكلفة الرحلة نفسها حيث يقضين اسبوعين في اسيا ثم جولة بالمحيطين الباسيفيكي والهندي وقد ذكرت صحيفة بريطانية ان الحاشية وحدها كانت تظم ١٠٠ فرد خدموا الملكات في جولتهنّ في اليابان واستراليا والمحيطين الباسيفيكي والهندي وتجاوز العدد هذا الرقم عندما سافرنّ في العام الذي سبقه الى الولايات المتحدة و اوربا والشرق الأوسط وعادة ما تكون رحلة العطلة الملكية سرية جداً ! .

هروب العروس

السرية لم تكن قادرة على اخفاء اخبار من يحاولنّ الهرب من الزواج من الملك فعندما طلب يد شابة " تنتسوالو نغوبيني " طلبت الأخيرة اللجوء الى بريطانيا . تعلق نغوبيني " ارفض ان اكون زوجته الرابعة عشر " ، يسمح للملك مسواتي ان يختار زوجة جديدة سنوياً بعد الحفل الراقص لكنه قد قرر واختار الانسة نغوبيني منذ سن الخامسة عشره بعد ان رآها في قصر زوجته الرابعة تقول الفتاة " أصبت بالرعب عندما بدأ يتصل بي في المدرسة ويسألني عما إذا كنت اريد ان اكون من ضمن عائلته الملكية " لم يخطر ببال نغوبيني انها ستكون داخل قصر محاط بالحراس ولا تستطيع الذهاب الى أي مكان – إلا بعد موافقة الملك –

سوى الذهاب الى امريكا مرة سنوياً للتسوق مهما بلغت النفقات فتركت مدرستها الداخلية الخاصة بمساعدة عمته وهربت الى بريطانيا لتنضم الى امها التي انتقلت الى برمنغهام قبل خمس سنوات من هذا التاريخ هرباً من زواج مماثل تقول نغوبيني " ليس هناك من يجرو على رفض طلب الملك او ان يرفض إطاعة اوامره ولذلك فضلت الهروب " .

خيانة زوجة

هروب نغوبيني اشعل الانتقادات وبدأت سلسلة الفضائح بالظهور على السطح فحسب صحيفة " التليجراف " البريطانية ان الملك طرد وزير عدله بعد ان زعم انه على علاقة مع الملكة نوتاندو ديوبي (الزوجة الثانية عشر) التي فازت بمسابقة ملكة جمال المراهقات وهي في سن السادسة عشرة لكن يبدو ان هذه الفتاة ضجرت من الحياة الملكية والبروتوكولات وانتظارها في الصف الطويل وقيل انها تنكرت على هيئة جندي لتتمكن في اجتياز حراس الأمن في القصر وخروجها منه ، يومها وضع الوزير " ندوميسو " قيد الحجز حالياً الملكة تحت الإقامة الجبرية طوال حيلاتها لكنها استطاعت - وهي في سجنها - الوصول لإحدى الصحف جنوب افريقيا لتشكو زوجها الملك الذي يحتفظ بها سجينه الى الابد في قصرها الخاص .

بالآلاف

في نيسان من كل عام يحتفل الملك بعيد ميلاده وعادة ما ينظم زعماء القبائل التقليدية في منطقة " اشيسيلوني " الاحتفالات هذا الشهر ، وقد يكلفون ايضاً بتقديم المواشي له ، يومها قال وزير الداخلية (الامير جكوكوما) جملته "يدركون تمام الإدراك الدور المرجو منهم إذ انهم سيستقبلون الملك في هذا اليوم المشهود " .

وقد تخصصت الحكومة مبلغ خمسة ملايين راند من ميزانيتها (٦٥٢ الف دولار) لإحياء الحفل . ورغم ان حزب المعارضة المحظور يطالب في السنتين الأخيرتين بإلغاء الاحتفالات وتخصيص الاموال المزمع انفاقها لمنح تقدم لطلاب فقراء . فإن عادات اعياد الميلاد وتخصيص قصر لكل زوجة لا تزال قائمة .

[مجلة سيدتي العدد ١٧٠٤ . سنة ٢٠١٣ . ٢ نوفمبر]

٣ / د - ٢ - ٢ - نموذج استغلال مواردهن

راتب الزوجة من حقها شرعاً ولا يجوز تهديدها للحصول عليه بالرغم من إن المرأة تقلدت العديد من المناصب واصبحت تنافس الرجل في الكثير من الاعمال إلا انها ما زالت تتعرض الى الظلم من قبل زوجها ، وذلك باستيلائه على راتبها وأخذه بالقوة و احياناً يصل الامر الى التهديد وللأسف بعض الأزواج اعطوا انفسهم الحق بالتصرف براتب زوجاتهم ولا يعلمون حكم ما يرتكبونه في حقهن من الناحية الدينية ، اوضح الداعية الشيخ محمد الماجد الذي تحدث بالتفصيل عن هذا الموضوع وبين حكم اخذ راتب الزوجة بالقوة وحكم تصرفها براتبها دون الرجوع للزوج ومطالبتها بمصروف خاص لها وكذلك اخذها من مال الزوج دون علمه وقدم وصايا للزوج بعدم أخذ مالها .

حكم اخذ راتب الزوجة بالقوة والتهديد

يقول الداعية الشيخ محمد الماجد : " لا يجوز اخذ راتب الزوجة بالقوة والتهديد مهما كانت الاسباب وذلك استناداً لقول الرسول ﷺ : " لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه . " والزوجة التي تريد اعطاء زوجها او مساعدته بجزء من مالها فلها الحرية الشخصية بذلك ولكن بشرط ألا يكون غصباً او كرهاً . " وأضاف " إن راتب المرأة من حقها لأنها هي من تتعب لأجل الحصول عليه و احياناً تضحي بوقتها وتحاول ان توفق بين عملها والمنزل من اجل المحافظة على البيت والعمل وهذا يكلفها الكثير من الوقت والجهد . " وكذلك نصح ان لا يكون المال دائماً نقطة خلاف بين الزوج والزوجة كما يحدث مع الكثيرين وبسبب الحساسية الزائدة والخلافات المستمرة التي تعكر صفو الحياة بينهما . وقال : " هناك رجال - هداهم الله - يفضلون الزواج من موظفة وذلك لاستغلالها واخذ راتبها وهذا لا يجوز بالطبع . "

حكم تصرف الزوجة براتبها دون الرجوع لزوجها

أوضح الداعية محمد الماجد انه يحق للزوجة ان تتصرف براتبها كاملاً دون نقصان كإنفاقه على اسرتها بالكامل . او اعطائهم جزءاً منه كمساعدة او هبة منها لهم دون العودة او الاستئذان من زوجها لأنه حق من حقوقها حتى وان ارادت ان تقوم بعمل مشروع تجاري ، او تغيير ديكورات خاصة بالمنزل يجوز ان تقوم بذلك دون الرجوع اليه ولكن من باب الذوق والعشرة بينهما يفضل ان تسأله وتستشيرته حتى يكون هناك تقارب فيما بينهما . اما إذا استدان زوجها منها مالاً وطلب منها ان تقوم بصرف المال في امور تخص المنزل بحيث انه سيعيده

لها بعد فترة من الزمن فيصبح ذلك المال ديناً برقبته ويجب ان يسدده وحتى ولو توفى وجب على ابنائه تسديده . ويجوز للمرأة من باب التسامح بين الزوجين والعشرة والمحبة مسامحته بالمال الذي استدانه منها فقد تسامح الزوجة بحقها في سبيل زوجها . كما ان النبي ﷺ عندما حث النساء على التصدق ألقين بالخواتم والحلي في حجر بلال ولم يسألهن النبي هل استأذنن أزواجهن في ذلك ام لا ؟ وهذا دليل على ان الزوجة حرة بمالها وكانت زينب ام المؤمنين تدبغ وتحرز وتتصدق بما تكسبه كله على المساكين وأخبر عنها النبي ﷺ بأنها اطول زوجاته يداً بسبب كثرة تصدقها ولا يمنع ذلك من تطلع الزوجة زوجها إذا رغبت على حالتها وتصرفاتها المالية حتى لا يدخل الشك قلبه ومن باب العشرة التي بينهما . فكثيراً ما تدخل الشكوك والريب قلوب الأزواج من هذه الناحية كذلك الزوجة الحق بأن تتصرف في مالها الخاص بالأمر المشروعة دون إذن الزوج ما لم يكن بينهما اتفاق . اما إذا كان هناك اتفاق مشروط او معروف على ان مال الزوجة يكون كله او قدر معين منه في مصاريف الأسرة فلا بد تنفيذ الاتفاق التي التزمت به والمؤمنون عند شروطهم .

مطالبتها بمصروف

كما بين الداعية محمد الماجد ان من حق الزوجة - حتى لو كانت امرأة عاملة وتستلم راتباً جيداً كل شهر - ان تطلب مصروفاً شخصياً لها من زوجها لأن هذا حق من حقوقها وعلى الزوج اعطاؤها اياها وهي نفقة خاصة من الزوج وهو حق كفله الشرع لها . ولا يجوز للزوج ان يتهرب او يتذمر من او يتكاسل ويماطل في دفع ما تطلبه منه الزوجة لأنه حق وواجب شرعاً وقضاً وهو مطالب به .

وأوصى الداعية الماجد الأزواج بالابتعاد عن أخذ اموال زوجاتهم بالقوة ويقول : " اوصي الأزواج ان يتقوا الله سبحانه وتعالى في زوجاتهم وتعاملهم معهن فقد قال رسول الله ﷺ : " أني أخرج حق الضعيفين ، المرأة واليتيم " وهنا من خلال الحديث الشريف يتضح لنا ان الرسول ﷺ قرن الزوجة باليتيم لأنها إذا تعرضت الى ظلم من قبل الزوج مثلاً - فهي قد لا تجد من تشتكي اليه إلا الله سبحانه وتعالى وقد يتخلى عنها اقرب المقربين من أب او أخ او ابن وغيره فتلجأ الى الله - عز وجل - حتى يكون لها ولياً ونصيراً " . وطالب الماجد الأزواج بأن لا يظلموا نساءهم بأخذ حقوقهن بالقوة وقال : " ينبغي على المسلم ان يتقي

الله في جميع اموره ويكفي ان النبي ﷺ اوصى بالنساء وهو في حجة الوداع
ويجب على المسلم تنفيذ ما اوصى به رسول الله " .

وشهد الماجد على ان المرأة كائن ضعيف يحتاج الى العطف والمساندة فهي
إذا ظلمت واران ان تأخذ حقها وتخاصمت مع زوجها فقد تقف في البداية في
وجهه لكنها لا تستطيع ان تكمل فهي عاطفية وبمجرد قول كلمة فأنها تبدأ بالبكاء
ويقول : " انصح الازواج بأن يتقوا الله فيهنّ لأنهنّ امانة في اعناقهم كما ان هناك
ازواجاً - مع الاسف - يحاولوا ان يستغلوا المرأة لأنها ضعيفة فيستولون على
اموالها وراتبها ويهددون بالطلاق او اخذ الابناء إذا لم تمنحهم الراتب او جزء
كبير منه وهذا الأمر لا يجوز لأنه يعد تسلطاً على الزوجات وإيذاء وقهر لهنّ
ويجب على الازواج الاقتداء بكلام الرسول عليه الصلاة والسلام حيث اوصى
خيراً بهنّ وامر بذلك ، وراتب المرأة لها لأنه بالأصل هو عناؤها وكدها
وشقاؤها وهو حق من حقوقها وليس من حق الزوج ان يطالبها به . او ان ينزعه
منها بالقوة كما يفعل البعض كذلك لا يحل له من مالها إلا ما طابت نفسها اما إذا
لم تطب نفسها بشيء فيجب ان يتجنب اخذ مالها " . كما اوصى الزوج بأن راتب
الزوجة من حقها شرعاً ، ولا يجوز للزوج الحصول عليه دون وجه حق سواء
كان ذلك بالضغط عليها او مساومتها على حقها الشرعي في العلاقة الزوجية كما
يفعل بعض الازواج مع الاسف ، وشدد على عدم جواز هجران الزوجة في
الفراش من باب الضغط عليها حتى تعطيه راتبها . كذلك بعد المال الذي يأخذه
الزوج من زوجته دون رضاها او علمها حراماً حيث قال الله تعالى " ولا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من اموال الناس بالإثم
وانتم تعلمون " . [مجلة سيدتي ، العدد ١٧٠٤ ، سنة ٢٠١٣ ، ٢ نوفمبر]

٣ / د - ٢ - ٣ - نموذج الصاق وجودهنّ بوجوده

كتبت الكاتبة والناقدة السعودية " مليحة احمد الشهاب " التي لها عمود اسبوعي
في جريدة الوطن السعودية في كتابها " المرأة السعودية صوت وصورة "

٢٠١٠ عن ظاهرة المحرم قالت فيها " المحرم هو الشيء الوحيد الذي يمنح المرأة السعودية صفة الوجود وحق ممارسة الحياة والتمتع بمباهج الدنيا وان تكون عضواً فعالاً في بناء المجتمع . وفي حالة انعدامه فهذه المرأة شيء زائد وامام المؤسسات الحكومية تعامل ككائن ليس له شخصية اعتبارية وبالتالي لا يمكن انجاز أي معاملة لها ... فمن تفقد الظل الذكوري تغدو شخصاً لا وجود له ولا قيمة ، وبالتالي ليس لها أي متطلبات حياتية او ضرورات وجودية ... ولكي تملك المرأة حق الاعتراف بوجودها فهي بحاجة الى ظل ذكر في كل مراحل حياتها ، ومهما بلغ بها العمر عتياً ومهما حققت من انجازات علمية ، وبرهنت على انها تمتلك عقل قادر على التفكير والتميز والابداع ، وكشفت عن نفس طاهره ونقية ... فلا شيء يشفع لها سوى ذلك الظل وان كان اقصر من ان يغطي اصغر اناملها .

هذا ليس نمط تفكير اجتماعي يمكن السكوت عنه بل هو تشريع وقانون تقوم عليه مؤسسات الحكومة في تعاطيها مع المرأة وهو نظام يحكم تحركات المرأة ويشل حركتها ويقعدها عن الحصول على ابسط حقوقها .

إن من شرّع هذا القانون ، تعاطى على ان المحرم شخص يتوفر لكل امرأة ومفترضاً (بحسن نية) إن هذا المحرم لا بد وان يكون إنساناً عادلاً ليس له ام يمتد بظلمه الى محارمه ، لذا لم يقم بسن تشريع يحمي المرأة من ظلم محرمها ، او يحدد إجراءً يحفظ حق المرأة في حال تجاوز المحرم غاية التشريع ، وقام بهضم حقها ولم يضع حلاً للمرأة التي حرمتها الحياة من وجود محرم في حياتها .. لذا نجد المرأة التي ليس لها محرم تواجه تعقيدات في كل شؤونها الحياتية ، فاستخراج جواز سفر والحصول على بطاقة احوال او الزواج فضلاً عن حق الدراسة والتوظيف ، كلها حقوق ومكتسبات لا يمكن للمرأة الحصول عليها إلا بموافقة محرم وعدم توفره يترتب عليه توقف مصالح المرأة ... ومن المؤكد ان هذا خارج اهداف التشريع لذا نحن في مسيس الحاجة لإعادة النظر في بعض التشريعات التي تخص المرأة والعمل على تحديثها بما يرفع الضرر الذي يحول بينها وبين حقها في الحياة " .

اما فيما يخص حرمانها من سيطرة السيارة في بلدها فقد قالت فيه : " إن المرأة السعودية هي الوحيدة بين نساء العالم الممنوعة من قيادة السيارة لذا ما ان تغادر

الحكومة ارض الوطن وتطأ بلاد الغرب حتى تواجه بالسؤال المزمّن المحرج ، لماذا تحرمون وتمنعون المرأة من قيادة السيارة ؟ ومتى ستسمحون لها بذلك ؟
أجاب سمو الأمير سعود الفيصل في القناة الرابعة بالتلفزيون البريطاني حينما سُئل عن قيادة المرأة للسيارة حيث قال " بالنسبة لي شخصياً اعتقد ان من حقهنّ ان يقدنّ السيارات لكننا لسنا الجهة التي تقرر ذلك ، العائلات هي التي يجب ان تقرر ذلك ولا ينبغي ان تفرضه الحكومة فالحكومة لا تفرض على النساء قيادة السيارة ولا تمنعهنّ " . [الشهاب ، ٢٠١٠ . ص . ١٢٩]

في الآونة الأخيرة ارتفع منسوب المطالبة بمنح المرأة حقها في قيادة السيارة وهذه المطالبات تعلنها وتقدمها الفئة المتضررة من المنع وهنّ النساء وذلك في ظل غياب مساندة ودعم مباشر من النصف الآخر (المتضرر ايضاً بشكل او بآخر) وهو الرجل . هذا الرجل وعلى وجه الخصوص ذاك الذي يكرر في كل احاديثه الاجتماعية انه مع ضرورة ان تمنح المرأة حقها في قيادة السيارة هو نفسه حينما يسمع اصوات النساء ومحاولتهنّ الجادة للحصول على هذا الحق ، يتعالى صوته مثبطاً في اقل تقدير تلك الجهود فيقول متعجباً : وهل اكبر همّ للمرأة في بلادنا هو قيادة السيارة ؟

يا سيدي الحريص على حقوق المرأة ، ألا تعلم بأن المرأة تُهان وتُذلل لأنها محرومة من القيادة بنفسها ... المرأة تموت لأنها ممنوعة من القيادة ... المرأة تتعرض للاغتصاب لأن العادة حكمت ان لا تقود المرأة السيارة ... المرأة تعطل طاقاتها وتبقى حبيسة اربعة جدران شبيهة الخلوة لأن ليس امامها غير ذلك لقضاء حاجاتها . ومن يتوفر لها تلعب بها الهواجس فهي في كل مرة تذهب فيها الى الجامعة برفقة محرّمها الذي لم يتجاوز السبع سنوات وكانت تتساءل بذعر لو قرر هذا السائق الأجنبي ان يستنذب وينحرف بالسيارة الى طريق الجريمة كيف بمقدور هذا الصغير ان يمنعه ؟ وتتصور نفسها وهي مشطورة بين مقاومة هذا الذئب وبين رغبتها في ضم هذا الطفل الى صدرها كي توفقه عن البكاء وتسكن روعه وتذهب عنه الخوف ويذهب خيالها الى العقد النفسية التي ستصيب هذا الطفل وستظل مصاحبته طوال ايام حياته . لتنتهي باتخاذ قرار عدم الذهاب الى الجامعة وايقاف مسيرة تعليمها . اما فيما يخص التعامل معها على انها كيان قاصر ومشروع فتنه فيه . منذ حمورابي والقوانين تسن لحماية الحقوق وضبط حركة المجتمع ، ومنع الضرر والاعتداء على الاخرين ، إلا هنا في السعودية

فالكثير من القوانين والتشريعات تعيق حركة المجتمع وتسهل الاعتداء على حقوق الآخر ، وتظهر كمظلة لكثير من التجاوزات الإنسانية وهذا يتجلى بشكل واضح (لدرجة رؤية الاعمى له) في التشريعات التي تتعلق بالمرأة ... ويكفي زيادة واحدة لأي دائرة حكومية لئُصدم بمدى الضرر الواقع على المرأة بسبب تشريع سن منذ عقود ولم يعاد النظر فيه ومحاولة تحديثه وتطويره بما يتناسب مع الحالة الاجتماعية الجديدة ، فغدا عاجزاً عن تلبية الحاجة والمتطلبات الحياتية المتطورة مما كان سبباً في كثير من التجاوزات الإنسانية التي يندي لها الجبين ... ولقد رأيت ذلك بأم عيني حينما ذهبت الى مديرية الجوازات في الدمام واول شيء استقبلني هو صوت بكاء وصراخ كأنه نواح يصدر من امرأة تجاوزت السبعين من العمر وتردد بإصرار : لن اخرج من هنا حتى تخلصون لي جوازي .. كانت صورتها مزيجاً من الفجيعة والالم والحيرة والغضب العاجز ... حتى ذاك الموظف الذي تستنجد به ولا تجد عنده جواباً سوى : اخرجي واحضري ولي امرك ليعطينا الأذن بتجديد جوازك ، لقد كانت ملامح هذا الموظف تطفح بالتعاطف مع هذه المرأة العجوز ، وتمنى لو يجد في القانون المحكم ولو ثغرة يستطيع من خلالها ان يساعد هذه المرأة في استخراج جوازها وينقذها من الذل الذي يسومه لها ولي امرها وما هو إلا ابنها الوحيد من بين ثمانية بنات .

أي قانون هذا الذي يعين الولد على عقوق امه ...!!! أي قانون يمنح الأبن حق التسلط والولاية الكاملة على من كانت سبباً في وجوده ومن أفنت عمرها في تربيته ...!!! أي قانون يتعامل مع المرأة على انها قاصر ومشروع فتنه وتخريب حتى بعد ان بلغت من العمر عتياً!!! أي قانون هذا الذي يُسن على اسا ان المرأة قاصرة عقل وهي من يناط لها اصعب مهمة حياتية وهي تربية الأجيال .

[الشهاب . ٢٠١٠ . ص . ص . ١٤٥ - ١٤٦]

٣ / د - ٣ - النموذج الثالث حق الأنوثة البيولوجية

٣ / د - ٣ - ١ - نموذج استئجار الأرحام Surrogate Motherhood

من بين جملة انتهاك حقوق المرأة هو استغلال احد اعضاء جسدها مقابل حصولها على مبلغ من المال وهذا يعني ان احد اعضاء جسدها اصبح يتعامل معه مثلما يتم التعامل مع السيارة للأجرة او الشقة للإيجار وهذا احد اوجه الاسترقاق البشري المعاصر . إذ تتلخص فكرة تأجير الارحام بأن تتقدم امرأة تستطيع الحمل والولادة من اسرة لا تستطيع الزوجة فيها ان تحمل وتلد اما لغياب الرحم لديها نهائياً او لعدم قدرتها على احتضان الجنين او لعدم الرغبة لدى هذه الزوجة بالحمل ترفاً وتجنباً لمشاق الحمل والولادة فتأتي هذه المرأة المستعدة للحمل وتتطوع بإتمام العملية بأجر او تبرعاً بدون اجر والغالب في الأمر يكون هناك عقد واتفاق ومحامون حتى تأخذ العملية بعداً قانونياً لا يستطيع أي طرف ان يفسخ العقد او ان يتراجع دون سبب مذكور في العقد وهناك شركات خاصة في العالم الغربي مهمتها البحث عن النساء الراغبات في تأجير ارحامهنّ والحمل عن غيرهنّ منها شركة ستوركس Storkes في الولايات المتحدة الامريكية في مدينة لوس انجلس وتكونت جمعية تسمى جمعية الامهات البديلات او الامهات المستعارات Mothers Surrogate يتوافد عليها عدد من الازواج المصابين بنوع من العقم للبحث عن رحم مستعار . وفي نيويورك مركز للعقم ، هناك جمعية الأبوة بالنيابة وهناك ما يعرف بمزرعة الأطفال .

بعد استئجار الارحام احد اوجه الاخصاب الصناعي Artificial Insemination الذي اخذ ابعاداً جديدة بعد العقد السادس من القرن العشرين وذلك بتأثير الثورة الثقافية التي حوّلت التناسل من هدفه الجنسي الى الاجتماعي الأمر الذي بات متعكساً ومتضارباً مع النواميس الاجتماعية والقواعد القانونية لا لأنه يمثل نشاطاً طبيعياً بين الزوجين بل بمشاركة شخص ثالث واحياناً رابع وهذا مخالف للطبيعة البشرية بين الزوجين من اجل ارضاء الزوجة المريضة او الزوج العقيم ومتعارضاً مع طبيعة الاغلبية الساحقة من افراد المجتمع ومنافياً للمبادئ الدينية . [العمر . ٢٠١٢ . ص . ص ٣٧٢ - ٣٧٣] .

ومن بين الجدل الذي اثار الاوساط العربية هو ما طرحته مجلة سيدتي (السعودية) المتخصصة بشؤون المرأة وما هي ردود افعال اطيفاف المجتمع نحو هذا الانتهاك لحقوق المرأة في استغلال احد اعضاء جسدها واستخدامه كماكنة انجابية مقابل حفنة من المال وهذه احدي مخالقات الطبيعة البشرية وهي كما يلي

استئجار الأرحام بين الرفض والقبول

" المال والبنين زينة الحياة الدنيا " فالحياة من دونهما لا طعم لها ولا لون ، بل شقاء وعذاب إلا أن الانسان قد يصبر على فقد المال لكنه لا يتحمل فكرة ان يُحرم من الزينة الأجل وهي الأبناء لذا يسعى بكل جهد مادي ومعنوي للحصول عليهم مهما كلف ذلك من عناء إلا ان التوفيق لا يكون حليف كل المحرومين فيحاولون اللجوء الى طرق اخرى لنيل مبتغاهم وتحقيق حلم الأمومة والأبوة ، وإن كان مرفوضاً شرعاً وقانوناً . من ذلك لجوء بعض السعوديين الى تأجير الأرحام او البويضات في الخارج ما اعاد الجدل بين المؤيدين والمعارضين الى السطح .

بداية التفت " سيدتي " الدكتور حمد الصفيان استشاري النساء والولادة واطفال الأنابيب في مركز ذرية الطبي ، وسألته : ما الاسباب الطبية التي تجعل الأسر تلجأ الى تأجير الأرحام ؟ غالبية من يلجأن لعملية تأجير البويضات والأرحام هنّ النساء اللواتي يعانين من عدم وجود ارحام ، او ان تكون ارحامهنّ غير مستقبلية للأجنة ، وكذلك للسيدات اللاتي لا يملكنّ مبايض او ان لديهنّ عجزاً مبكراً في انتاج المبايض وهذه المشكلة بالنسبة للدول الغربية التي لا تحكمها شريعة من السهل حلّها من خلال وضع قوائم لمتبرعات بويضات ومتبرعين بحيوانات منوية وكذلك لمتبرعات بحمل الاجنة ومن ثم يتم التنسيق وعمل التلقيح المطلوب وبذلك يكون الامر قد انتهى بالنسبة لهم ... اما في دول العربية والإسلامية فلا تزال عملية استئجار الرحم او البويضة مسألة جدلية وتخضع للأخذ والعطاء ولذلك الفتوى فيهل لهيئة كبار العلماء .

يقال أن هناك اسراً سعودية بالفعل تتوجه للخارج لتأجير الأرحام ؟ فعلياً بعض الأسر اتجهت للخارج بعد التواصل مع المراكز المتخصصة من خلال الانترنت حيث تم التنسيق لإجراء عمليات التلقيح وأخذ البويضات من متبرعات او بالتلقيح من الزوجين او استئجار متبرعة للحمل به ، وغالبية تلك الأسر التي تلجأ للخارج تتحرك بناءً لفتوى خارجية او ان تقوم بعملية فتوى لذاتها مع حرصها للتأكيد على الطفل الذي ستحصل عليه بوجود ام اخرى له هي صاحبة البويضة او الرحم في البلد الفلاني كنوع من التحذير له مستقبلاً من الزواج من احدى قريباته . وهناك بعض الأسر التي تملك فيضاً من الحب والحنان وترغب في كفالة طفل يتيم وتنال على ذلك الأجر والثواب ، ولكن طول الإجراءات

الروتينية للكفالة والتي قد تمتد لسنوات تجعل الكثيرين منهم يصابون بالملل ويفكرون بالسفر للخارج .

هل توجد نسب معينة لتلك الأسر السعودية ؟

يقول الدكتور الصفيان لا توجد نسب تلك الأسر التي تلجأ الى الخارج ، ولكن لو لدينا ١٠٠ حالة من حالات العقم فيمكن علاج ٧٥% منها في السعودية ومن ٢٠ الى ٢٥ % تقريباً يغادر الثلث للخارج وغالبية تلك الأسر تصل لمرحلة التمسك بالشريك واستبعاد فكرة الزواج بشريك آخر ، مع ان التغيير يزيد من احتمالية زيادة فرص الانجاب .

الأطباء ورجال الدين

كأطباء نساء وولادة وتلمسكم عن قرب لمعانة الأسر ألم تكن لكم مبادرات لدراسة الأمر مع رجال الدين ؟

يقول الدكتور الصفيان ، كانت هناك جلسة لدراسة الأمر جمعت بيني وبين الدكتور سعد الحسن والدكتور هشام ايوب وعدد من رجال الدين وعلى رأسهم الشيخ عبد الله المطلق وكانت الجلسة من مبدأ لا ضرر ولا ضرار ولحفظ الأنساب وليس لتسوية الشريعة للعلم والتقنيات بل للوصول لنتيجة في صالح المرض وفي حدود الشرع وقدر المستطاع وعلى ان تكون لكل حالة فتوى خاصة ، علماً بأنه يتم الان وبشكل كبير جداً العمل على الخلايا الجذعية التي لها القدرة على النمو والعودة لأصلها واستغلال ذلك في انتاج حيوانات منوية للرجل من جديد وعلى الرغم من ان هذه الأبحاث لا تزال في اول عتباتها إلا انها ستفتح افقاً جديدة ويمكن ان تساعد كثيراً من الأسر التي تخشى من مخالفة الشرع واختلاط الانساب .

فيما أشار الدكتور احمد كبوس : الى غياب الإحصاءات التي تؤكد اتجاه الأسر السعودية المحرومة من الانجاب الى الخارج بهدف تأجير ارحام النساء وانجاب اطفال وما إذا اصبح ذلك الامر يمثل ظاهرة في المجتمع السعودي ام انها مجرد حالات فردية مشيراً الى صعوبة اجراء مثل هذه الإحصاءات في ظل السرية التي تتعلق يمثل هذه المواضيع اسوة بالسرية التي تفرضها الكثير من الأسر التي تقوم بإجراء عمليات اطفال انابيب تتم داخل السعودية . وذلك على الرغم من إباحته من الناحية الشرعية .

رفضت الناشطة الحقوقية الدكتورة سهيلة زين العابدين الفكرة جملة وتفصيلاً باعتبار انه غير جائز شرعاً واعتبرته موضوعاً خطيراً لا بد من وضع حد له لأن الولد في هذه الحالة يصبح كأبن زنا وهو بذلك مخالف للشريعة الإسلامية وجميع الأديان السماوية بما فيها المسيحية واليهودية وطالبت الدكتورة سهيلة الأسر التي حرمت من الانجاب بالصبر والرضا بقضاء الله وقدره او اللجوء للزواج والتعدد الذي اباحته الشريعة الإسلامية .

فيما طرح هذا الموضوع اصاب ماجد العنزي بالدهشة وما لبث ان تحول الى مستنكر لها وغير متقبل لتفاصيل مثل تلك الاتفاقيات وبشكل نهائي خصوصاً وانها لا تتفق مع فتاوي مجمع الفقه الإسلامي التي اكدت على تحريمه والتي يتفق معها شخصياً من حيث العقل والعاطفة . وهي رأي مخالف ترى ام محمد موظفة في شركة إعلانية انه لا بد من النظر للموضوع من الناحية الإنسانية فحرمان اسرة من نعمة الأطفال تُعد مأساة بمعنى الكلمة خصوصاً إذا كان الزوجان محبين لبعضهما البعض ولا يكدر سعادتهما سوى عدم وجود طفل يكمل تلك السعادة ويشبع غريزتهما الطبيعية .

محرومون من الانجاب

في غرفة الانتظار لأحد مراكز الانجاب في الرياض التقت " سيدتي " عدداً من المراجعين والمترددین على المراكز وبادرناهم بالسؤال عن سبب وجودهم فيه وعن مدى استعدادهم للجوء الى عملية استئجار للبويضات او الارحام للحصول على طفل ، اجاب زوجان سعوديَان كانا يستعدان للدخول على طبيبيهما المتابع لحالتهما وقد بدت عليهما علامات التوتر والقلق : " مضى على زواجنا اكثر من اربع سنوات ولم يرزقنا الله بطفل وترددنا خلال تلك السنوات على عدد من الاطباء إلا ان النتيجة كانت سلبية " وتابعت الزوجة " نحن راضيان بقضاء الله وقدره لذلك من المستحيل ان نلجأ لأي طريقة تخالف الشرع في سبيل انجاب طفل " .

خطأ طبي

ويتفق زوج اخر كان ينتظر زوجته امام غرفة الموجات الصوتية ويعمل لدى الاعلام اختار لنفسه لقب (الواضح) في استبعاده لفكرة تأجير الارحام ورغبته

في الحصول على ابن من زوجته التي اقترن بها منذ ٣٠ سنة وتعرضت لخطأ طبي أبان عملية إزالة ورم من الرحم من قبل طبيب في مستشفى تبين لاحقاً انه لا يحمل أي شهادات في مجال الطب وانه عبارة عن سباك ؟
كما رفضت سيدة اخرى فكرة ان تكون امّاً بهذه الطريقة لأنه على حد علمها حرام رغم انها متزوجة من تسع سنوات وبذلت الكثير من الوقت والمال والجهد البدني والنفسي . وتابعت النقاش سيدة اخرى كانت ترافقها " لدينا في الأسرة سيدتان ايضاً لم تتمكننا من الانجاب وكم نتمنى ان تثار قضية تأجير الارحام اعلامياً ويصدر العلماء فتوى تجيز مثل هذه الإجراءات بضوابط وشروط بحيث يتحقق حلم المحرومين من الانجاب " .

رأي الشرع

الشيخ عبد الله بين سليمان المنيع عضو هيئة كبار العلماء ، اشار في حديث خاص " لسيدتي " الى ان اللجوء لعمليات شراء البويضات وتأجير الأرحام حرام ولا يجوز بأي حال من الاحوال وانه عبارة عن زنا مغلف وابن الزنا لا ينسب الى ابيه وامه .

الرأي القانوني

وترى المحامية جهان قربان ان تأجير الارحام صورة من صور التلقيح الصناعي وقد صدر قرار من المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة سنة ١٤٠٢ هـ بتحريم هذا الاسلوب وهذا النوع من التلقيح واعتباره نوعاً من الزنا غير المباشر والذي له عدة حالات منها ان يكون للزوج اربع زوجات فيتم الاستعانة ببويضة الضرة او رحمها طالما ان الزوج واحد وهذه تقود لاختلاط الانساب ، وتضيف قربان " كما صدر قرار من مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره الثالث ١٤٠٧ هـ بتحريمه ايضاً . وطالما انه محرم من الناحية الشرعية فلا يترتب على ذلك أي حقوق قانونية من إرث وخلافه " .

وفي القانونين الفرنسي والالمانى يكون للأم البيولوجية التي قامت بالحمل الحق في الاحتفاظ بالمولود والامتناع عن تسليمه للأم او الأب اللذين أجريا التلقيح حتى لو تسلمت دفعة من المبلغ المتفق عليه مسبقاً ، لأنه في وجهة نظر القانون ان المرأة لها الحق والنصيب الأكبر في المولود لأنها ارتبطت به طوال فترة الحمل وقام الجنين بالتغذية من جسدها . [مجلة سيدتي عدد ١٧١٥ بتاريخ ١٨ يناير ٢٠١٤] .

٣ / د - ٣ - ٢ - نموذج ختانهنّ Female Circumcision

يعني ختان الإناث أو تشويه الأعضاء التناسلية للإناث (حسب منظمات دولية كمنظمة الصحة العالمية) بتر أو إزالة جزء من الأعضاء التناسلية للإناث إزالة غير كاملة أو بتر جزئي وذلك لأسباب ثقافية أو دينية أو غيرها من الأسباب وكانت الأمم المتحدة قد أعلنت في ٦ فبراير يوماً عالمياً يرفض ختان الإناث وقد انتبه العالم الغربي الى هذه العادة المعتقدية المؤذية والمعادية لحقوق الإنسان وبراهين العلوم الطبية عن طريق مجيء مهاجرين اليه من القارة الآسيوية والأفريقية والعيش فيها وممارسة هذه العادة التي ادت الى موت بعض الفتيات المختنات مما جعلهم يذهبوا الى تشريع قوانين تجرم وتحرم هذه العادة واعتبارها جريمة ضد الطفلة والطفولة والحقوق الإنسانية بذات الوقت انتبه اليها الباحثون العلميين في ندواتهم ومؤتمراتهم الطبية والصحية والنفسية والاجتماعية كذلك تناولتها حركات اجتماعية حديثة مثل حركة الدفاع عن حقوق الإنسان وحركة تحرر المرأة وعلم اجتماع المرأة من اجل دراستها وتبيان مخاطرها والدفاع عن المرأة وتحريرها من معايير قيمية عتيقة موروثة لا تعكس سمة التطور الطبي والنفسي والاجتماعي فبات ختان البنات Female Circumcision وتحويل العضو التناسلي للإناث Female Mutilation genital الذي يرمز اليه FGM مثيراً للجدل والمناقشات بين مجتمعات العالم الغربي فبات يمثل موضوعاً يشتمزوا منه ويدافعوا عن صحة وحقوق البنات القاصر في العالم النامي والمحافظ والمتخلف من اجل تبصير العالم ببعض العادات الثقافية البدائية التي لا تليق بالإنسان العصري التقني والعلمي .

أما انواعه فهي ما يلي :-

١- الختان الطقسي : الذي ينطوي على تثقيب فلقه غطاء البظر لكي يمر من الدم .

٢- ختان السنه : الذي يشير الى إزالة البظر او الجزء الموجود في شفرة الفرج للبنات القاصر لكي لا يحصل تهيج للشهوة الجنسية وتنغمر فيها .

٣- استئصال البظر .

٤- استئصال كافة اجزاء الشفرة والبظر مع فتح ثقب او فتحه صغيرة للتبول والطمث (يمارس هذا الختان في مصر والسودان)

٥- بتر جزء من البظر وليس استئصاله .

٦- قطع نسيج الشفرة .

٧- بتر البظر وفتح فتحة توصل المهبل بالشرح (هذا الختان يمارس عند قبائل ابورجيناس في استراليا . [Bibbing . 1995 . P.p. 152 – 153]

مناطق انتشار ختان الإناث في العالم

قبل ان نوضح مناطق انتشار الختان في العالم نشير الى تقديرات منظمة الصحة العالمية WHO الى ان هناك ٦.٠٠٠ بنت في العالم يتم ختانها كل يوم من ذوي اعمار تتراوح اعمارهم بين ٤ – ١٢ عام او من ضمن الأطفال الحديثي الولادة (بعد الولادة مباشرة) و احياناً يتم الختان في اشهر قبل الزواج او بعد الولادة الأولى . معظم هذه الحالات تتم في شرق وغرب افريقيا والجزيرة العربية وبعض المهاجرين الى اوربا وامريكا وكندا واستراليا ونيوزلندا . [Cook . 2003 . P. 263] عموماً يتم الختان قبل الوصول الى سن البلوغ الجنسي وذلك لاعتقادهم بأنه كلما تقدم عمر البنت كبر بظرها ونما وبما انه مصدر التهيج الجنسي فإن بتره يكون اكثر اماناً وراحة للأبوين وعدم انحرافها جنسياً ولما كان التختين يمثل احد اركان مستلزمات الزواج فإنه من باب اولى تنفيذه وأبنتهم صغيرة السن كي لا تقاوم ا ترفض فضلاً عن الالم الذي يكون اقل . هذا هو معتقدتهم ومعرفتهم الصحية والثقافية (لا كنهم لا يعرفوا بأن مثل هذه الممارسات تعني انتهاك حق من حقوق الأنثى الجسدية وتشويه لطبيعة الجسد الإنساني ويهملون آثاره مثل النزيف الدموي الذي يؤدي الى وفاة المختونة بسبب عدم براعة المرأة التي تقوم بعملية الختان والى الالتهابات الحادة الناتجة عن عدم تعقيم الادوات المستخدمة في البتر مع استخدام مسحوق روث الحيوان لإيقاف نزف الدم الناتج عن قطع شريان الفرج او شريان البظر الذي يؤدي الى صعوبة التبول او عند التبول تشعر البنت بألم حاد في المجاري البولية . ثم هناك الصدمة النفسية التي تصاحب حياتها والخوف من الزواج لأنه يثير عندها شعور بالألم والأوجاع التي مرت بها اثناء وبعد العملية ثم حدوث مرض الإيدز (ضعف المناعة) مع فقدان احساسها باللذة الجنسية وضعف في قوة طاقتها الجنسية مع صغر عضوها التناسلي وآلام تصاحب الدورة الشهرية (الطمث) .

وقد قدرت منظمة العفو الدولية ان اكثر من ١٣٠ مليون امرأة في العالم تأثرت ببتن اجزاء من جهازهن التناسلي وايضاً بدخول ٢ مليون انثى سنوياً الى الاجمالي . ففي عام ١٩٩٥ أدان المجلس الأوربي في هيئاته المختلفة ختان الاناث واعتبرها عنفاً وتعذيباً للمرأة وانتهاكاً لحقها في المساواة وتعدي على سلامة جسدها وفي عام ١٩٩٢ اكدت منظمة الصحة العالمية رفضها اجراء عملية الختان طبياً مهما كان نوعها في مؤتمر هولندا [www.el-aw.co.newpress

ولا جرم من تقديم ما كتبت عن هذا الموضوع الباحثة عزة بيضون التي قالت عنه ما يلي :

في بعض بلادنا العربية يتم التعدي على عضو اعضاء المرأة الجنسية هو البظر يبتزه كلياً او جزئياً ، في ما بات يعرف بـ " الختان " او تشويه الاعضاء التناسلية . والختان بمثابة تعدٍ على اعضاء الانثى الصغيرة التناسلية من دول الحصول على قبولها (المستنير) وهو يحصل على موقع في جسدها لم يحسم النقاش بعد ، بشأن اهميته في مسار عملية الإثارة الجنسية ، ولا ضرورة في تلك الإثارة من اجل الإشباع الجنسي بما هو بلوغ الأورغازم (النشوة الجنسية القصوى) . إن ذلك البتر يُقدّم في المعتقدات الشعبية على انه حام من الامراض امراض العين والجلد ، كما الاسهال والالتهابات وسوء التغذية وبطء النمو وبعض المعتقدات تحيل الى الختان مقاومة التسمم (الافاعي والعقارب) وهو ، برأي " مناصريه " ضروري لنظافة الفرج ويؤمن المناعة ضد مرض السيلان كما انه بطرد الارواح الشريرة وبقي الأم والطفلة من الامراض التي تقعان فريستها في الأيام الاربعين الاولى بعد الولادة . لكن الاعتقاد الاكثر شيوعاً هو ان الختان يضي على الانثى " الطهارة " عبر التخفيف من شدة الرغبة الجنسية لديها . وتبقى الحجّة الاقوى الداعمة لضرورة اجراء الختان هي تفضيل الرجل / الزوج لأنثى مختونة شريكة جنسية له .

وترى النسويات ان الختان عملية جنسية لها اشباهها الرمزية في كل الانظمة الاجتماعية البطريركية التي تنجح في احداث النتيجة نفسها ، قمع جنسانية النساء – ففي الثقافة – الاجتماعية الفكتورية مثلاً والتي ساد فيها الخطاب " العلمي " في اواخر القرن التاسع عشر وحتى الثورة النسوية في موجتها الثانية صيغت جنسانية النساء على نحو يفترض كبتاً نهائياً للأحاسيس البظريه لصالح

الاحاسيس الجنسية المهبلية المصدر . وافترض ذلك الكبت شرطاً ضرورياً لنجاح تحقق الأنوثة لدى الأنثى (أي الجنسية الغيرية ، استدخال خاصيات التلقي والرجسية والمازوشية في بنيانها النفسي ، والرغبة بالأمومة ثانياً) . نتكلم عن النظرية الفرويدية في الأنوثة التي سادت في العلوم الطبية والنفسية حتى أمد ليس ببعيد والتي كانت إلا بلغ تأثيراً في فهم هوية الإناث الجنسانية . وقد صُنفت أكثر النساء بموجب هذه النظرية عُصايبات او مسترجلات لأنهنَّ عجزنَّ عن كبت احاسيس لها مصدر جسماني صريح ، لكن " خاطئ " هو البظر . وتؤول الباحثات النسويات هذا التعدي – الرمزي او الفعلي – يكون البظر عضواً لا وظيفة له في الاشباع الجنسي للرجل ، فاعتبر عضواً زائداً وبدون دور في عملية الإنجاب فينبغي كبت او قمع الاحاسيس التي يثيرها كي لا يكون عائقاً امام قبول الأنثى بسلبيتها الجنسية المفترضة ، بما هي شرط ضروري لتحقيق انوثتها الغيرية وللقبول بتضمينات امومتها . [بيضون ، ٢٠١٠ ، ص . ص . ٦٥-٦٦]

الفصل الرابع الحركة النسوية

استهلال

٤ / أ – اطوار (موجات) تطور الحركة

الطور الأول

الطور الثاني

الطور الثالث تعقيب وتعليق

٤ / ب – مدارس الحركة النسوية
الحركة النسوية الليبرالية
الحركة النسوية الاشتراكية
الحركة النسوية المتطرفة

٤ / ت – مميزات التبلور النظري
النظرية الاجتماعية النسوية
المرأة ونظرية الأنوثة
نظرية الأنوثة والمرأة المعاصرة
مشروع نظرية اختلافات الذكر والأنثى
مشروع نظرية التمايز بين الرجل والمرأة
مشروع نظرية المضطهدة
مناقشة نظرية الأنوثة ومشاريعها

الفصل الرابع الحركة النسوية Feminism

استهلال

لا جرم من إيلاء عناية واهتمام جديد لهذا النوع من الحركات الاجتماعية من زاوية اهمال الباحثات فيه موضوع العقيدة (الأيديولوجيا) لأنه لا توجد حركة جماهيرية تكافح وتناضل من اجل تحقيق اهداف مسلوقة من جماهيرها لا تتوفر عندها اهداف وافكار تهتدي بها عند نضالها مع معوقها والمعارضين لها . ولما

كانت هذه الحركة حديثة النشوء ومعبرة عن نساء الطبقة الوسطى في المجتمعات الغربية وتنتقد النظام الرأسمالي والأبوي السائد في المجتمع الغربي ومطالبة بالإصلاح الاجتماعي الذي تناولته الأحزاب السياسية والتيارات التقدمية في الثقافات الاجتماعية طارحة سؤالاً جوهرياً جديداً يختلف عن الحركات السياسية التي تدور في أفلاك المجتمعات الحديثة إذ انها لا تندد ولا تهدد الاستعمار ولا الحكام الطغاة ولا الأجهزة الأمنية بل توجه سهام نقدها للرجال من خلال سؤالها الذي مفاده هل الرجال يمثلون ظلام جدد في المجتمع الغربي ؟ لاحظ هنا ان الظلم والاستبداد لم يُصدر من سلطة سياسية ولا من أجهزة أمنية ولا من مطامع اقتصادية بل من الطرف الآخر في المعادلة الاجتماعية (الرجل والمرأة) بمعنى ان هذه الحركة تناضل في سبيل تفكيك القيود الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي فرضها الرجل عليها لكي يجعلها مستمرة في خنوعها وانصياعها وتبعيتها له وعدم استقلالها عنه .

ينطوي مضمون عقيدة الحركة النسوية على التحليل الواقعي للمرأة شارحة ومفسرة دور المرأة الثانوي والفردى في التاريخ بذات الوقت مقترحة قاعدة عريضة للإصلاح وتحرير المرأة من عبودية الرجل واغلال الطبقة الاقتصادية وقيود التميز العرقي وهذا يعني ان للمرأة طاقة حيوية ثورية مستترة تمتد جذورها الى اعماق ساحقة في تاريخ المجتمعات إلا انها الأقل ظهوراً على سطح المجتمع في صراعاتها وكفاحها مع الرجل . علاوة على ذلك فإن عقيدة هذه الحركة تعكس ظروف المرأة التي عاشتها أبان القرن الثامن عشر لغاية الثورة الفرنسية . إن عصر النهضة إضافة الى الثورة الفرنسية اثرت كثيراً على وعيها فدفعها نحو المطالبة بالحرية والمساواة والعدالة . ففي كتاب ماري ولستر ونكرافت الموسوم " تزكية حقوق المرأة " ١٧٩٢ كان من افضل ما كتب عن المرأة في ذلك الحين عن حقوق المرأة التي طالبت بالمساواة مع حقوق الرجل في الشؤون للإنسانية والقانونية والاخلاقية وانه من الخطأ ان تعرف المرأة من خلال جنسها (أي كونها امرأة) بل من خلال مهاراتها وتعليمها وثقافتها لقد كان الرجل متسلطاً ومهيمناً على مناشط جميع مجالات الحياة ابان القرن التاسع عشر وكان يستخدم الانتخابات من اجل الحصول على مكاسب لصالح ابناء الطبقة العمالية الصناعية مستبعداً مصالح المرأة وخانقاً لحريتها وطموحها لكنها

كانت ترى ان مطالبتها بالانتخابات البرلمانية تجعلها قادرة بالمطالبة بحقوقها المسلوقة من قبل الرجل ومن هنا بدأت الموجة الأولى لحركتها .

وجه جديد ظهر في سفر الحركة التكويني وهو انتقادها للأوضاع السائدة التي لا تخدم مصالحها ، صدرت هذه الانتقادات من سيدات الطبقة الوسطى من المتعلمات ومن البيض ومن المسيحيات والموظفات المتزوجات من الجنس المخالف وليس من السحاقيات . في الواقع ان النساء من الاقطار المتقدمة والمتطورة يواجهن مواقف رديئة من مفاضلات الجندرية مما جعلهن يرتبطن بالحركات المتطرفة والسياسات اليسارية ويطالبن بالمساواة وكانت هذه الحركات والتطلعات تمثل باكورة الفكر النسوي التي تتضمنها عقيدتهم النسوية .

العناصر الرئيسية المكونة للفكر النسوي ، لم تتمسك المفكرات النسويات ممن كتبن في موضوع الحركة النسوية ومناصرتها بأي تيار سياسي سواء كان يميني او يساري او التيارات الاقتصادية او الطبقيّة التي سادت المجتمعات الديمقراطية الحديثة . ولم يهتمن بسياسة الدولة كما فعلت العقائد التقليدية بل اعتمدن على انفسهن ورفضن الولاية عليهن من قبل الاخرين مثل الرجال او الحركات السياسية بل اکتفين بجهودهن ونشاطهن بشكل واسع واكثر مما تقوم به الاحزاب السياسية مميزين بذلك الفوارق بين الجنس والنوع الاجتماعي (الجندر) او النوع السياسي والنظام الأبوي (البطريقي) .

نأتي الآن لتناول التفريق بين الانواع الثلاثة (الجنس والنوع الاجتماعي والسياسي) وهي ما يلي :-

الجنس : يمثل حقيقة بيولوجية وهو المفتاح الرئيسي للاختلاف بين الرجل والمرأة حيث للمرأة قابلية الانجاب بينما يمتلك الرجل قوة جسدية وميول عدوانية علماً بأن معظم المجتمعات تضع تركيزاً كبيراً على القوة الجسدية للرجل ، اما المجتمعات الصناعية فما زالت تضع اهتماماً متميزاً على الفصل بين الجندر (بين الرجل والمرأة) حتى في العمل الذي يكون معتمداً على المؤهلات التعليمية والذكائية . لكن بالنسبة لمعظم المجتمعات (وليس جميعها) تكون الفوارق البيولوجية ثانوية الأهمية . تم تداول فكرة الحركة النسائية منذ قرون مضت ، بيد ان مفردة الحركة النسائية – كمصطلح – تُعدّه مفردة جديدة نسبياً إذ اول مرة تم استخدامها كان في عام ١٨٩٥ الذي عني بها وجوب وجود حقوق إنسانية

متساوية بين النساء والبنات مع الرجال والاولاد أي يكون لهم ادواراً متساوية ومسئوليات اجتماعية واحدة .

اما مصطلح نصير المرأة Feminist فهو يعني ذلك الشخص – سواء كان رجلاً او امرأة – الذي يطالب بحق المرأة المتساوية مع الرجل ويدعم الحركة النسوية . في الواقع ان محور هذه الحركة يتمركز حول دور المرأة ومكانتها وتاريخها وافعالها مثل الحملات التي تدعم وتعزز حقوقها وكان هذا جلّ افكارها التي تطورت فيما بعد عبر مناشط الافراد والجماعات الصغيرة .

حريّ بنا ان نشير الى هذه الحركة تشكلت عندما حاول العديد من افرادها بتوظيف (تطبيق) افكارها وتطلعاتها وبالذات تلك التي تدور حول دورها ومكانتها . اقول تشكلت هذه الحركة عندما تم تطبيق افكارها وتطلعاتها .

ومن اجل تبصير القارئ بأطوارها التطورية التي مرت منها الحركة النسوية نقدم هذه الاطوار على شكل موجات Waves لكي نستطيع تفصيل مناشطها التطورية عبر وحسب فترات زمنية محددة من اجل ابراز المميزات التي تميزت بها كل موجة حيث استطاع الباحثين والباحثات في شؤون هذه الحركة الى تحديد ثلاثة موجات (اطوار) رئيسية لها وكما ذكرنا انفاً انها بدأت مع نهاية القرن الثامن واستمرت لغاية القرن التاسع عشر وصلت الى قمة نشاطها في القرن العشرين .

١- الطور الأول : انطوى على الحملات النسائية في التصويت الانتخابي في الفترة الواقعة بين ١٨٩٠ و ١٩٢٠

٢- الطور الثاني : الذي يشير الى حركة تحرير المرأة الواقع بين الفترة المحصورة بين ١٩٦٥ – ١٩٨٠ . Women Liberation movement

٣- الطور الثالث : الذي عكس تفويض المرأة ويسمى احياناً بما بعد الحركة النسوية بيد ان هذه التسمية سابقة لأوانها .

[stearman . 2005 . P .p 4 – 5]

٤ / أ – اطوار (موجات) تطور الحركة

الطور الأول (الموجة الأولى) : انطوت على الحملات النسائية في التصويت الانتخابي في الفترة الواقعة بين ١٨٩٠ و ١٩٢٠ التي تضمنت افكاراً جديدة

ومنطلقات حديثة . ففي عام ١٨٩٠ تم توجيه اسئلة للعديد من النساء في اوربا والولايات المتحدة حول مكانتهن المتدنية في المجتمع المتصفات بشبابهن وتعليم متقدم ممن يصفن انفسهن على انهن يمثلن " نساء جديداً " يبحثن عن الحرية من الزواج والمسئوليات المنزلية اكثر من بقائهن في منازلهن يقوم الأب او الزوج بإعالتهن . المرأة غير المتزوجة والمنحدرة من الطبقة الوسطى والتي دخلت سوق العمل من زاوية المكاتب الرسمية كموظفات وضاربات على الآلة الطابعة فكانت حياتهن الجديدة عاكسة وظاهرة على ملابسهن ومناشطهن في كيفية اشغال اوقات فراغهن أي مختلف تماماً عن ملابس ربة المنزل وانغمارها بالتنظيف والترتيب المنزلي .

وفي عام ١٨٩٥ برز مصطلح الحركة النسوية مصاغاً ومستخدماً لوصف الأفراد الذين يدعون حقوق المرأة ، لا جرم من الاشارة الى المصلحين الاجتماعيين الذين سيروا حملات لتحسين حياة المرأة من اجل تعليم افضل وفرص عمل لإصلاح الزواج والطلاق وقوانين امتلاك العقارات والمساواة الاجتماعية مع الرجل . النساء كنّ نشطات في دعم حركاتهن المعتدلة التي تكافح وتناضل ضد شرب المسكرات الكحولية معتبرته شر اجتماعي رئيسي ضدها وضد اطفالها وهم بهذا الكفاح رسموا صورة حيوية عن كيفية تصرف الرجال في مداخلهم ورواتبهم على شرب المشروبات الكحولية لكي يتجنبوا جوع اسرتهم وعدم ممارسة العنف مع زوجاتهم ولكي لا تتفكك اسرهم عن طريق الطلاق او الهجر.

اما بالنسبة للمرأة الفقيرة فوضعها كان جافاً إذ كان مرئيتهن متدنياً مع عدم وجود ضمان لهن والعيش في منازل رديئة مع وجود عنف اسري وتعصب عنصري . لكن في عدة اقطار انخرطت المرأة العاملة في حركات نقابية عمالية معارضة لقهرها واحتقارها من قبل الموظفين وقد برز هذا بشكل ملحوظ الذي ظهر في اضرابهن في معامل شرق لندن عام ١٨٨٨ لكن مع ذلك فقد بقي معظم النساء بدون حماية نقابية . وهناك بعضاً من انصار المرأة ممن عملوا او انخرطوا في احزاب اشتراكية جديدة تسمح لهن ارسال ممثلتهن للبرلمان أي يكون لهم ممثلين في البرلمان . اما اللواتي كنّ اكثر تطرفاً فقد انخرطن في الحركات الثورية التي تهدف انهاء الحكومات الظالمة والمستبدة في روسيا و اوربا الشرقية . هذا من جانب ومن جانب اخر برزت حركة ناشطة لأنصار

المرأة وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى بسنة التي نادى بالتصويت لانتخاب المرأة ومنحها الحق في التمثيل والانتخاب لأعضاء الحكومة حالها حال الرجل وكان ذلك مع بداية القرن العشرين . اما الشباب من الرجال فكان لهم الحق في التصويت في معظم الاقطار الأوربية ، البلدان الوحيدة التي فيها النساء قادرات او يستطعن التصويت هي نيوزلاند التي منحت المرأة حق التصويت في عام ١٨٩٥ ثم جاءت استراليا فمنحت المرأة هذا الحق في عام ١٩٠٢ وفي عام ١٩٠٥ اصبحت فلندا البلد الأول في اوربا الذي منح المرأة هذا الحق جميع هذه البلدان كانت ديمقراطية في حكمها وتتضمن نقابات عمالية قوية وتقبل بتصويت المرأة في الانتخاب . اما البلدان ذات الحجم السكاني الكبير وفيها فجوة واسعة بين الأغنياء والفقراء فكانت السلطات فيها معارضة بشكل صريح لتصويت المرأة في الانتخابات واستمرت هذه الحالة لعدة عقود من الزمن .

نعكف الآن الى العالم الأفضل الذي دخلت اليه المرأة وهو مسألة التصويت في الانتخابات الذي كان يمثل امراً مهماً وملحاً بالنسبة لها اكثر من استمارة الانتخابات التي توضع في صندوق الاقتراع السري وذلك راجع الى الاعتراف العلني بحقوقها ومشاركتها في المجتمع لأنها كانت مهملتة في هذا الأمر ولا احد يلتفت الى صوتها ويعني ايضاً ان الحكومة سوف يتم انتخابها من قبل الرجال والنساء وليس الرجال فقط الذي كان يمارس فيما مضى بل ويعني ايضاً ان لصوت النساء بات له قوة ونفوذاً يجب ان يُستمع اليه وان الرجال عليهم ان يحترموا اصوات النساء وانهم بحاجة لها وهذا اعتراف واضح وصريح بوجودها واتكأء على ذلك فأن الحكومة سوف تكون اقل انانية في اتخاذ قراراتها واكل تعصباً ضد واكل تعصباً للرجل كل ذلك يقول لنا بأن الخطوات بدأت تتقدم نحو مساواة المرأة بالرجل . ولم تبقى المرأة ام منجبه وربة بيت بل اصبحت عنصراً فعالاً في حياة المجتمع خارج المنزل والاستماع اليها في قضايا السلام لا سيما وان لديها اهتمام به اكثر من الحرب ولها تعاطف مع الضعيف اكثر من القوي لأنها تتصف بنقاء التفكير وصفاء العقلية – الذهنية وبطهارة اجسامهن كل ذلك سوف يجعلها ان تسمو فوق الرجل الأناني والفاقد عندما يكون في مواقع سلطوية ونفوذية .

اما المعارضين لأنصار المرأة anti-feminists فأنهم استخدموا لغة مشابهة لهذا الطرح في رسمهم لخلاصات معارضة حددوا فيها ما يفكروا به عن النساء

حيث قالوا عنهم بأنهنّ ذكيات ونابهايات في الإساءة الى انفسهم في المسائل السياسية التي لا تمثل اختصاصهم بل من اختصاص الرجل .
اما المتطرفين من هؤلاء المعارضين للمرأة يروا ان الممنوحة في التصويت الانتخابي تكون اخطر النساء لأنها سوف تدمر صفاء ونقاء الأنثى وذلك من خلال تفويض سلطة الرجل وبلورة نزاعات وخلافات بين النساء انفسهم التي تؤول بالتالي الى كسر النظام الاجتماعي الذي ينسق الانشطة الاجتماعية فتمسي بعدئذ الحياة فوضوية لا ناظم ينظمها بسبب منح المرأة حق التصويت في الانتخابات .

من اكثر الحملات الانتخابية شهرة كانت في بريطانيا تحديداً تلك التي قادتها النقابة الوطنية للانتخابات النسوية في عام ١٩٠٣ حيث استخدمت هذه النقابة تصرفات مباشرة . وما بين الاعوام ١٩٠٥ و ١٩١٤ تم توقيف وحجز اكثر من الف امرأة العديد منهنّ اضربوا عن الطعام ثم اجبارهنّ على الاكل من قبل حراس السجن لأنهنّ كن يهدفنّ الى اشعال فتيل الثورة الواسعة النطاق .

ومن نافلة القول في معرض هذا السياق الى ان الحركة الامريكية قد تأسست بفترة ابعد من تاريخ تأسيس الحركة النسوية البريطانية وذلك راجع الى العمل الرائد لمنظمة الانتخابات النسوية الوطنية . استمر هذا في الاصلاح الى ان وصل الى اصلاح القوانين الامريكية ، انما بدون فائدة ونجاح . إذ هناك خمسة عشر ولاية من اصل اربعين ولاية امريكية في عام ١٩١٥ حصل فيها تصويت للنساء الامر الذي دفع بالشابات الامريكيات الى التعبير عن ضجرهم وعدم ارتياحهم لهذه الحالة الناقصة من خلال ممارسة اساليب تكتيكية اكثر من انخراطهم في توقيفهم او سجنهم كان ذلك على شكل اعلان عن اجتماع عام لهم مستخدمين فيه وسائل اعلامية جديدة و (آنذاك) وهي الراديو والتلفاز والاعلانات العامة في الشوارع لكنهم نسوا الاتصال بالحركات العمالية والمهاجرين والمرأة الملونة (السوداء) في المدن الكبرى الذين هم ايضاً يكافحوا من اجل المساواة العرقية . لكن عندما وقعت الحرب العالمية الأولى في اوربا ١٩١٤ اثرت كثيراً على نشاط المرأة الذي غاب عن الساحة السياسية والاجتماعية .

يحسن بنا ان نطرح في هذا الموطن تأثير الحرب العالمية الأولى الذي لم يكن متوقعاً على المناصرين والمدافعين عن حقوق المرأة ، ففي السنين التي

سبقت ١٩١٤ بدأ المدافعين عن حقوق المرأة النشاط خارج القارة الأمريكية من أجل توسيع نشاطهم وجعله نشاطاً عالمياً فأمست الصلات بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا قوية جداً في مجال الحركة النسوية و ثم ترجمة دعوات ومطالب واهداف هذه الحركة الى عدة لغات اجنبية فدخلت المعسكرات السياسية مثل المعسكر الاشتراكي والباسيفيكي وسواها من دول العالم . بيد ان الحرب العالمية الأولى اجبرت المدافعين عن الحركة النسوية اختيار احد الأمرين اما حب الوطن والوطنية Patriotism او الانخراط في الاتصالات العالمية . فالمجتمعات ذات الحجم السكاني الكبير اختاروا الولاء للوطن لدرجة ان حتى المتطرفات تخليين عن الحملات الانتخابية ودفنن الى الدفاع عن بلادهن معارضين الحرب فاشترك الف امرأة في حملة سلام من اثنتي عشر دولة التقوا في هولاندا (التي كانت محايدة في الحرب) وفي شهر نيسان ١٩١٥ طالب الكل من الحكومات بإيقاف الذبح ومنح المرأة حق التصويت في الانتخابات .

لقد أجملت فيما تقدم عن مطالبة النساء الملح والمركزة على حق الانتخابات والترشيح بيد ان حركة المجتمع لا تكن على وتيرة واحدة بل تتعرض لمؤثرات وعقبات تفعل فعلها على تفاعل المجتمع معها فالحرب العالمية الاولى التي استمرت اربعة سنوات طبعت مستوى عيش المرأة الاوربية بمختلف المؤثرات مثال على ذلك هناك الشباب المندفع في الدفاع عن بلده وعند انخراطه في هذا الاندفاع شكّل فراغاً في سوق العمل الذي فسح المجال للمرأة الى الولوج اليه لملء هذا الفراغ المهني وحدث نفس الشيء في خطوط المواصلات العامة والخدمات المدنية الأمر الذي تطلب من المرأة ان تنزل الى هذه الاحتياجات والعمل فيها لساعات طويلة فضلاً عن اشتغالها في خدمة التمريض كمرضة في المنازل والمراكز الصحية هذا كان بسبب ما فرضته ظروف الحرب القاسية التي سحبت الرجال من الاعمال الخدمية والعامة التي كان يقال عنها بأنها خطيرة على المرأة ولا تصلح للإناث لأنها منحطة وذات منزلة مهينة متدنية ، بيد انه امسى في ظل ظروف الحرب اصبح العمل ابانها مسألة وطنية وواجب وشرف وطني وهذا ما غير ميزان الحكم القيمي والشعبي على الاعمال التي كانت محجوبة على المرأة لكن على الرغم من هذه الظروف الغير طبيعية لم تحصل المرأة على اجور عملها مثلما يحصل عليها الرجل أي اقل بكثير من الاعمال الخاصة بالطبخ والتنظيف ورعاية الاطفال ومن نافلة القول فذ هذا السياق ان الحرب جعلت من

قضية حق المرأة في الانتخابات قضية ثانوية وقليل الحديث عنها او المطالبة فيها لأن الجميع مشغول بالحرب وأثاره المدمرة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وهذا يقول لنا ان قضية حق المرأة في الانتخابات تنتعش في اوقات السلم والرخاء والرفاهية ، بذات الوقت وجدنا المرأة قد اخذت ادواراً جديدة لم يسبق لها وان لعبتها او مارستها قبل الحرب وهذا ما ادى الى كسر بعض التعصبات حول قابليتها ومكانتها داخل المجتمع معترفة الحكومة بهذا الكسر الاجتماعي وإزاء هذا التغير المحدود لدور المرأة ضمنت بعض الحكومات المحايدة في الحرب مثل النرويج والدنمارك حق تصويت المرأة بشكل نسبي في الاعوام ١٩١٣ و ١٩١٥ .

لا اريد ان ابرح من هذه التطورات التي حصلت في هذه الموجة ، الحركة النسوية ومناصريها مالم اشير الى حصول ثورات داخل اوربا مثل الثورة الروسية التي من خلالها حصلت المرأة الروسية على حق التصويت عام ١٩١٨ مباشرة بعد ظهور الأمم النمساوية والجيكية والبولندية إذ ان بعض الحكومات استخدمت حق التصويت بمكافئة المرأة بسبب الخدمات التي قدمتها في الحرب العالمية الأولى مثل كندا التي منحت حق التصويت للمرضى العسكرية في عام ١٩١٧ ومن ثم شملت جميع نساء كندا في عام ١٩١٨ . اما المرأة البريطانية التي تجاوز عمرها الثلاثين عاماً فقد حصلت على حق التصويت في عام ١٩١٨ بينما كان على الشابة ان تنتظر لغاية ١٩٢٨ حتى تصوت بشكل متساو حالها حال الرجل عندما يصل عمر الواحد والعشرين . أي بعد ١٩٢٨ كل من وصل الى عمر الواحد والعشرين من الشباب والشابات في بريطانيا يحق لهما الانتخاب اما المرأة الامريكية فقد تم منحها حق التصويت في عام ١٩٢٠ .

لا مريية من القول بأننا لا نريد ان نلبث في هذه الموجة وما حصل فيها من تمخضات غيرت وحوّلت دور المرأة في الحياة الانتخابية من طرح السؤال التالي : هل حصول المرأة على حق التصويت يقوم بتغيير المجتمع ؟ ويجعل من المرأة ان تعيش عيشه افضل ؟ وهل الحروب والثورات اعاق ام دفع المرأة نحو الاشتراك في الانتخابات ؟ وهل الحكومات البرلمانية والاشتراكية واليسارية جعلت من المرأة التأثير على الحياة السياسية ؟ في الواقع على الرغم من التحولات الدورية للمرأة في الانتخابات السياسية لم تحقق التأثير الكبير في الحياة السياسية سواء كانت في الدول البرلمانية او الاشتراكية . النساء كنّ مثل الرجال

صوتوا طبقاً لمعتقداتهم السياسية واستناداً لانحدارهم الطبقي بيد ان التصويت في الانتخابات اوصل الرسالة التي مفادها انه عندما تدخل النساء الى عالم السياسة والحياة العامة تسمى الحياة اكثر انتظاماً وحرصاً واقل انانية إلا ان بعض النساء اصبحوا اكثر حساسية للاهتمام بالنساء فنسوا قوانين لأرقاء تعليم النساء ومساواتها بالرجل في الحياة العامة مثل الدنمارك . على العموم القليل من النساء وصلوا الى المكاتب السياسية والقليل منهنّ ثم انتخبهنّ طبقاً للتصويت وما زلنّ يخططنّ كيف يمضون الى مستقبل افضل . [- 18 P.p . 2005 . stearman . [26 .

الطور الثاني (الموجة الثانية)

حملت عنوان الحركة النسوية تحولت الى تحرير المرأة ، في عام ١٩٦٠ كانت الحركة النسوية تعيش في عقب الماضي ومرتبطة مع احداثه وتراثه التاريخي ، وفي عام ١٩٧٠ اضحى هدف الحركة النسوية يقوم باتخاذ مواقف صريحة ويُدخل في مناظرات وجدانية حادة . سميت هذه الفترة - فيما بعد - بالموجة الثانية للحركة النسوية في حين كانت الموجة الأولى تكافح من اجل الحصول على حق التصويت ، إنما كان مصطلح الحركة النسوية نادر الاستخدام ، في عام ١٩٧٠ حلّ محلّه اسم تحرير المرأة . وفي عام ١٩٦٠ شملت هذه الحركة اسباباً جديدة قدمت اليها من القارة الافريقية والقارة الاسيوية وبعض الاقطار التي تكافح من اجل الحصول على استقلالها من الحكم الاوربي . اما في الولايات المتحدة الامريكية فكانت هناك حركة الحقوق المدنية التي لم تستخدم الحملات العنيفة لكي تجلب او تلفت انتباه الناس حول التمييز العرقي والفقر السائد عن الأفارقة الامريكان . بعض الحملات ذهبت الى ابعد من ذلك داعمة الاساليب العنيفة من اجل تحقيق تحرير العبيد ، إضافة الى خروج العديد من الأفراد على شكل تظاهرات ضد انخراط الحكومة الامريكية في حربها مع فيتنام (١٩٦٤ - ١٩٧٥) .

بعض الأفراد من الناس امثال Hippies (الخنفوس الوجودي) رفضوا هذا الاتجاه السائد في المجتمع (أي حركة الدفاع عن حقوق المرأة) فأسقطوه محاباة وتحيزاً للعيش اللامادي البسيط - الوجودي لكن هناك العديد من الناس ممن أيدوا وساندوا هذه الحركة واستمروا لفترة طويلة من الزمن . وقد ظهر موقف

الخنافس – الوجود بين هذا على موسيقاهم وجنسهم ومخدراتهم وملابسهم التي باتت جزءاً منظماً من معيشتهم . في حين برزت هذه الحركة في امريكا الشمالية وانتشرت بشكل واسع وسريع في غرب اوربا واستراليا على السواء مدعومة من قبل البرامج التلفازية الفاعلة .

اللافت للانتباه انه منذ البداية انضم النساء الى هذه الحركة من اجل التغيير وترجموا انضمامهم هذا في مسيراتهم المطالبة بالحقوق المدنية وتظاهراتهم ضد الحرب مع فيتنام ثم يتبع ذلك طريقة الخنافس في عيشهم كل ذلك ادى الى احتمالهم بأن كفاحهم ونضالهم سوف يحقق النجاح في مطالبتهم بالمساواة مع الرجل إلا انهم اكتشفوا بأن النساء في الجماعات المتطرفة تواجه نفس المفاضلة وعدم المساواة وغياب الاحترام لهم في العديد من بقاع العالم فأيقنوا بأن الرجال يفكرون ويتحدثون ويكتبون والنساء يستمعنّ ويطنخنّ وينظفنّ ويخدمنّ ويستجننّ للمعاشرة الجنسية . وإزاء هذا التيقن اصيبت النساء بخيبة امل وتحررنّ من الوهم الذي كان مسيطر عليهنّ عندما واجهنّ التمييز في الحركات التي تنادي بالمساواة والعدالة بالنسبة للجميع . اقول ادرك النساء ان حتى الحركات التحررية والتقدمية التي ترفع شعارات انسانية مثالية ونموذجية وطوبائية هي من باب التكسب الزائف والكذب والرياء وان في حقيقة امرها تمارس التمييز ضد النساء ايضاً الأمر الذي صدمها وحررها من الوهم الذي كانت معشعش في مخيلتها فخاب املها ولم تعد تصدق منادات الحركات بالعدالة والمساواة بين الرجل والمرأة . بمعنى اخر واجهت الواقع الصادق والممارس في الأنشطة الاجتماعية والسياسية والمهنية .

نخرج الآن الى موضوع كيف ومتى ظهر مصطلح حركة تحرير المرأة The liberation movement بداية انها اشبه بحركة الملونين والتظاهرات التي خرجت معادية للحرب تهدف تحقيق التغيير في المجتمع وعدم ابقاءه على وضعه الذي لا يتناسب مع تطورات العصر وهذا ما قامت به المرأة اسوة بالملونين والمعترضين عن الحرب مع فيتنام أي لا يوجد شخص او حادث مسئول عن تشكيل او تأسيس حركة تحرير المرأة . وفي هذا السياق ومن نافلة القول انه بعد منتصف العقد السادس من القرن المنصرم بدأ النساء بتشكيل جماعات صغيرة تقوم بمناقشة مشاكل عامة وكتابة بيان رسمي خاص بالأهداف والدوافع ووجهات النظر الخاصة بهم إضافة الى التخطيط لاتخاذ افعال ومواقف

تعكس طموحهنّ وخلال عدة سنوات برزت جماعات نسوية في عدة اقطار من العالم تقوم بهذه الممارسات عندها تبلور مصطلح تحرير المرأة الذي امسى يمثل نداءً عالمياً شبيهاً بالتصويت الانتخابي حاولت عدة جماعات تحقيق التغيير . جدير بذكره في هذا المقام الى ان حركة تحرير المرأة تضم اقلية متطرفة واغلبية معتدلة . ترى الجماعة الأولى (المتطرفة) بأن النساء سوف لا يتحررنّ إلا عن طريق الثورة وغير ذلك لا يحصلنّ على تحريرهنّ بذات الوقت هناك العديد من النقاش حول ما هو نوع الشكل الذي سوف يأخذ طابعه في هذا المضمار ؟

لا جرم من القول بأنه بالنسبة لبعض الجماعات يعني هذا ممثلاً للعنف السياسي الذي يريد قلب او اسقاط او الاطاحة بالنظام الرأسمالي . لا سيما وأن الحركة النسوية المتطرفة حاولت ارساء صلات وروابط مع النقابات العمالية والاحزاب السياسية ذات الجناح اليساري . وفي عام ١٩٦٨ ظهرت احتجاجات وشغب واحداث سياسية متصاعدة ومتلاحقة في اوربا وامريكا الشمالية بيد انها لم تستمر بفترة طويلة فبقي النظام السياسي قائماً .

ثم هناك نساء اخريات رفضنّ الانظمة الشيوعية والرأسمالية معاً وشاهدوا نفوذ الرجل والنظام الابوي البطريقي يمثل لهم مشكلة قائمة فحاولنّ التلفيق في قولهنّ بان المجتمع مبني على حاجات النساء حتى لو كان هناك العديد من الرجال والأولاد فيه . ليس هذا فحسب بل ان هذه الجماعة وكأنها تطالب بالانفصال عن الرجل عندما تركز في حديثها على الاغتصاب والعنف المنزلي والتمييز ضد السحاقيات واستغلال النساء في الفن الإباحي .

بعد هذا الاستهلال والاستطراد اعرج الى موضوع التنظيم الوطني للمرأة National organization of women لا جناح من الإشارة الى ان معظم المؤيدين والداعمين لتحرير المرأة غير منتمين الى أي جماعة لكنهم يطالبون بالتغيير ضمن النظام السياسي والاقتصادي القائم . فالتنظيمات مثل التنظيم الوطني للمرأة المكنى بـ (Now) في الولايات المتحدة والجماعة الضاغطة الالكترونية للمرأة في استراليا ضغطوا او مارسوا ضغوطاً على حكوماتهم من اجل تغيير القوانين الجائرة التي تفاضل الرجل على المرأة وتميز بينهم وطالبوا ايضاً بتوسيع الفرص للمرأة في العمل . ممارسي هذه الجماعات منحدره من الطبقة الوسطى ومن البيض دعموا الاف النساء في حقوقهم في عدم

المفاضلة الأمر الذي ادى الى استجابة الحكومة لهم فألغت القوانين المفاضلة بأخرى جديدة وسياسات داعمة لحقوق المرأة .

لا أجد بأساً من الإشارة الى ان تحرير المرأة لم يكن ابدأً ممثلاً لحركة موحدة إذ ان العديد من النساء الملونات شعرنَّ بأن التركيز مُسلط بشكل رئيسي على مشاكل الطبقة الوسطى والنساء البيضاوات وعدم الدفاع عن النساء السوداوات وبالذات المنحدرات من الطبقة الفقيرة التي ترزح تحت الفقر والمعاناة العنصرية ولسكن رديء والمدارس البائسة ونظام اجتماعي معقد واضطهاد يومي مستمر . وفي هذا الصدد قال احد الكتاب انه في عام ١٩٦٧ كانت المرأة السوداء في الولايات المتحدة تكسب فقط ٤٠% من معدل راتب الرجل الأبيض بينما المرأة البيضاء تكسب ٦٠% ومن ذلك الحين باشرت المرأة السوداء بتأسيس حركة نسوية خاصة بها سميت بحركة النساء السوداء .

ادركت النساء بأنه إذا اردنَّ ان يعبرنَّ عن مصالحهنَّ وحقوقهنَّ عليهنَّ الاعتماد على انفسهنَّ قبل كل شيء وعدم الاعتماد على غيرهنَّ ومن هنا بدء بزوغ وعيهنَّ بمصيرهنَّ من خلال اجتماعاتهنَّ ومناقشة معاناتهنَّ والعقبات التي تقف امام مسيرتهنَّ وكانت تضم هذه الاجتماعات جماعات صغيرة متميزة بوعي لامع يتحدثنَّ بحرية عن لماذا يشعرنَّ بأنهنَّ مضطهدات ومنزعات وماذا يردنَّ ان يعملنَّ . كانت اجتماعاتهنَّ هذه تحصل في محلات لبيع الكتب والمقاهي العامة والأماكن التي يشعرنَّ بأنهنَّ في مأمن وارتياح ، وكانت هذه باكورة العمل النسوي الواعي بحركتهنَّ .

ولا غرو من القول بأن المرأة في موضوع تحريرها ركزت على الخبرات الشخصية الخاصة بها مثل علاقاتها الجنسية وحبلها ورضاعتها لأطفالها لكن العديد من النساء بقينَّ يشعرنَّ بأن لديهنَّ القليل من التحكم بأجسادهنَّ وحياتهنَّ . وفي العديد من البلدان كانت هناك صعوبة الحصول على وسائل مانع الحمل او الحصول على الاجهاض الرسمي والحمل غير مرغوب فيه تجد المرأة صعوبة بالغة بالتخلص منه والمرأة القانطة والبائسة نرى الاجهاض غير قانوني . أي لا تفكر بالتخلص منه لأنه يمثل مشكلة قانونية وعندما يكون غير قانوني فإنه لا يخلوا من مضاعفات صحية تدفع ثمنه الحامل الذي يصل احياناً الى الوفاة بسبب عدم استخدام الادوات المعقمة والصحية . لذا فإنه ليس من المفاجئ ان يكون

الاجهاض الأمن والقانون او المطلوب يصبح احد الاسباب الرئيسية لحقوق المرأة في رفع شعارها المطالب بتحكمها بجسدها دون تدخل الحكومة او الكنسية او الأسرة او شريك الحياة او الموظفين في المكاتب الرسمية .

ومن نافلة القول ان تحرير المرأة لم يغفل او ينسى اجور العمل التي تتقاضاها المرأة إذ انها نادراً ما تحصل على عمل يتسم بمكانة متساوية مع مكانة عمل الرجل او ان قيمة اجورها مثل قيمة اجور الرجل ببساطة يرجع هذا الاختلاف الى ان معظم الاعمال والاشغال كانت مصنفة استناداً للجنس أي اعمال خاصة بالرجال وذلك أنها تتصف او تتطلب مهارة خاصة لا توجد إلا عند الرجال واعمال نسائية لا يعمل فيها الرجال بل النساء وذلك لأنها تتمتع بمهارة مهنية والنساء لا تتوفر عندهن مهارة متقدمة وبناءً على ذلك فإن اجور اعمالهن تكون ادنى من اجور الرجال . بتعبير ادق ان مكانة عمل الرجل ومهارة المرأة وهذا جعل من مسيرة التغيير بطيئة جداً . هذا من جانب ومن جانب اخر فإن الناس كانوا ينظروا الى الرجل على انه كاسب الرزق لأسرته لذا يتم دفع اجور له اكثر من المرأة وان اجورها اقل لأن عملها كان يتم النظر اليه على انه فائض عن الحاجة . الحالة لم تبقى على هذه الوتيرة إذ تبدلت نوعاً ما بسبب زواج المرأة وتفاقت معدلات الطلاق مع دعم وتعزيز حركة تحرير المرأة للمرأة التي تقوم بالإضراب او تدعوا اليه .

لا بد لي بعد هذا الاستطراد ان طرح اسئلة او سؤال محدد مفاده هل المطالبة بالمساواة رغبة فيه او قالبه للتطبيق ؟ ولماذا تصرّ المرأة بتقليدها بالرجل ؟ ولماذا تدخل معركة خاسرة في نهايتها ؟ الا تعلم ان الرجل يقوم بتحكيم عملها في نهاية الامر ؟ الا تعلم المرأة ان المجتمع متميز لصالح الرجل ؟ الم تدرك المرأة بأنها لا تملك مهارات وقدرات مثلما يملكها الرجل ؟ الم تشاهد المرأة مناشط الحياة متطبعة بطبائع التمييز بين الرجل والمرأة ؟ هذه الأسئلة مجاب عليها في الكتب والمقالات التي تصدرها منشورات انصار المرأة وتعترف بها على لسان كل من جيرمن جرير وكات ميلت وكلوريا ستينيم وشيلا روبرتهام وأخريات .

ولكي نجول طرداً مع حركة تحرير المرأة نقول بأنها كانت هذه الحركة نشطة جداً ومثيرة للجدل وانها رسمت دعماً كبيراً من الرجال والنساء ، بذات الوقت واجهت معارضة كبيرة من الطرفين الذين يرون بأنها مقوضه للنظام

الطبيعي والقيم النسوية فضلاً عن خروج الملايين من النساء بمسيرات وتظاهرات من اجل التغيير . في الواقع ان حركة تحرير المرأة كانت تمثل حركة كبيرة للمرأة الفاقدة للقيادة وكان هناك القليل من الاسباب التي توحد النساء الثريات والفقيرات والبيضاوات والسوداوات والمتزوجات والعازبات والسحاقيات والطبيعات . ففي العقد الثامن من القرن العشرين انشطرت الحركة الى عدة شعب وانقسامات فقدت الكثير من حيويتها .

بقي ان اشير في هذا المقام الى انه بغض النظر عن حركة تحرير المرأة من القول بأن المرأة وتجمعاتها لعبت دوراً حيوياً في تاريخ انصار المرأة الذي لم يكن منظماً بشكل منسق على الدوام بل كان مشوشاً لكن على الرغم من ذلك فأنها طرحت افكار نسوية تخدم الملايين من النساء في كفاحهم وتسجيل احداث مهمة في تاريخ الإنسانية بأن الرجال ليس وحدهم صنعوا تاريخ المجتمعات بل ساهمت النساء في ذلك وقد مارسنَّ ضغوطاً على العديد من الحكومات في تغيير قوانينها المتميزة والمفاضلة للرجل عليهنَّ وهذا ما حدث في العديد من الاقطار الغربية ثم تبنيها ثقافات اخرى ومواقع مختلفة مثل حركات حقوق المرأة التي برزت في اسيا وامريكا اللاتينية وافريقيا والسرق الاوسط وباقي الحركات النسوية بغض النظر عن الوانها واشكالها إذ انها اصبحت جزءاً من صلب العديد من حياة النساء في العالم .

لا جرم من تقديم ملخص عن الطور الثاني (الموجة الثانية) للحركة النسوية :

الذي بدأ في العقد السادس من القرن العشرين ، الذي اتسم بالملهمات والمبدعات سجلنَّ في مؤلفاتهنَّ كفاح المرأة ونضالها ضد ظلم الرجال امثال سيمون دي بيفوار في مؤلفها الموسوم " الجنس الثاني " ١٩٥٣ وبتي فريدان في كتابها المعنون " الغموض النسوي " ١٩٦٣ وكات ميلت في اصدارها الموسوم " السياسات الجنسية " ١٩٧٠ و جيرمي جرير في كتابها المعنون " الأنثى المخصية " ١٩٧٠ صدور هذه الكتب عملت تحولاً جوهرياً في مناقشات ومحاورات الناس الكامل مما اثر ذلك على كتابات الحقول المعرفية مثل العلوم السياسية والنفسية والثقافية والانثروبولوجيا وهذا بدوره وسع من نشاط الحركة فدفعها الى حدود ابعد مما كانت عليه في الخطاب السياسي واوضح عرضاً متحدياً وسافراً لمعظم الاحتمالات الاساسية للثقافة والمدنية . وقد جاءت هذه

الكتب في وقت احتياج النساء للتعبير الاجتماعي المتطرف وتحرير السياسات الذي كانوا يتمنوه ويطلبوه من اجل التحرر من ظلم الرجال طيلة الالف السنين . إذ ان التحرير والانعتاق بالنسبة للحركة النسوية المتطرفة يمثل مطلبها الملح لتحسين نصيبها في الحياة القانونية والسياسية والاجتماعية من اجل تغيير مواقف الناس من النوع الاجتماعي (الجندر) وانصاف ميزان النفوذ بينها وبين الرجل اما في بريطانيا فقد حصل هناك تحول قانوني وتشريعي واسع النطاق حقق الكثير من المساواة بين الرجل والمرأة حين صدر اصلاح قانون الاجهاض ١٩٦٧ واصلاح قانون الطلاق ١٩٦٩ وقرار لائحي خاص بمساواة اجور العمل ١٩٧٠ وقرار لائحي خاص بالتمييز الجنسي ١٩٧٥ وقرار لائحي لحماية الموظفين ١٩٧٥ وقرار لائحي خاص بالعنف المنزلي ١٩٧٧ . وعلى الرغم من كل هذه التشريعات القانونية فإن التقدم في التعامل مع قوى بنية المفاضلة الجندرية في المجتمع مازالت ضعيفة . لكن التمييز البيولوجي بين الاثنتين مازال قائماً فالمرأة متصفة بالعاطفة والتعاون وتقديم الخدمة والتضحية التي اكتسبتها من الامومة بينما اتسم الرجل بالقوة والتنافس والعاطفة المحدودة . هذه ثوابت توضح المفارقات البيولوجية بينهما . علماً بأن تاريخ البشرية سجل الكثير من الكفاح المتصارع بين الذكور والاناث بذات الوقت شاهداً انخراط الحركة النسوية في الحركات السلمية وضد تدمير البيئة والحرب النووية اكثر من مواقف الحركات الذكورية . [Harrison & Boyd . 2003 . P.298]

الطور الثالث (الموجة الثالثة)

الذي بدأ في العقد التاسع من القرن العشرين ناقش انصار المرأة في هذه الفترة الزمنية مواضيع جديدة تختلف عن تلك التي تم مناقشتها في الطور الثاني مثل التحرر المدني وسبا التقدم القانوني للمرأة والابتكارات الطبية والتقنية التي تستخدمها المرأة في منزلها مثل وسائل مانع الحمل والادوات المطبخية والمنزلية التي تستخدمها ربة المنزل في المطبخ ومرافق البيت في التنظيف والتجميل التي تساعدها في رفع اعباء مسؤولياتها في تنظيف وترتيب منزلها وتيسير طبخ طعامها والعناية بأطفالها الذين ولدوا دون تخطيط في انجابهم فلم تبقى نفس متاعب المنزل وتربية الاطفال شاقة ومرهقة كما كانت تعاني منها المرأة قبل هذا التاريخ . هذا من جانب ومن جانب اخر فقد برزت كاتبات ركز اهتمامهن على شؤون المرأة وطلباتها في المساواة مع الرجل امثال :-

- ١- جيرمين جرير : التي صدرت كتاب بعنوان " الجنس والقدر " ١٩٨٥ الذي تناول التعاطف مع المرأة في حياتها الأسرية وتربية الأطفال .
- ٢- جين كاميليا باجليان : التي كتبت عن الجنس والفن والثقافة الأمريكية ١٩٩٠ تسألت فيه عن مكانة المرأة المخصية .

وازاء هذه التحولات التطورية تم تسمية المرأة بـ " الأنثى الجديدة " وذلك بعد إزالة الاجحاف الذي كان جائماً على صدرها في عدة مجالات من الحياة الاجتماعية . وفي هذه الفترة ايضاً كان الجو الاجتماعي والسياسي يتقبل فكرة المساواة بين الرجل والمرأة لكن لم تنتهي مشكلة التمييز الجندري بشكل تام وكامل . ففي المجتمع البريطاني بقي دفع اجور المرأة على ما هو عليه إذ كان اجور النساء اقل بكثير من اجور الرجال ويعملن بعمل جزئي لا كامل وذات مكانة متدنية وغير مضمونة وذات مهارة واطئة وعمل مؤقت اكثر من الرجل ، إنما على الرغم من ذلك فقد كانت هناك نساء ممن هنّ في قمة المهن الرئيسية في المهن القانونية والطبية والجامعات الاكاديمية ووسائل الاعلام والخدمات المدنية الرئيسية ، اضافة الى ذلك ففي عام ٢٠٠١ كان هناك ٤٠% من الشركات ممن اكدوا بعدم وجود نساء في شركاتهم يعملن فيها وقد هبط معدل اشتغال النساء في عام ١٩٩٩ من ٦٩% الى ٥٧% في عام ٢٠٠١ . انها موجة او طور يختلف عن الطور السابق (الطور الثاني) في حركته النوعية والكمية . اما الجندر فإنه يتطبع بالطابع الثقافي الذي يقوم بتحديد الأدوار المختلفة بين الرجل والمرأة بشكل عام مفروضاً على الانماط السلوكية التي لا صلة لها بالفوارق البيولوجية او الطبيعية التي تنص على تحمل المرأة في مسؤولياتها الرعائية للأطفال .

اما النوع السياسي فهو يمثل عقيدة تعكس الظلم والجور الممارس من قبل احد الانواع الاجتماعية (الرجل والمرأة) على الأخر وعادةً تكون غير قابلة للتغير لذا فإنها تشبه العقيدة الاستعمارية التي يمارسها الرجل على المرأة (بمعنى الرجل يستعمر المرأة فيستغلها استغلالاً كبيراً ويسخرها لصالحه على حساب مصلحتها) تعكس قوى الرجل على المرأة في مجتمع يكون فيه الرجل متحكماً بالمرأة في كل مناشط الحياة الاجتماعية .

الوجه العامة والخاصة للحياة الاجتماعية

كان التحدي الأول يمثل التمييز العام والشامل بين الاوجه العامة والخاصة للحياة الاجتماعية لكن ليس على الكل والجميع . إذ ركز الكُتاب السياسيين حصرياً على المحيط العام للحكومة والقانون والاقتصاد والدولة مع الاحتمال القليل عن العلاقة بين الرجل والمرأة (خصوصاً العلاقة الزوجية) التي كانت تمثل مسألة خاصة بالإنسان إنما خارج الاطار السياسي . إن شجاعة وجسارة انصار المرأة لم تكن مميزة بين الخاص والعام وان اكثر الاختلاط الجنسي كان منسقاً لمثل هذه العلاقات التي دعمت التبعيات السياسية علاوة على ذلك فإن الوجه العام يمثل النفوذ السياسي فتسلط عليه من قبل الرجل المؤثر على الوجه العام الضعيف سياسياً الذي مازال متسلط عليه من قبل الرجل لكن ضمن حياة المرأة المحدود . ومن اجل استجلاء اكثر عما تقدم ، نقول إذا ارادت المرأة فعلاً وبصدق ان تحصل على حق المساواة مع الرجل فإنها بحاجة الى :-

١- رفع الوصاية عليها من قبل الرجل او الحكومة في المجالات الاجتماعية العامة والخاصة .

٢- ان يكون للرجل وللحكومة دور كبير في رعاية الأطفال .

٣- ان تمنح المرأة دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية العامة .

٤- ان تمنح المرأة راتباً لقاء قيامها بمناشط الحياة الاجتماعية الخاصة .

عندئذ يتم تحقيق الاصلاح الاجتماعي الذي يؤول الى التغيير الاجتماعي والثقافي وتتحقق المساواة بين الرجل والمرأة وبدون ذلك لا تحصل المساواة بينهما في الحياة الاجتماعية العامة والخاصة أي في العمل خارج المنزل وداخله في الأسرة.

٤ / ب - مدارس الحركة النسوية

لما كانت للنساء حركة جماهيرية فإن ذلك يعني او يتوجب ان تتضمن عقيدة تعكس اهدافها وطموحها وفكرها ومنطقها وهذا ما اوضحه العديد من المهتمين بدراسة الحركات الاجتماعية الذين قالوا عنها بانها حركة عقائدية حالها حال الحركات الجماهيرية التي يتضمنها المجتمع . إنما الفرق بينها وبين عقائد الحركات هو الاختلاف بالدرجة لا بالنوع وهذا ما يجعلها ذا صعوبة بالغة في تحليلها ونقدها وذلك لكونها تتضمن العديد من الاغلفة العقائدية ذات الخبرات المميزة للمرأة في المجتمع فضلاً عن تعاملها مع العديد من الحقول المعرفية مثل

القانون والحكومة والاقليم والدولة والشرعية والانساق الاقتصادية والتفاسير التاريخية واللغة والافكار والاحداث المستخلصة من حقول اخرى مثل علم النفس وعلم الاحياء الاجتماعي وعلم الاجتماع وعلم الإنسان ، لكن مع ذلك فإن هناك انتقادات موجهة لها بأنها تمثل حركة ادبية والبعض الاخر يقول عنها بأنها عقيدة غير متكاملة ساهمت الحركات الاخرى مثل الليبرالية والاشتراكية والمحافظة . مع كل ما قيل ويقال عنها فإنها تتضمن اهداف حادة ولاذعة ومنهج ونظريات وطموحات . وازاء هذه التوطئة نستطيع ان نحدد مساراتها التي عرفت اهدافها كحركة جماهيرية وهي الحركة النسوية الليبرالية والاشتراكية والمحافظة والمتطرفة .

١- الحركة النسوية الليبرالية .

نشأت هذه المدرسة الحركية في احضان الموجة الاولى (او الطور الأول) من نشوء الحركة ، تحديداً من بداية القرن التاسع عشر وانتهاءً مع بداية القرن العشرين . لمعت فيها اسماء رائدة امثال ، ماري ولستونكرافت وهاريت تيلر و ج . س . ميلز وجميعهم ساهموا وشاركوا في نشوئها وبنائها مركزين على الطموح الكامل للحقوق المدنية والقانونية للمرأة معززة في تركيزها على القواعد القانونية . اما طابع هذه الحركة فهو ليبرالي بالدرجة الأساس مؤكداً على مكاسب ومطالب مساواتيه بين الرجل والمرأة من حيث العمل والمنافسة في سوق العمل والأجور .

وفي الموجة الثانية (الطور الثاني) برزت كل من بيتي فريدان وأخريات قالوا عن المرأة بأنها موجهة من قبل اسطورة الثقافة التي جعلت منها عضوة اسرية لها دور مناسب في الحياة وان تعليمها يمنحها دوراً كبيراً في الحياة العامة . اما الحركة النسوية في بريطانيا فقد اضافت العامل السياسي الى مطالبات المرأة السابقة فتم تشريع العديد من التشريعات مثل تشريع حق الاجهاض ١٩٦٧ وتشريع الأجور المتساوية ١٩٧٠ وتشريع التمييز الجنسي ١٩٧٥ . في الواقع مثل هذه التشريعات تمنح المرأة حقوقاً تساعدها - كإنسانة - يصبح لها حرية الاختيار حول عيشها في الحياة الاجتماعية خارج منزلها .

هناك انتقادات وجهت الى الحركة النسوية تشير الى انها اهتمت بنساء الطبقة الوسطى واهملت نساء الطبقة العاملة . لكن مع ذلك فقد تم تحقيق العديد

من مطالبين في العالم الغربي وبالذات في مجال الحقوق المدنية والحقوق السياسية .

٢- الحركة النسوية الاشتراكية

يرى بعض الاشتراكيين الطوبائيين (المثاليين) ابان القرن التاسع عشر امثال فورير وسانت سيمون وروبرت اوين بأن افكارهم تتضمن تطبيقات مهمة خاصة بالمرأة فيما يخص السماح الواسع النطاق للبيئة الجنسية التي تكون فيها متحررة من مسئولية وعبئ الرعاية بالأطفال والشؤون المنزلية عبر تحويل معظم الوظائف الأسرية الى المجتمع المحلي . أبون بالذات قال بأن الدين هو الذي اخضع المرأة للرجل وذلك عبر زواجها منه وإذلالها له حيث جعلها عبدة للرجل تخدمه وتهتم بمنزلة وسعادته ورفاهيته .

ماركس كان أيضاً مهتماً بتحرير المرأة على الرغم من انه كان يعيش عيشة محافظة داخل اسرته مع ذلك فإنه يرى بأن الثورة الاشتراكية سوف تحرر المرأة وان النظام الشيوعي لم يكن فعالاً في منح المرأة المساواة مع الرجل لذلك اخذ موقفاً محافظاً منها وبالذات دورها السياسي لذلك كانت النساء اكثر تطرفاً في مناداتهن للتحرر عندما شاهدن الاشتراكيين والشيوعيين محافظين في نظرتهم وغير جادين في تغير دورها في السياسة والعمل . في حين دافع انجلس عن المرأة في كتابة المعنون " اصل الأسرة " ١٨٨٤ الذي حدد جذور ظلم المرأة المستكن في النظام الاقتصادي المبني على الملكية الخاصة والمتسلطة من قبل الرجل فأمست المرأة مملوكة للرجل حالها املاكه الاقطاعية فنزلت مكانتها لمستوى ادنى من مكانة الرجل . لكن بالإمكان إزالة الظلم الواقع على المرأة من خلال كفاحها الطبقي الذي هو جزء من الكفاح العام لها وان إزالة النظام الرأسمالي يعني نهاية اضطهاد المرأة إذ انها مستغلة من قبل النظام الرأسمالي بشكل كبير مع تدني اجورها ونفوذها وسماعها للرجل بتحقيق متطلبات النظام الرأسمالي من خلال رعايتها لأطفالها ومساهمتها في ميزانية الأسرة فهي إذن داعمة للنظام الرأسمالي من خلال خنوعها وعبوديتها للرجل وللنظام الرأسمالي لكن نستطيع ان نحصل على طلباتها في المساواة فقط إذا تحررت من سيطرة الرجل وهيمنة النظام الرأسمالي .

ناشطة ماركسية جوليت ميتشيل في كتابها الشأن النسوي او شأن المرأة ١٩٧١ وكتابها الاخر " التحليل النفسي والحركة النسوية " ١٩٧٤ قالت فيهما بأن جور

وظلم النساء في المجتمع الرأسمالي ليس فقط يمثل الاستغلال الاقتصادي إنما ينطوي على عدة أوجه نفسية وثقافية التي يمكن تغييرها .

٣- الحركة النسوية المحافظة .

تؤكد هذه المدرسة على الأدوار المتساوية بين الرجل والمرأة وبشكل مختلف لأنها تخضع لتقسيم الطبيعة البشرية التي يقوم بها الرجل والمرأة داخل الحياة الخاصة (المنزل) والعام (خارج المنزل) وهي بذلك تعزز القيم الذكورية ومصالح الرجل وهذا ما يمثل استغلالاً واسعاً للمرأة وتبعيات ذليلة يمكن مشاهدتها في علاقتها الجنسية مع الرجل ورعايتها للأطفال فهي إذن مستبعدة للرجل وخير مثال على هذه المدرسة المجتمع العربي الذي يقيد المرأة بمسؤوليات عديدة بذات الوقت بمنحها احتراماً ومكانةً ظاهرة مع قسطاً من الحرية الشخصية لذا فإن الأسرة تعد خير مثال على مناشط الأنثى وانجازاتها وهناك من النساء المحافظات ممن يدافعن عن دورهن المحافظ في تربية ابنائهن والاهتمام بشؤون منزلهن ويفضلن ان يكونوا محور ومركز الأسرة وانهن سعيدات بهذه المسؤولية بشكل اكبر واكثر من عملهن خارج الأسرة وحصولهن على اجور عملهن . من امثال هذا النوع من النساء المحافظات جين بيتك ١٩٨١ في كتابها الموسوم " في الرجل العام والمرأة الخاصة " نشرت فيه العديد من وجهات النظر التي فيها خبرة المرأة في الحياة تستقى من الأمومة والحنان والرقّة والتنظيم والنظافة كصفة عامة تشترك فيها جميع النساء .

٤- الحركة النسوية المتطرفة .

نشأت هذه المدرسة في احضان الموجة الثانية (الطور الثاني) وتركز فحوى هذه الحركة على الظلم والقمع الذي مورس على المرأة كان سائداً في الماضي والحاضر الذي منشئه ظلم الانظام الأبوي الذي غطى مساحة السياسة والثقافية والاقتصادية والدينية والاجتماعية عبر دور المرأة في النوع الاجتماعي (الجندر) مستغلاً المرأة من قبل الرجل الذي تغلل الثقافة بكاملها ومتحدى من قبل السياسة والاقتصاد والثقافة والفن والفلسفة والعلم واللغة .

ومن غرائب المطالب التي طالبت به هذه الحركة هي ان تكون هناك لغة خاصة للرجل بالتحدث للمرأة . أي على الرجل ان يبتكر مفردات تعبير عن احترامه وتقديره للمرأة عندما يتحدث معها تمثل لغة جديدة لأنها تختلف عنه ، لغة تعبر

عن الرقة المهذبة والغير عنيفة ، فيها الرومانسيات المحببة للمرأة وهذه الرؤية تقول إذا تم تحرر المرأة فإن ذلك يعني تحرر الرجل وإذا استعبدت المرأة فإن ذلك يعد استعباداً للرجل وهذا يؤدي الى بلورة علاقات صحية بين الأثنين .

تعقيب وتعليق

مما لا جدال فيه ان اطوار الحركة النسوية هدفت في نهاية مناشطها تغيير دور ومكانة المرأة في المجتمع ، ولما كان الفرد سواء كان رجلاً او امرأة لا يستطيع ان يغير المجتمع ، بل ان الحركات الاجتماعية عبر تنظيمها وفعاليتها المستمرة وحصولها على تأييد من بعض شرائح المجتمع تحقق جزء من التغيير الاجتماعي ، على ان لا ننسى حدوث تغيرات كبرى في المجتمع فسحت المجال لهذه الحركات بالتقدم والتأثر على حركة المجتمع وتغيير بعضاً من توقعاته والتزاماته نحو ذلك الفرد المراد تغيير وضعه الاجتماعي .

ولما كان المجتمع يتألف من نوعين رئيسيين من الافراد من الناحية البيولوجية (ذكر وانثى) فإن أي تغيير يبتغيه احدهما يكون على حساب الطرف الاخر لانهما متلازمان ومتناسجان اجتماعياً واحياناً دموياً (داخل الأسرة) فإن تضررت مصالح وحاجات ذاك الطرف فإنه سوف لا يقف - الطرف الثاني - مستسلماً بل يقاوم التغيير الذي اضر بمصالحه وحاجاته الخاصة والعامة . ولما كانت الخلية الأولى والأهم في المجتمع (الأسرة) قائمة عليهما بالدرجة الأساس فإن مصلحة الأسرة يكون لها الاهتمام الأول والأكبر في موقفها من هذا التغيير الذي سوف يُصيبها ايضاً (بنائياً ووظيفياً ووجودياً) .

ديديني من هذا الاستطراد هو القول بأن الحركة النسوية وحركة تحرير المرأة مآلها لا يكون سهلاً او مرحباً به من قبل الرجل والأسرة لأنهما سوف يتضرر مصالحاً وحاجياً من ذلك التغيير إلا ان حدوث تغيرات كبرى تحصل للمجتمع الإنساني مثل الثورة الصناعية وما قامت به من سحب الرجال من العمل الحقلّي والمنزلي الى المعملّي والمصنعي ادى الى الاستعانة بالمرأة في التوظيف في سلك التعليم والتمريض الذي تركه الرجل لها . وما جلبته الثورة الاتصالية

والمعلوماتية من سرعة في الاتصالات جعلت المرأة تتفاعل مع كل نساء العالم في افكارها التحررية والدفاع عن نفسها ومكانتها الاجتماعية .
بيد ان الحرب والنظام الأبوي (البطريقي) والرأسمالي لم يسمح لها بالتحرر من مسؤولياتها بل اجبرها على الاعمال الوطنية في التمريض العسكري والاهتمام بالأسرة وبالتعليم .

بدأ تغيير دور ومكانة المرأة عبر حركتها النسوية من خلال مطالبتها بالتصويت الانتخابي الذي كان يعني بالنسبة لها الدخول في مجالات غير مسموح له لأنها كانت مقصورة او مقتصرة على الرجال فقط مثل التنظيمات السياسية والدوائر الرسمية والاحزاب السياسية وسوق العمل . فكان همها الأول والأخير هو دخولها الى ميدان الانتخابات البرلمانية والبلدية الذي بدأ في عام ١٨٩٠ وكانت هذه الخطوة الأولى لها بالخروج من وضعها التقليدي (في المنزل والأسرة) لتتحول الى مرحلة المرأة الجديدة التي تبحث عن التحرر من الزواج والمسئولية المنزلية والاعتماد على الرجل في الصرف على عيشها وأول ما ظهر هذا التغيير كان على ملابسها التي اضحت مختلفة عن ملابسها التي ترتديها في المنزل من حيث الألوان والأزياء والاناقة والتنوع ليس هذا فحسب بل استغلت وقت فراغها فأملته بالأنشطة الترفيهية المسلية تقضيه في المقاهي والمنتجعات والمنتزهات العامة والسفر في رحلات عائلية بعيداً عن المنزل والاستمتاع بممارسة الرياضة والرشاقة الجسدية والاهتمام بصحتها بعدما كانت تقضي وقت فراغها بالخياطة والحياكة والتطريز وطبخ الطعام .

هذا الحراك الذي بدأت به المرأة جلب انتباه المصلحين الاجتماعيين فأبدوا بعضاً من مطالبها فساندوها بدخولها الى سلك التعليم والتمريض وسوق العمل والمطالبة بحقوقها الزوجية والدفاع عنها وعدم استخدام العنف الاسري عليها .
الملفت للانتباه هو انهن كن يعارضن ادمان الرجال على المسكرات الكحولية لأنه كان يهدد كيان الأسرة في ميزانيتها وتفكيكها وتنصل الزوج من مسؤوليته الاسرية وتبذير ماله واهمال زوجته فضلاً عن كونه مؤدي الى إفقار اسرتها .
لم يقتصر نشاطها على هذه المعارضة بل عارضت ايضاً التمييز العرقي ضدها الامر الذي ادى الى انخراطها في حركات نقابية عمالية معارضة لقيدها واحتقارها من قبل الموظفين في الشركات والدوائر الرسمية ، وادى ذلك الى

انخراط قسماً منهنّ في حركات ثورية متطرفة لإسقاط حكومات ظالمة ومستبدة مثل الحكومة الروسية وحكومات اوربا الشرقية .

بيد ان نشاطها لم يستمر بنفس الاندفاع والهمة بل تعرقل بسبب حدوث الحرب العالمية الأولى فتوقفت مناداتها بالتصويت والانتخابات والمساواة مع الرجل بسبب انشغال الجميع بالحرب والدفاع عن البلد والنفس .

إن مطالبتها بالتصويت يعني بالنسبة لها الاعتراف بحقوقها كمواطنة لا كزوجة فحسب وكعضوة في المجتمع وليس فقط في الأسرة ، كمنتجة صناعياً واقتصادياً لا بس كمنتجة بشرياً – عن طريق الولادة – وكراعية سياسية لا كمربية اسرية ، وكناشطة اجتماعية لا كمنظمة منزلية وككاتبة لا كمستمعة وكمفكرة لا كمهرجة وكمخدومة لا كخادمة ، وكإنسانة لها صوت مسموع من الاخرين لا كفرد لا صوت لها ، وكعضو في عملية اتخاذ القرار لا كمتابعة بعملية القرار وكصوت يجب ان يُسمع لا كأذان صاغية ، وكمساهمة في بناء النظام الاجتماعي لا مكسرة له .

مثل هذه المطالبات والمناذات ادت الى محاربتها وتوقيفها وسحبها من قبل السلطات الحكومية لأنها اعتبرت مثل هذه التصرفات كسراً للنظام الاجتماعي وإساءة الى انوثة المرأة . هذا على الصعيد الظاهري ، لكن على الصعيد الحقيقي والواقعي هو تحجيم سلطة وتفويض أنانيته وجشعه بالتسلط عليها (شعوره) والتدخل في شؤونه الخاصة برجولته التي اعتاد عليها ومارسها عبر قرون من الزمن .

لا جرم من القول ان مثل هذا التغيير في ميزان القوى الاجتماعية داخل الخلية الأولى والبناء الاجتماعي ومكانة الرجل وسياسة النظام الاجتماعي والسياسي لا يصب في صالح الرجل والسياسة التي يمتلكها منذ امد بعيد معتبراً هذه المطالب مخالفة للطبيعة البشرية التي خلقها الله . بيد انها في الواقع لا تعزز نفوذه وسلطته وسيادته التي تربي عليها وخدمت اهدافه . لكنه نسي ان الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لا تستمر على هذا المنوال طيلة الوقت بل اتت احداث كونية كبرى اجبرته على ان يتخلى عن بعضاً من سلطاته ونفوذه في الأسرة والمجتمع والسياسة لتدخل المرأة وتأخذ مكانه وتساعد في مهامه الاجتماعية والسياسية لا كمنافسة له ومتصارعة معه بل كشريكة في العملية السياسية والاجتماعية والأسرية .

آيتي من هذا العرض هو القول بأن التغيير الاجتماعي لم تحدثه المرأة ولا مكانتها الاجتماعية بل الاحداث الكبرى مثل الحروب والثورات والابتكارات جميعها خلقت احتياج المجتمع الى النصف الثاني من المجتمع للمساهمة في دفع عجلة التغيير من خلال حركتها التي قادتها الى :-

- تحقيق بعضاً من المساواة في الحقوق والواجبات .
- الدخول في عالم السياسة والانتخابات والتصويت .
- الدخول في المؤسسات التربوية واكتساب التعليم .
- محاربة التمييز العرقي والقومي والطبقي بينها وبين الرجل .
- الحصول على بعض المكاسب المالية التي تقربت من اجور الرجل الذي يحصل عليها في العمل خارج المنزل .
- استقلالها اقتصادياً وعدم اعتمادها على الرجل في اعالتها .
- تقليل عدد الانجاب في الأسرة .
- الحصول على حقوقها في الزواج والطلاق .
- دفاعها عن العنف الممارس عليها من قبل الرجل .
- دخولها الى سوق العمل لكنها لم تحصل على مواقع مهنية قيادية مثلما حصل عليها الرجل .

- تحررت من قيود الماضي الصارمة التي كانت تقيدها خارج المنزل .
حري بنا ان نشير الى ان التغيير الذي حققته المرأة لم يكن بمفردها بل بمساعدة ومساعدة حركات الحقوق المدنية وحركات ضد التمييز العرقي وتحرير العبيد وحركات ضد الحرب في فيتنام .

ان سياق الحديث يلزمني ان اقول ان الحركة النسوية وحركة تحرير المرأة لم تهدف الى انفصال المرأة عن العمل في الحياة العامة والخاصة بل رمت وترمي الى مواكبة ومتابعة التطورات الاجتماعية الدائرة الاجتماعية من خلال تحويل وظيفتها المحدودة بحدود الأسرة (الانجاب والتنشئة والطبخ والاهتمام بالزوج) الى المساهمة في العملية الانتاجية والسياسية وميزانية الأسرة وارقاء مستوى عيشها وعيش ابنائها لكي لا تتخلف وتسحقها عجالات التغيير . اقول ان مطالبيها لا تعني المنافسة مع الرجل ولا الصراع معه ولا استحواذ على سلطانه ولا سحب نفوذه ولا جعله تابعاً لها ، بل المساواة في العيش وادراكها او احساسها بأنها انسانة لها حقوق مثل حقوق زوجها وان يُسمع صوتها ويتفاعل مع

تفكيرها وتقول قولها لا على ابنائها فحسب بل في عملها المهني وان تُجزى كما يجزى الرجل في العمل وان يُسمع صوتها في حبلها وتربية ابنائها وتحكمها في جسدها وان لا تكن المهن مصنفة على اساس الجنس (اعمال خاصة بالنساء واخرى خاصة بالرجال) .

اخيراً لا اريد ان ابرح من هذا الموضوع حتى اقول قولي في ان مطالبة النساء بتساوي حقوقهنّ مع الرجال مطلب قابل للتطبيق إذا أرادت ان تتحمل مسؤوليات الرجل الذي كان يتحملها قبل المطالبة بالمساواة وإذا تقبل الرجل التخلي عن تلك المسؤوليات هذا على صعيد التحمل والتخلي من قبل الطرفين من الناحية المنطقية والنظرية لكن على الصعيد الواقعي لا تحصل المساواة بينهما بشكل تلقائي وانسيابي بل ان تطورات المجتمع وتحولاته المفصلية داخل الانساق البنائية هي التي تجبر الرجال والنساء (على السواء) بتغير مواقعهم وادوارهم و مناشطهم عندئذ تلزمهم بالخضوع لهذه التطورات والخروج عن النظام الأبوي والرأسمالي والولوج الى عالم جديد يتطلب التخلي عن الكثير من المسؤوليات والواجبات التقليدية والتخلي بالعديد من المسؤوليات والواجبات العصرية التي تتطلبها روح العصر وليس ما يتطلبه الرجل او المرأة لأن كلاهما يخضعان لهذه الروح الجديدة والمتجددة فلا خوف من صعود المرأة الى مستويات جديدة كان الرجل يحتلها ولا خوف الرجل من يؤخذ منه من قبل روح التجديد انها مسؤولية اجتماعية يدفع ثمنها الرجل والمرأة لصالح المجتمع شأوا ام أبوا .

٤ / ت - مميزات التبلور النظري

إن تبلور النظرية النسوية Feminist theory ساهمت في توجيه النظر الى الجندر من زاوية اللا مساواة الاجتماعية حيث رأت هذه النظرية ان الجندر واللا مساواة الاجتماعية سيات ووجهان لعملة واحدة هذا من جانب ومن جانب اخر فإن الغالبية العظمى من النساء يرون انهنّ تابعات للرجل وذوي قيمة ثقافية بخسة وازاء هذه النظرة والشعور طرحنّ مرئياتهنّ في ذلك من خلال شروحنّ لأسباب هذه التبعية وحلنّ دواعي موقعهنّ خلف الرجل . وسوف نبين هذه الطروحات والشروحات النسوية من خلال حركاتهنّ المتعددة والمتنوعة عبر مراحل تاريخية متعددة ومجتمعات متنوعة منها ما يلي :

• الحركة النسوية الليبرالية Liberal feminism

هذه الحركة قديمة قدم التاريخ ترجع جذورها الى الثورة الفرنسية من حيث تبنيها المفاهيم الرئيسية والجوهرية لمفكري حركة النهضة التنويرية مثل العقيدة الإنسانية والحاجة للإصلاح الاجتماعي وقضية الحرية الفردية مع غياب نقاش وحوار منظم وصريح حول قضايا المرأة ولا للحركة النسوية ابان تلك الحقبة التاريخية . في الواقع نمت وترعرعت الحركة النسوية الليبرالية من خلال المعارك الدائرة حول الحقوق السياسية التي حدثت عبر الحرب الامريكية من اجل الاستقلال عام ١٧٧٦ والثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وما تبعها من نوادي نسائية عديدة وصالونات ادبية وفكرية التي كانت سائدة جميعها ناقشت وضع المرأة وما يتوجب عليه من حصولهن على حقوق متساوية مع الرجل ثم نشر هذا في عام ١٧٩١ على شكل اعلان وتصريح خاص بالنساء ومواطنة الأنثى . حيث طالب هذا الاعلان بحرية التفكير وحق التملك والتعليم والمشاركة السياسية والتوظيف في المؤسسات الحكومية . ادى هذا الطلب الى وقوف الرجال موقف فظ وغلظ في وقت كانت النوادي النسوية في فرنسا محلولة وغير قائمة الوجود ومن اجل استجلاء اكثر عما تقدم نشير الى ما كتبتة البريطانية ماري ولستون كرافت عن معاهدة خاصة بحقوق المرأة حملت عنوان " تبرير مزكى لحقوق المرأة " ١٧٩٢ ركزت على حقوق الفرد في التعليم والعمل والمشاركة في الحياة العامة ليبقى عملها أحد الركائز العقائدية للحركة النسوية الليبرالية مع تميزها للاختلافات القائمة بين الرجل والمرأة على الرغم من قدرتها على تحمل المسؤولية والمشاركة في الحياة العامة كشخص ناضج قادر على تحمل المسؤولية الكاملة بيد انها تبقى (المرأة) كائناً لا تمتلك الوزن الثقيل بشخصها بل تابعة للرجل وتبقى تلح في تأكيدها على تعليم الاناث وتوفير فرص العمل المتساو مع الرجل . هذه التأكيدات ما زالت تمثل احد اهم القضايا والاكثر الحاحاً تعكس حقوق نسوية متساوية او حركة نسوية ليبرالية .

حريّ بنا ان نشير الى ان بداية الحركة النسوية ونشاطها الفعال كان مقترناً مع الحركة النسوية الليبرالية التي بدأت مع الاتفاق الأول لمعاهدة حقوق المرأة التي تم طرحها عام ١٨٤٨ في ولاية نيويورك – فالس سينكا التي شاركت في نقل معدل او محور للمعاهدة الأمريكية قد بدأت مع الغاء السبب (حركة معاداة العبودية) في معاداة المرأة بل تحررها واعطائها حق التصويت في الانتخابات

السياسية والتمثيل السياسي فضلاً عن ذلك فقد انخرطن في حملات نسوية اخرى مهمته الاصلاحات القانونية والادبية والحركات المعتدلة (غير المتطرفة) .
إن سياق الحديث يلزمني ان لا اغفل تركيز الحملات النسوية الليبرالية البريطانية المنظمة حول الاصلاح القانوني والمكانة القانونية للمرأة المتزوجة وبالذات حق زواج المرأة ومسألة تدبير ملكيتها الخاصة وإدارة اموالها وقضية حقوق الوصاية على ابنائها من الأطفال وحصول الزوجة على انفصالها القانوني من زوجها . وبشكل معاصر اقترن مع كل ذلك الحملات الاصلاحية في الحياة الشخصية الذي فيها الطلبات الملحة بخصوص التصويت في الانتخابات السياسية وكان ذلك منذ عام ١٨٥٠ وما بعده . علاوة على تقديم العديد من الكتاب مطالبة منح الفرص التعليمية المتساوية مع الرجل وعدم اغفالهم التساوي مع الرجل سوق العمل والحصول على مكاسب ومسؤوليات متكافئة مع ما حصل عليه الرجل في المشاركة الفعالة في جميع مناشط الحياة العامة .

يحسن بنا ان نشير الى المطلعين والعارفين بالمجتمع الاسترالي فيما يخص "سؤال المرأة " الذي تم طرحه في نهاية القرن التاسع عشر من قبل المساهمين والمساهمات في المحيط البيئي الاسترالي الذي يضم جماعات مختلفة ومتنوعة بعضهم كان من جماعة محرري الصحف والمجلات واخرى من جماعة الشعراء والأدباء ومن جماعة الكتاب امثال لويسا لوسون ممن انشأ حركة " التصويت في الانتخابات " وكتاب اخرين امثال كاثرن هيلين سبنيس (الاسترالية الأولى من المرشحات السياسيات) و روس سكوت من اللواتي قررن البقاء عازبات غير متزوجات لكي يخصصن وقتهن لهذه المهمة . في الواقع انهن عارفات بالحركة النسوية التي كانت تسمى بـ (سؤال المرأة) الذي تم طرحه بسبب الضغوط التالية : تأثير من قبل حملات التصويت في الانتخابات في انجلترا والولايات المتحدة الامريكية ، ومن قبل الكُتاب المكرسة كتاباتهم عن الاصلاح السياسي للمرأة ومن قبل الجماعة المطالبة بمساواة الأنثى أي جماعة جون ستيورات ميل وهناك بعض الظروف المحلية في استراليا . جميع هذه العوامل ساهمت في تأثيرها على تفعيل الحركة النسوية .

ومن باب الإفاضة والإغناء والتحديد الدقيق نقول انه مع بداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر ١٨٨٠ حصل هناك تحول في ظروف العمل مثل اشتغال المرأة والرجل خارج منزلهما وفرص تعليم جديدة للمرأة التي بدأت في هذا العقد

من الزمن مثل قبول جامعة أدلبيد و مالبورن وسدني للمرأة في دراستها في هذا الجامعات وكان هذا الحدث يحصل لأول مرة في تاريخ المجتمع الاسترالي مع حصول تغيرات في الظروف المادية للمرأة حيث اصبحت جزءاً من الانشطة السياسية والثقافية وهذا ما أدى الى ظهور نوادي نسوية وجمعيات مكتبية ومجتمعات محلية معتدلة وعصبة انتخابات المرأة ونقابات عمالية جميعها دعمت اهتمام التنظيمات التي تدعم تطوير مكانة المرأة التي بدورها اثرت على المواقف السياسية للمرأة وانتخابها في مدينة مالبورن عبر جمعية انتخاب المرأة الذي تم تأسيسه من قبل هنريتا دوجدال وانبت بير عام ١٨٨٤ وقد حصل تحقيق انتخار المرأة من قبل النساء في جميع الولايات والمقاطعات الاسترالية .

اما في الموجة الثانية من الحركة النسوية فقد ظهرت في العقد السادس والسابع من القرن العشرين سويةً مع حركات الحقوق الإنسانية مثل حركة الحقوق المدنية للملونين في الولايات المتحدة الامريكية والحركة النسوية الليبرالية التي ركزت مرة ثانية على المبادئ الليبرالية للحقوق الفردية والمساواة قبل مناداة القانون بها حيث انهم أكدوا على إزالة العقبات التي تواجه المرأة في التعليم وسوق العمل لكي تصل الى كامل طاقتها ودعمها لمعاداة التعصب الليبرالية الأكثر نفعاً وفائدةً لتعليم النساء المنحدرات من الطبقة الوسطى من اللواتي لا يقدرن الحصول على موطنٍ قدم في الاعمال المرموقة ذات الاعتبار الاجتماعي العالي والمناصب السياسية لكي تصبح من الاغلبية في المهن مثل المرشدة الاجتماعية والباحثة الاجتماعية والممرضة والمعلمة والادارية في عالم الوظائف الرسمية . معنى ذلك ان الحركة النسوية الليبرالية دأبت في نشاطها على مساعدة المرأة في اداء ما تستطيع ادائه وتطوير مهارتها وقدرتها وظروفها الفردية ، لذا يمكن القول عنها بانها حركة اصلاحية اكثر من كونها حركة ثورية لأنها تركز على الحقوق الفردية وفتح فرص عمل للمرأة التي تعوزها مصادر ومنافذ لاكتساب النفوذ والقوة .

• الماركسيين والحركة النسوية الاشتراكية Marxist & Socialist

Feminism

اعتمد هؤلاء على اعمال وطروحات كلٍ من كارل ماركس وفردريك انجلز في دفاعهم عن حقوق المرأة المهضومة والظلم الممارس عليها واللا مساواة في حقوقها مع الرجل . فقد كانت رؤية انجلز تعبر عن الانكسار التاريخي لما حصل

للمرأة في وقت كانت التنمية البشرية مزدهرة عبّرت عن استقرار البدو الرحل في مناطق خاصة بهم وبتجارتهم وظهر أيضاً من هذه الفترة التركيز على عدم تعدد الزوجات والأزواج علاوة على مطالبة اصحاب للأملاك بان يرثوا املاكهم في الوقع ركزت اللا مساواة مع المرأة التي نتجت عن تطور الملكية الخاصة وكانت المرأة لا يمتلك وسائل الانتاج .

بيد انه في اواخر القرن العشرين تألقت الحركة النسوية الماركسية فحققت نمواً ملحوظاً إذ ظهرت الى حيز الوجود على يد الحركة اليسارية في الامر الجامعية في اواخر العقد السادس من القرن ذاته (العشرين) اوضحت اهتمامها ومصحتها في الفكر الماركسي الذي عبّر عن انبعائه في ذلك الوقت وانخراط المرأة في الحركات الطلابية اليسارية واعتراضها على حرب الولايات المتحدة على فيتنام فضلاً عن حركات الحقوق المدنية في الولايات المتحدة التي باتت مواضيع مثيرة للاهتمام في الشأن الماركسي شارحةً اسباب استغلال المرأة والظلم الواقع عليها . علماً بأن كارل ماركس نفسه لم يكن لديه اهتمام بالغ الالهية والاعلان الصريح حول المرأة لأنه يرى ان النظام الرأسمالي يستغل الرجل والمرأة على السواء بيد ان الاشتراكيين والماركسيين فيما بعد اوضحوا موضوع الجندر والاختلافات الجندرية في الظروف الاقتصادية . وفي العقد السادس والسابع من القرن العشرين ظهرت كتابات توضح تدني اجور المرأة بشكل واضح عن اجور الرجل واوضحوا نظام تقسيم العمل المبين على التفرقة الجنسية وليس على الخبرة والمهارة والأهلية .

ومن نافلة القول ان الماركسية تتضمن مرثيات قاصرة وناقصة فيما يخص عدم شرحها اللا مساواة بين الجندر بل هناك شواهد ظاهرة للعيان بهذه الظاهرة وهيمنة الرجل على المرأة في البلدان الآخذة في النظام الماركسي .

الباحثة هيدي هارتمان ١٩٨١ قالت بوضوح عبارة ان الرأسمالية لا تشرح بشكل تلقائي اللا مساواة بين الرجل والمرأة وكذلك الماركسية ذاتها لم تؤول وتشرح اللا مساواة الجندرية بل وحتى كارل ماركس نفسه كان اعمى جنسياً لم يرى هذه اللا مساواة . إلا انها (الماركسية) قدمت شروحات عن لماذا العمال مشتغلين من قبل النظام الرأسمالي وعلى الرغم من انتباها لهذا الاستغلال إلا انها لم تشرح وتحلل ولماذا يستغل الرجال النساء في العمل بل وحتى لم تشرح لماذا يتم دفع اجور واطئة لهنّ اقل من اجور الرجال ولماذا يحصلنّ على مكانة اجتماعية

ومهنية ادنى من الرجل ؟ علاوة على اهتمامها بالشؤون المنزلية والرعاية الصحية والغذائية والأسرية لأطفالها ؟ ثم اضافت هارتمان الى ما تقدم فقالت ان النظام الأبوي (البطريقي) كان اكثر فائدة ونفعاً في شرح نظام تقسيم العمل المبني على الجنس وهذا يقول لنا ان هذا النظام الأبوي (البطريقي) متلازم مع النظام الرأسمالي .

لا جناح من القول إذن ان الحركة النسوية الاشتراكية والماركسية ينطويان تحت غطاء نظرية الانظمة الثنائية dual systems theory أي انها يتوافقان في مرئيتهما للمرأة في ظل النظام الرأسمالي والأبوي في المجتمع . الباحثة سيلفيا والبي ١٩٩٠ تعتبر النظام الأبوي (البطريقي) يمثل محور الحركة النسوية عندما ينظر بشكل مفاضل لا مساوي للجنس لأن هذا النظام ينطوي على هيمنة الرجل على المرأة وباقي افراد المجتمع على الرغم من وجود انتاج لربات البيوت لكنه لا يؤخذ بعين الاعتبار بل يُعد احد وجبات المرأة . ليس هذا فحسب إذ هناك علاقات قرابية ابوية تؤثر على دفع الاجور أي ان الرجل يتحكم في المبلغ المالي الذي يدفعه لأبنته او زوجته عندما تعمل في متجره او مصنعه او ورسته ، وهناك علاقات قرابية ابوية في اشغال مناصب رسمية - حكومية أي الرجل يعين اقربائه بمواقع اقل من موقعه لخدمة اغراضه ومصالحه وهناك عنف الرجال على النساء وهناك عنف رجولي جنسي يمارس على الزوجة وهناك علاقات قرابية ابوية تسود المؤسسات الثقافية علاوة على الاشكال الاخرى المختلفة في النظام الأبوي الناتجة عن مفاصل مختلفة وتركيبية الابنية القرابية . ثم اردفت والبي وقالت بأن هناك عدة تغيرات طرأت على العديد من اوجه العلاقات الجندرية تمثل الاكثر اهمية مثل ازدياد معدل تعليم المرأة وتنامي مشاركتها في الحصول على اجور عمل لا بأس بها واحياناً تأخذ وظائف ذات ظروف تعيسة وبائسة او يشغلها نساء فقط أي تأخذ بالفصل الجنسي اثناء العمل او تحصل على ساعات عمل لنصف النهار وسواها .

لا اريد ان ابرح من هذا الباب ما لم اشير الى ان ازدياد عدد النساء في سوق العمل ووصولهن على فرص عمل مدفوع الاجر ادى الى تقليص حدة اللا مساواة بين الجنس . وهنا ذكرت والبي الحقيقة التالية التي مفادها عندما تتوفر الاعمال للمرأة فإن حصولها عليها يكون من قبل المتعلمات والنصف ماهرات واحياناً لغير الماهرات ممن ينحدرن من الطبقة العمالية او من الاقليات العرفية

وهنا تكون اجورهنّ واطئة ولا يحصلنّ على تأمينات صحية او مهنية وهذا ما اسمته والبي اسلوب الحكم الجندي Gender regime المرتبط بالاقتصاد والمنتقل للعلاقات الجنديّة الذي بدوره يجعل من طريقها في الحصول على عمل وعرّاً وغير معبداً (سهلاً) .

وعلى الرغم من ازدياد فرص تعلم المرأة ودخولها لسوق العمل فإنّ التغييرات في علاقات الجندر تدرجت كما حصل للممارسات العنصرية المستمرة على عمل المرأة الذي ادى بدوره الى تفاوت وعدم تساو اجورها بأجور الرجل الذي اوصلها الى حالة الفقر .

• الحركة النسوية المتطرفة Radical feminism

برزت هذه الحركة في العقد السادس من القرن العشرين ابان الاحتجاجات الطلابية بيد ان الناشطات من النساء كن غريبات جداً على زملائهم من الطلاب (من الذكور) إذ رفضوا الاستماع الى مطالبهم التي اشتركوا في هذه الاحتجاجات من اجلها وهي قاعدة المساواة بين الذكور والاناث وهي قاعدة طرحتها جماعة نسوية تأسست في نيويورك وشيكاغو عام ١٩٦٧ .

ثم أتت الموجة الثانية لهذه الحركة المتضمنة العديد من النساء الليبراليات توثبنّ للخروج في تظاهرات من اجل الظهور امام العالم بأن هناك نوعاً جديداً من الحركات النسائية قد نشأت وكانت تمثل التطرف في هذه الحركة قامت بإزالة اوهام التفاسير الماركسية فيما يخص ظلم المرأة مؤكدة على ان الناشطات الماركسيات لديهنّ القليل من التفاسير لوضع المرأة الاجتماعي الذي يعكس تبعيتها للرجل في المجتمعات غير الرأسمالية . في الواقع كانت الحركة النسوية المتطرفة تمثل المحاولة الاولى لتنظيم الجندر كقاعدة للنفوذ اكثر مما هي ممثلة لطبقة اجتماعية او نظام رأسمالي .

من احد المساهمات في الحركة النسوية المتطرفة وفكرها برزت كات ميليت التي ركزت على النظام الأبوي (البطريقي) معتبرته سبباً لظلم المرأة هذا ما اوضحته في كتابها السياسة الجنسية عام ١٩٦٩ . انها حددت النظام الابوي على انه نسق متضمن جماعة من النساء المتسلط عليهنّ والمتحكم بهنّ من قبل الرجال لقد انتقدت الحركة النسوية المتطرفة الأسرة النووية أنها ترى الأسرة مجموعة مسيطر عليها من قبل الجندر كاستمرار للأجيال السلفة ثم ناقشت ميليت بأن تنشئة الأطفال الصغار ضمن الأسرة تؤكد المرأة لأطفالها وتدبيرها لشؤون

المنزل فهي إذن بهذه التنشئة تكون محبوسة داخل المنزل بينما يذهب الرجل الى خارجه لممارسة ما تطلبه منه مصلحته الخاصة .

هناك في الجانب الاخر باحثة اسمها فايرستون نشرت كتاب يحمل عنوان " جدلية الجنس " ١٩٧٩ ناقشت فيه الاختلافات البيولوجية القائمة بين الرجل والمرأة علاوة على الظروف والحالات النفسية التي تساهم في بناء اللا مساواة عند الجندر . انها تعتقد بان المرأة مٌحدره من طبقة الجنس الواحد الذي لايشبه الانحدار من الطبقة الاقتصادية لأنها في هذا الانحدار (انحدار الجنس الواحد) مصدره طبيعتها البيولوجية . ثم ذكرت فالرستون ان المرأة قادره على تحكمها بجسدها وبقدراتها الاستولاديه – الانجابية بالضبط كما يتحكم ماركس في الطبقة الاقتصادية . وانها تتشابه مع ماركس فيما يخص الجماعات الطبقيه المختلفه تدخل في صراعات من اجل اشباع مصالحها والمرأة هنا تمثل طبقة لها مصالحها الخاصة بها وتدخل في صراع من الرجل الذي يمثل طبقة تمثل مصالحه الذكورية . أي هناك صراع طبقي بين الرجال والنساء فيما يخص اشباع مصالحهم الجندرية اشبه ما يكون الصراع الطبقي الاقتصادي الذي تحدث عنه كارل ماركس ، هذا ما تراه فايرستون .

من احد الانتقادات التي وجهت الى الحركة النسوية المتطرفة هي انها احتملت بأن هناك بعض النوعيات الكونية حول الظلم الواقع على المرأة بات منتشرة في كافة ارجاء العالم بغض النظر عن الاختلافات الثقافية والعرقية والقومية والطبقية إذ ان جميعها تفتصر بأن التنشئة الأسرية محصورة ومطوقة من قبل تسلط وتنفيذ الرجل وسلطانه وما يحصل عليه من دعم اجتماعي . وتقاطعاً مع رؤى الحركة النسوية حول نفوذ الرجل في المجتمع ، هناك احتمالات تخص الجنس وعنف الرجل للمرأة منها تكريس اقلام الحركة عن استغلال المرأة والعنف الجنسي الممارس عليها واغتصابها من قبل الرجل . الباحثة سوسن برونمير مؤلفة كتاب " ضد اراداتنا " ١٩٧٥ . وصف الاغتصاب على انه عملية شعورية يُعبر فيها الرجل عن عنفوانه لكي يجعل المرأة في حالة خوف . وهنا استغلت الحركة النسوية المتطرفة طبيعة الانثى الجنسية من خلال نقاشها ومعتقداتها القائل بأن الجنس يميل لجانب الرجل في استمتاعه بجنس المرأة .

في الواقع ان الفصل برز بشكل واضح في العقد السابع من القرن المنصرم دافع عن استبدال العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة بعلاقات مثلية مثل السحاقيات واللواط او العزوبية . ومن نافلة القول في هذا السياق الى تأثير السحاقيات بشكل فعال على الحركة النسوية المتطرفة بذات الوقت علينا ان نتبه الى انها كانت اشبه بالحرب الجنسية . لقد ظهرت انتقادات للفصل في مؤلفات بيل هوكس والحركة الامريكية النسوية من الملونين .

اما في استراليا فكانت الانتقادات للحركة النسوية الاشتراكية والمتطرفة صادرة من نساء سكان استراليا الاصليين (ابوريجنال) ومن المهاجرات اللواتي شعرن بأن معادات الرجال لهم ونقدهم للأسرة كانت مركزة على المرأة البيضاء . في الواقع كان العديد من النساء الملونات شعرن بتضامن مع الرجال اكثر من النساء البيضاء المنحدرات من الطبقة الوسطى . وتشعر العديد من نساء الأبورجينال بأن عوائلهم قد دمرت من خلال استجابتهن لمواقف البيض الاستراليين وان الجيل المسوق من الأطفال الذي سُرق من والديه لذا كانت الأسرة والعديد من نساء البورجينال يطلبون الحماية اكثر من الهجوم . وهنا علينا ان نشير الى ان الحركة النسوية انتقدت كتابات علم الاجتماع التي انحصرت في طرح رؤى وخبرات الرجال . فضلاً عن اعتراض نساء الاقليات على ما جاءت به النظرية النسوية لأنها لم تعكس اهتمام بل فقط اهتمام نساء الطبقة الوسطى من البيض .

[Poole , Marilyn . 2003 P.p . 137 - 147]

النظرية الاجتماعية النسوية Feminist social theory

من احد التحولات المهمة التي اخذت مكانها في النظرية الاجتماعية خلال العقود الاخيرة من القرن المنصرم هو اعتراضها وقبولها بما نشطت به المؤسسات الاجتماعية حول المعادلة الاجتماعية بين الرجل والمرأة التي انتقلت من التعامل معها من زاوية الدور الاجتماعي الى النوع الاجتماعي (الجندر) هذا التحول والانتقال كان صادراً من قبل الحركة النسوية ومطالبتها بهذا التحول الاجتماعي والخروج من حالة التعصب والتمييز ضد المرأة من قبل الثقافة الاجتماعية ومعاييرها ومعتقداتها وممارستها .

وانه من الطبيعي ان نلاحظ تبني علماء الاجتماع ومنظريه لهذا التحول الجديد فجعلوا منه قاعدة تنظيرية انطلقوا منها ليعكسوا نشاط حركة نسوية تبحث

في محاربة التعصب والتمييز ضد المرأة فبدأوا من تشخيص مسبباته والاحاطة به سواء اكانت تلك ظاهره او باطنه . وازاء ذلك فأن هذه النظرية بدأت معبرة عن دفاعها الاجتماعي والتوسط السياسي بشكل فاعل من اجل إزالة الضرر والاجحاف التي تواجهه الفواعل الاجتماعية النسوية وهذا يُعد انعطافاً عن النظرية الدورية في علم الاجتماع وتحولاً عنها بسبب التحولات الموقفيه المعاصرة للنساء عن معايير ثقافية موروثه والتخلي عنها من اجل بتني مواقف مهنية حرفية واقتصادية مستقلة لكي تكون مسايرة لإيقاعات التطور الحياتية اليومية المعاصرة تساهم في عملية التطور في مساعدة اخيها الرجل دون الدخول معه في صراعات حول المسئوليات بل التعاون المشترك والمتساو في بناء خلية اجتماعية (الأسرة) تحمل في تنشئتها ومعاييرها مبادئ متطورة تتماشى مع روح العصر تختلف عن الممارسات التقليدية التي لا تعكس التطور ولكي لا يحصل تناثر اجتماعي social disharmony بل انسجاماً وتناغماً في اركان الأسرة الحديثة والحياة الاجتماعية السريعة التبدل والتغير .

بعد ان بات واضحاً من تحول في مفهوم الرجل والانثى على المستوى الثقافي والاجتماعي وليس البيولوجي . نردف الى موضوع النظرية الاجتماعية التي تناولت هذا التحول عبر الحركة النسوية لكي تبني مرئيتها من خلال الانتقال الحديث الذي حصل للفرد المعاصر في نوعه الاجتماعي (الجندر) .

تأثير ما بعد البنوية Post - structuralism وما بعد الحداثة

Postmodernism

تأثرت النظرية النسوية بعد النصف الثاني من القرن المنصرم بما يُعرف في علم الاجتماع النظري " ما بعد البنوية " وما " بعد الحداثة " بحيث طور هذا التأثير قضايا نظرية مهمة في النقد الاجتماعي ونقد التحليل السياسي . جدير بذكره ان ما بعد البنوية اشتركت مع عمل عالم اللسانيات السويسري فرديناند دي سيبور صاحب المقولة " بأن اللغة لا تمثل وسيلة للتعبير عن المعنى فقط بل هي تتشكل ضمن اللغة وأن طرق فهم العالم تهدف البنية التحتية للغة " . هذا له تأثير كبير على الفكر ما بعد البنوية . تبع عمل سيبور ما بعد البنوية التي انطوت على رؤية مفادها ان اللغة غير ثابتة ومستقرة بسبب عمقها الثقافي والتاريخي لذلك رفضت هذه الرؤية الثابتة لإيمانها بأن جميع انواع العلاقات الاجتماعية متغيرة ومتحركة ومختلفة فعلاقة الرجال مع النساء متغيرة مع تغيرات مؤثراتها لذلك لا

يمكن ان يكونون نموذجاً واحداً . وقد اكد هذه الحقيقة العديد من الكتاب والباحثين الذين تبنا ما بعد الحداثة امثال جين فرانكوس ليونارد في كتابه " شروط ما بعد الحداثة " التي عبّرت فيه عن الشك والريبة في الكتابات القديمة ونقدت الروايات القديمة التي عبّرت عن ظلم المرأة والتميز ضدها ومفاضلة الرجل عليها بل وحتى نقدت النظريات النسوية والحركة النسوية الليبرالية والحركة النسوية الماركسية بسبب اعتمادها على التقدم البشري واعتبرته خطأ كبيراً لأنه فاشل في الاخذ بعين الاعتبار الاختلافات السائدة بين النساء وعلى هذا الأساس نقدت الحركة النسوية ما بعد الحداثة ثم ناقشت انكار الحركة النسوية نفوذها السياسي وعدم توحيد مفاهيمها التي تستخدمها في التعبير عن حقوقها لذا كانت حركتها هشه وإزاء ذلك حصل تحدي ما بعد الحداثة للحركة النسوية لهشاشة طروحاتها وعدم توحيد مفاهيمها وتعدد وعدم وضوح هوية الجندر وهذا ما ادى في نهاية المطاف الى تذبذب وتأرجح تعاملها مع المستجدات والمتغيرات الاجتماعية .

[Ransome , Paul . 2010 .P.p 78 – 80]

المرأة ونظرية الأنوثة

استهلال

المرأة : هي الشق الثاني من الإنسان المعمر لهذه الأرض . ولفظة (المرأة) في اللغة العربية مشتقة من فعل (مرأ) ومصدرها (المروءة) وتعني (كمال الرجولة) او (الإنسانية) ومن هنا كان (المرء) هو الإنسان هي (مؤنث الإنسان) . [صباغ . ١٩٧٥ . ص . ١٥]

يرجع إذن وجود المرأة داخل المجتمع الى بداية ميلاد التجمع البشري . ويرجع ميلاد علم الاجتماع – كعلم يساهم في رفد المعرفة الإنسانية بشكل مستقل- الى بداية القرن الماضي . بيد ان اهتمام علماء الاجتماع بهذا الموضوع برز بشكل نشط وحيوي في العقد السادس من هذا القرن . ولكي يوثقوا ويجذروا عملهم الاختصاصي ، ذهبوا الى بطون التاريخ ليجتثوا عن تاريخ الحركات النسوية واعمال المفكرين القدامى فيما يخص وضع المرأة في المجتمع ليكونوا منها ارضية اساسية في بناء نظرية عن الأنوثة والاختلافات الاجتماعية المنبثقة عن الاختلافات الجنسية فاختاروا فترة تاريخية في حياة التجمع البشري الاوربي

عمرها (٣٦٠) سنة تبدأ من عام ١٦٠٠ وتنتهي بعام ١٩٦٠ (ولم يوضحوا لماذا اختار هذه الفترة بالذات دون غيرها) فقاموا بمسح اجتماعي لكل ما حصل من وقائع تاريخية تتعلق بواقع المرأة الاجتماعية وما هو دورها في المجتمع .
أي سجلوا كل ما يخص النصف الثاني من التجمع البشري من خنوعه وصراعه في واقعه الذي انفعّل فيه او فعل به فتوصلوا الى ثلاثة اوضاع مرحلية متطورة تكشف عن الواقع الاجتماعي المختلف زمانياً وهي ما يلي :-

١- مرحلة الخنوع والخضوع .

٢- مرحلة التذمر والنقد .

٣- مرحلة التصدي والمعارضة .

١- وجدوا في المرحلة الاولى خنوع المرأة لسلطة الرجل وخضوعها لأوامره وتسلطه سواء كانت في الأسرة او في السوق او العمل (التجاري او الصناعي او الطبي) او في المؤسسة الدينية (دور العبادة) او في المؤسسات الفكرية (كليات ودور النشر والمننديات الفكرية) .

بتعبير آخر : إذا كانت المرأة تمتهن مهنة الطب فإن عملها ومقامها المهني يخضع لإدارة وتوجيه زميلها الطبيب (الرجل) او إذا كانت كاتبة او مفكرة فإن عملها ومقامها المهني يكون اقل من عمل ومقام الرجل ، او إذا كانت تشتغل مدرّسة في مدرسة فإن وظيفتها وجهدها يخضعان لإدارة وأمرة الرجل بغض النظر عن كفاءة عملها وجدية اسلوبها ومثابرة جهدها ونجاح عملها .

أي انها في نهاية مطاف عملها تخضع لتسلط وهيمنة الرجل عليها في العمل وطريقة العيش . هذه الهيمنة الرجولية على النسوة تكون مدعومة من قبل النظام الاجتماعي القائم في كافة كيانات (انساق) الهيكل (البناء) الاجتماعي ومسحوبة على جميع عتبات مدرج المقامات المهنية والاجتماعية .

استمرت هذه الهيمنة الشاملة في التجمع البشري الغربي لغاية عام ١٧٨٠ م أي ان طرأت امور ومستجدات افرزت حالات عديدة .

٢- مرحلة التذمر والنقد : التي زادت فيها أعداد الكاتبات والمفكرات

والادبيات والطبيبات والممرضات في اوربا ، الأمر الذي شجعهنّ على التصريح بمساوى الهيمنة الرجولية الشاملة وإبداء عدم رضاهنّ على الاضطهاد الاجتماعي الذي يمارسه التجمع البشري عليهنّ ، وإزاء ذلك

طرحن نقدهنّ عن اوضاعهنّ الخائعة والمنصاعة لهيمنة الرجل الشاملة في كافة الأصعدة .

بيد أن هذه المناداة والطروحات والانتقادات لم تُطرح من كافة نساء المجتمع الغربي بل من بعض الادبيات والكاتبات اللواتي يتمتعنّ بجرأة أدبية وجسارة فكرية ، فباتت محاولتهنّ تمثل دفاعاً عن الجماعة الاقلية **Minority group** داخل المجتمع على الرغم من كونهنّ يمثلنّ نصف المجتمع .

المقصود هنا بالجماعة الاقلية : الفاعلية الاجتماعية وليس التمثيل الكمي – العددي . فالموقع العالي للرجل يمنحه سلطة على شاغلي المواقع الادنى منه . إذ يكون بعضها مشغولاً من قبل النساء فيتغلب على امرهنّ ويتسلط عليهنّ ويسلب حقوقهنّ وهذه الهيمنة تجعلهنّ واهنات في فاعلية فعلهنّ الاجتماعي بحيث لا يجعلهنّ متساويات ومتكافئات مع فاعلية فعل متسلط عليهنّ (وهو الرجل) وهذا بدوره يجعلنّ منسحبات من صراعهنّ معه فيجعلنّ منه قائداً وموجهاً وممثلاً (لهنّ) للأغلبية الواهنة اجتماعياً وبهذا الفعل يصبحنّ ممثلات لأقلية اجتماعية مستضعفة مهيمن عليها من قبل الرجل .

لكن حصل بعض التعاطف في بعض الرجال الذين ينظرون الى تقدم التجمع البشري بأنه لا يتم إلا بإشراك المرأة في العملية الانتاجية (الطبية والتربوية والصناعية والتجارية) ومساهمتها كعنصر بشري مساعد للرجل وليس متسيدا او متسلط عليه ، ومقابل هذا الموقف السابق بل يعتبرها معوقة لتقدم المجتمع وتطوره .

٣- مرحلة التصدي والمعارضة : اول مناداة لعمل المرأة في العملية الانتاجية ووقوفها بجانب الرجل في اوروبا كان عام ١٧٨٠ و ١٧٩٠ . إذ كانت دعوة منظمة بشكل محبك ودقيق ثم نضجت ثمارها في العقد الخامس من القرن الثامن عشر ١٨٥٠ بعدها ازدادت بشكل ملحوظ فتشكلت حركات نسوية تحررية فاعلة في العقدين السادس والسابع في هذا القرن . وعبر هذا السفر الكفاحي للمرأة والظروف التي صاحبته تشكلت ثلاثة اتجاهات نظرية ، هي ما يلي :-

- أ- التركيز على الاختلافات الجنسية .
- ب- التأكيد على عدم التكافؤ الجنسي (بين الرجل والمرأة) .
- ت- تسليط الضياء على الاضطهاد الجنسي .

من نافلة القول ان اشير الى حقيقة مفادها ان هذا التشكيل ادى الى بناء نظرية عن الأنوثة معبرة عن مواضيع اجتماعية متعددة المناحي اهمها عدم العدالة الاجتماعية والتغير الاجتماعي والنفوذ والمصالح والمعتقدات الاجتماعية والمربي الأسري (التنشئة) والقانون والسياسية والدين والتربية . انتهت الآن من اعطاء لمحة تاريخية مستعرضاً فيها مراحل واقع المرأة في المجتمع الغربي عبر ٣٦٠ سنة حسب ما قدمته لنا الباحثتان باتريشا مادولينجرمان (استاذة علم الاجتماع في جامعة جورج واشنطن) وجل نايبروج برانتي (استاذة على الاجتماع في كلية فيرجينيا الشمالية) في نظريتهما الموسومة " النظرية الأنثوية المعاصرة " . ولا مندوحة الآن من الذهاب الى موضوع كيف تعامل علم الاجتماع مع الأنوثة في الفترة الواقعة بين ١٨٤٠-١٩٦٠ .

في الواقع ان الحركات النسوية ليست جديدة العهد في المجتمع الامريكي بل ترجع جذورها الى المرحلة الكولونية ، تحديداً في ١٣ مارس في عام ١٧٧٦ أي قبل استقلال امريكا . وكانت اولى الحركات قد ظهرت في مدينة نيويورك في بلدة سينكفالس صيف ١٨٤٨ . في ١٩ تموز هدفها الدفاع عن حقوق المرأة مطالبة بالمساواة السياسية والقانونية بين الرجل والمرأة ، ومع تقدم الزمن وزيادة الوعي السياسي عند المرأة وانخفاض معدل الامية بين النساء وتكاثر عددهن في المواقع المؤسسية الرسمية طالبت الحركة بالسماح للمرأة في انتخاب رئيس الجمهورية وكان ذلك عام ١٩٢٠ ، إذ بات هذا المطلب هدفها الأساسي وتركت مناداتها برفع المظالم عنها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية . بعبارة اخرى ، لم تصل هذه الحركة الى الحالة الفاعلة والماضية في دفع عجلة التغير الاجتماعي للمجتمع الامريكي وسميت هذه الحالة بالموجة الأولى للحركة النسوية .

ثم جاءت الموجة الثانية في العقد السادس في هذا القرن وتعاضمت قوتها بشكل كبير في العقد السابع من القرن نفسه إذ تجلت بإصدار ثلاثة كتب تعبر عن ارادتها واهدافها ونشاطها من خلال مناقشتها لحقوق المرأة المهضومة وهي ما يلي :-

١- الجنس الثاني ليسمون دي بوفار .

٢- صوفية الأنثى لبيتي فرايدان .

٣- السياسة الجنسية لكات جيليت .

لم تكتفي هذه الحركة بالدفاع عن حقوقها في التمييز الجنسي بل ذهبت الى الدفاع عن حقوق السود (الزنوج) المهضومة من قبل البيض وحددت موقفها المعادي من حرب امريكا مع فيتنام وكان هذا التوسع راجع بالأساس الى اختبار ممارسة نفوذهم الحركي وعندما نجحت في ذلك ولدت حركة نسوية متطرفة اسمها "حركة التحرر النسوية " التي طالبت فيها بإزالة الأدوار الخائفة والراكعة والراضخة والمستضعفة في جميع مؤسسات المجتمع الامريكي ، فضلا عن هدفها الآخر المتضمن مناهضة الهيمنة الشاملة التي يمارسها دور الرجل عليها لكي تتحرر منه ليكون دورها شامخ لا راعق وقوي لا مستضعف ، فاعل لا هامل يتموقع في الصدارة لا في الظل ، اولي لا ثانوي حاله حال دور الرجل في المنزل والمكتب والقانون والسياسة والاقتصاد والادارة .

فلا غرو من تنامي الوعي الاجتماعي عند النساء المتأتي من حركتهنّ الذي بدوره دفعهنّ الى اتخاذ موقف صراعي مع النظام الاجتماعي للحصول على العديد من الحقوق المهذورة والمسلوقة منهنّ وخاصة فيما يخص التضامن الاجتماعي والصحي والتمثيل في مجالس الحكومة لإزالة التمييز الجنسي في التعليم والتوظيف ، بل طالبنّ بإجازة الاجهاض وإدانة الاعتداء على المرأة من قبل الرجل في اسرتها ومناهضة فرض استخدام وسائل منع الحمل على الاقليات والطبقات الفقيرة في المجتمع الامريكي . [Lam . 1992 . P.p 344 – 345] وهذا يعني ان الحركة النسوية باتت آلية ماضية وفاعلة في دفع عملية التغير الاجتماعي بواسطة تغير بعض مكونات النظام الاجتماعي العرفية والرسمية .

لم يكون موضوع الأنوثة قد اخذ مكانه في ادبيات علم الاجتماع بشكل منتظم وجاد في الفترة الواقعة بين ١٨٤٠ – ١٨٦٠ بسبب مناهضة المجتمع لها آنذاك . بيد ان الامر تبدل في الفترة الواقعة بين ١٨٩٠ – ١٩٢٠ بسبب الاحداث التي شجعت وانهشت هذا الموضوع . وازاء هذه التحولات الاجتماعية ظهرت ثلاثة معالجات سوسولوجية بسبب اختلاف فترات معالجاتها وهي ما يأتي :-

١- الفترة الواقعة بين ١٨٤٠ – ١٩٦٠ : ظهرت كتابات تدافع عن الأنوثة في المجالات المهنية والسياسية . ولما كان علم الاجتماع في بداية نشوئه وتطوره فقد دخلت كتابات باحثاته عن وضع المرأة المهني والسياسي

وليس منظور علم الاجتماع فكانت كتابات تعبويه وإعلامية أكثر من كونها منهجية منتظمة .

٢- احتواء موضوع الأنوثة بشكل هامشي وليس جوهرى بواسطة النظريات التي تناولت دور الرجل والمرأة في المجتمع .

٣- أعمال بعض الاجتماعية المهتمة بالمهن والعمل الوظيفي امثال هربرت سبنسر وماكس فيبر واميل دوركهايم وتالكوت بارسونز التي كانت تمثل الطابع المحافظ . وقد كانت معالجاتهم لموضوع الذكورة والأنوثة تنقصها الافكار المترابطة والمنطق السليم الذي يعتمد عليه علم الاجتماع . أي انهم لم يتعاملوا معها بأسلوب نقدي بل بشكل عام وعائم وحسب ما تملي عليهم ظروفهم ، بعبارة اخرى لم تكن كتابات جادة ومتسلسلة بل متقطعة وغير متعمقة .

فضلاً عن ذلك فإن الكتابات الأولى عن الأنوثة في علم الاجتماع اتت من الرجال وليس النساء لأن المؤسسين لهذا العلم كانوا من الرجال وكانت طروحاتهم سياسية أكثر من كونها تربوية او اقتصادية او نفسية او اجتماعية .

اما الجيل الثاني من علماء الاجتماع فقد كتبوا عن الأنوثة بشكل هامشي وليس جوهرى ومستقل امثال جورج زمل ووليم اسحاق توماس وانجلز وكارل ماركس بيد ان الفعل الفاعل الذي اظهر موضوع المرأة في حقل علم الاجتماع برز مع معارضتها للمجتمع ومطالبتها بالمساواة في الحقوق والواجبات مع الرجل . فظهرت كتابات تالكوت بارسونز عن الأسرة كمؤسسة اجتماعية . أي تعامل معها كموضوع جوهرى واساسي في علم الاجتماع وليس عبر مواضيع اخرى واكد ايضاً على انها القاعدة الاساسية لكل استقرار اجتماعي بل انها وكالة حيوية في عملية المربي (التنشئة) الاجتماعي التي فيها يكتسب الادمي كافة كوابح المجتمع (آليات الضبط الاجتماعي) التي يعتمد عليها التوازن الاجتماعي ومنحهم الحنان العاطفي والدفء الاجتماعي .

ثم اوضح بارسونز نظام تقسيم العمل في الأسرة ودور كل من الرجل والمرأة فيه فالرجال يربطون وحدة الأسرة بالنظام الاجتماعي ويغذون افرادها بالطموح والدوافع والتوجيهات الاخلاقية السوية وكبح ذواتهم ، بينما تقوم المرأة بإنجاز الوظائف الأسرية الداخلية مثل تربية الابناء وانماء نوازع المحبة والتعاطف عندهم ومساعدتهم على استخدام الاساليب التعبيرية عن عواطفهم ومرادهم .

هذا العمل السوسولوجي الذي قام به بارسونز اوضح لنا تشابه الرجل والمرأة في وظائفهما الأسرية ورعايتهما لأبنائهما وان منافستهما وصراعهما يعني تمزيق حياة اسرتهم او اضعاف روابطهما الذي لا يؤدي الى الاستقرار الاجتماعي .

جدول يوضح مساهمة المرأة الفكرية والثقافية في العالم الذي ينطق باللغة الانجليزية منذ عام ١٦٥٠ - ١٩٦٠ قدمته الباحثتان باتريشا ولينجيرمان وجل نيبروك برانتلي .

التاريخ	الحدث	الحركات التحررية	انعكاساتها على علم الاجتماع
١٦٥٠ - (١٦٧٢)	آن برادستريت (١٦١٢)	ثورة المطهرين في بريطانيا وامريكا	
١٦٧٠	أفرابيهن (١٦٨٠) الزواج الإجباري	إحياء وتجديد المعايير الاجتماعية البريطانية التي فقدت مضامينها . الثورة المجيدة في بريطانيا	
١٦٩٤	ماري استيل (١٦٦٨) - طروحات جادة بخصوص السيدات		
١٧٧٠	ابيجيل ادمز (١٧٤٤) - (١٨١٤)	الثورة الأمريكية	
١٧٩٠	جوديت سار جنت موري (١٧٥١-١٨٢٠) حول تكافؤ الجنسين (الرجل والمرأة)	الثور الأمريكية وآثار مناقشة وثيقة ميثاق الحقوق .	
١٧٩٢	ماري ولستونكرافت (١٧٥٩-١٧٩٧) إثبات حقوق المرأة والدفاع عنها .	تأثيرات الثورة الفرنسية والأمريكية على بريطانيا	
١٨٣٧	هاريت مارننيو (١٨٠٢-١٨٧٦) انكار	ظهور مصلحين الطبقة الوسطى .	١٨٣٠ اوكست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧)

الفلسفة الوضعية .		وجود المرأة السياسي في المجتمع الأمريكي .	
	حركة ضد الرقيق .	ساره جراميك (١٧٩٢-١٨٧٣) رسالة تدعو نحو التكافؤ الجنسي .	١٨٣٨
	المذهب الروماني مبدأ إيطال الاسترقاق وظهور الاتجاه القومي .	ماركريت فوللر (١٨١٠-١٨٥٠) المرأة في القرن التاسع عشر .	١٨٤٥
١٨٤٨ ماركس وانجلز والخطاب الشيوعي	حركة معادية للاسترقاق	لوسرتياموت (١٨٨٠-١٨٩٣) اليزابث كادي ستانون (١٨٩٣-١٩٠٢) لوسي ستون (١٨١٨-١٩٠٦) الاجتماع الأول للدفاع عن حقوق المرأة	١٨٤٨
١٨٥١ هيربرت سبنسر والاستقرار الاجتماعي	حركة ضد الاسترقاق	اليزابث بلاك ويل (١٨٢١-١٩١٠) اميل بلاك ويل (١٨٢٦-١٩١٠) الدواء كمهنة خاصة بالمرأة	١٨٦٠
ماركس ١٨٦٧ كتاب رأس المال	اصلاح الطبقة الوسطى	جون ستينورات ميل (١٨٠٦-١٨٧٣) هاريوت تيلر (١٨٠٧-١٨٥٨) خنوع المرأة	١٨٦٩
١٨٨٠ جورج زمل	حركة التقدم وتهذيب (تعديل) الدارونية الاجتماعية .	ي . س . ستانتون س . ب انتوني مانيلدا جوسلاين جاكو (١٨٢٦-١٨٩٨) تاريخ تصويت المرأة في الانتخابات العامة .	١٨٨١
	الحركة السياسية للطبقة العمالية .	اوليف شنايدر (١٨٥٥-١٩٢٠) قصة الريف الافريقي	١٨٨٣
	الحركة السياسية للطبقة العمالية .	فردريك انجلز (١٨٢٠-١٨٩٥) اصول الأسرة	١٨٨٤
١٨٩٣ اميل دوركهايم ، نظام تقسيم العمل والانتحار وطرق البحث	الحركة الشعبية	ادا ويلس بارينت (١٨٦٢-١٩٣١) ماري جيرج تيريك (١٨٦٣-١٩٥٤) المنظمة الوطنية للنساء	١٨٩٦

		والزنجيات .	
	حياة وعمل سوزان انتوني . الحركات التقدمية	ادا هاربر (١٨٥١-١٩٣١)	١٨٩٨
	الحركات الشعبية . التقدمية	ي . س . ستان تون كتاب المرأة المقدس .	١٨٩٨
	الحركات الاشتراكية	جارلون باركنز جلمان (١٨٦٠-١٩٣٥) المرأة والاقتصاد	١٨٩٩
١٩٠٤ ماكس فيبر والاخلاقية	الحركة التقدمية .	جينز ادمز (١٨٦٠-١٩٣٥)	١٩١٠
البروتستانتية	الحركات القومية والاشتراكية في اوربا	سلفيابانكهن ست (١٨٨٢-١٩٦٠)	١٩١١
	الحركات التقدمية	ماركرت سانجر (١٩٦٦-١٩٧٩) محدودية الأسرة	١٩١٧
١٩١٨ وليم اسحاق توماس وزينانسكي في لفلالحين البولنديين .	حركة التصويت والكفاح السياسي للطبقة العاملة .	المرأة البريطانية وحققها في التصويت بعد بلوغها سن ٣٠ سنة .	١٩١٨
١٩٢٠ ماكس فيبر في الاقتصاد والمجتمع و روبرت ١٩٢١ عزرابارك وبرجس في المدخل الى عملية علم الاجتماع .	حركة التصويت والمرحلة الاخيرة للتقدمية	فوز تصويت المرأة الامريكية	١٩٢٠
١٨٩٣ جورج هيربرت ميد في الذات والأنا والعقل	التقدمية وحركة التصويت	سوزان لافوليت (١٨٨٢-١٩٤١) في الاهتمام المرأة	١٩٢٦
	الاشتراكية كثقافة ما بعج المرحلة الفكتورية .	فيرجينما ودلف (١٨٨٢-١٩٤١) غرفة التمليك	١٩٣١
	التعامل الجديد	الينور روزفلت (١٨٨٤-١٩٦٣) الآن وصلت المرأة	١٩٣٣
١٩٣٧ تالكون بارسونز في بنية الفعل الاجتماعي	معاهدة صلح من الحرب العالمية الأولى	ماركرت ميد (١٩٠١-١٩٧٨) في الجنس والمزاج في مجتمعات بدائية	١٩٣٥
	الاشتراكية وثقافة ما بعد	ف . ودلف والخنزير	١٩٣٨

	العهد الفكتوري .	الثلاثة	
١٩٤٦	الرجعية من الفاشية والدكتاتورالفسفة .	ماري راتير بيرد (١٨٧٦- ١٩٥٨) في المرأة كقوة في التاريخ .	
١٩٥٧	الوجودية .	سيمون دي بفواه في الجنس الاخر (١٩٠٨-١٩٨٥)	
١٩٥٩	س. ر . ميلز في علم اجتماع الخيال .	حركة الحقوق المدنية	بيتي فرايدان ١٩٢١ صوفية الأنوثة وفلسفتها .

اخذ هذا الجدول من البحث المعنون " نظرية الانوثة المعاصرة " للباحثتين باتريشا لينجرمان وجل برانتلي في كتاب " النظرية الاجتماعية " المحرر من قبل جورج ريتزر ١٩٩٢ ، ص . ٤٥٢ - ٤٥٤ .

نظرية الأنوثة والمرأة المعاصرة

بدأ تشكيل عناصر مكونات مشروع هذه النظرية مع تبلر حركة التنوير النسوية (حسب تعبير جيس برنارد - عالمة اجتماع امريكية معاصره) في المجتمع الامريكي التي انطوت على تنامي مستمر ومتنوع لكتابات تدافع عن حقوق المرأة والمطالبة بالمساواة مع الرجل من قبل المثقفات الامريكيات . إذ بات عطائهنّ الفكري والأدبي والاجتماعي غذاءً جاهزاً ودسماً لتغذية شرايين الجسم النظري لموضوع المرأة . وقد حاول المهتمات بهذا الموضوع كتابة مشروع لبناء نظرية تعكس طابعه الصراع والبنائي في آن الوقت بوساطة البحث عن اجابات لأسئلة تكون موجّهات واقعية لتخطيط مشروعهنّ النظري وهي ما يلي :

١- ماذا نريد ان نعرف عن المرأة ؟

٢- لماذا وصل واقع المرأة الى ما هو عليه الآن ؟

وفي ضوء هذه الاسئلة ذهب المهتمات بهذا المشروع الى التحري عن واقع موقع المرأة في المجتمع لمعرفة واقعة واختلافه عن موقع الرجل . ثم بحثوا عن اسباب ضعف اعتبار المرأة الاجتماعي داخل المجتمع ومقارنته مع اعتبار الرجل الاجتماعي . أي معرفة لماذا بات اعتبار المرأة الاجتماعي اقل من اعتبار الرجل .

ليس هذا فحسب بل اكدوا على حقيقة مفادها انه حتى إذا حصلت المرأة على موقع اجتماعي مواز او مماثل لموقع الرجل فإنها لا تحصل على اعتبار مواز ومتكافئ لاعتبار الرجل .

بعدما ذهبوا الى شبكة العلاقات الاجتماعية الخاصة بالمرأة والرجل لمعرفة واقع المرأة فيها ليعرفوا اسباب اضطهاد في هذا النسيج وتحولها الى كائن خانع ومطيع ومستضعف ومستقل من قبل الرجل . وهذا ما يطلب معرفة نوعية الظلم والاضطهاد الممارس عليها ، وازاء هذه المعادلة الاجتماعية المختلفة التوازن ظهرت المشاريع النظرية التالية :-

١- مشروع نظرية الاختلافات بين الذكر والأنثى .

٢- مشروع نظرية التمايزات بين الذكر والأنثى .

٣- مشروع نظرية المضطهدة .

يرى صاحب هذه المشاريع النظرية انهم سوف يحصلوا على إجابات تروي عطشهم لمعرفة لماذا يحصل كل هذا التعصب ضد المرأة والتعالي عليها واضطهادها ؟ .

يمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال محتويات الجدول الاتي الذي يضم ملخصات جوابيه له :-

س / ماذا عن المرأة	س / لماذا وصلت المرأة الى ما هو عليه الآن
--------------------	---

اختلافات الذكر

موقع المرأة في مجتمعها وما يقدمه لها من خبرة ودراية اجتماعية . ولما كان موقعها يمثل ادنى درجة من موقع الرجل داخل المجتمع ، فإن خبرتها ودرايتها الاجتماعية تكون اقل منه تبعاً .	في ظل الاختلاف بين الذكر والأنثى تبلور تفسيرات بايو اجتماعية مختلفة تشير الى اختلافات في التحليل النفسي والاجتماعي بين الرجل والمرأة .
--	--

الاختلافات بين الذكر والأنثى

استناداً الى ما تقدم فإن اعتبار المرأة الاجتماعي يكون اقل من اعتبار الرجل لأن الاعتبار الاجتماعي عند الاثنين (الرجل	وفي ضوء ذلك ظهرت تفسيرات انتوية متحررة من الطروحات المحافظة والتقليدية فظهر التفسير الماركسي والمادي التاريخي
--	---

والمرأة (يستند الى الموقع وخبرته . لأنجلز .

نظرية المضطهدة

هذه الاختلافات (بين الذكر والأنثى)
جعلت من المرأة كائناً مقيداً في نشاطه
ومضطهداً في سلوكه وتفكيره ومسخرأ
لخدمة مصالح الرجل ورغائبه .
ظهرت تفاسير وتحليل وتوضيح التعسف
والظلم الذي وقع على المرأة تمثل منطلقات
المعسكر الاشتراكي وعقيدته في مجتمع
شرق اوربا . [Lengermann . 1992 .
P.458]

مشروع نظرية اختلافات بين الذكر والأنثى

يتلخص اهتمام هذا المشروع بالمواضيع الآتية :-

أ- الاختلافات الجسمية ووظائفها عند المرأة وما ينعكس منها على سلوكها الاجتماعي .

ب- مشاعر وعواطف واحاسيس المرأة (ذاتيتها وأنوثتها النفسية والاجتماعية) وآثارها على ادائها السلوكي ودوافعها واحكامها ومصالحها ومعاييرها وابداعاتها وجماليتها التي تطبعها بطابع يميزها عن الرجل في بناء علائقها مع الآخرين .

ت- طريقة عيشها بدءاً من ميلادها وانتهاءً بشيخوختها وما يحصل ويدور فيها من طرز واساليب للعيش والتعامل مع الآخرين وتكوين خبرة حياتية – اجتماعية لها تختلف عن خبرة الرجل .

هذه الاهتمامات – في الواقع – تنطوي على الجانب البيولوجي للمرأة وما يرتبط به من مناشط اجتماعية وخبره خاصة بكائن بشري يختلف في بنيته الحياتية (البيولوجية) عن الرجل وما تؤول اليه في مجال الذرية والنسل والعلاقة الدموية مع ابنائها .

وإزاء هذه الاختلافات ، ظهرت تفاسير وتحليل يمكن تصنيفها الى ثلاثة اصناف هي تفاسير بيولوجية ومؤسسية ونفس اجتماعية .

١- التفسير البيولوجي للاختلافات بين الذكر والأنثى ، تُعد الاختلافات

العضوية – البيولوجية عند الذكر والأنثى اعضاء بارزة وجاهزة توضح

اسس الاختلافات الحياتية وما تعكسه من اختلافات في المجالات النفسية

والاجتماعية . وكان ابرز من استخدم هذه الاختلافات لدراسة شخصية الرجل والمرأة من الناحية النفسية هو سيجموند فرويد الذي ربط بين العمليات العاطفية والفكرية والمزاجية والاختلافات الجنسية . وكان كل من ليونل تايكر وفوكس (١٩٧١) اول من استخدم المفردات اللغوية المتداولة بين الناس وتصنيفها حسب نوع الجنس إذ وجد مفردات لغوية تستخدمها المرأة ولا يستخدمها الرجل واخرى يستخدمها الأخير ولا تستخدمها الاولى بسبب الاختلافات الجنسية فالأب على سبيل المثال يستخدم عبارات مع ابنته لا يستخدمها مع ابنه وتستخدم الام مفردات لغوية مع ابنتها لا تستخدمها مع ابنها وهكذا . أي ان لغة التخاطب بين الافراد تخضع لاختلاف نوع الجنس بينهما .

٢- التفسير المؤسسي للاختلافات بين الذكر والأنثى ، تُعد الأسرة مؤسسة اجتماعية تتضمن نظام تقسيم عمل قائم على الاختلافات الجنسية الذي بدوره يحدد الادوار الاجتماعية الخاصة بالمرأة كدور البنت والأم والزوجة والأخت والعمة والخالة والجددة وارتباطه (الدور) بالرجل كدور الولد والأب والزوج والأخ والعم والخال والجد . فضلاً عن تحديد مهام ومستلزمات الدور (لكلا الجنسين) لكل مرحلة عمرية يمر بها الرجل والمرأة .

ومن نافلة القول أن بعض النظريات المؤسسية تتقبل نظام تقسيم العمل القائم على الاختلافات بين الذكر والأنثى كضرورة اجتماعية تخدم وظائف المجتمع بينما يعد القسم الاخر من المجتمعات هذا النظام جزء لا يتجزأ من عدم التكافؤ الحاصل بين الذكر والأنثى .

٣- التفسير النفسي – اجتماعي للاختلافات بين الذكر والأنثى ، مثل تفاسير الظاهريانيين (الفينومينولوجيين) لإيقاعات مفردات الحياة الاجتماعية اليومية وافرازات مناشطها الرتيبة والمستحدثة في الشارع والأماكن العامة والأسواق التجارية وامكان تجمع الناس كذلك تفاسير المربي الاجتماعي (التنشئة) الذي اتخذ من الاختلافات بين الذكر والأنثى اسلوباً ثنائياً مترادفاً في استخدام المفردات اللغوية عند الجنسين (الذكر والأنثى) وكيف يدركا معانيها ورموزها . أي كيف تتعلم الطفلة من اسرتها الرموز والكلمات الأنثوية الخاصة بنوع جنسها ، وكيف يتم نقل الخبرة الذكرية للأبن من

قبل الأب والخبرة الأنثوية للنبت من قبل الأم اثناء التعايش اليومي لعملية المربي الأسري (التنشئة الأسرية) .

مشروع نظرية التمايز بين الرجل والمرأة

ينطوي هذا المشروع النظري على الوقائع الاجتماعية الآتية :-

أ- عدم التكافؤ بين الرجل والمرأة حتى لو توفرت عندهما مصادر مادية ومعنوية واحدة . أي إذا كانا منتميان الى عرق واحد او دين واحد او قومية واحدة او طبقة واحدة ، او حاصلاً على تأهيل دراسي واحد يؤهلها الحصول على موقع وظيفي واحد ، فإن حقوق الرجل تكون اكثر من المرأة وباتت واجباته اقل منها . ليس هذا فحسب بل حتى نفوذهما المهني – الوظيفي لا يكون واحداً بل يمسي نفوذ وسلطان الرجل اوسع واكبر من نفوذ وسلطان المرأة . وعند توفر كل هذه الحقوق عندهما فإنهما تؤدي الى تعدد فرص تحقيق ذاتية الرجل اكثر من المرأة .

ب- عدم تعامل التنظيمات الاجتماعية معهما بشكل متوازن بل بمكياالين مختلفين في التقييس والتعبير . إذ تتعامل مع الرجل بشكل متميز ومتفاضل على المرأة لا تؤخذ بنظر الاعتبار الاختلافات الجسمية والشخصية مقياساً لهذه المفاضلة بل الجنسية وما يلف حولها من اغلفة اجتماعية متميزة .

ت- ارجاع التباينات بين المخلوقات البشرية الى حيويتها الاجتماعية وليس الى اختلافاتها الجسمية ، إذ ان المخلوقات كافة تبحث عن حريتها وتحقيق ذواتها ويكون حصولها عليه بواسطة قدراتها وطاقاتها الاجتماعية الحيوية (أي علاقات واسعة ونفوذ اجتماعي ومناشط مستمرة ومتنوعة) وبما ان الأخير (الرجل) يمتلك ذلك اكثر من المرأة فإن الأخيرة لا تستطيع الحصول على حريتها وتحقيق ذاتها بنفس القدر الذي يحصل عليه الرجل . أي اقل منه وذلك راجع الى ضعف وضيق قدراتها وطاقاتها الاجتماعية .

ث- يفترض هذا المشروع النظري ان كلا الجنسين يبحثان عن سبل جديدة لتغيير مواقعها داخل انساق الهيكل الاجتماعي ويقر ايضاً بإمكانية

تحويل اللا مساواة بينهما الى حالة المساواة وهذا الافتراض يتعارض مع المشروع النظري الذي اهتم بالاختلافات بين الذكر والأنثى .
إلا ان هناك نظرية النسوة التي استخدمت حركات تحرر المرأة والحركة الماركسية للنسوة والتنظيم القومي للمرأة وغيرها من التنظيمات والحركات النسوية التي دأبت على المطالبة بعدم تدخل الأبوين في اختيار شريك الحياة لأبنائهم والغاء الأماكن المخصصة للرجال وأخرى للنساء بل جعلها عامة للآثنين دون بينهما . أي الغاء النوادي الرجالية والنوادي النسوية او محلات لممارسة الأنشطة النسوية واخرى لممارسة الأنشطة الرجالية والغاء نظام تقسيم العمل القائم على الاختلافات الجنسية أي الغاء تخصيص اعمالاً خاصة للرجال واخرى خاصة للنساء بل بإمكان المرأة ان تقوم بالعمل الذي يقوم به الرجل وتحويل الرجل من العمل الذي كان يعمل فيه الى عمل كان مخصصاً للمرأة . بعبارة اخرى منح النساء اعمالاً كانت محتكرة من قبل الرجال وجعل الرجال يعملون اعمالاً كانت مخصصة للنساء وعدم مفاضلة الرجال على النساء عند تقديمهم طلبات العمل .

هذه المطالب واجهت رواجاً وترحيباً كبيراً من قبل الامريكان وباتت لها شعبية واسعة النطاق بينهم وبخاصة عندما قارنت التنظيمات والحركات النسوية (الامريكية) التمايز الجنسي بالتمييز العنصري السائد في المجتمع الامريكي وذلك من خلال زاوية الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة وبين الأبيض والزنجي او الملونين (الاصفر والأسمر والأحمر) التي ولدت مسافات نفسية واجتماعية بينهم إذ بدورها خلقت تمايزاً في مواقع وادوار كل منهم (أي بين الأبيض والأسود والأصفر والاحمر والأسمر) والحالة ذاتها بين الرجل والمرأة .

لا يفوتني ان اشير في هذا المقام الى الباحثة الاجتماعية الامريكية جيسي برنارد التي دافعت عن حقوق المرأة الامريكية من عام ١٩٤٠ ولغاية الآن وفي عام ١٩٨٢ اصدرت كتاباً يحمل عنوان " مستقبل الزواج " موضحة فيه ان الزواج يمثل نسقاً ثقافياً يضم معتقدات وافكار ومعايير وادوار مؤسسية تحدد تفاعل الزوج مع زوجته ثم اعتبرت الزواج هدف انجازي للمرأة لأنه يفسر ويوضح لها مسؤولياتها الأسرية والمدنية وبذات الوقت عدته (أي عدة الزواج) ملزماً من للرجل لأنه يفرض عليه مسؤوليات اجتماعية واقتصادية .

هذا من جانب ومن جانب آخر فقد اضافت بيرنارد الى الزواج في المجتمع الامريكي لا يتسم بالمساواة بين الرجل والمرأة كما يعتقد البعض بل هناك نسبة فيها وليست مطلقة لأن الزوج ما زال متمتعاً بنفوذ وسلطان اعلى واقوى من الزوجة وانه (أي الزوج) يمارس حريته الفردية بشكل اوسع واكثر من الزوجة .

ليس هذا فحسب بل ان بيرنارد اعتبرت الزواج في امريكا ما زال يمثل مؤسسة اجتماعية لأنه يمنح الزوج سلطة على المرأة لاتصافه بقوة جنسية اكبر مما هي عند المرأة بل يلزمها بالمطوعة والاذعان له ، فضلاً عن كونها غير مستقلة اقتصادياً ونفسياً لأنها فارغة تركيز مركز على المناشط والاهتمامات المنزلية ولا تعير اهمية لما يحدث في العالم الخارجي (أي خارج المنزل او الحي السكني) .

وتضيف جيسي برنارد الى ما تقدم في تميزها للزواج إذ كشفت عن نوعين منه داخل كل مؤسسة زواجية بشرية هما دور المتزوج Man's Marriage ودور المتزوجة Woman's Marriage (او المتزوجة) .

يرى النوع الأول ان الرجل تربي على نمط شاق لكي يكون قادراً على مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية حتى يصبح مستقلاً اقتصادياً يستطيع حماية من يعيش تحت حمايته ورعايته (زوجة وابناء) ويمارس عليهم سلطته ليوصلهم الى اهدافه الأسرية وان حاجاته الجنسية تقوم زوجته بإشباعها .

اما النوع الثاني من الزواج (دور المتزوجة) فقد اوضحت بأنه يعط اهمية ظاهرية للمعتقدات الثقافية والمحافظة عليها . اما على صعيد الواقعي فإن المرأة غير مستقلة اقتصادياً بل تعتمد على زوجها في عيشها لقاء التزامها بتنفيذ اوامره وتقديم وعواطفها له انما ليس لها تأثير عليه . كل ذلك يجعلها خاضعة لضغوط اجتماعية صارمة وملتزمة وازاء هذا الالتزام المفروض عليها يمنح المجتمع الزوجة صفة الوفاء لزوجها والاخلاص له والتفاني في سبيله لكن إذا أخلت بذلك الالتزام الزواجي فإن مجتمعها ينعتها بأقبح النعوت والوصمات الاجتماعية السلبية .

فالزواج في نظر جيسي بيرنارد إذن جيد ونافع للرجل إنما سيء ومضطهد بالنسبة للمرأة لأنه (الزواج) يفقدها حريتها الفردية ويسلبها شخصيتها الذاتية أي لا يحقق الزواج التكافؤ بين المرء والمرأة بالحقوق والواجبات . وفي ضوء هذا الاعتلال الزواجي اعتبرت الحركات النسوية الامريكية التمييز الجنسي والتمييز العنصري سيان او وجهان لعملة واحدة لأنهما ينحازان لصالح جانب واحد ضد الآخر او على حسابه . فالأول متحيز لصالح الرجل على حساب المرأة والثاني متحيز لصالح الأبيض ضد الأسود او الاحمر او الاصفر او الاسمر ، لهذا طالبت هذه الحركات بمبدأ تكافؤ الفرص بين المرء والمرأة في مجالات عديدة منها محيط العمل ومجال المنزل واطار المدرسة ومجالات وسائل الاعلام من اجل إعادة تنشئة الاجيال الصاعدة على اسس التكافؤ الجنسي في الحياة الاجتماعية اليومية ليتم اصلاح المجتمع وتنقيته من القيم والمعايير المتحيزة للرجل ومنح المرأة حرية متكافئة معه . ومن جملة الحركات الاجتماعية التي ناصرت ودافعت عن حقوق المرأة هي حركة الماركسيين (القديمة والحديثة) إذ قارنت بين اضطهاد الطبقات الارستقراطية والغنية للطبقة الفقيرة باضطهاد الرجل للمرأة وتوصلت الى الملاحظات التالية :

- ١- إن خنوع وخضوع المرأة للرجل لم يكن مصدره ضعفها الجسمي او الوهن البيولوجي بل وضعها الاجتماعي المتدني في المجتمع .
- ٢- تبعية المرأة للرجل اقتصادياً واجتماعياً مما جعل وضعها الاجتماعي ادنى مستوى منه . فالأب في الأسرة البطريقية (ذات النسب والسيادة الأبوية) وامتلاكه للسلطة وتمتعه بحرية جنسية مع اخريات غير زوجته ، كل ذلك جعل من زوجته احدي ممتلكاته .
- ٣- هناك ادعاء كاذب مفاده ان الأسرة البطريقية تمثل الذي ساد المجتمعات الإنسانية في كافة مراحلها التاريخية ، لكن هذا تضليل واضح إذ ان المرأة كانت في مجتمع الصيد والالتقاط سيدة مجتمعها وكان نسب الابناء يذهب الى نسبها وليس الى نسب الأب كان النسب أمومي Matrilinal ليس هذا فحسب بل كان نفوذها اوسع وأفضل من نفوذ الأب بل تتمتع بحرية اجتماعية اكبر منه ومستقلة اقتصادياً لا تعتمد عليه في كسبها رزقها وحصولها على المال والثروة ، وذلك لأن هذا النوع من المجتمعات يسوده

نظام تقسيم عمل قائم على اساس التكافؤ الجنسي دون مفاضلة جانب على اخر .

٤- بيد أن العامل الفاعل في مضاعفة هزيمة المرأة امام الرجل هو التبدل الذي اصاب النظام الاقتصادي في العالم إذ تحول من اقتصاد الصيد والالتقاط الى اقتصاد الحراثة والزراعة ، مما ادى الى ظهور الملكية بمعناها الاقتصادي الامر الذي دعى تسخير المرأة (زوجة ، بنت ، اخت ، ام) لجعلها أجيعة مستخدمة تحت إمرة المالك (وهو الرجل) فصارت العلاقة بين الرجل والمرأة او الزوج والزوجة تشبه علاقة السيد بالعبد او المالك بالمملوك .

٥- بعد ذلك اتى النظام السياسي المعتمد على النظام الاقتصادي والمدعم لسلطة الرجل وتسيده على المرأة باعتبار مالك الأرض والملكية والنفوذ السياسي والاجتماعي ، الامر الذي ادى الى تدني مكانة المرأة في الأسرة والمجتمع والنظام السياسي والاقتصادي الى ادنى درجة .

٦- اخيراً جاءت الطبقة العمالية حاملة معها دعوة الدفاع عن حقوق المرأة ورفع الحيف الذي اصابها من كافة جوانب المجتمع وعبر حياتها الاجتماعية فدافعت عنها في العمل المهني السياسي والنقابي ثم طالبت بتحريرها من سيطرة الرجل في الانشطة السياسية والمهنية والنقابية لكي توصلها الى حالة الاستقلال الاقتصادي والسياسي .

مشروع نظرية المضطهدة

ينطوي هذا المشروع على إبانة قهر المرأة المتأني من الرجل بوساطة تسخيرها لخدمة اغراضه ومصالحه وحاجاته ، مستخدماً في ذلك اسلوب الابتزاز باسم النظام الاجتماعي الذي يدعمه ولا يدعمها لذلك مال الرجل لاضطهادها تحت ظلال النظام الاجتماعي الذكري واستعبدها لتكون احد ممتلكاته المادية وكان هذا احد افرازات او نتائج النظام البطرقي Patriarchy System (الذي يمثل بناء سلطوي اجتماعي يتميز بتسلط الأب المطلق على اسرته وانتساب الابناء اليه وليس الى الأم . أي مجتمعاً ابوياً تخضع كافة انساقيه للسلطة الأبوية) .

من جدير بذكره في هذا المقام ان هذا النظام يوآد عدم التكافؤ بين الرجل والمرأة وينتج التمايز الجنسي (بين الذكر والأنثى) ايضاً . وللمزيد من المعلومات عن طروحات هذا المشروع النظري الذي يوضح اضطهاد المرأة اعتمد على ما قدمته الباحثتان باتريشا لينجرمان وجل برانتلي من مفاصل نظرية وهي ما يلي :-

أ- التحليل النفسي للأنوثة .

ب- الأنوثة في نظر الاتجاه الفكري المتطرف .

ت- الأنوثة في نظر الاشتراكية .

ث- الموجة الثالثة للأنوثة .

أ- يحاول الفصل النظري الأول كشف آثار النظام الأبوي (البطريقي) على المرأة الذي جعل منها مخلوقة من الدرجة الثانية لا تمتلك أي شيء حتى ذاتها ، بعكس الرجل الذي منحه امتلاك الثروة والاسلحة والعلوم والدين والفنون والأدب ، فجعل منه مخلوقاً قوياً قواماً على المخلوقة المجردة في كل شيء حتى من وعيها بذاتها .

في واقع هذه الممتلكات سيدته وملكته الثروة والمرأة فكراً وجسداً وما تنجبه من ابناء . وما يدعيه الرجل حول رغبته في تخليد وجوده وذكره بعد وفاته بوساطة امتلاك المرأة وما تنجبه ما هو سوى تضليل وخداع . إلا ان الواقع هو خوفه من الموت والفناء . ليس هذا فحسب إنما هناك دافع باطني – جواني يدفعه للتسلط على المرأة وامتلاكها والتحكم فيها والتحكم منها هو دافعه النرجسي Neuroses (العشق الذاتي للنفس) او الأنانية المفرطة على حساب الآخرين وتسخيرهم لإشباع غرائزه الذاتية .

ب- الأنوثة في نظر الاتجاه الفكري المتطرف .

يكشف هذا الفصل النظري الثاني عن مجالات الدفاع عن حقوق المرأة في المؤسسات والتنظيمات الرسمية وغير الرسمية . لأنه (هذا الفصل) يرى ان كافة المؤسسات الاجتماعية لها موقف مسبق ضد المرأة ، ليس هذا فحسب بل انها تضطهدها وتقلل من مكانتها وتهزل من دورها داخلها (أي داخل المؤسسة او التنظيم) لكي تساعد الرجل على اخضاعها له .

وللبرهنة على هذه الرؤية ، فأن هذا الفصل النظري اوضح ان في كل مؤسسة هناك حاكم ومحكوم ، سيد ومسود ومالك سلطة وفاقدتها ، وغالباً ما يولد هذا

التابيين الموقعي انحرافات سلوكية عند بعض الناس مثل الاعتداء والاعتصاب والعبودية الجنسية والسيادية والبغاء وسوء استعمال دور الأبوة .

فضلاً عن ذلك ، فإن بعض الثقافات الشرقية ولدت ذكرية ، أي متحيزه لصالح الرجل ضد المرأة . هاك مثال على ذلك المرأة الهندوسية تُلزم على الانتحار حرقاً بعد وفاة زوجها ، بعبارة اوضح لا يحق لها الحياة بعد رحيل زوجها عن الحياة . وهناك ايضاً في الثقافة الشرقية ظاهرة ممارسة ختان الجوارح التي تمثل اسوء مظاهر الاستبعاد الجنسي وتشويه الطبيعة الجنسية عند المرأة . لذلك فإنه ليس من صالح الرجل ان يتعارض مع هذه المعايير الثقافية ، وليس من صالحه ايضاً ان يعادي او يتعرض على النظام الأبوي (البطريقي) الذي يدعم نفوذه وتسلطه وتسيده واستخدام المرأة عبده له تخدمه وتشبع حاجاته الجنسية وتتجب له ابناء يتسمون باسمه وتطمأن حاجته النرجسية (عشق الذات) وبنفس الوقت تسخيرها في العملية الانتاجية لصالحه وزيادة ارباحه بوساطة استخدامها عاملة في ارضه او مشغله او معمله .

وإزاء هذه الإجحافات الاجتماعية (حسب تعبير الباحثين باتريشا لينجرمان وجل برانتلي) تشكلت حركات نسوية تضم النساء من كل عرق وثقافة ومهنة دون تمييز وتحيز . أي لا تميز بين البيضاء والسوداء او بين الطيبية والعاملة او بين بنت المدينة وبنت الريف لكي يكونوا قوة تؤثر على مؤسسات التجمع البشري ويغيروا مواقعهم فيه ويحققوا اكبر قسط ممكن من المساواة بين الحقوق الواجبات .

ت- المفصل النظري الثالث هو الأنوثة في نظر الاشتراكية يسלט هذا المفصل ضيائه على الاضطهاد الطبقي الممارس على المرأة في التجمع البشري الرأسمالي . إذ يزداد قهرها وقمعها وحرمانها واستغلالها فيه ، لأنه يبني تدرجه الاجتماعي على المفاضلة العرقية والدينية والقومية والعمرية الأمر الذي ضاعف من ضغوط التجمع البشري عليها . أي إذا كانت من الاقلية العرقية او الطائفية الدينية او القومية او العمرية فإن موقعها داخل مجتمعها يكون في ادنى مستوى لأنها بدون هذه المفاضلات يكون وضعها الاجتماعي مضطهداً . فكيف الحال إذا كانت من الاقلية الاجتماعية ؟ الجواب يكون وضعها الاجتماعي مضطهداً بشكل مضاعف . بتعبير اخر ، يتضمن التجمع البشري الرأسمالي تمايزاً طبقياً وعدم عدالة

اجتماعية وتباين كبير في الحقوق والواجبات وكل ذلك ينعكس على واقع المرأة في المجتمع وعلى تربيتها لأبنائها واسلوب تعبيرها عن عواطفها وحتى على نوعية عطائها المعرفي . أي يكون اقل مستوى واسوء نوعاً . وهذا يشير الى ان موقع المرأة في المجتمع البشري الذي لا يتصف بالمفاضلة الطبقية والعرقية (كالتجمع البشري الاشتراكي) افضل من وضوعها في التجمع البشري الرأسمالي .

ث- الموجة الثالثة للأنوثة ، ظهرت هذه الموجة في العقد الثامن من هذا القرن متضمنة روحاً نقدية وتقويمات شاملة للحركات النسوية التي تبلورت في العقدين السادس والسابع من القرن ذاته لتشخيص الاخطاء الكفاحية أي التي اقترفت اثناء حركتها الكفاحية من اجل الوصول الى تعاميم مستخلصة عن مراحل تطور الحركات النسوية في مجال العمل والأجور والتميز العنصري والاختلافات القائمة بين النساء من البيض عن النساء من غير البيض عن النساء في غير البيض ، وانحرافات الرجال في التعامل معها .

خليق بيّ ان اوضح في هذا المقام الى ان مثل هذه الدراسات عن المرأة رفدت احد حقول علم الاجتماع بحقائق وظواهر مفيدة ومهمة مثل :-

١- المعرفة السوسيولوجية عن الأنوثة المستخرجة من نمط عيش المرأة داخل الأسرة والتجمع البشري وخبرتها الاجتماعية ، فظهرت كتابات عن هذه المعرفة فصبت في حقل علم الاجتماع المعرفة مشكلة فيه فرعاً سميّ بعلم اجتماع المعرفة الأنثوية **Feminist Sociology of Knowledge** يعكس اسلوب تفكيرها وحدها واحاسيسها بالأمور والظواهر والحقائق الاجتماعية التي حولها ، فضلاً عن توضيح خصوصية موقعها التدريجي وطبيعة دورها وحجم نفوذها فيه . أي معرفة نصفية – لا كلية – لنظام تقسيم العمل تعرض طبيعة الخنوع والاضطهاد لمواقع المرأة في مجالات العمل داخل التجمع البشري واسلوب تربيتها لأبنائها وتعاملها مع زوجها ، لذلك سميت بالمعرفة الاجتماعية الأنثوية (منفصلة عن الذكورية – الرجولية) .

٢- على الرغم من كون هذه المعرفة تمثل النصفية إلا انها لا تأخذ شكلاً بعيد المدى Macro لأنها تدرس علاقة المرأة بالنظام الاجتماعي ومؤسسات

الكيانات الهيكلية . بمعنى اوضح ، انها تمثل معرفة موقع المرأة في الكيان السياسي والتربوي والطبي والاقتصادي والديني ودورها في العملية الانتاجية والتمثيل النيابي والتنمية والتخطيط الاجتماعي .

٣- رقد المعرفة السوسولوجية بالمعرفة الأنثوية ذات المدى القريب Micro Knowledge أي تفاعلها مع زوجها وابنائها وسلوكها اليومي مع زميلتها المرأة والتعرف على نوعية مشاكلها في الأمومة والعلاقة الزوجية ومعوقات عملها . بعبارة اخرى معرفة جزئية لا كلية .

مناقشة نظرية الأنوثة ومشاريعها

يتضح مما سبق ان دراسة المرأة في علم الاجتماع لم تتم من خلال كونها فرداً Individual او شخصاً Person بل من خلال وجودها في المجتمع واشغالها موقعها في مدرج المقامات الاجتماعية وممارسة دورها فيه بوساطة موقعها في الخلية الاجتماعية (الأسرة) كمنتج بشري وشريك في عملية التأسيس الأسري وكفاعل اجتماعي في المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية (سواء كان هذا الفاعل ناشطاً او خاملاً ، سيداً او مسوداً) وذلك لأن علم الاجتماع لا يدرس الفرد كفرد او الذات الفردية ، بل النوع البشري (ذكر وانثى) في مؤسسات التجمع البشري وحركاته وتنظيماته وموقعه ودوره فيها . اقول مواقع وادوار كل نوع وليس فرد معين او شخص محدد .

ولما لم تحصل مشكلة اجتماعية للمرأة (كأحد انواع الجنس البشري) فإن علم الاجتماع لا يشغل اهتمامه بها بشكل مستقل او منفصل إنما يشير اليها ويصف موقعها ودورها ضمن الكيان (النسق) الاجتماعي .

لكن إذا برزت مشكلة اجتماعية لها بسبب النوع الآخر (الرجل) او بسبب احدي ايقاعات التغير الاجتماعي ، فان علم الاجتماع يذهب لدراستها ويحلل اسباب اشكالياتها ويكشف آثارها وتبعاتها ، وعندما يعي هذا النوع البشري بأن موقعه الاجتماعي ادنى بكثير من دوره الذي يمارسه ، او ان واجباته اكثر بكثير من حقوقه ، وتعمل هذه التباينات (بين الموقع والدور الحقوق والواجبات) على خلق اختلال بنائي واعتلال وظيفي ، اذاك يذهب - علم الاجتماع - لدراسة هذه الحالة كاشكالية اجتماعية . لكن إذا لم تبلر هذه الحالة اشكالية اجتماعية فإنه

يدرسها كظاهرة ويصفها وصفاً دقيقاً موضحاً أسلوب عيشها ويحدد موقعها داخل المجتمع ويكشف عن أهمية دورها في الأسرة والمربي الأسري والعملية الانتاجية .

بيد ان الثورة الصناعية والفرنسية والتقدم التكنولوجي حدثت تغييرات بنائية ووظيفية اصاب المجتمع الغربي جعلت المرأة تخرج الى سوق العمل وتساهم في العملية الانتاجية بشكل مكثف وتحصل على الاستقلال الاقتصادي وتكتسب وعياً متزايداً بواقعها الاجتماعي والسياسي فظهرت الكاتبة والمفكرة والمحامية والطبيبة والمهندسة والأستاذة لكنها لم تحصل على نفس الموقع الذي حصل عليه الرجل بسبب تأخر خروجها الى النشاطات المهنية والفكرية .

هذا التحول النوعي الذي حققته المرأة افرز لها مشكلات اجتماعية مثل ارتفاع معدل طلاق وتأخر الانجاب الذي ادى الى قلته وضعف دورها في إدارة شؤون المنزل وتضاعف استغلالها من قبل الرجل في الاعمال المهنية والمكتبية وإزاء تفاقم هذه المشاكل ظهرت حركات نسوية تدافع عن مواقعها العامة بنائياً ووظيفياً تحركت اذاك آليات علم الاجتماع المنهجية لدراسة مشكلات المرأة المعاصرة (في الأسرة والشارع والمعمل والمكتب والمستشفى والجامعة والكلية والمعهد) لدرجة وصلت الى تخصيص احد فروعها لها سمي " بعلم اجتماع المرأة " او "نحو علم اجتماع المرأة" Toward Sociology of woman .

جدير بالذكر في هذا الخصوص لأقول ان اهتمامك علم اجتماع لهذه الاشكالية لم يشقه الى شقين او شطرين حسب نوع الجنس (أي علم اجتماع انثوي وعلم اجتماع ذكري) بل ابرز اشكالية النوع البشري في مجتمعات صناعية ومتقدمة تحتاج الى كفاءته وجهده كحاجته لكفاءة وجهة النوع الثاني من الجنس البشري (الذكر) لذلك طالبت المرأة بالمساواة في حقوقها وواجباتها طالما أضحت حاجة المجتمع لها مثل حاجته للرجل ، لذلك طالبت المؤسسات الاجتماعية بأن تعاملها مثل ما تعامل الرجل دون تفریق او مفاضلة او تحيز مقام على اساس الجنس . الذي اريد ان اقله بهذا الصدد يمكن عد واعتبار علم الاجتماع علم الاستجابة المجتمعية . أي انه يستجيب لكل المستجدات التي تحصل داخل المجتمع سواء كانت سلبية او ايجابية ، إذ عدّ الأولى مشكلة والثانية ظاهرة اما إذا ظهرت بعض المستجدات الاجتماعية لا تمثل السلب او الايجاب فإنه

يعتبرها ايقاعات احداث المجتمع تفرزها الحياة اليومية لتتشكل فيما بعد فتكون ظاهرة او مشكلة اجتماعية .

إن سياق الحديث يلزمني ألا اغفل حقيقة دخول المرأة الى سوق العمل كان بدافع الحاجة الى الأيدي العاملة في العملية الانتاجية وقد يكون حث الرجل لها في العمل والانتاج وقبولها للاشتغال راجع الى حصولها على بعض ما تنتجه سواء كان على شكل اجور نقدية او حصة عينية وهذا بدوره حسن من وضعها الاقتصادي والاجتماعي .

اقول انها لم تستخدم كمستعبدة للرجل بشكل مباشر وصارم ، بل خضعت لمتطلبات العمل ، حالها حال الرجل في العمل . ولما كان نوع جنسها يجعلها تحبل وترضع وتغذي الأطفال الذين تنجبهم فإن ذلك يعيق عملها خارج المنزل بشكل مستمر ويكون انتاجها المهني والاقتصادي اقل ، لكن عملها التائيسي والمنزلي يكون اكثر وتكون فيه المنفذة والمبدعة فيه ولا يعني وجودها خدمة افراد غرباء عنها بل هم جزء منها لأن جميعهم (باستثناء زوجها) منجبين منها وهذا اغلى انتاج بشري في حياة الانسان وعلى هذا الأساس فأنهم (الأبناء) يستحقون التضحية والرعاية والاهتمام .

بغيتي من هذا الطرح ان اوضح التضحية في سبيل رعاية الأبناء أثمن وأهم من التضحية في سبيل الكسب المادي (الذي يعود بالتالي للأبناء) . هذا جانب ومن جانب آخر فإن تحمل المرأة (الزوجة) المسؤولية الاجتماعية والتربوية والصحية لأبنائها لهي مسؤولية فريدة لا تجيدها سواها (إذ حتى المؤسسات الصحية والغذائية والتربوية المعاصرة لم تستطع تقديم ما قدمته وتقدمه الأم بنفس الأداء والكفاءة) بل ان اشرافها على شؤون المنزل وتنظيمه لا يخدم الرجل فقط بل لها ولأبنائها وهذه مسؤولية لا تخدم الرجل فحسب بل المرأة (الزوجة وبناتها) على السواء .

وإزاء هذه المسؤوليات الأسرية والإنسانية لم اعد او اعتبر المرأة خائفة او خاضعة للرجل ، بل صورت (المرأة) بشكل مبالغ فيه من قبل المزايديين والانتهازيين وليس بهدف الدفاع عن حقوق المرأة . وإذا كانت المرأة مدركة فعلاً انها مضطهدة ومستغلة ومسخرة لخدمة الرجل ، لماذا لا تدافع عن نفسها بنفسها وهي خير من يحسن الدفاع عن المظلومين المضطهدين بسبب حسنها الإنساني ووعيتها الاخلاقي وشفافية ورقة عواطفها الذي يدلف الى مدار الدفاع

عن حقوق المرأة لا يستطيع تجنب حالات غير المتكيفات لأدوارهم الجديدة والفاشلات في حياتهم الأسرية والعوانس وقليلات الجمال .

إذ ان جميع هذه الحالات تطالب بحقوق اكثر وواجبات اقل . فالحالة الأولى (غير متكيفات لأدوارهم الجديدة) مثل بعض المتزوجات حديثاً وبعض الطالبات الجامعيات وبعض المراهقات وبعض الموظفات جميعهم يطالبون بحقوق اكثر وواجبات اقل مدفوعين بدافع شتى مثل تعليقهم بأدوارهم القديمة او جهلهم بالأدوار الجديدة او خوفهم من تحمل مسؤولية حديثة او اخفاقهم في ادوارهم الجديدة .

اما الحالة الثانية (الفاشلات في حياتهم الأسرية) مثل الزوجة الجاهلة في التعامل مع زوجها او في إدارة شؤون منزلها وتربية طفلها الأول او الخائفة من تحمل مسؤولية اسرتها او الرفض لدور الزوجة او الأم تذهب لتبرير فشلها بأن حقوقها قليلة وواجباتها كثيرة وهذا يتطلب المزيد من الحقوق والقليل من الواجبات لكي تكون ناجحة في عملها الأسري والمهني .

وفي حالة المراهقة فإن احلام اليقظة وعدم وضوح الرؤية الكاملة والناضجة للأمر تدفعها لترديد شعارات مغرية وبراقة او تقليد الاخريات من ذوي الجراة والخسارة ولأن المراهقة لديها رغبة في التجديد والتغيير فيما يخص حالتها الخاصة لذا نجدها تطالب بتغيير توقعات دورها وعدم خضوعها لأي انسان وبالذات للجنس الآخر .

اما حالة العوانس ، فإنه بسبب عدم زواجها نجدها تميل لممارسة نشاطات اجتماعية تملي فيها فراغ حياتها وبالذات الأمور والمواضيع التي تمس ما فقدته ، أي موضوع انوثتها والعوائق التي منعتها من الزواج ، وإزاء هذه الظروف تذهب لتطالب بالمساواة مع الرجل في حقوقه وواجباته لا حباً ودفاعاً حقاً عن المرأة بل اسقاطاً عمدياً عما فقدته . ولو تزوجت فإنها سوف تترك هذه المطالبات وتستنكرها وننتقد كل من تقوم بالدفاع عن حقوق المرأة ، انها مطالبة انتهازية مفتعلة من قبل الفاشلات والكسولات والمتكسبين السياسيين من اصحاب العقائد (من الرجال) للحصول على دعم وتعزيز بشري لدعوتهم لا غير .

وفي حالة غير المحظوظات بقدر بسيط من الجمال الخلفي ، فإن احتمال ميلهم نحو المطالبة بحقوق اكثر وواجبات اقل يزداد بشكل واضح لكي يعوضوا

عما فقدوه من انوثتهم الجمالية . فلا يشعروا بأنهن من الاناث ولأن الاناث لا يتعاملنَّ معهنَّ تعامل الاناث بل ينظرنَّ اليهنَّ نظرة سطحية وهامشية .
اما الجميلات والواعيات والمتفقات والذكيات فأنهنَّ يحصلنَّ على حقوقهنَّ بأنفسهنَّ دون توكيل احد ليدافع عنهنَّ او يسمحنَّ لأخرين ليطالبوا بحقوقهنَّ وتقليل واجباتهنَّ ، بل ان يقمنَّ بأعمالهنَّ المنزلية والمهنية بنجاح دون تدمير او تهرب او تبرير .

مرادي من ذلك ان اقول ان الفاشلة والمتكيفة سلباً (غير المتكيفة) والكسولة (سلوكاً وفكراً) والانتهازية التي تريد الحصول على كل شيء مقابل لا شيء او ان تحصل على مطالبها دون تعب او عناء هي التي تذهب لتطالب بالمزيد من الحقوق والقليل في الواجبات ، او تطرح طلبات تعجيزية او خيالية لكي تبرر كسلها او فشلها في اداء دورها او عملها او مشاكسها .

في الواقع ، هذه الحالة لا نجدها عند الرجل لأن كسله وفشله وانتهازيته في عدم تحمل مسؤولية الأسرة او العمل لا يضعها على حقوقه المتكاثرة وواجباته المحدودة ، بل على نفسه وليست على عاتق المرأة او بناتها . أي انه يواجه الواقع والحقيقة دون هروبه منها او القاء سبب هروبه على عاتق الجنس الاخر . لكن هذا الالقاء والهروب تقوم به بعض النساء (اللواتي ذكرت آنفاً انواعهم) بمعنى ادق انها تنهزم من تحمل المسؤولية الاجتماعية وتلقي سببها على عاتق الرجل وتقول بأنه يمتلك كل شيء. انه اسلوب تبريري غريب لأن التي تخاف من مسؤولياتها القائمة لماذا تطالب بالمزيد منها ؟ اني متأكد إذا قُدم لها حقوق اكثر ومسؤوليات اوسع ، يضحى هروبها اسماً ويمسي تبريرها لهروبها مرمي على عاتق الرجل ايضاً إذ تقول بأنه (الرجل) وضع على عاتقها مزيد من المسؤوليات لكي لا يقوم بها ، وبذا يزداد صراخها وهروبها سرعة ولا تعالج المشاكل التي خلقتها بنفسها .

بعد ان اوضحت انواع المدافعين عن حقوق المرأة والمطالبين بالمساواة بينها وبين الرجل ، اذهب لأتحاور مع موضوع الصراع الذي طرحه هؤلاء المكتسبين والمكتسبات فأقول إذا كانت المرأة شاعرة فعلاً بأن وضعها الاجتماعي متصارع ويمثل تعارض موقفين متناحرين (مالك السلطة وفاقدتها او سيد ومسود) لماذا إذن لم يحصل صراع منذ بداية وجود الموقعين المختلفين ؟ وإذا كان هذا الصراع في الوقت الراهن حادث فعلاً فما هو نهايته ؟ ولو افترضنا

جدلاً بأن المرأة سوف تحصل على تكافؤ في الحقوق والواجبات حالها حال الرجل فعلى حساب من سوف يحصل هذا التكافؤ ؟ هل على حساب الابناء ام الأسرة ام الأنوثة الطبيعية التي منحها لها الطبيعة البشرية ؟ وهل فعلاً هناك حاكم ومحكوم في الأسرة بين الأخ واخته او بين الزوج وزوجته ؟ والأهم من ذلك ما هو مفهوم الأنوثة ؟ هل جاذبية المرأة ام جمالية وجهها ام رشاقة قوامها او دقة اداء دورها الأنثوي او عواطفها الرقيقة وحنانها الدافئ او ثقافتها في التعامل الأسري او معرفتها في إدارة شؤون المنزل ؟ او انها (الأنوثة) نقيض الرجولة ، هل تعني الخنوع والانصياع التلقائي المصاحب بالبرقة والحنان ؟

إن المجتمعات الإنسانية لا تخلو من تدرجات هيكلية اجتماعية في كافة تنظيماته الرسمية وغير الرسمية بدءاً بالأسرة وانتهاءً بالحكومة وان نظام تقسيم العمل (الذي يعد مهماز او عماد لكل تنظيم اجتماعي) يتطلب التدرج الموقعي والتباين في الحقوق والواجبات حسب متطلبات الموقع الهرمي بغض النظر عن درجة تطور المجتمع (بدوي ، ريفي ، حضري ، صناعي ، تجاري ، عسكري وما شابه) وإذا حدث تحول في شخوص المواقع الذكرية والأنثوية . أي يحصل تبادل في ادوارهم فإن ذلك سوف يؤدي الى استحلال مشكلة مكان اخرى .

بتعبير اوضح يحصل تبديل شخوص المشكلة وليس حلها علماً بأن النوع البشري موجود بشكل طبيعي ، وظهور نظام تقسيم العمل في التنظيمات الرسمية وغير الرسمية استناداً الى القدرة الجسمية التي يتمتع بها جسم الإنسان . ولما كان جسم المرأة لا يتحمل المشاق الكبيرة مضافاً اليه المهام البيولوجية المتأنية في الحمل والرضاعة والتربية فإن ذلك يضاعف المشاق بطاقات لا يقدر عليها جسم المرأة الذي يضعف كلما تقدم عمرها .

بعد هذا الاستطراد لا بد لي ان اشير في هذا المقام الى نظرية الأنوثة التي صورت المرأة في مرحلة الخنوع بأنها لا تمتلك الوعي بذاتها على الرغم من خضوعها للرجل في مجال الأسرة والعمل لكنها بدأت تتذمر (حسب رؤية النظرية) عندما ظهر كاتبات ومفكرات وطبيبات ومحاميات ولم يكن تذررها صادراً من كافة النساء بل من بعضهم ومائلوها مع (الجماعة الأقلية) داخل المجتمع على الرغم من تمثيلهم لأكثر من نصف سكان المجتمع (عدداً) الشيء الذي اود قوله في هذا الخصوص ان التذمر والنقد ربط ربطاً محكماً بظهور النساء المتعلمات والمهنيات ، وانه (التذمر) ربط ايضاً بعدد قليل من النساء

(المتعلمات) وليس جميعهم وقد شبهوا النساء بالأقلية الاجتماعية لأن مواقعهم الهرمية اوطئ في مواقع الرجال ودورهم اضعف حيوية من دورهم (أي دور الرجال) . هذا التشبيه مبالغ فيه لأنه لو كانت النساء يمثلن فعلاً اقلية اجتماعية لماذا أذن لم يدركن هذه الحقيقة قبل ظهور المتعلمات والمهنيات ؟ لأن المظلوم والمقهور والمسحوق يحس ويدرك الظلم الواقع عليه قبل غيره ولا يحتاج الى اخرين يشعروا نيابة عنه او يحفزوه او ينبهوه عن الظلم الذي وقع عليهم .

ولو كانت النساء غير قابلات او راضيات عن خنوعهن للرجل بأعلى اصواتهن ليعبرن عن الظلم الذي اصابهن ولا يحتجن الى من يدافع عنهن .

وغني عن البيان ، بسبب قلة خبرة المرأة الاجتماعية في ادارة المؤسسات الاجتماعية (الرسمية وغير الرسمية) باتت في درجة ادنى من موقع الرجل فيها (المؤسسات) لكنها تساعده في انجاز وتحقيق اهداف المؤسسات العامة لا الخاصة . لأن المواقع الهرمية متكافلة في وظائفها على الرغم من تباينها واختلافها في الصلاحيات والتسلسل ، لذلك لا تدخل المرأة في صراع مع الرجل لكن قد تدخل في تنافس مهني معه ، بيد انه إذا كان وجودها في المؤسسة يخدم اهداف وغايات خاصة بالرجل ، نستطيع آنذاك القول بأنها مستغلة ومسخرة لصالح الرجل لكن إذا ساعدته من اجل اهداف عامة عند إذن لا يمكن عدها مضطهدة وتحتاج الى من يدافع عنها لذلك قلت عن هذه الصورة الاجتماعية بأنها مبالغ فيها .

ولما كان المجتمع متطوراً ومتغيراً فإن حاجته للعناصر البشرية والكفاءات والمهارات تكون دائمة ومستمرة وهذا يعني ان المجتمع يحتاج الى الرجل والمرأة - كقوة عاملة - لكن ليس أي رجل واي امرأة بل من اصحاب الكفاءات والمهارات والقابليات الخلاقة والمبدعة أي ان شروط التطور وظروف التغيير تلزم المجتمع على استخدام الاكثر كفاءة والاحسن اداء بغض النظر عن نوع الجنس .

لكن من الجائر ان تتصلب بعض المجتمعات التقليدية والمحافظة على ابقاء المرأة في موقعها الاجتماعي المهني فتبعدها من المساهمة في العملية الانمائية والانتاجية لفترة محددة من الزمن بيد انها لا تقدر الاستمرار لهذا الابعاد لأن عجلة التطور تتطلب استخدام اصحاب المهارات والكفاءات المتقدمة والمتطورة لئلا يتخلف ويعيش خارج حدود الزمن- في ماضيه لا في حاضره - .

لا مندوحة من تقديم ما اوضحته النظرية الأنثوية من ان بداية الدفاع عن حقوق المرأة في امريكا كانت صادرة من الساسة المرشحين في الانتخابات السياسية وهذا دفاع غير صادق ولا يعبر عن حسن النوايا وصفائها او انه بريء من تحقيق مصلحة ذاتية للسياسي لأن المرشح النيابي يحتاج الى اصوات تؤيده وتنتخبه لكي يفوز ، ولما كانت المرأة مستبعدة عن الانتخابات ذهب اليها المرشح لكي يحصل على صوتها ، فلم تصدر المطالبة منها فإذا كانت المرأة منتبهة الى استبعادها في التمثيل النيابي لماذا إذن لا ترشح نفسها وينتخبها ابناء جنسها لتمثلهم وتدافع عن حقوقهم ؟ ولماذا تعطي صوتها للرجل ؟ وهل فعلاً سوف يدافع عنها ؟ اقول إن مطالبة الناخبين بالمساواة السياسية والقانونية كان هدفها خدمة اهدافهم المصلحية وليس خدمة النساء والدفاع عن حقوقهم .

من غرائب المقارنات في النظرية الأنثوية ، مقارنة الدفاع عن حقوق المرأة بالدفاع عن حقوق السود (الزنوج) في المجتمع الامريكي وهذه مقارنة غير حكيمة ، لأن المرأة تعيش مع الرجل في المنزل والمدرسة والمعمل والمكتب والجامعة ولديها حقوق مقاربة من حقوق الرجل . لكن الأسود الزنجي لا يعيش مع الابيض تحت سقف واحد وام حقوق الأخير (الابيض) اكثر بكثير من حقوق الأول (الزنجي) أي ان الاول حقوقه مهضومة بشكل كبير اكبر من هضم حقوق المرأة من قبل الرجل وان المرأة تتكافل في عملها الأسري مع الرجل من اجل انجاز وظائف الأسرة وفي المربي النفسي والاجتماعي . وغذا حصل عدم تكافؤ اسري بين الزوج وزوجته (وهذا نادر ما يحدث) فإن ذلك يؤدي الى تمزيق العلائق الأسرية او هدم بناء الأسرة . لكن في اغلب الاحيان يتم التكافل بينهما وبرضاها دون قهر احدهما للآخر .

يحسن بيّ ان اثير جملة اسئلة في هذا المقام مفادها هل ان وجود المرأة كزوجة يشكل خللاً وظيفياً داخل الأسرة ؟ وهل حبل المرأة وانجابها للأطفال مخالف للطبيعة البشرية ؟ وهل تعتبر مساهمة المرأة في عملية المربي الأسرية خطأ مربوياً ؟ وهل ان عمل المرأة في الحقل الزراعي بجانب زوجها يضعف من وجودها في النسق الأسري والاقتصادي ؟ وإذا عملت المرأة في مكتب مهني استناداً الى اختصاصها وخبرتها المهنية يُعد اجحافاً في حقها ؟ وإذا كان الموقع

المهني الذي اعلى من موقعها مشغولاً من قبل الرجل يُعد استبعاداً واضطهاداً لها ؟ وإذا كان زوجها رجلاً فهل يعني ذلك قهراً واضطهاداً لها ؟

للإجابة على هذه الأسئلة يمكن القول بأن ما موجود في نظام تقسيم عمل وأسرة وتدرج هرمي مهني داخل مؤسسات المجتمع يخدم المصلحة العامة لا الخاصة وهذا لا يعني استبعاد جنس على آخر (رجل على امرأة) إلا إذا أُسيء استخدام النظام او تشويهه الصلاحيات الموقعية عند إذن تحصل مشكلات وموقعيه لا اجتماعية .

فالمرأة تطلب الطلاق من زوجها إذا اساء معاملتها وهذه مشكلة شخصية تمس الزوجة المساءة معاملتها لكن لا تعني مشكلة اجتماعية يشترك فيها كل نساء والرجال . علماً بأن علم الاجتماع يدرس الطلاق كظاهرة اجتماعية إذا زاد معدلها داخل المجتمع بشكل كبير ويعدها مشكلة اجتماعية إذا اضررت بالنسيج العلائقي الأسري او بسبب تفكك في البنية الأسرية ، وكان معدلها او نسبتها قليلة داخل المجتمع .

ليس هذا فحسب بل اشارت النظرية الأنثوية الى ان المرأة لا تمتلك الاعتبار الاجتماعي العالي ، إذا كان هذا صحيحاً فكيف يعهد اليها بتربية ابناء زوجها وهي ذليلة وخانعة او مستضعفة لا تملك الاعتبار العالي في اسرتها ومجتمعها ؟ ومن نافلة القول ان المح الى ان المستضعفة تربي وتنشئ ابناءً مستضعفين مثلها ، فكيف يقبل الزوج – صاحب الاعتبار العالي – ان يكون ابنائه في احضان ورعاية امرأة قليلة الشأن الاجتماعي في نظرة ونظر مجتمعه !! . وكيف يحصل الرجل على الشأن والاعتبار العالي وهو مربى من قبل امرأة لا تتمتع بشأن اجتماعي عالي ؟ .

ولا يفوتني الى ان اشير الى مغالطة اخرى تضمنتها النظرية الأنثوية وهي انها طعنت بكفاءة المرأة – دون ان تدرك او بشكل غير مباشر – من خلال قولها بأن المرأة حتى لو حصلت على موقع اجتماعي موازي لموقع الرجل فإنها لا تحصل على اعتبار موازي للرجل . إن هذا الوضع حاصل ومرده يرجع الى ضعف في كفاءتها وادائها الهني في العمل وليس لكونها امرأة إذ هناك طبيبات بارعات ومحاميات ذكيات ومهندسات كفؤات وكاتبات لامعات حصلن على اعتبار اجتماعي اعلى من الرجل لأن الاعتبار الاجتماعي مقام على الاداء المهني – الوظيفي وليس على نوع الجنس او حجم الجسم او طول القامة .

بعد ان فرغت من استجلاء بعض المغالطات التي اتت بها النظرية الأنثوية يحسن بيّ ان اطرح عدم دقة اصطلاح " حركة التنور " النسوية الذي جاءت به جيسي بيرنارد لتوضح تنامي وتكاثر الكتابات التي تدفع عن حقوق المرأة لأن الكتابات المطالبة بالمساواة مع الرجل كانت موجودة قبل طرح بيرنارد لهذا المصطلح وتحديد فترة ظهوره ، بل يمكن ان اقول بأن تبلور رغبة بعض الكاتبات والمدافعات عن حقوق المرأة جاءت بتجسيد اعمالهم وإظهاره بإطار نظري يجعله اكثر شهرة وذيوعاً ، لذا مالوا الى تأطيره بإطار نظري ليكون مادة جاهزة لبناء هيكل نظري تكون بجانب نظريات علم الاجتماع بعبارة اوضح لم يحدث وأن بادر احد علماء الاجتماع او المنظرين في هذا العلم لبناء نظرية عن المرأة لتبصره ومعرفته المتخصصة بأنه لا يمكن ان يوجد علم خاص بالذكور وآخر بالإناث ، وليقينه بأنه لا يوجد مشكلة كانت قائمة او حاصلة فعلاً او ستقوم بين الرجل والمرأة ولدرايته بأن المجتمع الإنساني لا يتكون من الرجال والنساء فقط ولعلمه بانه لا توجد معايير وقيم خاصة بالرجال واخرى خاصة بالنساء ولثقته بأنه لا توجد انساق هيكلية خاصة بالرجال واخرى خاصة بالنساء . وإزاء هذا التبصر والتيقن والدراية والثقة والمعرفة عند علماء الاجتماع ومنظريه فأنهم لم يبنوا نظرية عن الأنوثة او المرأة لأن علمهم الفتى لا يهتم بالنوع الجنسي وعدادهم و قومياتهم واعراقهم بقدر ما يهتم بأنساقهم الهيكلية (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والأسرية وغيرها) ولا يهتم ايضاً بالثقافات الفرعية بقدر اهتمامه بالثقافة العامة لأنه ينظر للمجتمع نظرة عامة وشاملة التي تشمل نسيج العلائق البشرية المنظمة حسب قواعد ومعايير وقيم اجتماعية تنظم حياة الأفراد . أي انه لا يدرس الأفراد (ذكور واناث) بل ما ينظم حياتهم ويجعلهم يعيشوا فيه على شكل تجمع بشري لأن الأفراد غير باقين على قيد الحياة الى الابد بل التجمع البشري باقي والقواعد والمعايير والقيم والكيانات الهيكلية باقية (مع بعض التحويرات والتعديلات) لذلك لم يدرس علماء الاجتماع ومنظريه المرأة كإنسان منسلخ او منفصل عن الرجل او الأسرة او المدرسة او المعمل او الشركة .

بغيتي من هذا الطرح ان اقول بأن التحولات لبناء نظرية عن الأنوثة او المرأة لم يكن هدفها الدفاع عن حقوق المرأة في زمن بات فيه هذا الموضوع مادة للتكسب السياسي والثقافي . بعبارة اخرى ، اضحت المرأة مستغلة من قبل

بعض من بنات جنسها ليتكسبن من موضوعها بدعوى الدفاع عن حقوقها ومساواتها بالرجل وهي لم تطلب ذلك ولا ترغب فيه لأنه مخالف لطبيعتها البشرية ومتعارض مع النواميس الاجتماعية . أي انه استغلال مكشوف امست المرأة فيه ضحية او كبش الفداء لتتسبب منه بعض المكتسبات والمتكسبين (مادياً ومعنوياً) وبالتالي لا تستفيد منه المرأة ، لأنه سوف لا تتساوي مع الرجل في كافة المجالات بسبب وضعها الفسيولوجي والبيولوجي الذي لا يسمح لها بذلك فضلاً عن كونها لا تريد ان تفقد انوثتها الذي يمثل اجمل شيء فيها ، وإذا فقدت انوثتها فهل تستطيع ان تحل محلها صفة افضل واجمل منها (من انوثتها)!!! وإذا استطاعت - على سبيل الافتراض - تغيير معايير المعادلة البشرية (بين الرجل والمرأة) في كافة او معظم الكيانات الهيكلية فمن الذي سوف يشغل مكانها بعد رحيلها من مواقعها الأنثوية في الأسرة والمدرسة والمعمل والمكتب والمستشفى والمحكمة والجامعة وغيرها ؟

وفي هذا السياق وجدت احتواء المشروع النظري الثاني (التمايز بين الرجل والمرأة) اعتراف صريح بان الرجل يمتلك قدرات وطاقات اجتماعية اوسع وافضل في المرأة . وهذا لا يكفي لتفسير مفاضلة المجتمع عليها لأن تقدم وتطور المجتمع لا يتم من خلال أي فرد (رجل او مرأة) بل من خلال الكفاءات والقدرات الخلاقة والمبدعة (بغض النظر عن نوع الجنس) . ولما كان الرجل يتمتع بقدرات وطاقات افضل واوسع من المرأة فالمفاضلة الاجتماعية تكون لصالحه وهذا تحصيل حاصل وان الدفاع عن الكفاءات الضعيفة والمقدرات الهزيلة لا يغير مفاضلة المجتمع لصالحهم وان المفاضلة تحصل عندما يتحول اصحاب الكفاءات الضعيفة والمقدرات الهزيلة الى قوية ونوعية ممتازة آنذاك يتغير تقييم المجتمع للذين كانوا اضعف واقل كفاءة ومقدرة داخل المجتمع .

ثمة اعتراف آخر للمشروع ذاته في الموجة الثالثة ذكر فيها بان كلا الجنسين (الرجل والمرأة) يبحثان عن سبل جديدة لتغيير وتحسين مواقفهم داخل المجتمع وهذا يعني بأنه حتى لو كان هناك اضطهاد واختناق لحقوق المرأة فإنه سيزول بعد تحسين كفاءاتها وتطوير قدراتها . فالمسألة إذن تطوير قدرات وانماء كفاءات لكي يتم الحصول على اعتبار اجتماعي افضل واحسن وليس مفاضلة جنس الذكور على الاناث .

بمعنى آخر ، ان الموقع الهرمي – الوظيفي واعتباره المهني يتناسب طرداً مع تطور الكفاءة .

مرادي من هذا التشخيص هو ان اكشف الثغرة الحاصلة في المشروع النظري الثاني الذي يحتوي على مغالطات معلوماتية في المادة المخصصة لبناء النظرية الذي يؤدي – فيما بعد – الى تناقضات في نتائجها ومن ثم يعطي تعاميم متناقضة خالية من الاتساق المنطقي وهذا واضح خلل في هذا البناء النظري .

في الواقع اود التصدي في هذا المقام الى موضوع الحركات النسوية والماركسية (الكلاسيكية والمعاصرة) التي استخدمت هذا الموضوع لأثارة انتباه النساء وكسب اصواتهم للحصول على دعم اجتماعي منهم وليس حباً بهم او الدفاع عن مصالحهم بل لأنه يدغدغ بعضاً من احلامهم . لكن بعد التحليل النهائي واستكشاف الوقائع ظهرت بان الحركات النسوية لم تحقق أية من المطالب التي ادعوا اليها او طالبوا بها مثل إزالة احتكار الرجال لأعمال معينة واحلال النساء فيها ومنح الرجال اعمالاً كانت النساء تقوم بها والغاء نظام تقسيم العمل المبني على الجنس وغيرها من المطالب لكن على الرغم من ترحيب المجتمع الامريكي بها إلا انها لم تتحقق لأنها مخالفة للنواميس الاجتماعية والاختلافات الجسمية والكفاءات والخبرات والمهنية والوظيفية .

من غرائب طروحات هذا المشروع النظري انه اعترف – على لسان الباحثة الاجتماعية الامريكية جيسي بيرنارد – بعدم وجود مساواة بين الرجل والمرأة في المجتمع الامريكي وان الرجل ما زال اقوى من المرأة ويتمتع بحرية فردية اوسع منها ، بل ان الزواج ما زال يمثل مؤسسة اجتماعية لصالح الرجل ويمارس بذات الوقت التمييز الجنسي بين الذكر والأنثى .

تساؤلي هو إذا كان واقع المرأة هكذا فلماذا تحاول بعض الباحثات الامريكيات طرح مشروع نظري يطالبن فيه المساواة بين الرجل والمرأة والدفاع عن حقوقها من اساسيات النظرية الاجتماعية دراسة ما هو قائم وواقع وليس ما هو مطلوب او يفترض ان يكون عليه وهذه مغالطة منهجية في بناء النظرية لأنها (النظرية) ما هي إلا دراسة الواقع كما هو لا كما يجب ان يكون عليه تكون على شكل مفاصل بنائية مترابطة ومتسلسلة توصل القارئ الى معرفة الواقع بشكل منظم واقرب الى الموضوعية وليس تسجيل ما هو مرتجى ومأمول .

وبما ان جيسي بيرنارد من احدى المدافعات عن حقوق المرأة ومن المساهمات بطرح المشروع النظري فإن طرحها كان متناقضاً مع متطلبات البناء النظري في عالم الاجتماع ، فجاءت محاولة الباحثات معبرة عن البحث عن شهرة ذاتية افاقة ومكتسبة ألبست او اكسيت كساءً لا يتناسب مع حجم الموضوع المدروس (أي اكبر منه) ولا يدل على دراية وجوده وأناقة العاملين على تهيئته او انجازه . لا مناص من تبصير القارئ بحقيقة التطور الاقتصادي الذي اصاب التجمع البشري شاملاً بذلك الرجل والمرأة على السواء فحصل تغيراً في مكانة المرأة والرجل معاً ولم تهزم المرأة كما ادعى المشروع النظري الثاني لأنها لم تكن في حالة صراع مع الرجل اساساً ولم تكن متسلطة عليه بل كانت مساعدة ومتعاونة معه في بناء اسرتها فكانت تملك الابناء وحتى الثروة ، فلم تكن مملوكة كأجيرة للرجل لأنها شريكته في الحياة وليست مستعبدة ، بل كان الرجل وما يزال يقدم كل ما يملك في سبيل الحصول عليها وكسب ودها واقامة علاقة إنسانية – عاطفية معها وليس استعبادها . وإذا كان فعلاً يريد استعبادها فهل بإمكانه شرائها لقاء مال او بيعها عند انتهاء حاجته منها وشراء غيرها كما تشتري السلع الاستهلاكية اليومية ؟ الجواب كلا ، لأن الزواج لا يعني شراء المرأة ولأن الطلاق لا يعني انتهاء حاجة سلعة يقتضي ارجاعها او رميها او تركها ، بل ان الرجل عندما يريد الزواج من امرأة نجده يبحث عن الاسم العائلي المرموق لها والشابة الجميلة . وكذلك المرأة عندما تريد ان تتزوج فأنها تنتقي شريك حياة لها ممن يتمتع باسم عائلي مرموق ورجل قادر على إعالة اسرة واقامتها في منزل مستقل خاص بها .

هذا هو الواقع وغيره ما هو سوى مزايده كلامية فارغة لا اساس لها في الواقع وأن وجدت حالات استغلت فيها المرأة واستعبدت من قبل الرجل فإن تلك الحالات ما هي إلا حالات استثنائية ومرضية فضلاً عن كونها قليلة الحدوث وبذات الوقت مدانة من قبل التجمع البشري . اما دفاع الطبقة العمالية عن حقوقها فانه ضرب من ضروب التكسب السياسي والنقابي ليس إلا .

وقد اجد من المفيد الفات نظر القارئ الى ما قدمه المشروع الثالث من اتهاماً عاماً يشمل كافة الرجال وهو موضوع " النرجسية " وهذا تعميم لا يمكن الأخذ به في المنطق العلمي لأن ليس جميع الرجال يتصفون بهذه الصفة ، بل ان بعض النساء يتصفن بها لأنها حالة انانية مفرطة تغلب على الأفراد دون تمييز (ذكر او

انثى) على السواء وبالذات عند الذين يمتلكون الثروة او الجاذبية او الشهرة الاعلامية وليس الفقراء او المغلوب على امرهم ، ونجدها عند الأم في المجتمعات التقاليدية التي ترغب في امتلاك ابنائها .

وفي الفصل الثاني اوضح هذا المشروع النظري ان في كل مؤسسة هناك تدرج يضم فيه الحاكم والمحكوم ومالك السلطة وفاقدها ، هذا صحيح لكن قد يكون المحكوم او فاقد السلطة من الرجال وليس من النساء والحكم والتسلط ينفذ ويسري على الرجال والنساء دون تمييز فضلاً عن عدم وجود موقف مسبق ضد المرأة قبل مجيئها الى المؤسسة الرسمية . لذا فإن تعميمه القائل بأن المرأة فاقدة السلطة ومحكوم عليها داخل المؤسسة لا يمكن الأخذ به بشكل مطلق ، لم يكتفي هذا المشروع بهذا الخطأ الكبير بل شابه المرأة بالأقلية داخل المجتمع من حيث نفوذها الذي وصفه بالهزيل وسلطتها بالوهن ومكانتها الأسرية بالوضاعة الاجتماعية بل ان وضعيتها الاجتماعية تكون اكثر مضطهدة إذا كانت منحدره من اقلية طائفية غير محترمة ومنتمية الى اقلية عرقية ليس لها اصالة في المجتمع وترتبط بطبقة اقتصادية دنيا وغير حاصلة على مستوى تعليمي متقدم (ثانوي على الاقل) كل ذلك يجعل وضعها الاجتماعي مضطهداً وغير مرموقاً في ادنى مراتب مدرج المقامات الاجتماعية وتبات كالبقرة الحلوب (ان جاز التعبير) .

إن هذا التشبيه غير دقيق ، لأن المجتمع الامريكي لا يأخذ بالتمايز الجنسي بقدر اخذه بالتمايز العرقي والعنصري . فالأمريكية تكون مضطهدة فعلاً إذا كانت من العنصر الأسود او الاحمر او الاصفر او الاسمر او إذا كانت منتمية الى طائفة دينية مغمورة او منتمية لقومية غير محترمة ، لكن هذا الاضطهاد الاجتماعي لا ينطبق على الامريكية البيضاء من الطبقة الاقتصادية العليا (الثرية) ومن الطائفة البروتستانتية (الاغلبية الدينية) ولم تضحى بقرة حلوب للرجل الأبيض او الأسود او الاحمر او الاسمر ولا يتعالى عليها الرجل الابيض او احد الملونين . أي ان المرأة تضطهد إذا كانت منتمية الى اقلية عرقية او عنصرية او طائفية لا لكونها امرأة .

بعبارة اوضح ، ان المرأة في المجتمع الامريكي لا تعد او لا تمثل اقلية اجتماعية إذا كانت من الاغلبية الاجتماعية إذ ان الاضطهاد لا يخضع لنوع الجنس بقدر ما يخضع لنوع العرق والعنصر والطبقة الاقتصادية والطائفية الدينية . فالمرأة لا

تضطهد لكونها امرأة بل تضطهد إذا كانت من قومية غير محترمة او زنجية او فقيرة او من طائفة المورمن (طائفة دينية تمثل اقلية قليلة جداً) .

الفصل الخامس نظريات الجندر الاجتماعية

استهلال

٥ / أ - تعريف النظرية اهدافها ووظائفها

٥ / ب - انواع النظريات

١- النظرية الوظيفية

٢- النظرية الصراعية

٣- نظرية رأس المال البشري

٤- نظرية سوق العمل الثنائي

٥- نظرية الفصل الجندري

- ٦- نظرية التعصب العنفي
- ٧- النظريات البيولوجية
- ٨- نظريات التنشئة
- ٩- نظريات المساواة الجنسية
- ١٠- نظرية س . والبي البطريقية
- ١١- نظرية كونيل ، نظرية الجندر الاجتماعية

تعقيب وتعليق

الفصل الخامس نظريات الجندر الاجتماعية

استهلال

لكل حقل علمي من حقول علم الاجتماع نظريات خاصة به تدرس الشرائح الاجتماعية التي تعيش ضمن حدود ذلك الحقل وتخضع لضوابطه الاجتماعية وتحدد معالمه ومرئياته التطلعيه عاكسه بذلك الحراك الاجتماعي العمودي الصاعد ، وخارطة طريق تحرك هذه الشرائح الاجتماعية وسرعة تغييرها والمعوقات التي تقف امام طريق حركتها . وفي حالة غياب هذه النظريات فأن ذلك الحقل لا يسمى بالحقل العلمي – المعرفي .

والجندر احد حقول علم الاجتماع الجديد الذي خرج من رحم نظرية الدور الاجتماعي متميزاً عن الجنس (الذكر والأنثى) مدافعاً عن حقوق المرأة التي

عُضت قدراتها في حراكها الاجتماعي العمودي لكي تبقى في الحراك الأفقي بدعوى تقسيم الطبيعة البشرية التي خلقها الله لها لكي تبقى مستمرة في وظيفتها الجنسية والبيولوجية (الانجابية) وتربية الأطفال والاهتمام بشؤون المنزل . لكن بسبب الثورة الصناعية والثورات السياسية (الفرنسية والأمريكية) والثورة التكنولوجية دفعت المرأة بالخروج من المنزل للعمل خارجه والحصول على قسطاً من الاستقلال الاقتصادي لتساهم في ميزانية الأسرة فدخلت ميدان التعليم ومن بعده الطب والصيدلة والهندسة والمحاماة والأدب والفن والبحث العلمي وبالتالي نُصبت بمناصب سياسة رمزية .

بيد ان هذا الحراك النسوي العمودي البطيء لم يحدث تلقائياً ولا عفويّاً بل بجهود حركات وتنظيمات نسوية لقرون من الزمن مطالبة بتحريرها من قيود العمل والحصول على اجور مساوية للرجل والمطالبة بالمساواة معه في العمل والسياسة وسواها . لكن ما زالت حقوقها محبوسة ومقيدة بقيود ثقافية وسياسية ومهنية وعرفية ودينية وطائفية ، الأمر الذي جعل علم الاجتماع يقوم بأنشاء حقل جديد يصوّر هذه الحركة النسوية لا بدافع التعاطف معها بل لأنها تمثل نصف المجتمع وتطالب برفع الظلم الواقع عليها من قبل الرجل والمؤسسات الاجتماعية وهي تعيش في عصر التطور والتنوير والتواصل الالكتروني السريع مع كل بقاع العالم ومن يعيش عليه . فظهرت دراسات وبحوث عديدة من قبل باحثات وناشطات وباحثين ساهموا في مناشط هذا الحراك المتنامي في المجتمعات الصناعية والالكترونية الغربية المتطورة وكان ذلك في العقد السابع من القرن المنصرم . ومع بداية الألفية الثالثة ظهرت نظريات بلورت ما تم بحثه ودراسته عن الحركات النسوية التي تطالب بالتححرر من القيود الاجتماعية في ظل علم متحرر من اجل تصنيف وتنظيم الحركات النسائية بأسلوب متسلسل بحيث تقترب من تكوين رؤية واضحة المعالم وتفسير اسباب حدوث هذه الحركات والحراك لكي تمنح قدرة على تنبؤ الاحداث المستقبلية وكيفية وقوعها . هذه كانت تمثل اهداف نظرية الجندر الاجتماعية ، اما وظائفها فهي اعطاء معنى لنتائج البحوث التي اجريت على حركات وحراك النسوة وتحفز على الاستقصاء المستقبلي لتكون الاطار المرجعي في تفسير نتائج البحوث والدراسات النسوية فضلاً عن كونها عاملاً موحداً في ميدان علم الاجتماع .

بعد هذا الاستطراد اعرج الآن الى عرض وتلخيص نظريات الجندر الاجتماعية التي استطعنا الحصول عليها وهي احدى عشر نظرية :

- ١- النظرية الوظيفية
- ٢- النظرية الصراعية
- ٣- نظرية رأس المال البشري
- ٤- نظرية سوق العمل الثنائي
- ٥- نظرية الفصل الجندري
- ٦- نظرية التعصب العلني
- ٧- النظرية البيولوجية
- ٨- نظريات التنشئة
- ٩- نظريات المساواة الجنسية
- ١٠- نظرية س . والبي
- ١١- نظرية كونيل

جميع هذه النظريات بحثت عن جواب شافي ووافي للسؤال الملح في تأكيده على:
١- سبب مفاضلة الرجل على المرأة في النوع الاجتماعي داخل المجتمعات الإنسانية .

٢- سبب اللامساواة الاجتماعية بين الأفراد والفئات والطبقات والطوائف والأديان والأحزاب ومن هو وراء هذه اللامساواة ؟ هل الأفراد ام الثقافة الاجتماعية ام القادة الاجتماعيين والساسة ام الطبيعة البشرية ؟
٣- وكيف يعضد كل نوع منهما الآخر ؟ أي كيف يساند الرجل المرأة او بالعكس .

٤- هل يمكن استئصال هذه المفاضلة (اللامساواة) بين النوعين الاجتماعيين في الحياة الاجتماعية العامة ؟

لكن قبل كل شيء سوف نمهد لهذا الموضوع بتقديم تمهيد عن مفهوم النظرية الاجتماعية وتحديد اهدافها ومن ثم نحدد وظائفها العلمية وبالتالي ندخل الى تفاصيل النظريات التي درست الجندر .

نبدأها بمفهوم النظرية الاجتماعية التي تعني

٥ / أ - تعريف النظرية اهدافها ووظائفها

مجموعة افتراضات تشكل نسقاً استدلالياً مرتبة بشكل مترابط يمثل الافتراضي الأول المرتبة العليا في النسق الاستدلالي وتكون بمثابة مقدمة منطقية للنظرية موضحة احتمال وقوع الحدث المدروس والافتراضي الواقع في المرتبة الدنيا في النسق ويمثل خلاصته (خلاصة النسق) والفرضيات التي تقع في وسط النسق تمثل حلقة الوصل بين الخلاصة والمقدمة [Selltize . 1965 . P.480] وهذا يعني ان النظرية مبنية على الملاحظة والمعرفة الواقعية بحيث تستطيع ان تقدم

تفسير للأحداث الخاضعة للملاحظة بحيث تساعد الباحث أو المنظر على التنبؤ بما سوف يحدث وبذا يتطلب من النظرية ان تكون حاملة المواصفات الآتية :-

- 1- مواصفات قابلة للبرهان لأن النظرية هي التفسير النهائي للأحداث الواقعية
- 2- حاملة لبعض النتائج المستخلصة من التجريب او انها نموذج خاص بنتائج وحدات خاصة تتفاعل داخل الانظمة الاجتماعية القائمة وتحت كل الظروف والشروط الخاصة بوجودها . [Dubin . 1978 . P . 39]

ثمة حقيقة يجب الانتباه اليها دائماً في الطروحات الاجتماعية وهي ان الواقع الاجتماعي في تغيير مستمر وبناءً على ذلك فإن مفاهيم وقضايا ونصوص وقوانين النظرية في تحوير وتطعيم وتطور مستمر طبقاً للتغيرات الحاصلة في المجتمع ولا يمكن ان يحصل العكس .

أي لا يمكن تقنين الواقع الاجتماعي بواسطة النظرية لأنها صورة مصغرة للواقع مفسرة احداثه ومتغيراته وارتباطاته . لذا فإن من الضروري وجود صياغات مكونات النظرية ذات صفات مرنة لكي يتم تطعيمها وتحويرها من قبل المنظر بشكل مستمر .

اهداف النظرية الاجتماعية

حدد جانثان ترنر اهداف النظرية الاجتماعية على النحو التالي :-

- 1- تصنيف وتنظيم الاحداث الاجتماعية بأسلوب متسلسل بحيث تقترب من تكوين رؤية واضحة المعالم .
- 2- تفسير اسباب الاحداث الاجتماعية لكي تمنح قدرة على تنبؤ الاحداث المستقبلية وكيفية وقوعها .
- 3- تستطيع ان تقدم معنى دقيق حول وقوع الاحداث وبالذات حول كيفية وقوعها واسباب حدوثها . [Turner . 1974 . P . 2]

وظائف النظرية الاجتماعية

طرح بريزويت وظائف النظرية الاجتماعية كما يلي :-

- 1- اعطاء معنى بنتائج البحث من خلال جعلها ممكنة للاستيعاب وليس للانعزال او الانفصال عن الواقع وبالتالي فهي تتضمن احتمالات او قضايا مجردة .

٢- انها تثري البحث بواسطة طرح ارهاصات مهمة للاستقصاء المستقبلي وبذا فإن العلاقة بين البحث والنظرية تكون تبادلية فالبحث يمول النظرية بمعلومات جديدة نابعة من الواقع .

٣- تحفز على الاستقصاء فحسب بل يعمل على انمائها وتطويرها اكثر من اختيارها لأنه يحدد بوضوح دقيق مفاهيم النظرية وإضافة مؤثرات جديدة لها . [Selltize . 1965 . P . 496]

٤- انها تقود وتوجه عملية البحث الاجتماعي، أي انها المصدر الرئيسي لصياغة الفرضيات واحد مكونات الاطار المرجعي لتفسير نتائج البحوث والدراسات لأن الدراسات الخالية من الاطار النظري يمكن اعتبارها تقارير صحفية ذات انطباعية لعدم دعمها ببراهين علمية .

٥- انها عنصر موحد في ميدان علم الاجتماع فالاختلافات والتباينات التي تحصل في تحديد بعض المفاهيم والتعاريف لبعض انماط السلوك الاجتماعي تستطيع النظرية توضيح وتفسير هذه الاختلافات والتباينات من خلال تصنيفها حسب الصفات التي اتفقت عليها او التي اختلفت حولها ايضاً وبهذه الطريقة تكون النظرية قد قدمت عملية البحث العلمي واسلوب استقراء الواقع .

٦- تقدم النظرية القاعدة المنطقية للتنبؤ الاجتماعي وهذا هو احد اهداف علم الاجتماع . أي انها تساعد الباحث الاجتماعي على معرفة مستقبل العلاقات الاجتماعية وآثارها . [Himes . 1967 . P.p. 10 – 13] .

٥ / ب - انواع النظريات

سوف نجيب على الاسئلة الأربعة الملحة من خلال مضامين ومتون النظريات التي سنتناولها في هذا الفصل ، ومن باب التنويه في هذا المقام الاشارة الى ان هناك نظريات كلاسيكية في علم الاجتماع مثل النظرية الوظيفية والصراعية تناولت موضوع الجندر ولا ننسى النظرية البيولوجية التي لم تكن اجتماعية ، لم تكن تناولها لهذا الموضوع موضع اعجاب وتقدير المتخصصات في حقل الجندر حيث وجدن مرئيات نظرية حقلهن أكثر دقة وتخصصاً لقضايا جديدة برزت في البحوث والدراسات الحديثة عن حراك المرأة وتنظيماتها الحيوية وانجازاتها

الجديدة . وهذا مجرد تنويه قبل الشروع في توضيح ما جاءت به النظريات الاجتماعية الخاصة بالجندر وهي :-

١- النظرية الوظيفية : ترى النوع الاجتماعي (الجندر) ما هو سوى ممثل لدور اجتماعي ثابت ومحدد ومقرر ومقنن لا يتغير في المجتمع (هذا ما تم نقده من قبل الناشطات والباحثات في حقل الجندر) ان مضمون النظرية الوظيفية يكشف عن اشغال الرجل للدور الأدائي - الواسيلي في المجتمع في حين شغلت المرأة ادواراً تعبيرية تقول عنها بأن هذه الاشغال مرتب مسبقاً لخدمة مصالح المجتمع . بيد ان نظرية المساواة الجنسية عارضت هذا الطرح لأنها ترى ان هذه الترتيبات الجنسية تقدم وظيفة للمجتمع وبالوقت ذاته تقوم بتقنين ادوار المرأة في الوظائف التعبيرية والوظائف الأدائية للرجل حيث انها تمثل اعتلالاً وظيفياً (طبقاً لدعاة نظرية المساواة الجنسية) كذلك قال بعض منظري الوظيفية المعاصرين بأن هذه الطروحات تمثل طروحات وظيفية تقليدية تركز على تنشئة الأفراد حسب ادوار مفروضة عليهم بالقوة دافعها الرئيسي يكمن خلف المفاضلة بين النوعين (الرجل والمرأة) وهكذا فإن الظروف والشروط مثل المفاضلة في الأجور .

٢- النظرية الصراعية : على نقيض النظرية الوظيفية ترى الصراعية المرأة على انها متضررة وخاسرة وحققها مجحف من قبل المفاضلة الحاصلة بين نفوذ المرأة والرجل الذي يتم بناءه في البناء الاجتماعي الذي يشمل المفاضلة الاقتصادية مثل ضرر المرأة ومشاركتها في الانساق السياسية والاجتماعية . ويرى منظري الصراعية ايضاً ان المفاضلة في الأجور نتج عن النفوذ التاريخي للرجل الذي يقلل من قيمة عمل المرأة في سوق العمل . وبالآن ذاته عزز منظري الصراعية حضورهم في ضبط وتدقيق تفاعل العرق والطبقة والمفاضلة بين الرجل والمرأة بسبب انهم يروا ان جميع اشكال المفاضلات تصدر عن منافذ مختلفة لمصادر الجماعات المتسلطة والمتسيدة في المجتمع . اما مرئية نظرية الحياة اليومية فأنها ترى ان النوع الاجتماعي ناتج عن تفاعله بشكل مستمر مع الجماعات الاجتماعية ومن خلال هذا التفاعل نتج الناس النوع الاجتماعي أي من

خلال تفاعلهم الذي يحرزوه ومن خلال التفاسير والتراجم التي يحصلوا عليها من افعال معينة وعن مظاهرهم . بعبارة اخرى ان الجندر لا تمثل موروثاً ثقافياً موروثاً من ثقافة المجتمع كما يقترح الوظيفيين وانها ثابتة لا تتغير ولا يستطيع الفرد ان يغيرها ولا يمكن تغييرها لأنهم يقوموا بإعادة انتاجها عبر التفاعل الاجتماعي . في الواقع عندما يتفاعل الفرد مع فرد اخر فإنه بعمله هذا يؤكد على نوعه الاجتماعي (ذكر او انثى) وهذا يعني انه يعيد انتاج النظام الاجتماعي السائد . ومن هذا المنطلق تتم بناء علاقات الجندر التي تخضع للتغيير وبالذات إذا كان هناك اعداد كبيرة من الأفراد ويتصرفوا بشكل مختلف . هذا ايضاً سبباً واحداً لتفسير المفاضلة بين النوعين . هذه المرتبة في الواقع تم انتقادها من اولئك الذين لديهم مرئيات واسعة الرؤية ومن جهة نظر تقول بأن اهملت اختلاف النفوذ واختلاف الاقتصاد القائم على الجندر والعرق والطبقة بتعبير اخر انها لم تشرح قواعد البناء الذي يعكس ظلم المرأة او الجور الواقع عليها من قبل افراد المجتمع او ثقافته الاجتماعية .

ومن باب المقارنة نستطيع القول بأن النظرية الوظيفية لم تركز على اجور عمل المرأة ولا على تقليل قيمة عملها في سوق العمل ولم ترجع مصادر المفاضلات الاجتماعية الأخرى الى تسليط الجماعات المستبدة في المجتمع في حين ركزت النظرية الصراعية على ذلك وهذه تعد نقطة ايجابية تحسب لها علاوة على رؤيتها للجندر بأنها لا تمثل موروثاً ثقافياً تم وراثته من الاجيال السلفة وهذه رؤية مناقضة لرؤية الوظيفية ولا ترى الصراعية ايضاً الجندر لا تمثل قوالب نمطية ثابتة لا تتغير بل تتغير بسبب تفاعلها مع الاخرين ومع الاحداث الاجتماعية .

ادلف الآن الى عرض وتفسير نظريات اخرى للتعرف على الاختلافات القائمة بينهما في تفسير ظاهرة جندرية قائمة على اساس اجور عمل المرأة .

٣- نظرية رأس المال البشري Human capital theory

تنطوي هذه النظرية على تفسير الاختلافات القائمة على الأجور المدفوعة لكلا الجنسين على انها ناتجة عن الخصائص التي يتمتعوا بها والتي تجلب المال للعمل . آلت هذه النظرية على افتراض مفاده ان راس المال البشري يمثل النسق الاقتصادي وانه عادل ومعقول لأن التغيرات في دفع الاجور يعكس الاختلافات

السائدة والقائمة في رأس المال البشري لأنه هو الذي يجلب المال للعمل في سوق العمل الأولي .

يتعين علينا ان نذكر ان العوامل مثل العمر والخبرات السابقة في العمل والحالة الزوجية والمرحلة التعليمية جميعها تمثل متغيرات رأس المال البشري . لذلك التفتت اليها هذه النظرية واستخدمتها كعوامل تؤثر على ثروة الآخر في سوق العمل مثال على ذلك ، ان معدل عوائد الاشغال المتقدمة في التنظيم وسجل العمل يمثلان الاعاقة او تعطيل العمل بواسطة رعاية الأطفال والعناية بهم والمسؤولية الأسرية التي قد تكون مؤثراً بشكل سلبي في اكتساب نفوذ المرأة فضلاً عن تأكيد البحوث على نفس الملاحظة التي تؤكد حصول المرأة على عقوبة لم لا يحصل عليها الرجل وهي امومتها التي تسخرها لأطفالها .

ومما تجدر ملاحظته هناك احداث كثيرة تدعم تفسير نظرية رأس المال البشري فيما يخص الاختلافات الدائرة بين ما يحصل عليه الرجل والمرأة في اجور العمل وذلك يرجع الى اختلافاتهم في مستوى التعليم والعمر والخبرة في العمل جميعها تؤثر على الكسب المالي ، لكن عندما نقارن بين الرجل والمرأة ممن يملكون نفس المستوى من التعليم والخبرة السابقة وعدد ساعات العمل في الاسبوع كل ذلك والمرأة مازالت تحصل على اجر اقل من الرجل . ليس هذا فحسب بل ان هذه النظرية تفسر رأس المال البشري بعض الاختلافات القائمة بين الرجل والمرأة إلا انها لا تفسر وتشرح جميع الاختلافات بينهما بيد ان علماء الاجتماع ينظروا الى عوامل اخرى في تحليل وتفسير المفاضلة بينهما في مجال الاجور المدفوعة لهما عند عملهما .

لا اريد ان ابرح من هذه النظرية ما لم أبين مضمونها بشكل مبسط وهي انها تنطوي على ارجاع اختلاف الاجور المدفوعة للمرأة والرجل الى متغيرات التحصيل الدراسي والعمر والخبرة وساعات العمل في الاسبوع ، لكن خصوصية لا تتوفر عند الرجل تجعل من اجرها ادنى من اجر الرجل وهي امومتها (في رعايتها لأطفالها ومسئوليتها الأسرية) التي تعتبرها هذه النظرية عقوبة تدفعها المرأة مترجمة على اجرها المدفوع لها .

وتضيف هذه النظرية فتقول حتى لو كانت المؤهلات واحدة عند كلا الجنسين فإن اجرة المرأة تبقى ادنى من الرجل . تتسم هذه النظرية بالرؤية الواقعية العصرية والاداء الانجازي في سوق العمل تحت ظل النظام الرأسمالي والصناعي

الصرف الذي تحسب فيه كفاءة العمل والانتاج ساعات العمل وكم الانتاج . أي انها حددت بدقة سبب المفاضلة بين الرجل والمرأة من خلال اجورها التي تعكس كفاءة عملها ونوعه واستمراره أي تقييم مادي اقتصادي صرف مبني على المنتج وهذه ميزة تنطبق على المجتمع الصناعي والتكنولوجي وليس على المجتمع التقليدي والزراعي والمحافظ مثل المجتمع العربي .

٤- نظرية سوق العمل الثنائي (المزدوج) The Dual Labour Market

Theory

التأويل الاخر في تفسير وتوصيف اجرة المرأة والرجل التي يتقاضوها من عملهما هو نظرية سوق العمل المزدوج - الثنائي التي تنطوي على استلام المرأة والرجل معدلات مختلفة من الاجور وذلك راجع الى انهما يميلان للعمل في اقسام ومقاطع مختلفة في سوق العمل . علماً بأن سوق العمل الثنائي - المزدوج يعكس اعادة تقييم عمل المرأة وذلك بسبب اجرة العمل الواطئة التي تركز عليه المرأة كذلك انه من الصعب تحديد السبب الذي يؤثر على العلاقة بين تقييم عمل المرأة واجرها المتدني في اعمال معينة مثل بنية دفع الاجور المتأسسة لذا يكون من الصعب تغييرها لأنها نتيجة التماس . كذلك الدفع المتساوٍ لعمل متساوٍ قد يمكن تطبيقه من ناحية نظرية ومبدئية وانها تطبق على العدد القليل من الأفراد وذلك لأن معظم الرجال والنساء غير منخرطين في عمل واحد او متساو .

وطبقاً لنظرية سوق العمل المزدوج يكون سوق العمل منشطر بشكل منسق لمقطعين متميزين هما : السوق الأولي والسوق الثانوي ، يمثل الأول الرجل والثاني المرأة وعلى اساسه تتحدد الاجور . وهنا ترجع النظرية جوهر المفاضلة بينهما الى طبيعة المؤسسة التي يعملوا بها ونوع العمل المناط لهما . أي الاعمال القيادية تدار من قبل الرجال والاعمال الكتابية والخدمية تناط للمرأة . هذه النظرية في الواقع حصرت تأويلها بسوق عمل صغير ومحدود مثل المصانع الأولية او الشركات الصغيرة .

ففي سوق العمل الأولي الذي تكون فيه الاشغال مستقرة والاجور جيدة ومرضية وفرص الاستثمارات موجودة ومنافع العمل مدفوعة وجدية في انخراط العمال بعملهم . خير مثال على هذا هي الاعمال الادارية في الشركات وان التنظيمات الكبيرة افضل مثال على سوق العمل الأولي التي تتمتع باستقرار اكثر وثبات في

الفوائد وكثرة المحفزات المالية والعينية للعمال واجور افضل وعقلانية نسق الادارة . على عكس سوق العمل الثانوي الذي يتصف بعوائد عمل عالية لكن اجوره واطئة وعدم توفر سلم للترقيات وقلة في فوائد العمل وسوء وبؤس شروط العمل واضطراب في قواعد العمل وسوء في الاشراف على العمل ، علماً بأن جميع اعمال العمل الثانوي تُشغل من قبل الطلبة مثل مراقبي العمل وبيع الوجبات السريعة من الطعام ومعدّي هذه الوجبات السريعة ، حري بنا ان نشير الى ان هذه الاعمال لا تكن لأوقات طويلة الأجل بل قصيرة او فصل واحد .

جدير بذكره في هذا الخصوص انه ضمن مدار سوق العمل الأولي هناك صنفين او نوعين من العمل الصنف الأول يحتوي على مكانة مهنية عالية واشغال ادارية مع حراك صاعد حيوي ومساحة واسعة للأبداع والخلق واستقلالية ، اما الصنف الثاني فإنه يجمع بين اعمال الطبقة العاملة بما فيهم الاعمال الكتابية والاعمال الماهرة والشبه ماهرة والنساء والاقليات في سوق العمل الأولي الذي يميل نحو الصنف الثاني علماً بأن هذه الاشغال تتمتع بضمان اكثر من تلك الاشغال السائدة في سوق العمل الثانوي انها اكثر قيمة وليس لها حركة كثيرة ودفع اجور كثيرة واعتبار مهني واجتماعي عال واستقلالية في العمل مثلما موجود في الصنف الاول من سوق العمل الأولي . هناك اضافة الى ذلك في المقطع غير الرسمي للسوق حيث هناك مفاضلة كبيرة في الأجور وغياب المحفزات واهمال ممارسات مهنية وهناك من يتم تعيينهم كعمال خصوصيين او عمال مستترين (تحت الطاولة) ممن يقدموا خدمة للأجور مثل دهانين الجدران او جليسة الأطفال او تصليح السيارات وسواها . كذلك غياب معلومات رسمية عن القطاع الرسمي ليس الكثير منها لأنه يمثل اقتصاد متخفي يعمل فيه النساء والاقليات يشغلون مساحة كبيرة بل وحتى الرجل الابيض (في المجتمع الامريكي) في مثل هذه الاسواق يكون متضرراً ايضاً وذلك بسبب عدم استقرار او نقص حماية هذه الاعمال المستترة والغير معلن عنها .

آب الآن ديدنة هذه النظرية القول بأن الموظفين والعاملين والمهنيين المبدعين واليدويين يمثلون رأسمال بشري يجلب المال المادي للتنظيم الذي يكونوا على اصناف (اولي وثانوي) كلاهما يمثلان النسق الاقتصادي ويتم دفع الاجور لهم لا على اساس النوع الاجتماعي (الجندر) بل على اساس الوظائف البنائية

الخاصة بسوق العمل وليس بناءً على المؤهلات المهنية للعمال كما تم تفسيره وتأويله من قبل نظرية رأس المال البشري .

٥- نظرية الفصل الجندي Gender Segregation theory

او التمييز النوعي الاجتماعي الذي يعزل الرجال عن النساء في محيط العمل . لقد فسّرت وشرحت نظرية سوق العمل المزدوج المفاضلة في دفع اجور العمل للعاملين كأحد الوظائف البنائية الخاصة بسوق العمل وليس بناءً على المؤهلات المهنية للعمال كما تم تفسيره وتأويله من قبل نظرية رأس المال البشري وذلك راجع الى ان في سوق العمل المزدوج يميل فيه الرجال والنساء للعمل في مهن مختلفة وحتى عندما يعملوا في نفس المهنة فإنهم يشغلون اشغالاتاً مختلفة ويرجع هذا الى فصل النوع الاجتماعي كنمط يكون فيه الجماعات تعمل اعملاً مختلفة بحيث يكونوا منفصلين طبقاً للنوع المهني او الرتب المهنية المقاومة على اساس النوع الاجتماعي . إذ هناك اشتراك مباشر بين عدد النساء مع الرتب المهنية والأجور المدفوعة لهذه المراتب .

بعبارة اخرى ، كلما كانت نسبة النساء عالية في مهنة معينة كلما قل دفع الاجور لهنّ . إذن نستطيع القول بأن فصل النوع الاجتماعي ما هو إلا شكل خاص من اشكال الفصل المهني . كذلك يمكن القول ايضاً ان الفصل في سوق العمل يمكن ان يقام على عوامل اخرى غير النوع الاجتماعي مثل العرق والطبقة والعمر والتحصيل العلمي والخبرة المهنية .

لا يغيب عن بالنا القول على الرغم من مرور عدة عقود على تشريع قانون يحرم التعصب ضد المرأة في ميدان العمل فإن معظم النساء والرجال مازالوا يعملوا في مهن يتم فيها الفصل بين النوع الاجتماعي . ولا مريّة من الاشارة الى ان معظم النساء يعملنّ في اعمال ومهن يكون فيها معظم العمال والمشتغلين هم من النساء ومعظم الرجال يعملوا مع الرجال والنساء ايضاً يرغبوا العمل في دوائر عمل صغيرة يكون فيها عدد قليل من الرجال وإزاء ذلك نستطيع القول بأن اكثر من نصف العاملات من النساء يعملنّ ككاتبات في مكاتب ادارية وبائعات وفي اعمال خدمية مثل عاملات في الخدمات الغذائية او عاملات في الخدمات الطبية والصحية او في مجالات تصفيف الشعر والاعتناء بالأطفال ، اما الرجال فعملهم مشتت ومتنوع اكثر من اعمال النساء إذ هناك من النساء تصل نسبتهنّ الى ٨٢% يعملنّ في المدارس الثانوية و٩٢% يعملنّ في المكتبات و ٩٥%

يعملنّ في رعاية الأطفال وهناك احداث صريحة تؤكد على الفصل بين الرجل والمرأة في سوق العمل . [Andersen and Taylor . 2013 . P. 265] .
ومن نافلة القول ان فصل النوع الاجتماعي يحصل ضمن المهن ، فالمرأة عادةً ما تعمل في اعمال مختلفة عن التي يعمل بها الرجل وعندما يعملوا ضمن المهنة الواحدة فانهم ينفصلوا الى فروع خاصة او انواع متباينة في العمل مثل بيع السلع فالمرأة تبيع سلع اقل قيمة مما يبيعهها الرجل ام انها تعمل في مطاعم تقدم وجبات طعام رخيصة الثمن ويدفعوا بخشيش قليل او تشتغل في البارات كنادلة او تختص بطب الأطفال او العمليات الجراحية التجميلية او طب الأسرة او الامراض النسائية او طب العيون والأسنان بينما الرجال في مهنة الطب يتخصصوا في العظام والجراحة والقلب والاعصاب والدماغ وسواها أي حتى ضمن المهنة الواحدة هناك اختصاصات ناعمة ندلف اليها المرأة ولا يدلف اليها الرجل واختصاصات تتطلب الجلادة وقوة الاعصاب يدلف اليها الرجل وليس المرأة والحالة مشابهة في الهندسة . لا اريد ان ابرح من هذه النظرية مالم اسجل زبدة محتواها فيما يخص علاقة الفصل الجندي بالفصل المهني ، أي هل الثاني يحدد الأول او بالعكس الأول يحدد الثاني ؟ في الواقع على الرغم من وجود تشريعات قانونية تحرم التعصب ضد المرأة ووجود حركات تحرر المرأة وتنامي الوعي الاجتماعي في عدم التمييز بينهما مع ارتقاء الثقافات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة علمياً وصناعياً فإن الفصل الجندي يخضع للفصل المهني وان النوع المهني يحدد كلاهما . أي يحدد الفصل المهني والأخير بدوره يحدد الفصل الجندي . فمثلاً الطب الذي يتطلب رقة وذوق وجمالية وانوثة تدلف اليها النساء والطب الذي يتطلب قوة عضلية وعصبية ورجولية يدلف اليها الرجال والاعمال الخدمية والرعاية والتنظيمية والتنظيفية يذهب اليها النساء ام الاعمال الادارية والحسابية والقيادية يذهب اليها الرجال . بينما الاعمال الفنية والذوقية والتقنية الدقيقة يعمل فيها النساء والاعمال الميكانيكية والبنائية واعمال المناجم يعمل فيها الرجال .

معنى ذلك ان نوع المهنة هو الذي يحدد الفصل المهني الذي بدوره يحدد الفصل الجندي ، المنحنى الجديد في هذه النظرية يقول لا الثقافة الاجتماعية ولا العرق ولا القومية ولا الدين ولا الطائفة تحدد الفصل الجندي بل الفصل المهني هو الذي يقوم بذلك وهذا لا يعني ان المهنة متعصبة للرجال ومتحيزة ضد النساء

..... كلا ، بل ان متطلبات المهنة ونوعها والزبائن الذين يتعاملوا معها ... هم الذين يحددوا نوع الجندر فالمهن التي تتطلب رقة وحنان وذوق ودقة وصبر ورشاقة وجمال واناقة يكون اغلب شاغليها من النساء بسبب تمتعها بهذه الصفات وهذا تعني تخصص مهني هو الذي فرض هذا الفصل على الرغم من وجود تشريعات ترفض الفصل بين الجنسين وعلى الرغم من ارتقاء الثقافات الاجتماعية والمجتمعات المتقدمة بقى الفصل الجنسي قائماً وهذا يعني لا الطبيعة البشرية ولا القوانين ولا الثقافات لها يد في اقامة الفصل الجندري بل نوع المهنة وما يتطلبه من فصل بينهما . في تقديري هذه النظرية اكثر من واقعية وادق عملية في تصوير المفاضلة الجندرية لأنها ترجع الى نوع المهنة ومتطلباتها .

٦ – نظرية التعصب العلني Overt Discrimination Theory

تأول هذه النظرية الفجوة القائمة بين الاجور المدفوعة للجندر ، هذه الفجوة تكون ناشئة عن التعصب صادرة من الرجل نحو المرأة إذ يقوم هذا التعصب على قاعدة المفاضلة بين طرفي مختلفين على الرغم من التقدم الحاصل في السنين الاخيرة فما زال التعصب الرجالي مستمراً بشكل علني الامر الذي وضع المرأة ان تبثلي بألم الغم في مكان عملها . ومما لا جدال فيه ان الرجال في المجتمع يمثلوا جماعة متسلطة في المجتمع لديهم بواعث حركة تحفظ ويصون منافعهم وفوائدهم في سوق العمل . انهم يقوموا بذلك من خلال ارساء قواعد تقدم مكافئات مفاضلة تجعل المرأة الاقليات العرقية تخضع تحت رحمتهم بحيث تحرمهم من الحصول على اجور عالية وخدمات نقابية وتمنحهم تشريعات عمالية بسيطة واولية . مثال اخر على التعصب العلني هو المضايقة المستمرة والازعاجات المرهقة لعمل المرأة في عملها بما فيها المضايقة الجنسية وباقي التودد الجنسي اثناء الاختلاط بين الرجل والمرأة في مكان العمل . علماء

الاجتماع يروا ان مثل هذه التحرشات والمضايقات تعكس تسلط الرجل في سوق العمل وتغذي مصالحه المهنية وصلاحياته في سوق العمل ، ولا غرابة من وضع النساء اللواتي يدخلن أعمال الرجال والمحيط المسيطر عليه الرجال في اعمالهم يعانون من الكثير من التحرشات الجنسية والعكس نادراً ما يحصل أي ان النساء نادراً ما يعاكسن الرجال في محيط عملهم ونادراً ايضاً ما نجد الرجل ضحية التحرش الجنسي من قبل النساء . ان التحرش الجنسي هو آلية رجالية يستخدمها الرجال للحصول على متعة جنسية لأن المرأة في نظره هدفاً جنسياً لتقديم المتعة للرجل .

اخيراً نستطيع ان نقول بأن النظريات السالفة التي طرحناها في هذا الباب توضح الفرق الواضح والعلني في اجور ورواتب المقدم للنساء اقل وادنى من الرجال والذي يخضع لتسلط الرجال على المجتمع والى نوع العمل والى رهافة الانثى في مشاعرها وقوتها وتفكيرها الامر الذي جعلها تكون في مستويات مهنية ادنى وبالذات لدخولها الى سوق العمل متأخر جاء بعد دخول الرجل اليه مما جعل الاخير يتسيد ويتحكم في مواقع المهن وادارتها لصالحه وليس لطالعه .

٧ – النظريات البيولوجية Biological Theories

هناك تأويلات اولية فسرت وشرحت عدم المساواة القائمة بين الرجل والمرأة من زاوية بيولوجية معبرة عن التفاضل بينهما مثل نظرية التفاضل النوعي في الحياة اليومية التي انطوت على المعادلة العلمية في شروحاتها لتمهيد مطروح من قبل علماء الطبيعة عبر البيولوجي الاجتماعي .

يركز اصحاب هذه النظريات على تأثيرات الهرمونات والجينات والكروموسومات وحجم الدماغ وعروقه العصبية على تقرير المفاضلة (اللامساواة) بين النوعين (الرجل والمرأة) جولد بيرغ حدد القاعدة البيولوجية المتألفة من تفاعل النظام العصبي مع النظام الهرموني الذي بدوره يدفع الرجل نحو السيطرة على المرأة . وهنا يمكن القول بأن نظريات القاعدة البيولوجية تؤكد على العوامل الفيزيولوجية الطبيعية من حيث تسببها للمفاضلة بين الجنسين بذات الوقت لا تستطيع من الناحية العملية ان تتحقق المساواة الكاملة داخل المجتمع . جدير بذكره في هذا السياق الى ان من احد الانتقادات الرئيسية

لنظريات القاعدة البيولوجية انها غالباً ما تستخدم معلومات عن السلوك الحيواني لتطبيقها على السلوك الإنساني هذا إضافة الى انها تمثل المؤثرات التاريخية والانثروبولوجية والاجتماعية على السلوك الإنساني وبالذات تلك الاحداث التي تقرر تغير سلوك الرجل والمرأة في مكانتهما وادوارهما عبر الزمان والمكان . بتعبير اخر ان هذه النظريات لا تأخذ بعين الاعتبار التغيرات التي يقوم بها الرجل والمرأة عند مرورهما من عمرهما الزمني وتعايشهما في اماكن مختلفة لأن الإنسان لا يبقى محافظاً على سلوكه دائماً وابدأً بل يغيره ويبدله ويعدله حسب تفاعلاته مع الاحداث ومع تقدم عمره واكتسابه للخبرات السلوكية والاجتماعية التي لا تجعله متصلباً في سلوكه بل مغيراً اياه .

ليس هذا فحسب بل هناك ايضاً نقاط ضعف وركاكة في هذه النظريات منشؤها الاستغراق (الإيمان بأن عرق الرجل اسمى من سائر الاعراق وفي التعصب ، الإيمان بأن طائفته ارقى من باقي الطوائف الدينية او التحيز لقومية معينة وسواها) بتعبير آخر ، الرجل الأبيض المنحدر من الطبقة الوسطى في المجتمعات الصناعية الغربية يعتبر الاستغراق والتعصب حالة سوية وطبيعية ومطابقة للسلوك الإنساني . ومن نافلة القول انه على الرغم من هذا الوهن التنظيري والنقد الموجه لها في هذا الخصوص فإن النظريات البيولوجية مستمرة في رواجها الهائل وشعبيتها في المجتمعات الإنسانية لدرجة ان كونيل (عالم اجتماع استرالي معاصر) يرجع هذا الشعبية الى كونها تمثل مرايا تعكس ما هو سائد ما هو سائد وشائع بين الناس ويطلقوا عليه علماً ولديهم تبريرات كثيرة بحيث تجعل الكثير من الناس يعتنقها بذات الوقت فإن هذه النظريات البيولوجية تقدم شروحات غير مقنعة للمفاضلة لأنها تؤكد على الاجسام الظاهرة الأمر الذي جعل بعض علماء الاجتماع امثال كونيل ان يعيدوا تقييمهم لدور الجسد في علاقته بالجنس بل وحتى التحليل النسوي اعاد نظرتة في تحليله مركزاً بذلك على الجسد وما له من ميزة قيمة في تحديد نوع الجنس ومفاضلة احدهم على الآخر . أي مفاضلة الرجل على المرأة .

ومن استجلاء اكثر عما تقدم نقول ان هذه النظرية تنطلق من قاعدة بيولوجية (وليست اجتماعية) متألفة من المكونات التالية :-

١- الهرمونات ٢- الجينات ٣- الكروموسومات ٤- حجم الدماغ

٥- العروق العصبية ٦- الاستغراق .

جميعها تعمل على تفاعل النظام العصبي مع النظام الهرموني الذي يدفع بالرجل للسيطرة على المرأة واستولاد عدم المساواة بينهما . ولو كان هذا السبب المطلق في المفاضلة بينهما لكان من المستحيل تطور مكانة المرأة ودورها في المجتمع وتعديل ميزان المعادلة بينهما . ولو كان هذا هو السبب الوحيد في المفاضلة عندهما لأمسى من غير الطبيعي ان تتفوق المرأة في العديد من المهن والمجالات الأسرية والاجتماعية .

إن تأويل هذه النظرية يلغي تأثير نوع المهنة والفصل المهني على الفصل الجنسي في العمل . اننا نقول بأن هناك تباين واختلاف في الطبيعة الجسدية بين الرجل والمرأة هو الذي يستولد التباين والاختلاف في وظائفهما الجنسية والاجتماعية لكنه لا يستولد تسلط الرجل على المرأة . المرجح هو ان القاعدة الاجتماعية المتألفة من (الثقافة الاجتماعية والدين والتنشئة الأسرية والاجتماعية والتعاليم التربوية والوسائل الاعلامية المرئية والملكية المادية) هي التي استولدت سيطرة الرجل على المرأة بدءاً بالتنشئة الأسرية ومروراً بالمدرسية وانتهاءً بالمهنية .

اما المعزز لهذه المفاضلة والسيطرة الرجولية على المرأة فهي الحروب والثورات والصراعات لأنها تتطلب القوة الجسدية والنزعة العدوانية . بينما تكون التطورات التكنولوجية والعلمية والصناعية مقلله ومميعة لهذه المفاضلة والسيطرة الرجولية .

وثمة حقيقة تنطوي على ذكر عدم مطالبة المرأة بإزالة هذه السيطرة الرجولية في المؤسسات العرفية والانتاجية والرسمية والمحافل الدولية والاعلامية كلها تجعل من الرجل ان يكون سيد الموقف والمتسلط والمتفضل على المرأة لأن الشخص الذي لا يطالب بإزالة الحيف والجور والظلم الممارس عليه يعني انه قابل بذلك وخامل في ابداء المبادرة في طلب المساواة وعدم المفاضلة عليه فلا يتوقع من الاخرين التبرع بالدفاع عن الحيف الذي وقع عليه وان حصل فإنه من باب التكسب السياسي والإنساني والنفاق الاجتماعي .

٨ – نظريات التنشئة Socialisation Theories

الوظيفيين (منظري الوظيفة الاجتماعية في علم الاجتماع) اثروا على نظريات التنشئة الاجتماعية من خلال تركيزهم على العوامل الاجتماعية اكثر من تأكيدهم

على العوامل البيولوجية عند تأويلهم وتفسيرهم للمفاضلة بين الجنسين ، وإزاء هذا التركيز ظهر هناك دورين مختلفين للجنس هما الدور الذكري والدور الانثوي وكل منهما لديه توقعات خاصة به تختلف عن توقعات الآخر يتعلمها منذ طفولته عبر تنشئته من قبل والديه وافراد اسرته . أي يتم تعليمه التماثل والتماهي مع دوره الانثوي إذا كانت بنت ودوره الرجولي إذا كان ذكراً ، يحصل هذا عندما تلتي التوقعات مع المعايير الملتصقة بدوره والمحفزة على ادائها كما هو متوقع منه وعبر العقوبات السلبية مثل يجب على البنت ان لا تلعب كرة القدم ، وهناك عقوبات تقع على كل من لا يتماثل ويتماهي مع هذه النظريات المطلوبة من كل دور . فضلاً على ذلك ، هناك - في هذه النظريات - مفاضلة جندرية ترجع الى كون المرأة والرجل قد تنشئوا على ادوار مختلفة تم ترجمتها على هذه الرؤية بشكل واضح وعلني لكن مع ذلك فإن هذه النظريات أهملت قضايا مهمة مثل المعايير والقيم الخاصة بالتوقعات الدورية في نظر المحيطين بهم .

لا جناح من القول عن هذه النظريات بأنها بالغت في تأكيدها على المماثلة الارادية التطوعية للمعايير الخاصة بالمؤسسات والبناء الاجتماعي التي تركز على السلوك الأنثوي والذكوري علاوة على ذلك فإن دوري الجنس يتماثلان بواسطة هذه الرؤية المبنية على الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة الذين يعتبران لا يمثلان مشكلة . هذه النقطة ناقشها كولين عندما قال بأن نظرية التنشئة متضمنة منذ بداية نقاشها الاختلاف البيولوجي لكنها ليس لديها مفهوم اجتماعي نظري وليس لديها قاعدة للمفاضلة بين الرجل والمرأة . [Pilcher . 2001 . P.p 71 – 72] .

تعليقي وتعقيبي على هذه النظرية مستنداً على محتواها وسياق عرضها المنطوي على الدور الاجتماعي (ذكوري وانثوي) والتوقعات الاجتماعية التي تم تطبيع الفرد عليها من قبل والديه واسرته وتعليمه عبر ضوابط المكافئة والعقوبة نماذج سلوكية تحدد ثقافتها اسرته الاجتماعية بأنه ذكر او انثى مثل بالنسبة للذكر (لا تبكي عندما تتألم او عندما لا تحصل على ما تريد لأن الولد لا يبكي ، البكاء فقط للبنات . و عليك ان تكون قوياً وتغلب الآخرين لأن البنت وحدها الضعيفة) اما بالنسبة للبنات (لا تلعب كرة القدم بالشارع لأن هذا خاص بالأولاد ، ولا تصرخي بوجه اخيك عندما تطلبي منه شيئاً ، وعندما تجلسي لا تكشفني عن ساقيك ، وعندما تضحكي لا تضحكي بصوت عالٍ) .

ديدي هنا تأكيد هذه النظرية على عملية التطبيع لكي يتغلب على الطبع أي اكساب الفرد نماذج سلوكية تحددها القاعدة الاجتماعية والثقافية الخاصة بالجسد الذكري والجسد الأنثوي لتحويلهما الى الولد – الرجل والبنت – المرأة لأنهما لا يولدان رجلاً او امرأة بل التنشئة الأسرية والاجتماعية هي التي تحولهما ليكونا رجلاً او امرأة وهذا يعني ان الجندر منتج وتكوين ثقافي ليس إلا ولا دخل للقاعدة البيولوجية بذلك .

ومن نافلة القول ان الثقافة المعاصرة في المجتمعات الصناعية ساهمت في هذا التطبيع التنشئي الجندري من خلال تصنيع وانتاج ملابس خاصة بالولد (ذات اللون الأزرق) وملابس خاصة بالبنت (ذات اللون الوردي) وكذلك لعب الأطفال والقصص والأفلام المتحركة وهنا دعمت وعززت الثقافة الصناعية والاعلامية في المجتمعات المتقدمة التطبيع الجندري وجعلته طاغياً على الطبع البشري او الطبيعية البشرية مؤكداً بذلك اختلاف الجنسين ومفاضلة الولد على البنت في الحياة العصرية الذي جاء امتداد واستكمال للحياة التقليدية في التنشئة الأسرية وهنا نستطيع ان نقول ألا كان بإمكان الأم ان تعترض على هذا التطبيع الصناعي والاعلامي ؟ ام هي راضية ومؤيدة ذلك ؟ كذلك ألا كان بإمكان الم ان تطّبع اولادها على الجندر يأتي من الطفولة وليس بعد الرشد وهذا قصور المرأة الأم تحديداً لأن الأب ليس من مصلحته ان يقوم بذلك بل من صالحه ان يعزز مفاضلة الأبن على البنت .

٩ – نظريات المساواة الجنسية Feminist Theories

عندما نقارن نظرية المساواة الجنسية مع نظريات التنشئة الاجتماعية فأننا نجد ان نظرية المساواة الجنسية للجندر علاقة تستطيع ان تقدم مفاهيم اجتماعية اكثر واغزر عن الاختلافات الحاصلة بين الرجل والمرأة مع التركيز الكبير على العوامل البنائية والمؤسسية . هناك عدة نظريات تناولت المساواة الجنسية لدرجة انها اخذت مساحة كبيرة من اهتمامات المثقفين ورجال القلم والعلم والمعرفة مركزين على عدة اوجه من علاقات الجنوسة (الجندر) في شروحاتهم للمفاضلة الجنسية . ومنذ العقد السابع من القرن المنصرم برزت ممارسة شائعة شطرت نظريات المساواة الجنسية الى مجاميع مثل المساواة الجنسية الماركسية واخرى المتطرفة وغيرها من اجل تسليط الضياء على

المفارقات القائمة بينهما مع ذلك وخلال العقد التاسع من ذات القرن ناقش العديد من الكتاب المهتمين بالمساواة الجنسية هذا الموضوع وهذا التشطير فقالوا عنه بأنه لم يعد ذا فائدة بعد الان إذ بات اشبه بالطروحات للديمقراطية المدعية التي فشلت في تطبيق العدالة أي كانت مضلله ومغالطه لروح الديمقراطية الليبرالية ، علاوة على ذلك بسبب كثرة الحديث عن المساواة الجنسية في هذه النظريات المعاصرة صارت مكررة في مواضيعها ومتداخلة من تحليلاتها ومرئياتها ومواضيع اهتماماتها .

إن سياق حديثي يلزمني ان لا اغفل حقيقة التفريق والتميز بين الكتاب والمنظرين الذين تناولوا موضوع المساواة الجنسية لانه ليس كل من كتب فيه له نفس التفكير والتحليل والمنطق . بمعنى ان ليس جميع من انطوى تحت عنوان المساواة الجنسية المتطرفة له نفس المصطلحات والاليات والتحليل والمنطق بل يختلف بذلك ، اضافة الى وجود كُتاب ومنظرين مستقلين لم ينتموا الى أي مسمى (ماركسي او متطرف) انما يعبروا عن افكارهم ورؤيتهم الخاصة بهم وهذه مسببة لمشكلة بناء ومدة التنظير في المساواة الجنسية . ثم تطبيق النظرية المميزة والمعروفة بطابع خاص بها (متطرفة او ماركسية) قد لا تعكس عقلية المنظر الأمر الذي يجعل تطبيقه لها غير مناسب . لذلك نرى ان من الضروري مراجعة المنطلقات التي خرج منها كُتاب ومنظري نظريات المساواة الجنسية والتأكيد من الدافع الحقيقي الذي جعلهم يستخدموا الفكر المتطرف او الماركسي لأن القراء يحتاجوا الى معرفة هذا التميز المتخصص إذ قد تكون هناك ثنائيات زائفة او كاذبة وبالذات عند الذين يقارنوا المفاضلات الجنسية مع اللا مساواة بين البيض والملونين او بين الطبقات الفقيرة والجماعات النسوية . اقول ثنائيات غير متشابهة في منهجها وتركيزها وهذا بدوره يسيء الى بناء نظرية المساواة الجنسية وبالتالي تعد مثلبة من مثالبها .

تميط هذه النظرية اللثام من تبعية المرأة للرجل في النظام الرأسمالي والنظام الأبوي (البطريقي) إذ كلاهما يستغلا المرأة في عدم منحها حقوقها (المالية في عملها المنزلي والرأسمالي) وهذا وحده كاف لتوضيح عدم المساواة بين الرجل والمرأة ومفاضلة الرجل عليها وان استئصال هذه المفاضلة لا يتم إلا بتطبيق الغاء الصراع الطبقي بين الطبقة المالكة لوسائل الانتاج والطبقة الفاقدة لها واحلال محله نظام تقسيم عمل قائم على المبادئ الماركسية المناديه بالمساواة

بينهما . هذا ما تنادي به النظرية الماركسية في مساواتها الجنسية لكن على الرغم من هذه الطروحات فإن هناك انتقادات وجهت اليها التي تقول بأنها بالغت في تركيزها على العلاقات الطبقية وعلى الرأسمالية وبلورتها جندر تمثل نظام تقسيم اجتماعي مستقل .

اوضحت الباحثة ماينارد ان تحليلات نظرية المساواة الجنسية ركزت على تنظير علاقة المرأة بالرجل وتبعيتها له واعتبرته تقسيم اجتماعي اولي وجوهري في النظام الأبوي (البطريقي) . اما النظرية المتطرفة في المساواة الجنسية فأنها اكدت على جسد المرأة في استخدامه الجنس وحمله وانجابه وامومته والعنف الممارس عليه من قبل المغتصب والاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة .

ثم هناك منطلق سلط ضيائه على تبعية المرأة في النظام الأبوي (البطريقي) والرأسمالي موضعاً النسق المزدوج الذي ركز عليه كل من التحليل الماركسي والنظرية المتطرفة وانتفاع الرجل من تبعيتها له وتوضح ايضاً لماذا وكيف مارس الرجل ظلمه وجوره على المرأة وهذا ما ظهر في كتابات كل من ديلافي وليونارد موضحين تناقضات الماركسية والمتطرفة في هذا الطرح .

لكن هناك انتقاد موجة للماركسية وهي مبالغتها في تركيزها على الطبقة والرأسمالية كذلك بالغت المتطرفة في تأكيدها على الجنس البيولوجي وهذا يوضح النسق المزدوج الذي يضم المنطلق الرأسمالي والأبوي من حيث كونهما متكافلان ومعتدان الواحد على الآخر في نظريتهما للمساواة الجنسية بين الرجل والمرأة واضطهاد المرأة والانتفاع من خنوعها وتبعيتها للرجل . وإزاء هذا الاشتراك يمكن القول عن هذين المنطلقين (الرأسمالي والأبوي) بأنهما يلتقيان بأكثر من قاسم مشترك بينهما وهذا لا يمكن ازالته من المجتمع إلا بإزالة المفاضلة الجندرية وهذا امر بعيد المنال . اما نظرية النسق المزدوج فأنها تتضمن ركافة وعدم الدقة في وضوحها للعلاقة القائمة بين النظام الأبوي والرأسمالي والجندر والطبقة وهذه مثلبة موجهه ضدها ، ولا ننسى التعصب العرقي في نقد المرأة الملونة في المفاضلة الجندرية الذي يزيد من تعقد العلاقة بين الرجل والمرأة ولا ننسى ايضاً عدم وجود نظرية كونية تصوّر هذه المفاضلة في كافة انواع المجتمعات الإنسانية طالما هي سائدة ومنتشرة في المجتمع الإنساني . ثم ان نقد المرأة البيضاء لا ينطبق او يتطابق مع المرأة الملونة في

علاقتها بالرجل وتبعيتها له وهل يتماشى الرس والقومية مع النسق الأبوي والرأسمالي؟

لا نريد ان نبرح من موضوع نظريات الجندر ما لم نسجل بعض الملاحظات حولها وهي : إذا كنا نعتبر الجندر مشكلة اجتماعية فهي إذن لها عمق تاريخي في حياة المجتمع الإنساني وعلاقة الرجل بالمرأة وهذا يعني انها ليست حديثة العهد . وإذا كنا نعتبرها ظاهرة اجتماعية فهي أيضاً كذلك ليست بجديدة التكوين وفيها العديد من الاختلافات بين الرجل والمرأة مثل العمر والانتماء الطبقي والعرقي والقومي لأنها من نتاج الطبيعة البشرية وتفاعلها مع المحيط الثقافي والبيئة الاجتماعية ولم يحصل في أي مرحلة تاريخية او مجتمع انساني معين يمثل جنساً واحداً أي لا يوجد مجتمع يعكس الأنوثة وحدها او الذكورية وحدها .

اما عن النظريات المذكورة اعلاه فإن فيها مثالب في بنيانها وتحليلها وهي :

١- لم تربط المفاضلة الجندرية بباقي المفاضلات الاجتماعية مثل المفاضلة الطبقية او العرقية او القومية او الطائفية او الدينية .

٢- جميعها اوضحت دور البناء الاجتماعي في ممارسة الظلم والجور الممارس على المرأة ومنبع صدورهم من النظام الأبوي او الرأسمالي او البيولوجي او العرقي ولم توضح مقاومة وكفاح ودفاع المرأة عن نفسها ولم توضح كيف حصل بعض التغيير في علاقة الرجل بالمرأة عبر الزمن؟

٣- اوضحت هذه النظريات تأثير الثقافة على انوثة المرأة ورجولة الرجل وزعمت انها صنيعة الطبقة والعمر والعرق . وهذا غير كافٍ .

ديدنة هذه النظرية ابتغاء المطالبة بالمساواة بحق المرأة داخل المجتمع (دوراً وموقعاً ونسيجاً وقراراً وتنظيماً وقانوناً وعرفاً وتعليمياً وعملاً واجوراً وقضاءً وانتاجاً وتمثيلاً وتنشئاً وامتلاكاً) أي مساواتها بحقوق الرجل طالما هما افراد مجتمع واحد ومواطنه واحدة ولهما مسؤولية اسرية ومجتمعية ووطنية واحدة ، فلماذا يقع التفريق والمفاضلة بينهما ؟ وعطفاً على ذلك فإن الحركة النسوية (الأنثوية) Feminism لا تمثل طريقاً فكرياً منفرداً او طريق واحد للتصرف بل هي تشير بالدرجة الأساس الى الدفاع بشكل ملحوظ ومتزايد لعدالة المجتمع في عدم هضم حق المرأة . اما نظرية نصير المرأة فقد تبلورت من خلال الحركة النسوية المنطوية على التحليل الهادف لتفهم موقع المرأة في المجتمع من

اجل تحقيق هدف واضح وصريح يصلح ويحسن موقعها داخل المجتمع . هذا ما نجحت عليه الحركة النسائية .

ومن استجلاء اكثر عما تقدم اعرج الى مدارات ومحيطات نظرية المساواة الجنسية وهي ما يلي :

- | | |
|----------------------|------------------------------------|
| Liberal Feminism | أ- المساواة الأنثوية الليبرالية |
| Socialist Feminism | ب-المساواة الأنثوية الاشتراكية |
| Radical Feminism | ت-المساواة الأنثوية المتطرفة |
| Multiracial Feminism | ث-المساواة الأنثوية متعددة الاعراق |

أ- المساواة الأنثوية الليبرالية

بدأ طور هذه الحركة منذ ظهور الليبرالية البريطانية مع بداية القرن التاسع عشر التي كشفت عن الممارسات المفاضلة للرجال على النساء وعدم المساواة بينهم داخل المجتمع موضحة الحواجز والموانع التي كانت قائمة امام تقدم حركة المرأة في مسيرتها داخل المجتمع . هذا الكشف والتوضيح الذي آلت عليه الحركة كان منطلقاً من تأكيدها الدؤوب على حقوق الأفراد وتكافؤ الفرص كقاعدة اساسية للعدالة الاجتماعية والاصلاح المجتمعي . إن ابتغاء هذه الحركة هو تغذية ودعم وتعزيز العديد من التغييرات الشرعية المطالبة بتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة .

حري بنا ان نشير الى ان هذه الحركة في الوقت الراهن وفي المجتمع الامريكي تحديداً تنطوي على تنشئة النوع الاجتماعي (الجندر) عبر تعليمها وتوعيتها وتنبيهها للمفاضلة وما تؤول اليه من مساوى على حقوق المرأة في المجتمع وبعملها هذا فإنها (أي الحركة النسوية) تدفع المجتمع نحو التغير الليبرالي وإزالة الحواجز والموانع التي تقف امام طريق المرأة في المجالات السياسية والاقتصادية والصناعية والتربوية والأسرية من اجل ارقاء حقوقها وجعلها متساوية مع حقوق الرجل .

ب- المساواة الأنثوية الاشتراكية

هذا المدار المحيطي لنظرية نصير المرأة يمثل تطرفاً صريحاً في تفسيره لجذور ظلم المرأة والجور الذي ارتكبه النظام الرأسمالي عليها الذي جعل منها ان تكون

مورداً بخساً للعمل الأمر الذي جعله يسخرهنّ ويستغلهنّ عبر نظامه الرأسمالي محولاً إياها عبدة له اشبه باستغلاله للطبقة العمالية . إن سياق الحديث يلزمني ان لا اغفل ان الحركة النسوية الاشتراكية توضح تفاعل الرأسمالية مع النظام الأبوي (البطريقي) في جعل المرأة اقل نفوذاً وقوةً كامراً وكعاقلة معاً . ومن هذا المنطلق انتقدت الحركة النسوية الاشتراكية الحركة النسوية الليبرالية بسبب مفاضلتها المبنية على النظام الرأسمالي والأبوي معاً . فلا غرو إذن القول بأن هاتين الحركتين النسويتين يريين مساواة المرأة بالرجل لا تتحقق إلا عندما يتغير النظام السياسي والاقتصادي .

ت- المساواة الأنثوية المتطرفة

ينطوي هذا المدار المحيطي لنظرية نصير المرأة على تفسيره السبب الرئيسي للظلم والجور الواقع على المرأة ذلك السبب هو النظام الأبوي (البطريقي) ويؤكد هذا المدار المحيطي على ان أصل هذا الظلم قادم من هيمنة الرجل على جسد المرأة عبر العنف ضدها على شكل اغتصاب وتحرش جنسي وعنف اسري وسوء معاشرة جنسية كلها آليات يستخدمها الرجل للتأكيد على قوته داخل المجتمع . وإزاء هذا التفسير والتأويل ترى هذه الحركة بأن التغيير لا يتم إلا بتغيير النظام القائم المسيطر عليه من قبل الرجل فإذا تم تغيير النظام فإن ذلك يعني إزالة سيطرة الرجل عليه وعلى جسد المرأة .

ث- المساواة الأنثوية المتعددة الاعراق

آلت هذه الحركة على ابتكار قناة جديدة في نظرية نصير المرأة تناسب الجمع بين العرق والطبقة والجنس في دراسة واقع المرأة في المجتمع العصري مختبرةً تفاعل هذه المتغيرات الثلاثة في استغلال المرأة والرجل من قبل المتحكمين في المجتمع وبالذات في المجتمع الرأسمالي والعنصري وبهذا الابتكار عادت هذه الحركة طريقاً جديداً للإناث في دراسة واقعهم السياسي والاجتماعي وكيفية تغييره بشكل مغاير للحركات الثلاثة السلفه الذكر .

انظر جدول رقم - ١ - الذي يقارن المدارات المحيطية التي تتضمنها نظرية نصير المرأة

المساواة الجنسية الليبرالية	المساواة الجنسية الاشتراكية	المساواة الجنسية المتطرفة	المساواة الجنسية المتعددة الاعراق
هوية الجندر	مكتسبة	من	تعكس حاجات
		تماهي المرأة مع	لون بشرة

الرجل والمرأة يشكل شعور معارض كرد فعل ضد الظلم	تسلط الرجل على المرأة	النظام الاقتصادي	خلال التنشئة	
العرق والطبقة والجنس لييلور قاعدة التسلط	النظام الأبوي يمثل قاعدة لضعف المرأة	تأتي مفاضلة الجنس من العلاقات الطبقية	المفاضلة ناتجة عن موانع رسمية لفرص متساوية	عدم المساواة بين الرجل والمرأة
النساء الملونات يصبحن وكالات للتغير الأنثوي عبر اتحادهن مع جماعات اخرى	التحرر يأتي على انه تنظيم النساء من قبلهن	تحول تقسيم الجنس للعمل يصاحبه تغير في تقسيم العمل الطبقي	يتم التغير عبر صيغة شرعية وتغير المواقف	التغير الاجتماعي

جدول رقم - ١ - أخذ من كتاب Andersen and Taylor ص ٢٦٩ .

١٠ - نظرية س . والبي ١٩٩٠ البطريقية

شرحت س . والبي لماذا هناك مفاضلة جذرية (مفاضلة الرجل على المرأة) في المجتمع وكيف يعضد الرجال والنساء جوهر النظام الأبوي (البطريقي) بالنسبة لوالبي النظام الأبوي ما هو سوى نسق لبناء المجتمع الممارس يكون فيه الرجل متسيد ومتسلط على المرأة فسخرها لخدمته بظلم وليس برغبتها . وقد اوضحت والبي هذا التسيد الظالم الى مفاضلة نسقية للنظام البطريقي وهي (الانتاج المنزلي ، العمل الأجير ، الحكومة ، عنف الرجل ، الجنس ، الثقافة الاجتماعية) وجميعها تؤول الى الاستغلال والتسخير العميق والشامل والمتراطب بخنوع المرأة وتبعيته لموقعه مع ذلك ذكرت والبي ان النظام الأبوي يسمح للتغيير عبر الزمن أي لا تبقى المرأة خانعه وتابعه بشكل مطلق دائماً وابدأ بل تحصل بعض الفرص يتاح لها بالخروج عن محيط التبعية . ثم اوضحت والبي حالة النظام الأبوي في المجتمع قد طراً عليه تحول امسى الانتقال من الشكل الخاص الى الشكل العام . ففي النظام الأبوي الخاص يدور تسليط الرجل داخل محيط الأسرة والشؤون المنزلية لكنه لا يستبعد استغلال الرجل للمرأة وتسخيرها في اشغال المنزل وهنا

يكون النساء سجينات بشكل واضح في دائرة الشؤون المنزلية مع المشاركة المحدودة في مناشط الحياة العامة .

اما في النظام الأبوي العام فإن النساء يكونون غير مستثنيات ومستبعدات من وعن مناشط الحياة العامة بل يواجهنّ المفاضلة (عدم المساواة بينهما وبين الرجال) عليهنّ والتعصب ضدهنّ مثال على ذلك العمل الأجير لا تكن اجورها متساوية مع اجور الرجل الذي يقوم بنفس العمل . بيد ان والبي تؤكد على ان الحركة النسوية او حركة المساواة الجنسية هي المفتاح الرئيسي لجلب التغيير وتحريكه من مناشط الحياة الخاصة (المنزلية) الى مناشط الحياة العامة أي تحويل النظام الأبوي من الخاص الى النظام الأبوي العام عبر كفاحها المستمر والدؤوب لكي تحصل على التصويت في الانتخابات من اجل دخولها في سلك التعليم والاشتغال في مهن وتحقيق مكاسب حقوقية قانونية في امتلاك العقار وحصولها على حقوق الزواج والطلاق وسواها بيد ان كل ذلك لم يؤدي الى اندحار النظام الأبوي ولم يجعل من المرأة محررة من وظيفتها الأسرية (ربة منزل) ولم يقلل من استغلال المجتمع لها . إذن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو هل نجحت نظرية والبي في اداء رسالتها التنظيرية ؟ الجواب على هذا السؤال يكون كالآتي : يمكن القول بأن قضايا النظرية الأربعة للجندر متماهية وهي ما يلي : قضية العلاقة بين الجندر وباقي اشكال المفاضلات ، حيث ادعت والبي ان الانساق الثنائية التي جمعت بين النظام الأبوي والرأسمالي بشكل مغاير للانساق الثنائية المبكرة إذ هناك صراع وتوتر يحصل بينهما بسبب منافستهما حول استغلال المرأة . ثم اضافت والبي متغير العرق كنسق ثالث يفسر الظلم والجور الممارس على المرأة وادى بذات الوقت الى تقسيم باقي الانساق انما ليس بشكل بارز . لقد تم توجيه انتقادات لنظرية والبي من زاوية تعاملها للجندر وعلاقته بباقي اشكال المفاضلات الاجتماعية إذ وضعت والبي صورة الانساق الثلاثة بشكل منفصل ومستقل الواحد عن الآخر حيث تواجه المرأة الظلم والجور في النسق الطبقي والعرقى . وهناك انتقاد تم طرحه من قبل انثياس ويوفال – ديفز قالوا لا يمكن صهر علاقة النظام الأبوي مع الرأسمالي والعرقى بشكل تام كذلك لا يمكن صهر علاقة الطبقة بالعرق في مفاضلات الجندر .

خليق بنا ان نقول ان نظرية والبي ساعدتنا في تمييزها بين الوكالات البشرية وعلاقاتها المشتركة مع البناء الاجتماعي وشرحها للوكالات وعدها

مفاتيح رئيسية في احداث تغير النظام الأبوي من الخاص الى العام وذلك من خلال تأكيدها على دور المرأة المهم الذي لعبته في احراز تقدم لها في الحياة العامة . هذه نقاط قوة لنظرية والبي إلا عن هناك انتقادات وجهت لها مثل تركيزها على التحليل البنائي واهمالها الأفراد المهين في المجتمع وادعائها بان نظريتها تتضمن مفاهيم متماسكة وهنا اكدت على النظام واهملت الوكالات فضلاً عن قصور نظريتها عندما قلت من اهمية الجسد في العلاقة الجندرية وركاكة ووهن نظريتها في توضيح اشكال المفاضلات الاجتماعية وعلاقتها بالبناء الاجتماعي ، علاوة على فشلها في مواجهة فقرات ظهرت بعد ظهور نظريات ما بعد الحداثة ولا ننسى تجنبها للخلفية التاريخية وتأثير الاختلافات الثقافية وتنوع الخبرات عند الرجل والمرأة لكن على الرغم من كل هذه الانتقادات فإن نظريتها قد افادت النظريات القديمة التي تناولت موضوع الجندر .

نردف الان الى تقديم تعقيبنات وتعليقنا عن هذه النظرية التي اجملت عبر ما قدمته س . والبي حول النظام الأبوي (البطريقي) الذي هو محور البناء الاجتماعي في المجتمع الذي شخصته حركة والبي من المدار الخاص الى المدار العام أي من الأسرة الى الانماط والانساق البنائية التي يكون فيها الرجل متسيداً ومتسلطاً على المرأة وابقائها في محيط الأسرة كسجينة له ولمنزله واکدت والبي انه على الرغم من تطور المجتمع الإنساني بقت المرأة تابعة للرجل في الأسرة والعمل داخل وخارج المنزل والتنظيمات السياسية والاقتصادية والتربوية والطبية . ولم تنسى والبي كفاح ونضال المرأة في الحصول على مكاسب يحقق لها بعضاً من المساواة مع الرجل في التصويت الانتخابي وسلك التعليم والعمل والحقوق القانونية في امتلاك العقار وزواجها وطلاقها . لكن وعلى الرغم من ذلك فإنها لم تدمر النظام الأبوي ولم يحررها نضالها من قيود الرجل في استغلاله في الأسرة والعمل والتنظيمات الرسمية واوضحت والبي ايضاً الى ان النظام الرأسمالي الأبوي والعرق والطبقة جميعهم يتنافسون في استغلالها واستعبادها لصالحه .

ديديني من هذا التعليق هو القول بأن نظرية والبي تفردت بإرجاع اللا مساواة الجندرية الى النظام الأبوي السائد في كل المجتمعات الإنسانية الذي يمثل جداراً صلباً وشاهقاً لم تستطع المرأة من هدمه او إزالته امام كفاحها في تحقيق مساواتها مع الرجل .

١١ - نظرية كونيل ، نظرية الجندر الاجتماعية

لم تعطِ هذه النظرية اهمية بالغة لموضوع لماذا هناك مفاضلات ولا مساواة بين الرجل والمرأة داخل المجتمع بقدر اهتمامها وتركيزها على كيف استطاعت هذه المفاضلات واللا مساواة من الاستمرار في وجودها داخل المجتمع ودوام تأييد المجتمع لها ؟ ليس هذا فحسب بل اهتم كونيل بعلاقة الجسد بالجندر معتبراً اياها قضية حاسمة وجوهرية لكل نظرية مهتمة بالجندر . لأنه يرى ان الجندر ما هي سوى نهاية نتاج الجسد البشري للطاقت الجنسية التي تحدد الرجولة والأنوثة ومن ثم تأتي الوكالات الاجتماعية مثل الثقافة الاجتماعية والمؤسسات البنائية لتضفي سمات وميزات تغذي مكونات رجولة الرجل وانوثة المرأة . أي انها وكالات تقنن وتقيد الفرد ليتصرف حسب ما تملي عليه لكي تتطابق مع جسد الفرد . اقول ان كونيل يرى ان عمل الفرد ونفوذه ومشاعره العاطفية واحاسيسه النفسية بل وحتى جنسه يخضع لتأثيرات البناء الاجتماعي . معنى ذلك ان كل تصرفات الفرد سواء كان رجلاً او امرأة هي مقننة ومقيدة من قبل وكالات البناء الاجتماعي .

ومن نافلة القول ان هذه الوكالات الثقافية تكون مترابطة بعضها ببعض مكونة ما يطلق عليها كونيل بنظام الجندر gender order يعكس بنية العلاقات الجندرية في المجتمع سواء كان ذلك على صعيد الفرد او المؤسسة عاكسة سيطرة الرجل على المرأة مبرراً هذه السيطرة تبريراً ايديولوجياً يوضح تراتبية الجندر gender hierarchy المتضمن مستويات متدرجة تُصنف حسبها الرجولة والأنوثة . ففي القمة تكون فيها القوة الجسدية ومتانتها والعلاقات الجنسية المتغايرة (رجل مع المرأة) واجور العمل هذه هي الرجولة النموذجية التي يتصف بها الرجال . اما الامتيازات التي يحصل عليها الرجال فتكون من قبل الرجولة المتباهية complicit masculinity كما يسميها كونيل ، ثم تأتي بعدها الذين لا يتمتعون بسيطرة رجولية . اما في قاع تراتبية الجندر فتقع الأنوثة وهي ايضاً تنطوي على اشكال متدرجة مثل المطاوعات والخنوعات والمقاومات وجميعهنّ تابعات للرجولة .

تنطوي هذه النظرية على تبصير القارئ بان ليست جميع الرجولة بمستوى واحد ومواصفات وميزات واحدة ولا الانوثة متصفة بمستويات ومواصفات واحدة بل هناك تدرجات متفاوتة في الدرجة لا بالنوع وهذه التفاتة انتبه اليها

كونيل لم يتم تناولها وتوضيحها من قبل منظرين آخرين سبقوه في هذا الطرح . فضلاً عن انه لم يهمل اهمية الجسد في حصر وتقييد خصائصه الثقافية . أي لا يمكن ان يمنح المجتمع ولا ثقافته خصائص رجولية للمرأة او بالعكس . بمعنى ان الجسد يمثل القاعدة والتي تبنى عليها خصائص الرجولة والأنوثة وهذا تجسيد ثقافي بين الجسد والمجتمع وهذه ميزه انتبه اليها كونيل .

ثم الميزة التي تفرد بها كونيل استخدامه لمصطلحات اجتماعية مفصلاً فيها تحليله مثل نظام الجندر وتراتبية ، الجندر وتملقه انها تمثل تطوراً في بناء نظرية خاصة بالجندر تميزت عن باقي نظرياتها .

لا جرم من القول بأن هذه النظرية تؤكد على عدم ثبات واستقرار علاقات الجندر لأنها متغيرة بشكل مستمر وذلك راجع الى الانشطة الاجتماعية التي يمارسها الأفراد الهادفة الى المقاومة والمماثلة في ذات الوقت وغالباً هذا ما يؤدي الى تمزيق وتغيير سيطرة الرجولة التي تؤول في النهاية الى التغيير تبعاً . ففي المجتمع الصناعي المعاصر يقول كونيل " لم تبقى سيطرة الرجولة على مناحي ومناشط الحياة الاجتماعية سائدة بل تصبح اقل سيطرة مدعومة من قبل سياسة الحكومة الصناعية الأمر الذي يؤدي فيما بعد الى إضعاف سيطرة الرجولة وتمزيق نسيجها فتظهره حالات عديدة ومرتفعة النسب في حالات الطلاق والعنف المنزلي (العائلي) واغتصاب الزوج لزوجته واستقلالية الإحالة على المعاش (التقاعد) واستقلالية دفع ضريبة دخل المرأة المتزوجة وسواها . ثم تأتي ضغوط المرأة على الرجل في هذا النوع من المجتمعات متأتية من الانحرافات الجنسية للمنحرفين وحركات تحرر المرأة وتحرر المنحرفين جنسياً والطبقة العمالية الأنثوية والمعارضة السياسية الصادرة من الرجال المتغاييرين جنسياً (الرجل مع المرأة) كل ذلك يوضح ضغوطات جديدة تمارس على نظام الجندر لصالح المرأة وتقليص الفجوة في عدم المساواة بين الرجل والمرأة متماشية مع تقليل تأثير اشكال المفاضلات الاخرى داخل المجتمع التي في طريقها الى الاستئصال " .

ومن اجل تمحيص ما تقدم نسأل السؤال التالي : هل نجحت نظرية كونيل في ايجاد قضايا وصعد الجندر ؟ في الواقع القضية الرئيسية التي تعكس الجندر بباقي المفاضلات الاجتماعية اوضحت ما يلي : ١- عند وصف بنية الجندر للعمال قال كونيل عنها ان تقسيم الجندر هي الأساس الجوهرى للرأسمالية لكن

بشكل عام فإن النظرية أي نظريته قد تم نقدها لعدم منحها اهتماماً كاملاً للعرق او الرس وقد اعترف كونيل بهذا الضعف والقصور عن الرجولة إذ قال فيها ان الجندر محتومة ولا مفر منها وبالذات عندما تندمج مع القومية والطبقة والمواقع الاجتماعية . ٢- قضية البناء والوكالة وهنا تكمن قوة نظرية كونيل لأنها اعطت اهمية للمؤسسات الاجتماعية والأبنية التي يكونها الأفراد . ٣- اما قضية النفوذ والصراع والمقاومة والتغيير فهي تمثل محور نظريته متلازمة مع تركيز نظريته على ابداعات الأنشطة الاجتماعية ولا ننسى تركيزه على الجسد وعلاقته بالمفاضلات بيد انه لم يوضحه بمرحلة ما بعد الحداثة وذلك راجع الى حساسيته للاختلافات الثقافية وتنوع الرجولة والأنوثة . ٤- اخيراً لم تسلط نظريته على الضياء الكافية على العلاقة الدقيقة بين الجندر وباقي اشكال المفاضلات الاجتماعية وبالذات مع العرق .

ديديني في تقييمي وتعقيبي يتمثل في عدم التماس الرمز والتلميح بل التوضيح المتجذر في تصوير المنظر الاسترالي كونيل للجندر الذي اختلف كل الاختلاف عن التنظيرات السالفة الذكر حيث امسى تنظيره متوجاً للتنظيرات الجندرية السابقة عليه وهي :

١- خروجه عن المؤلف عند المنظرين السابقين في سؤالهم عن لماذا وجدت اللا مساواة بين الجنسين داخل المجتمع وهذا اول تفرد تفرد به عن الاخرين من المنظرين .

٢- ثم تساءله عن سر استمرار اللا مساواة في وجودها .

٣- وما هو مكنون تأييد المجتمع لهذه المساواة . أي هل هو المستفيد من ذلك ام طرف واحد ومنهما ؟

٤- اعتباره الجسد البشري مصدراً ومنبعاً للمفاضلة وليس الفصل المهني او التنشئة الأسرية او القاعدة البيولوجية او القاعدة الاجتماعية .

٥- القاعدة الاجتماعية هي المقننة للسلوكيات المتطابقة لجسد الفرد .

٦- بهذه القاعدة الاجتماعية نظام خاص بالجندر يقوم بربط الفرد (ذكر او انثى) بالعلاقات الاجتماعية التي توضح سيطرة الرجل على المرأة .

٧- تكون هذه السيطرة تراتبية جندرية مبتدأه بالقوة الجسدية والجنسية التي تكون متغايرة واجور العمل التي سماها كونيل بالرجولة المتباهية تأتي بعدها الرجولة الواهنة التي لا تتمتع بسيطرة رجولية ثم تأتي الأنوثة والتي

ايضاً صنفها كونيل بالمطاوعات والخنوعات والمقاومات وجميعهنّ تابعات للرجولة .

اخيراً تميزت نظرية كونيل عن باقي النظريات التي تناولت الجندر انها اكدت على ان ليس كل الرجال يتصفون بصفة رجولية واحدة ولا حتى النساء يتصفون بأنوثة واحدة بل يتباينون بخصائص متدرجة بمستوياتها لا تمثل مستوى واحداً من الرجولة او الأنوثة وهذا تميزاً تفردت به نظرية كونيل . ومن باب البيان نقول ان كونيل انتبه الى ان مفهوم الرجولة والأنوثة لا يبقى جامداً ومتقولباً بقالب واحد بل يتغير عبر الزمن والتفاعلات الاجتماعية المكثفة والمتعددة والمتنوعة التي تؤدي في نهاية الأمر الى تصغيره واختزال وتمزيق سيطرة الرجل على المرأة وهذا ما أدى الى دعمه من قبل الحركات السياسية والاجتماعية الحرة والمتطرفة منحت المرأة بعضاً من حقوقها الأنثوية في الأسرة والتنظيمات السياسية والمدنية والتمثيلية (النيابية او البلدية) .

تعقيب وتعليق

قبل ان ألع الى تعقيبي وتعليقي خليك بيّ ان أقول أن حقل الجندر من اكثر حقول علم الاجتماع كتبت فيه نظريات تفسر اسباب اللا مساواة بين النوع الاجتماعي استطعت ان احصرها بإحدى عشر نظرية لم اجد فيها تكراراً لمواضيعها إلا ان بحكم حداثة الحقل ظهرت هذه النظريات غير مبرهنة بكل قضاياها ومن النوع القريب المدى في حدود اطرها وتحليلاتها باستثناء النظرية الوظيفية . ولكن اوضح عدم تكرار وتداخل قضاياها النظرية سأكتب كل نظرية وجوهر تركيزها وهي :-

- 1- النظرية الوظيفية : الجندر عندها تتمثل في الدور الاجتماعي الثابت والمقنن غير قابل للتغير ولا ترى هذه النظرية بأن المرأة مظلومة او مضطهدة بل حالها حال الرجل .
- 2- النظرية الصراعية : ترى هناك مفاضلة وعدم مساواة بين الرجل والمرأة في الأجور وقيمة عمل المرأة الترتجع الى النفوذ التاريخي للرجل في الأسرة والطبقة والعرق .

٣- نظرية رأس المال البشري : التي ترى مفاضلة الرجل على المرأة قائمة على العدالة والأخيرة مبنية على رأس المال البشري المتكون من العمر والخبرة في العمل وعدد ساعات العمل والحالة الزوجية والمرحلة التعليمية التي لا تتوفر جميعها عند المرأة بسبب الاجازات والعطل التي تأخذها لرعايتها لأطفالها وحبها والدورة الشهرية . هذه النظرية تقيس الجندر من زاوية مادية وحسابية صرفة محسوبة بساعات العمل والخبرة والكفاءة ونوع وكم المنتج وهذا يعني ان لا للنفوذ التاريخي للرجل ولا الدور الاجتماعي ولا النظام الأبوي ولا الثقافة الاجتماعية ولا التنشئة الأسرية دخل في عدم المساواة بينهما بل العامل المادي والحسابي هو الأساس .

٤- نظرية سوق العمل الثنائي : تُرجع هذه النظرية اللامساواة بين الجنسين الى نوع اقسام التي يعملوا فيها التي هي مختلفة منها ما هي اولية واخرى ثانوية وهذا يعني ان سبب المفاضلة يرجع الى الوظائف البنائية الخاصة بسوق العمل .

٥- نظرية الفصل الجندري : التي تُرجع اللامساواة الى الفصل المهني أي ان النوع المهني والرتب المهنية تكون مبنية على الجندر وليس العكس .

٦- نظرية التعصب العنفي : التي تُرجع المفاضلة الى تعصب الرجل ضد المرأة .

٧- النظرية البيولوجية : تُرجع السبب الى القاعدة البيولوجية .

٨- نظرية التنشئة : تُرجع السبب الى التوقعات الدورية في تربية الأبناء .

٩- نظرية المساواة الجنسية : تُرجع السبب الى النظام الأبوي والرأسمالي .

١٠- نظرية س . والبي : أرجعت مفاضلة الجندر الى النظام الأبوي .

١١- نظرية كونيل : أرجعت المفاضلة الى الجسد البشري المتمتع بالطاقة الجنسية المحددة للرجولة والأنوثة .

إذن الاسباب على الترتيب : ١- الدور الاجتماعي . ٢- النفوذ التاريخي للرجل

٣- رأس المال البشري ٤- تركيبة سوق العمل ٥- الفصل المهني

٦- الرجولة ٧- القاعدة البيولوجية ٨- القاعدة الاجتماعية ٩- النظام

الأبوي والرأسمالي ١٠- النظام الأبوي ١١- الجسد

وهنا نستطيع ان نصنف هذه المسببات للمفاضلة الجندرية عند هذه النظريات بشكل رئيسي الى :-

$$١- الرجل = ٢ + ٦$$

$$٢- القاعدة الاجتماعية = ١ + ٨ + ١٠ + ٩$$

$$٣- القاعدة المهنية = ٣ + ٤ + ٥$$

$$٤- القاعدة البيولوجية = ٧ + ١١$$

في الواقع كل نظرية فُسرت سبب عدم المساواة بين الرجل والمرأة من زاوية مختلفة عن الأخرى حيث أوعزت الى الرجل ذاته ومنها ما ارجعته الى الثقافة الاجتماعية واخرى الى نوع المهنة واخرى الى القاعدة البيولوجية وجميعها مشتركة في عدم المساواة المفاضلة ، علماً بأن هذه النظريات لم تظهر في وقت واحد بل منها ما استعرضت حياة المرأة عبر الزمن ومنها ما حلت ذلك بتأثير نوع العمل وتركيبه السوق واخرى ارجعته الى تعصب الرجل ذاته ضد المرأة . معنى ذلك أن عدم المساواة لم تكن كرهاً بالمرأة او معاداتها او استبعادها من سوق العمل بل ان حاجة المهنة هي التي تقرر درجة الاعتماد عليها . فالمنطق المادي اكد على احتياجه لها في مهن ثانوية لأنه يبحث عن الربح المالي قبل كل شيء ويستغل الطاقة البشرية له بغض النظر عن كون صاحب هذه الطاقة رجل ام امرأة . وهناك المنطلق العاطفي والوجداني والغريزي والاجتماعي الذي يؤكد على الرباط الدموي والأسري والاجتماعي المتمثل في القاعدة البيولوجية لجسد المرأة والقاعدة الاجتماعية – الثقافية لذا نجده يعتمد عليها ويفاضلها على عملها خارج هذا المنطلق . اما هل هناك ظلم وجور ممارس عليها ؟ الجواب يجب ان يصدر منها وقبل كل شيء سواء كان في اجورها او علائقها او مكانتها الاجتماعية . لكن تطور الحياة التقنية والحضرية والصناعية والتواصل الاجتماعي عبر الأجهزة الالكترونية الحديثة (النت والهاتف المحمول) جعلت من المرأة ان تدخل مجالات جديدة عليها على حساب المنطلق العاطفي والوجداني والغريزي فارتفع معدل الطلاق في الأسرة وقل عدد الانجاب وزادت الاستعانة بالمربيات ودور الحضانه بسبب استغالها خارج المنزل وصغر حجم الأسرة وظهرت حالات الأنجاب بدون زواج والمعاشره الجنسية بين الإناث (المثلية – السحاقيات) وتم استغلالهن من قبل رجال السياسة والنقابات والاعلام من اجل التكسب الشخصي لا دفاعاً عنها او حباً فيها بل من باب المزايدات

الرخيصة والحصول على اصوات انتخابية لصالح المرشحين مستخدميهم كورقة رابحة في المنافسات الانتخابية وهذا يؤكد استغلالهنّ وتسخيرهنّ لا لصالحهنّ لأن النظام الأبوي ما زال قائماً والنظام الرأسمالي بقيّ مستمراً والتقدم العلمي يزداد تطوراً والحالة البيولوجية للمرأة لا يمكن تغييرها لأنها تمثل الطبيعة البشرية في (الدورة الشهرية والحبل والرضاعة وتربية الأطفال) وهذا يؤثر على عملية الانتاج في سوق العمل . لكن هذا لا يعني ان المرأة مرغمة على ما هي عليه بل ان صفاتها البيولوجية جعل من القاعدة الثقافية والاجتماعية ان تمنحها دوراً ومكانة مرموقة وتشغل مساحة واسعة في حياة الأسرة وحماية المجتمع من الانحرافات والتفكك الأسري وطالما لم تعتبر هذا استغلالاً او اجحافاً في حقوقها فأن ذلك يُعد حالة سوية وطبيعية .

بيد انه علينا ان لا نغفل او ننسى وجود فروقات وانحرافات عدوانية وعنيفة تقع عليها من قبل الرجل والمجتمع معاً تكون هي فيها ضحية لهما مثل هذا العمل يعد عملاً مرفوضاً ومداناً اسرياً واجتماعياً وقانونياً . بذات الوقت انها استغلت - هذه الحالة - لمماثلتها مع المفضلات العرفية والطبقية والدينية والطائفية والسياسية من اجل الدفاع عنهم من قبل الحركات السياسية والاجتماعية وهذه حالة صحية جيدة لإزالة حالة التعصب والتمييز ضد الجنس البشري فضلاً عن كونها تنويرية رائدة لصالح الجنس البشري والحس الإنساني ضد الظلم وعدم المساواة والاستبعاد المادي والثقافي والاجتماعي .

الفصل السادس المرأة في الأدبيات الاجتماعية

٦ / أ - ملهمات خلدن التاريخ

٦ / ب - رائدات الحركة النسوية

٦ / ت - اسوء النساء في التاريخ

٦ / ث - السحقيات شاذات في المظهر والسلوك

٦ - ج - كفاح المرأة الأسترالية

الفصل السادس المرأة في الادبيات الاجتماعية

٦ / أ - ملهفات خلهنّ التاريخ

قدّمت الباحثة سلمى مجدي مجموعة كبيرة من النساء الملهفات خلهنّ التاريخ ،
٢٠٠٩ قالت فيهنّ " المرأة هي اينما كانت وكيفما كانت ... يمكن ان تكون نعمه
ويمكن ان تكون نقمه وشتان بين هذه وتلك ... وفي حياة المبدعين نوعان
من النساء نساء احوالوا حياتهم في البداية الى عذاب فتوقف ابداعهم وتسمروا
في اماكنهم عاجزين عن تفجير طاقاتهم الابداعية ... ونساء ملهفات تعرفوا
عليهم بعد ذلك فحلقنّ بهم فوق السحاب ليقدموا للعالم كل ما هو رائع وخالد من
عصارة عبقريتهم وابداعاتهم .

ويدلنا التاريخ على ان ما وراء الاعمال الخالدة في الرسم وفي الموسيقى
وفي الادب كانت هناك ملهفات وانه عندما يكتب التاريخ عن المبدعين فإنه لا

يخلدهم هم فقط وانما يخلد معهم ملهاتهم اللاتي لولاهنّ ما تفجرت قدراتهم الإبداعية .

جوكندا دافينشي مثلاً التي عبرت القرون ولا تزال تعيش خالدة في قلوب وعقول الناس في كل زمان ومكان هي في الأصل بورتريه لامرأة جميلة عذبة تعلّق بها الفنان وكانت تفجر فيه طاقات الابداع مع كل ضربة فرشاة لتشع اللوحة هذا المركب الساحر من الحزن والفرح والدهشة فهل كان بإمكان دافنشي مثلاً ان يلتقط تلك اللحظة ويمسك بها لو لم تكن المرأة التي هي موضوع اللحظة "ملهته" !؟

ثمة نساء ملهات كثيرات لإعمال خالدة ملهات ارتضينّ لقاء الحب والاعجاب الذي يكنه للمبدعين الذين استحوذوا على مشاعرهنّ ان يكونوا القوة المتفجرة لطاقات من احببهم الابداعية كما هو الحال بالنسبة الى ناديا فون مك ملهمة الموسيقي الروسي بيتر تشايكوفسكي في وضع اهم مؤلفاته الموسيقية مثل موسيقى باليه (بحيرة البجع) وباليه (الأميرة النائمة) اللذين كُتبا بتأثير من ذلك الايحاء الساحر الذي وفرته لتشايكوفسكي .

ونفس الشيء بالنسبة للرسام العالمي سلفادور دالي وملهته (اولجا) و لواند رياس سالوفي ملهمة ثلاثة من عباقرة عالم النفس النمساوي سيجموند فرويد والشاعر الالمانى رايز ريلكه ومواطنه الفيلسوف فريدريك نيتشه وبلقيس ملهمة الشاعر الكبير الراحل نزار قباني ومارجريت دوكولينيه ملهمة ابولينير وأن جريجوريفنا ملهمة دستويفسكي ونورا الرائعة أيقونة جيمس جويس و مي زيادة ملهمة عظماء عصره بأكمله منهم امير الشعراء احمد شوقي والاديب عباس محمود العقاد والشاعر الكبير جبران خليل جبران وأنا الرائعة ملهمة بيتهوفن وولادة بنت المستكفي ملهمة ابن زيدون ولىلى العامرية ملهمة قيس بن الملوح ودورا مار ملهمة بيكاسو وعبله ملهمة عنتر بن شداد وأن سوليفان ملهمة هيلين كلير وسوزان ملهمة طه حسين . [مجدي . ٢٠٠٩ . ص . ص . ٥ - ٦]

٦ / ب - رائدات الحركة النسوية

كفاح النساء ليصبحن رائدات في حركتهن وتحررن إذ واجهن في بداية كفاحهن أنواعاً لا تحصى من المتاعب أحياناً واجهنّها بشجاعة مضحيات بالرفاهية من أجل وقفة شموخ وخطوة نجاح .

وهناك من النساء لجأن الى استعارة اسماء الرجال في ممارسة اعمالهنّ وخصوصاً الكتابة امثال جورج صاند الكاتبة الفرنسية الرائدة والتي لم تكتم باستعارة اسم الرجل بل اختارت زي الرجال لأنه حسب تبريرها يسمح لها بقدر اكبر من الحرية . وهناك امرأة اخرى ناجحة في تاريخنا العربي بدلت زيها وارتدت لباس الفرسان كي يفسح لها في مجال خوض المعارك الحربية وهي خولة بنت الأزور ، وسوزان انطوني التي رفضت ان تكون خادمة شرعية لأي رجل ، المولودة في مدينة ادامس - ولاية ماساشوستس الأمريكية في الخامس عشر من شهر شباط سنة ١٨٢٠ أي حين لم يكن للمرأة مكانة في المجتمع خارج حدود بيتها وكان شعارها (إذا قدر للمطرقة ان تهبط عليّ فلتهبط وانا واقفة) واجاثا كريستي التي ولدت في ١٥ ايلول سنة ١٨٩٠ أي في اواخر الحقبة الفكتورية كان ابوها امريكي الاصل وامها البريطانية ملكة القصة البوليسية ادخلت الجريمة الى الصالونات الارستقراطية ورابع امرأة مترجمة في العالم والقصة البوليسية ، تخرجت على ايديها من المعهد البريطاني وراحت تطوف العالم من بغداد الى القاهرة الى جزر الكاريبي الى كل بلاد الناس .

والفا ميردال التي نالت في منتصف شهر تشرين الاول من عام ١٩٨٢ جائزة نوبل للسلام مناصفة مع مناضل اخر في مجال السلام هو الدبلوماسي المكسيكي الفونسو غارسيا روبلز . هي امرأة سويدية عملت على وناضلت واشتركت في المؤتمرات والمناقشات الحامية وتهجمت على الدول التي تصنع الحروب وتصدر السلاح للشعوب الصغيرة والمغلوب على امرها .

وماري كريت ميد ، عالمة الإنسان الامريكية صاحبة الكتاب (البلوغ في جزر ساموا) ١٩٢٨ قضت عمرها في ملاحقة العلم والاهتمام بمصير الإنسان بدائياً كان ام متحضراً شغلت الاوساط الثقافية في بلادها طوال نصف قرن من الزمن بمؤلفاتها ونظرياتها في الانثروبولوجيا . [نصر الله . ١٩٨٦ . ص . ص . ٩ - ١٨] .

٦ / ت - اسوأ النساء في التاريخ

تقول الكاتبة سلمى مجدي في كتابها عن اسوأ النساء في التاريخ (٢٠٠٩) " منذ بد الخليقة والصراع بين الخير والشر موجود داخل النفس الإنسانية بغض النظر عن جنس الإنسان او جنسيته ، دينه ، او لغته ، او مكانته الاجتماعية ، رجلاً ام امرأة ، وربما يكون الفارق الوحيد هو ان المرأة اكثر قدرة من الرجل على الخداع والتخفي ، واطر من حيث الاساليب التي تتبعها للتعبير عن الشر عندما تمتلك منها وتخرج عن السيطرة فتمتد آثاره المدمرة حتى الى اقرب الناس اليها .

الاعتقاد السائد بأن الجريمة يرتكبها الرجال وان طبائع النساء التي تتسم بالنعومة لا تساعد على ارتكاب الجريمة . من المؤكد ان هذا الانطباع خاطئ حيث ان الجريمة ومنذ الخليقة ارتبطت بالإنسان ، وبصرف النظر عن جنسه ، وان كانت نسبة الذكور تفوق النساء .

وقد قام العالم يولاك بدراسة جرائم النساء وخرج بمجموعة من النتائج والتي كان من اهمها ان جرائم النساء هو نتيجة شرور خفي ومُقنَّع وان المرأة لا تختلف عن الرجل في سلوكها العدواني وربما تفوق المرأة على الرجل في سمات العنف . كما اشارت بعض الدراسات في علم اجتماع الجريمة الى ان النساء يلعبن دوراً ثانوياً في جرائم النصب والاحتيال مقارنة بالدور الرئيسي الذي يلعبه الرجال ، إلا انهنّ يستخدمنّ الدهاء والحيلة ويؤدين دوراً في هذه الجرائم من خلال استخدام وسائل الأغراء التي تتمتع بها المرأة . ومن الطرائف التي تم اكتشافها ان الجريمة لا علاقة لها بتفاوت القوة الجنسية حيث تبين ان القوة البدنية لم تعد لها اهمية فيما يتعلق بارتكاب النساء للجرائم التي يرتكبها الرجال .

وما يدعم الحقائق العلمية ان المرأة لا تختلف عن الرجل في تعبيرها عن الشر الذي يعتمل في نفسها وارتكابها للجريمة او إتيانها السلوك العنيف وبالعودة للتاريخ سنجده يقدم لنا نماذج بشرية تمثل نسوة في غاية السوء تَمَلِّك الشر منهنّ فرحنّ يقتلنّ ويدمرنّ ويخربنّ ويشوهنّ وجه الحياة ، بعضهنّ ملكات وبعضهنّ اميرات وبعضهنّ نجومات مجتمع شهيرات وبعضهنّ من العامة خرجنّ من قاع المجتمع بشر متطير عبرنّ عنه بجرائم وحشية وضعتنّ في سجل اسوأ نساء التاريخ !! " .

وقد قدمت الباحثة سلمى مجدي في مؤلفها عشرات النماذج هنَّ الأسوأ في تاريخ البشرية " نساء من اهل القمة واخريات من سكان القاع يشتركنَّ جميعهنَّ في ارتكاب افعال خلعت عليهنَّ جميعاً لقب " الأسوأ " ونساء كافرات واخريات خائفات كامرأة نبي الله نوح وامرأة نبي الله لوط عليهما السلام وكعنيزة بنت غنم التي استخدمت ابنتيها لتدبير مؤامرة قتل ناقة الله وآيته لنبيه صالح عليه السلام وقومه ، و سالومي اليهودية التي تأمرت مع امها لدفع ملك فاسد لقتل نبي الله يحيى عليه السلام وامرأة العزيز التي راودت نبي الله يوسف عليه السلام عن نفسه واتهمته زوراً وبهتاناً !!

واخرى اسمها دليلة رمز الغدر والخيانة ، والملكة كاترين الثانية الامبراطورة الفاسدة ، والكونتييسه إليزابيث دراكولا النساء والملكة صفية التي دبرت مذبحه ابناء السلطان العثماني الشهيرة ، و تزوهسي الامبراطورة الصينية التي كانت تلدغ كالعقرب ، والملكة ماري الدموية اسطورة الشر ، ومدام دي يومباردور المركيزه اللعوب ، وملكة مصر الكارثة نازلي ، و أولريكه ماينهوف اكبر زعيمة ارهابية عرفها العالم ، وكاميليا بكر باولز المرأة التي حطمت اسطورة ديانا ، وسوزان سميث قاتلة اطفالها واليهودية روكسلانا خائنة الامبراطورية العثمانية وكرستين كيلر فتاة المسبح العارية ، والملكة التي لا ترحم كرسنتين السويدية ، وزوجة الرئيس الأمريكي الراحل ابراهام لنكولن عدوة الامريكيين وميسا لينا ظل الشيطان ، وزوجة سقراط ومعذبتة ، وزوجة تولستوي رمز الشقاء للمبدعين ، ونجمة السينما لانا تيرنر ، ومايرا هندلي الشبح الذي يطارد البريطانيين ، واميلدا ماركوس الحساء الحرباء .

كذلك لولا مونثير وأنا نيكول سميث ، وماري لويز وكارمن موري وأناي موشيه بيراد وريا وسكينه وانشراح موسى والامبراطورة ايرين وايماس ادموندز وشولا كوهين وكاثرين دي بونج وأنا ماري ليستر وكورا بيرل وبارباره فيليبرز واليزالينش .

اخيراً اوضحت الباحثة سلمى مجدي نساء اثرن التجرد من انوثتهنَّ بل ومن بشريتهنَّ والتعلق في عوالم الشر لتحتل كل منهنَّ مكانها في قائمة اسوأ النساء في التاريخ " . [مجدي . ٢٠٠٩ . ص . ص . ٥ - ٧]

كرستين السويدية (ملكة لا ترحم)

كانت امرأة جميلة للغاية وكانت تزيد جمالها ثقافتها العامة وسرعة بديهيتهها ،
تَقدم للزواج بها الكثير من الامراء لكنها كانت ترفض ذلك بحجة ان زواجها
سيشغلها عن مصالح شعبها إلا ان الحقيقة غير ذلك فقد كانت هذه الملكة تهوى
الفتيات الجميلات وتمارس معهنّ الحب وبعد ان تملّ منهنّ كانت تأمر بقتلهنّ
حتى لا يفتضح امرها .

كانت كرسيتين ملكة لا ترحم احداً وكانت عندما تشك في اس شخص ممن حولها
تأمر بقتله فوراً وبدون محاكمة ، وكانت عملية القتل فيها الكثير من العذاب حيث
كانت تأمر المتهم بلبس درع مغروس فيه قطع حديد صغيرة بحيث تكون قطع
الحديد هذا باتجاه جسده من الداخل ثم تأمر الحراس بالضغط على الدرع فتبدأ
قطع الحديد المدببة في الدخول في جسمه واختراق اضلاعه ومن اذنيه وفمه
عندها تأمرهم بالابتعاد ثم بالمشي على الدم ذهباً وايباباً ثم تدوس بقدميها على جثة
الشخص وتنصرف . وهكذا يمتزج الجمال بالدم ، والمتعة بالقتل .

إيميلدا ماركوس (السم في العسل)

كانت في زمانها وربما حتى يومنا هذا اغنى امرأة في اسيا وواحدة من اغنى
١٠ سيدات في العالم ... وثروتها تزيد على ١٥ مليار دولار وتملك ٤٥ قصرأ
ومنزلاً في الفلبين واستراليا وهونج كونج واليابان وامريكا . وتملك ٣ طائرات
خاصة ... وحوالي ٣ آلاف زوج احذية . ومجنونة مجوهرات وعندما احتفلت
بعرس ابنتها " إيرين " في سنة ١٩٨٣ احوالت الزواج الى عيد وطني . وانفقت
الفرح ١٢ مليون دولار واقامت مدينة جديدة تليق بالمناسبة وأجلست
العروس في مركبة مصنوعة من الفضة الخالصة ويجرها خيول عربية نقلتها
طائرة خاصة من المغرب . وفي تلك السنة اشارت الاحصائيات الى ان ٤٢%
من سكان الفلبين يعيشون تحت خط الفقر وان ١٥% من النساء يعملن في
الدعارة وان ٧% من الاطفال غير شرعيين كانت مثل قطعة الماس في كيس في
كيس قمامة وقد التقطتها بأصابع خبير رجل ثري يشتغل بالمال والسياسة
...تبناها وعلمها وسمح لها ان تقول انه عمها واكتشفت ان صوتها سوبرانو

...مزيج من الفضة والامطار الاستوائية فقدمها للغناء وفيما بعد قالت : " انا اغني لأنني احب الحياة واكره النوم لأنه يبعدني عن الحياة " ثم استطردت " ما يميزني عن غيري انني انا " !

قبل الصوت والصورة إنها انثى ملساء كالبور ... تحتمل حماقات الرجل وتحرض غريزته وتغير خريطة الحلال والحرام ... وهي قادرة على فرض الإقامة الجبرية داخل جسدها ... ويمكن في لحظات الغضب ان تصبح اظفارها مشارط ... وضافئرها مشنقة ... وعندما حكمت ٦٠ مليون من الفلبين كان ادق وصف لها . انها امرأة حديدية تدير الحكم بقفاز من حرير .

في ابريل ١٩٥٤ كان عمها يرأس البرلمان وقد ذهبت لزيارته في الجلسة المسائية التي امتدت الى منتصف الليل وهناك قابلت ماركوس لأول مرة وبعد نصف ساعة من اللقاء طلب منها الزواج وبعد ١١ يوماً فقط تزوجا .

كان ماركوس في ذلك الوقت زعيم الأقلية او المعارضة وقد بدأ حياته السياسية مبكراً ، كان عمره ١٨ سنة عندما اتهم بقتل منافس والده في انتخابات البرلمان وقد قُبض عليه وفي السجن اكمل دراسته القانونية وتولى الدفاع عن نفسه وحصل البراءة لكن دماء السياسي القتل ظلت تطارد سمعته حتى اخر العمر .

تقول إيميلدا عن ماركوس ... انه رجل مجرب ويقول هو عنها في خطاباته الغرامية لها ... إنك امرأة تعطي الرجل الفرصة كي يمشي فوق الماء ، تجعلينه يدخل في لحم الاشياء هذا اللحم الذي يتكلم سبع لغات . اما انا فأحترف الاصغاء ... احبك ... لا اعرف لماذا ؟ ...كيف افسر ما لا يُفسر ؟

لكن ... رغم كل هذا الحب فإنه لم يتردد في خيانتها ... وفي كتابه الممتع " وراء كل ديكتاتور امرأة " ينشر انور محمد فضيحة ماركوس مع الممثلة الامريكية دوفي بيمز . جاءت الى مانيل لتمثل دوراً في فلم يروي قصة ماركوس لتصبح صورته اجمل في عيون العالم ... وفي اللقاء الاول صارحها يحبه ... ولم يوقع لها عقد البطولة إلا في الفراش ... واحتفظ بها عشيقه في فيلا بإحدى ضواحي مانيل واثناء سفر إيميلدا في رحلاتها الخارجية كانت دوفي بيمز تنام في فراشها في قصر الرئاسة " مالا كاتانج " الذي دخله ماركوس عندما تولى السلطة في ٣٠ ديسمبر ١٩٦٥ .

تقول دوفي بيمز في مذكرتها التي نشرتها مجلة " بيبول " الامريكية إن ماركوس كان يجيد لعبة الفراش لكنه كان رغم براعته لا يجيد التعامل مع امرأتين في فترة

واحدة . لذلك اعطى ظهره لزوجته عندما اصبحنا عشيقين وصل مع إيميلدا تريد السلطة لا المتعة . تريد ماركوس الحاكم لا العشيق لذلك راحت تفتش عنه وعن دوفي بيمز وقد ازعجه ذلك فقرر التخلص من الممثلة الامريكية التي قررت ان تفضحه ، اعتقلها البوليس السري واعتدوا عليها جنسياً وعرضت عليها إيميلدا ١٠٠ الف دولار كي تلتزم الصمت ولكن المبلغ لم يرضها خاصة انها سجلت شرائط لماركوس وهو يمارس الجنس معها . وأضافت هذه الشرائط الى الوثائق والمستندات والتقارير السرية التي سرقتها من مكتب الرئيس الى جانب بعض ملابسه الداخلية . وفي مؤتمر صحفي عالمي في مانيلادارت دوفي بيمز شريطاً من هذه الشرائط . إن من سوء حظ ماركوس انه لا يمارس الجنس إلا بصوت مرتفع وهو يتحدث في الشريط عن باقيا الأظافر ونزيف الفم وشظايا الاسنان وهناك عبارة كررها كثيراً .. " ماذا تفعلين ؟ ماذا تفعلين ؟ " ولا تملك الجراءة على ترجمة نص الشريط الذي نشرته مجلة " لوي " الفرنسية . لكن من السهل ان نقول ان طالبة الجامعة اذاعوا الشريط في محطة إذاعتهم وإن المعارضة التي كان يتزعمها بنينو أكينو استغلته استغلالاً سياسياً وإعلامياً مذهلاً.

كادت ان تدفع دوفي بيمز حياتها ثمناً لما فعلت . فقد ارسلت إيميلدا فرق اغتيالات من عشرة رجال لقتلها بعد ان سافرت الى هونج كونج ... لولا انتباه البوليس البريطاني في هونج كونج لكانت بيمز في حساب القتلى .

أخطر ما في إيميلدا انها تستخدم انوثتها المغطاة بالبراءة في إسالة لعاب اقوى حكام العالم . فهي في النهاية بشر يفضلون التفاوض مع امرأة مثلها عن الجلوس منفردين في حجرة مغلقة مع امرأة مثل جولدا مائير ... وتعرف إيميلدا ذلك جيداً وتقول " انا لست جولدا مائير .. انا امرأة جميلة جذابة .. " . هكذا ببساطة وجرأة وصراحة ... وقد وصفت الرئيس السوفيتي الأسبق بريجنيف بأنه طفل " لقد رأيت سعيدياً بأوسمته وهو يعرضها امامي وكأنه صبي يداعب لعبته الملونة " . ووصفت وزير الخارجية الامريكي الاسبق هنري كيسنجر بأنه بلاي بوي " أهبل لقد تصور ان قبلة يخطفها من شفيتها هو ثمن باهظ ندفعه مقابل تدعيم الولايات المتحدة زوجها " إنني قبلته كما يقبل الجليد النار ... وقد تصورت انه لن يكتفي بذلك .. لكنه اكتفى فكان ان ضحكت في سري من تواضع رغباته " .

وبجانب الرؤساء كانت إيميلدا على علاقة مع نجوم الفن والسينما في العالم كان اقربهم الى قلبها نجم هوليوود جورج ملتون ولكن مهما كانت هذه العلاقات فأنها كانت تصب في النهاية في غريزة السلطة التي كانت اشد التهاباً عند إيميلدا من غريزة الجنس ، فهي زوجة الرئيس وسلاحه السري وتريد ان تكون نائبة الذي يرث الحكم وهي السيدة الاولى وعضو البرلمان ووزيرة الخدمات الإنسانية ومفتاح المقاولات والمناقصات والشركات وشبكات العمل السري .

وقد انزعجت عندما انهارت صحة زوجها خلال السنوات الخمس الأخيرة من حكمه . انها اصعب سنوات مرت بها وهي تحكم من خلالها فماذا تفعل وزوجها لم يعد قادراً على الحكم ؟ لم يكن امامها سوى ان تشكل حكومة من حكومات غرف النوم فطلبت من زوجها تعديل المادة " ٦ " من الدستور لتصبح القوانين بموجب المادة الجديدة قرارات ... او تصبح القرارات بقوة القوانين وهكذا حكمت نيابة عن زوجها الذي كان يوقع على قرارات كانت تصدرها هي . وكان عليها ان تواجه البرلمان والمعارضة والشارع الذي يمتلئ بالمظاهرات وقد لعبت دوراً خطيراً في تدبير مقتل زعيم المعارضة كما اشارت اصابع الاتهام ولكن لم تطلبها يد العدالة . حيث تمكنت من طمس اية ادلة تثبت التهمة عليها او زوجها وهما المستفيضان الرئيسيان من مقتل أكينو !!

كان بنينو أكينو ابرز معارض لماركوس وزوجته وقد قبض عليه في خريف ١٩٧٢ بموجب الاحكام العرفية وفي السجن اضرب عن الطعام وكاد ان يموت وفي خريف ١٩٧٧ حكموا عليه بالموت رمياً بالرصاص وقبيل التنفيذ تدخل الرئيس الامريكي جيمي كارتر طالباً العفو عنه على ان يغادر البلاد وهو ما حدث حيث سافر هو وأسرته للعيش في منفاه في بوسطن الامريكية وهناك بدأ يحرك المعارضة الفلبينية نحو اعمال العنف التي هزت نظام ماركوس كثيراً . وتقول زوجته كورازون " إن أكينو لم يكن ارهابياً كما صورته إيميلدا في الصحف والمجلات وشبكات التلفزيون التي اشترتها بالمال ... بل على العكس كان شاعراً يؤمن بالحرية ويغني لها " .

وقبل مصرعه لم تتورع إيميلدا عن مقابلة أكينو سراً لتساومه ... وقد طلب منها العودة لكنها حذرته من القتل ، على انه بتحريض من المخابرات الامريكية قرر العودة وفي يوم السبت ٢٠ اغسطس ١٩٨٣ هبطت طائرته في مطار مانيلا واكتشف رجال الأمن انه يرتدي قميصاً واقياً من الرصاص وقبل ان تلمس قدمه

الأرض انطلقت رصاصة من الخلف لتصيب رأسه فسقط غارقاً في دمائه وانطلقت رصاصة اخرى لتقتل القاتل على طريقة اغتيال الرئيس الامريكي الراحل جون كندي .

ويقسم مدير المخابرات الامريكية الاسبق وليم كيسي ان ماركوس بريء من دم أكينو ولكن عندما سأله الصحفي المعروف بوب وود رد عن دور زوجته إيميلدا في الجريمة ويقول انها امرأة جميلة والمرأة الجميلة لا تنسى الإهانة وقد اهانتها أكينو واتهمها بالفساد المالي والخلقي ... ثم انها امرأة قوية والمرأة القوية لا تهدأ إلا إذا شمت رائحة الدم . انه اشد تأثيراً عليها من رائحة البرفان .

- هل يصل انتقامها حد القتل ؟

- انتقام من ؟

- إيميلدا ماركوس ؟

- إنني اتحدث عن المرأة الجميلة ... القوية بشكل عام

- فهمت

وفي سنة ١٩٨٥ كان على المخابرات الامريكية ان تبحث عن بديل لماركوس بعد ان افقده المرض السيطرة على نفسه تماماً وكان البديل إما جنرالاً في الجيش يقوم بانقلاب عسكري لصالح واشنطن او زعيماً مدنياً يقوم بانقلاب ديمقراطي من خلال الانتخابات لصالح واشنطن ايضاً . واختار رونالد ريجان الحل الثاني وأجبر ماركوس على اجراء انتخابات رئاسية في فبراير ١٩٨٦ قبل موعدها بعامين وقرر ان تكون انتخابات نزيهة . أي قرر ان يسقط ماركوس .

وحرمت المخابرات الامريكية على إيميلدا ان تدخل الانتخابات بدلاً من زوجها التي توقعت هي الاخرى فشله . وفي مقر المخابرات المركزية في لانجلي قابلها وليم كيسي واعتذر بنعومة عن الاستجابة لطلبها ولكنها غضبت وصرخت وضربت المكتب بيدها قائلة :

- لا احد يمنعني ولا الشيطان من ذلك

فمد وليم كيسي يده في هدوء الى كيس من بلاستيك في داخله مجموعة شائط فيديو قدمها لها قائلاً :

- شاهدي هذه الأشرطة قبل ان تتخذي قرارك

- هل .. فيها .. او

- انها ستسعدك في الشيخوخة عندما لا يبقى للمرأة سوى ذكرياتها الحلوة القديمة .
- إنه ابتزاز
- بل انذار
- لكن كورازون أكينو سترشح نفسها
- يكفي امرأة واحدة
- انا اكثر جمالاً وذكاءً منها
- هي اكثر براءة

وخرجت " ملاك اسيا " (حسيب وصف الرئيس الامريكي الاسبق ريتشارد نيكسون) مهزومة من واشنطن . وخرج زوجها - بعد فوز كورازون ألينو في الانتخابات - مهزوماً من مانيللا . سافر الى منفاه في الولايات المتحدة في ٢٥ فبراير ١٩٨٦ وبعد حوالي ٣ سنوات مات في هونولولو واحتفظت إيميلدا بالجثمان حتى توافق كورازون أكينو بدفنه في الفلبين ، وفي صيف ١٩٩٣ جاءت الموافقة .

وسافرت إيميلدا والجثمان الى مانيللا ، كانت ترتدي السواد وأن لم تنسى ان الموضة قوتها هي الميني جوب وكذلك لم تنسى ان تضح حول رقبتها كويليه من الماس ليبرق في لون الليل او لون الحزن الذي ترتديه . انها امرأة مسيطرة حتى اخر العمر .. حتى القبر .

ماري لويز (السفاحة الفاتنة)

فتاة رائعة الجمال قصتها اغرب من الخيال ... هذه الفتاة تدعى (السفاحة ماري لويز) وهي جميلة جداً . تخرجت من الجامعة درست الآداب والفلسفة وعلم النفس ، سافرت الى اماكن كثيرة وتملك سيارة صغيرة وماري تتمتع بقوام جميل وعينين زرقاويين !! وتجيد الغناء ايضاً ولا تشرب النبيذ إلا إذا اضطرت لذلك !! لم يصدق احد انها متخصصة في الاجرام إلا بعد ان نشرت الصحف اعترافاتها واعترفت ماري لويز انها قتلت عشرة من اطفال الذكور وانها اطلقت الرصاص على عريس في طريقه الى الكنسية وانها وضعت السم في كأس عروسين ولكنهما لم يموتا وهذا ما تأسف له ماري !!

واعلنت انها لم تحقق امنيتها بعد فقد كانت تتمنى ان تقتل شاباً واحداً بالذات ولم تعلن اسم هذا الشاب . وتحت وطأة التتويم المغناطيسي قالت ماري لويز : " انني من اسرة متدينة وبعد وفاة والديّ اصبحت اعيش بمفردي وسط ذئاب من الشبان والرجال ... لقد استطعت ان انجو من احضان احد اقاربي وهو اكبر مني بخمسين عاماً ... بعد ان شجبت راسه " !!

" وحاولت احدي السيدات ان تستدرجني لصديق لها فرفضت وابلغت الشرطة" وراحت ماري تبكي وتصرخ وتمزق شعرها ومن ثم تهدأ وتكمل : " الى ان عرفت (جاك) واحببته وتزوجنا بدون علم احد وأفهمني جاك انه يحبني ويريد ان ينجب مني ثلاثة من الاولاد وانه يريد ان يجعل الاول ضابطاً كأبيه والثاني طبيباً كأخيه والثالث مزارعاً الى ان كان ذلك اليوم الذي اكتشفت خيانتة لي ... فقد وجدت معه فتاة تلبس ملابس وتنام في فراشي وسمعتة يقول لها نفس الكلام الذي يقوله لي فأطلقت عليه رصاصة في رأسه وتركت الفتاة تنزل الى الشارع عارية !! وكرهته كأن لم اكره قبله ولا بعده ... وكرهت احلامي وآمالي والاطفال الذين سيصبحون ضباطاً واطباء ومزارعين وسيكونون رجالاً يخدعون الفتيات في كل مكان . وانا اريد ان اقضي على كل رجل في هذا البلد !! اريد ان اريح النساء من الرجال . لقد اعطيت نفسي لكل رجل رفضته قبل ذلك اعطيت نفسي لهم جميعاً " . وسقطت ماري على المقعد الطويل وبعد ان قامت منه نقلها رجال الشرطة الى السجن ... وبعد ذلك الى المشنقة .

كاترين (امبراطورة الشر !!)

كانت كاترين العظيمة امبراطورة لروسيا تزوجت بيتر الثالث امبراطور روسيا وبعد مضي خمس سنوات اكتشفت ان بيتر لا ينجب اطفالاً لذا تعرفت على احد الحراس في القصر وانجبت منه طفلاً ثم تعرفت على حارس اخر وانجبت منه طفلاً ثانياً وهنا ثارت ثائرة زوجها بيتر وقال لها ان الولدين ليسا منه ولكنها استطاعت ان تهدي من ثورته وقالت له سأخبرك بكل شيء بعد تناول العشاء وأعدت كاترين الطعام لزوجها بنفسها وامرت الطهاة والحراس ان يتركوا القصر تناول بيتر الطعام فبدأ يتلوى من الألم فقد كان الطعام مسموماً وعندما بدأ بالصراخ لم يسمعه احد فقد كانت الأبواب مغلقة ولا احد بالقصر ، كانت كاترين تنظر اليه وهو يتلوى من الألم وهي تضحك بطريقة هستيرية وعندما مات طلبت

من احد الحراس ان يقوم بدفنه وبعد ان قام بدفنه خانت ان ينكشف سرها فقتلته وأمرت حارس اخر بالتخلص منه وبقيت على هذا الحال حتى قتلت اكثر من ١٠٠ شخص والغريب في أمر هذه المرأة انها كانت تشرف بنفسها على عملية القتل والتلذذ بالنظر الى القتل والخنجر يخرج من جسمه ليتفرس فيه مرة اخرى.

٦ / ث - السحاقيات شاذات في المظهر والسلوك

ان مصطلح الشذوذ او الانحراف يُطلق على السلوك الذي يخرج عن العلاقة الطبيعية البشرية بسبب تطبعه بالطابع المشوه للمعايير والقيم الضابطة اجتماعياً والمسيء للأداب الأخلاقية الرفيعة المستوى والمفسد لثقة الناس . في المجتمع الغربي اغلب السحاقيات لديهنّ ارتباط بالحركة النسوية المؤثرة على الانشطة الاجتماعية والسياسية اقول انه سلوك شاذ لأنه يمثل الهروب من تكوين خلية اجتماعية (اسرة) ويقطع الامتداد البشري والخارج عن مقومات الدور الانثوي ومتحلل دينياً واخلاقياً وخارج عن الطبيعة البشرية في تفاعله الجنسي . فهو إذن سلوك مكتسب وليس وراثي غير متماهي مع المعايير الاخلاقية والضبطية والعرفية علماً بان القوانين الغربية لا تعاقب السحاقيات لأنه سلوك يعبر عن عدم رضى الأنثى بوصاية الرجل عليها ويعكس رغبتها في الاستغلال الشخصي والمالي والمهني والأسري والتصرف مع صاحبة السحاقيات تصرفاً تبادلياً في دورها أي كرجل وامرأة . انه مجرد سلوك متمرد على سلوك متصرف معارض يعبر عن تجمع نسوي معترض على عدم المساواة والاختلافات القائمة بين

الرجل والمرأة في العمل السياسة والأسرة . جدير بذكره في هذا السياق الى ان الساسة الغربيين يستغلوا هذه التجمعات لكسب اصواتهم في انتخابهم مقابل منحهم بعض الحقوق في العمل المهني والسياسي إلا ان الجندر كنوع اجتماعي لا يؤيد هذه السلوكيات المتطرفة ولم ينادي بها لأنها مخالفة لروح الطبيعة البشرية لكنها تمثل التحرر المطلق من هيمنة الرجل عليها بيد انها وهي في هذا الضرب من السلوك المنحرف تقوم بتقمص سلوك الرجل في علاقته الجنسية تجاه صاحبته . انها علاقة منحرفة قيماً وشاذة جنسياً وجانحة بشرياً وهي في مروقها الثلاثي هذا (الانحراف والشذوذ والجنوح) تقلد الرجل في سلوكه الجنسي وتقمص شخصيته وتحتذي سطوته على الطرف الاخر في سحقها معها لأن العلاقة الجنسية تتطلب نوعين من الشخصيات الناشطة و المتسلطة (الرجل) والخانعة والمستجديه (المرأة) مع تبادل الادوار فيما بينهما وهذا يعني انها لا تريد ان تكون خانعة ومستجيبة دائماً بل تمارس دور الرجل الناشط والمتسلط أي انها وهي في تمرداها على الرجل في سحقها فأنها تدور في دائرة الرجل انما بعيداً منه وانفصلاً عنه .

أدلف الان مدار تبصير القارئ بتفاصيل هذا التطرف الجنسي والشاذ . السحاق (بالإنجليزية Lesbianism) هي كلمة عربية ذات ابعاد سلبية تستعمل في اللغة العربية للحديث عن مثليات الجنسي ، ويعبر عنه عادة بمصطلح "الشذوذ الجنسي " في المؤلفات والكتب الطبية وان كانت بعض وسائل الاعلام اليوم تستخدم مصطلح " المثلية الجنسية " كمصطلح تحرري ومحاييد . مثلية الجنس هي امرأة تميل الى النساء جنسياً او عاطفياً ، استعملت في الماضي كلمة سحاقيات للحديث عن مثليات جنسياً لأنهن " يسحقن " أي يضغطن أثناء واعضاء بعضهن أثناء ممارسة الجنس . واصل الكلمة الأجنبي اغريقي يعود الى جزيرة لسبوس (بالإنجليزية Lesbos) حيث كانت مسقط رأس الشاعرة اليونانية صانو (Sappho) التي كانت تمارس السحاق مع النساء اليونانيات في القرن السادس قبل الميلاد .

الجنس :- يُشير الجنس الى الخصائص البيولوجية التي تعرّف الإنسان كأنثى وذكر . رغم ان مجموعتي الخصائص البيولوجية هاتين لا تقصي احدهما الأخرى ، فبعض الأفراد يمتلكون خصائص من كلا الجنسين إلا انها تميّز البشر

كذكور وكإناث . يشير المصطلح " جنس " في استخدامات عامة في لغات عديدة الى " النشاط الجنسي " ولكن لأغراض تقنية في سياق النقاشات حول الجنسانية والصحة الجنسية .

الصحة الجنسية :- تعريف لذاتها لجنسيتها في ما يتعلق بميولها الجنسية او العاطفية ، إذ كانت تميل لنوع اجتماعي مماثل لنوعها او مختلف عن نوعها مثلية ، مغايرة ام آخر . لا يتعلق تعريف شخص ما لهوية الجنسية بتصريف هوية الشخص الآخر في العلاقة . كما تتكون الهوية الجنسية من خمسة عناصر اساسية هي :- الجنس البيولوجي ، النوع الاجتماعي ، الدور الاجتماعي ، الميول الجنسية والسلوك الجنسي .

الجنس البيولوجي :- يتحدد الجنس البيولوجي بواسطة الجينات الوراثية والهرمونات حينما يكون هناك تلاؤم معين بين الجينات الموروثة والهرمونات ينجم عن ذلك الجنس البيولوجي الذكري والانثوي او الجنس المختلط .

النوع الاجتماعي / الهوية الجندرية :- النظرة الموضوعية لدى الذات بتعريفها هل هي رجل ام امرأة ، هل هي صاحبة صفات تنسب اجتماعياً للرجل ام صفات تنسب اجتماعياً للنساء . عند الأكثرية هناك تلاؤم بين الجنس البيولوجي الذي يحدده كل من الجينات ، الهرمونات والنوع الاجتماعي إلا ان هناك تناقضاً او عدم تلاؤم في حالات معينة بين الجنس البيولوجي والنوع الاجتماعي فنجد بالتالي ان هناك ذكوراً بيولوجياً يعرّفون انفسهم كنساء اجتماعياً ونجد ان هناك اناثاً بيولوجياً يُعرفون انفسهم اجتماعياً كرجال كما ان هناك من لا يعرفون / يعرفن انفسهم او انفسهن كنساء او رجال .

الدور الاجتماعي :- نظرة المجتمع الى الذات وتحديد تصرفها وسلوكها ، فطورها ودورها فيه . مثلاً نظرة المجتمع الى دور الرجل ان يعمل خارج البيت ليعيل زوجته واسرته والى دور المرأة ان تبقى في البيت لتعتني بأفراد الأسرة وزوجها . وهي بذلك تحدد سلوك الرجل وتصفه بالرجولة وتعطي سلوك المرأة صفة الأنوثة . وعادةً ما تُسبب ادوار تركز من دونية النساء اجتماعياً وتحد من مشاركتهن في الحيز العام . او من توليهن دوراً قيادياً في المجتمع . وفي المقابل حظي دور الرجولي بصفات قيادية بالغة التأثير في كل جوانب الحياة الاجتماعية الثقافية السياسية والاقتصادية .

الأنوثة والذكورة :- يعود هذا المصطلحان الى مجموعة سلوكيات ، شكل جسماني او اهتمام اجتماعي ما (الملابس والموضة) تُربط عادة النساء (الأنوثة) او بالرجال (الذكورة) في المجتمع . يرى المجتمع الذكورة كمرادفة لما هو رجالي والأنوثة كمرادفة لما هو نسائي . إلا ان الذكورة لا تقتصر بالضرورة على الميدان الرجالي فقط كما ان الأنوثة لا تقتصر بالضرورة على الميدان النسائي ، فقط أي ان هناك نساء من الممكن ان يكن ذكوريات في كل ما يتعلق بالسلوك ، اللباس او الهيئة الخارجية . وبالقدر نفسه من الممكن للرجال ان يكونوا انثويين من ناحية معينة او من نواح عديدة . لا تقتصر الذكورة على الميدان الرجولي فحسب كما ان الأنوثة لا تقتصر على الميدان النسائي فحسب . لكون الذكورة او الأنوثة لا تحدد النوع البيولوجي ، النوع الاجتماعي ، او الميول الجنسيّة عند الإنسان ليس كل امرأة ذكورية هي مثليّة الجنس ، كما انه ليس كل رجل أنوثي هو مثلي الجنس .

الميول الجنسية :- هو الانجذاب الجنسي الاساسي الفطري ، العاطفي والحسيّ تتضمن الميول الجنسيّة صور مختلفة للجنسيّة المختلفة التي تحمل مجمل ممارسة التجارب الجنسية والعاطفية الحسيّة مع افراد نفس الجنس او مع الجنس الآخر . إن الشخص الذي يميل جنسياً الى افراد جنسه فقط يدعى مثليّ الجنس .

متحرر / متحررة الجنس :- يصف هذا المصطلح هويات وظواهر اجتماعية متعددة بعيدة عن الميول الجنسية المغايرة والدور الاجتماعي السائد عند الرجال والنساء في مجتمعات احادية الفكر الجنساني في بعض الاحيان يُستخدم هذا المصطلح ايضاً لوصف المختلف الآخر البعيد عن القاعدة المُسرّعة والمتفق عليها .

مغيّرو / مغيرات النوع الاجتماعي :- لا تتحدد الهوية وفق الجنس البيولوجي او وفق نظرة المجتمع للذات (رجل ام امرأة) فحسب وانما حسب ما تشعر به الذات تجاه نفسها ، فمن الممكن لرجل ان يتأثت اجتماعياً او لامرأة تتذكر اجتماعياً وهذا يتعلق بالضرورة بميولها الجنسية او برغبتها في تغيير نوعها البيولوجي.

مغيّرو / مغيرات الجنس البيولوجي :- يكون هذا حينما تشعر النساء أنهنّ رجال ويشعر الرجال انهم نساء ، يتجّه مغايرو الجنس لتغيير الجنس من خلال العلاج

الهرموني او من خلال عملية جراحية في حين قبل او بعد تغيير الجنس يكون / تكون / مغاير / مغايرة الجنس او مزدوج / مزدوجة الجنس ام مثلي / مثلية الجنس .

مُخاطلوا الجنس البيولوجي :- صفة وراثية يحملها الجنين / المولود بحيث يطور اعضاء جنسية داخلية وخارجية غير واضحة الملامح تشبه اعضاء الذكر او الانثى . ان مخاطة الجنس ليست بالضرورة يكونوا مثلي الجنس .

مسترجلة :- هي المثلية التي تميل الى تصرف اجتماعي ذكوري .

ناعمة :- وهو المثلي الذي يميل الى تصرف اجتماعي انثوي .

عابر / عابرة اللباس :- امرأة او رجل يرتديان لباساً لا يتناسب ثقافياً واجتماعياً مع نوعهم الاجتماعي على سبيل المثال ، ذكر يرتدي لباس امرأة ويصمم شعره ويُمكح وجهه كالنساء . لكن من المهم جداً الانتباه الى ان تغيير الملابس لا يعني بالضرورة ان الإنسان مثلي . فمن الممكن لعابر / عابرة اللباس ان يكون / تكون مغاير / مغايرة الجنس او مثلي / مثلية الجنس .

ملك العروض :- وهو الذكر الذي يرتدي لباس النساء وذلك يشمل المكياج والشعر المصمم ويقوم بعرض مسرحي غنائي او راقص .
ملكة العروض :- وهي الأنثى التي ترتدي لباس الرجال وتقوم بعرض مسرحي غنائي او راقص .

متعددة النوع الاجتماعي :- الشخص الذي يملك النوعين الاجتماعيين ويظهرهما لكن كل على حدة فهو او هي يمكن ان يظهر / تظهر كامرأة يوماً او كرجل يوماً اخر .

رهاب المثلية :- الخوف والاشمئزاز والمُنافرة من مثلي الجنس او مزدوج / مزدوجة الميول الجنسية . تزداد حدة هذا التصرف تجاه المثليين حينما يصبح الغضب ، النقمة والكره اساساً في اضطهاد المثليين . في العديد من الحالات يؤدي العنف الرمزي الذي يحمله مفهوم " رهاب المثلية " للمثليين الى عنف جسدي .

رهاب المثلية الذاتية / الباطنية :- مشاعر الخوف والاشمئزاز والافكار المسبقة التي يحملها مثلي الجنس تجاه ذاته خاصة وتجاه الآخرين .

مغايرة الجنس البحتية :- وهو توجه اجتماعي يعني تجاهل وانكار افراد المجتمع مغاير الجنس الكيان ووجود مثلي الجنس (واحرار الجنس اجمالاً) يعكس هذا التجاهل من حيث عدم إيلاء احتياجات المثلي / ات الشخصية والاجتماعية الخاصة بهم / نّ والمختلفة عن احتياجات المغايرين / ات جنسياً . هذا التوجه يؤدي الى إعادة صياغة متكررة للمجتمع خالٍ من التنوع الجنسي وبالتالي الى تعزيز الهوية المغايرة وكأنها الوضعية الطبيعية او المشرّعة الوحيدة.

الفخر :- يحملُ الفخر بُعدين

البُعد الشخصي : السيرورة في بلورة الهوية المثلية لدى مثلي الجنس ، وتخطيّ مرحلة رهاب المثلية الباطنية الذاتية ، وقبول المعاني الإيجابية في الميول المثلية.

البُعد الاجتماعي - السياسي :- تنظيم سياسي لدى مجموعات مثلي الجنس او المتحررين جنسياً من اجل الحصول على حقوق اجتماعية متساوية كما هو الحال لدى مُغايري الجنس في حزيران ١٩٦٩ اندلعت مظاهرة عفوية في نيويورك جرّاء تهجّم الشرطة العنيف على نادٍ ليلي باسم " ستون ول " والذي تواجد فيه مجموعات من المثليين والمثليات حينها . منذ ذلك الحين وحتى الان تقام مواكب الفخر فسي شهر حزيران من كل عام في مدن العالم الكبيرة إحياءً لذكرى هذه الحادثة . تُعد مواكب الفخر منبراً سياسياً واجتماعياً وحدثاً للترفيه ورفع الوعي للمجموعات المثلية ، احرار الجنس والمغايرة .

سُلّم كينسي :- يتكون سُلّم كينسي من سبع درجات يبدأ السُلّم من الدرجة الصفر وهي تعني مغاير الجنس المطلق ثم ينتهي بالدرجة ٦ وهي تعني مثلي الجنس المطلق . يصف سُلّم كينسي التواصل الجنساني عن الإنسان . بناه الباحث الاجتماعي كينسي في اوائل الخمسينات وهو يستخدم حتى الآن في اباحث اجتماعية اخرى الى جانب طرق اخرى تصف الاختلافات الجنسية عن الإنسان .

الإشهار بالمثلية ، الخروج من الخزانة :- وهي وصف وضعي للسيرورة التي من خلالها تتبلور هوية الشخص الجنسية حتى الوصول الى مرحلة قبول الذات بهويتها الجنسية واشهار الهوية الجنسية امام العائلة ، الاصدقاء واحياناً امام

الشيء نتيجة لتعرض البنت للخيانة من قبل حبيبها وكرهها لجميع الرجال وعدم الرغبة في بناء علاقة معهم فتلجأ لعلاقة بنت مثلها (باعتقادها ان هذه العلاقة ليست لديها أي سلبيات ولا تؤدي للمشاكل ولا تضر بالصحة) فتصل العلاقة الى ...!! قضية خطيرة منتشرة بشكل كبير في وقتنا الحالي ... شذوذ بين الفتيات !! مناظر مزرية نكاد نراها بشكل يومي في المدارس ، الجامعات... الخ بدايتها الاعجاب ونهايتها السحاق !! [www.al-7up.com]

عالم السحاقيات في العالم العربي حقيقة واقعة والدين في المنتصف ونحن نكشف المستور

بداية يجب ان تتمتع بعقل مفتوح لا ينكر الآخر قبل ان تقرأ هذه السطور ونحن نصر كالعادة على اقتحام كل الخطوط الحمراء فإننا لا نقيم وزناً لمن يريد دفن رأسه في الرمال وعندما نتحدث عن مجتمعات الشرق المتحفظة والمحافظة فإننا نؤكد ان ما تحت الجلد لا يخرج عادةً الى العلن إلا على هيئة فضيحة لكن فيما يخص ما نتحدث عنه اليوم فإننا لم نرصد أي فضيحة من هذا النوع حتى الآن فهذا هو المسكوت عنه والمقبول به ايضاً ربما باعتباره اقل الضررين بينما تدقق مجتمعات بأكملها ذلك فأن المجتمعات التي تمارس الانغلاق وتضع الف حارس على كل امرأة هي اكثر المجتمعات التي تعاني من تفشي الظاهرة فبداية لا ترفض قبل ان تقرأ .

حين سئل الشيخ القرضاوي عن المساحقات والعقوبة التي حددت بشأنهن اکتفى بعرض اقوال القدماء معتبراً ان ممارسات النساء اقل خطورة من ممارسات اللواتين لكونها لا تقوم على استدخال عضو في آخر وإنما هي مجرد ملامسات. وكالعادة لم يكلف الشيخ نفسه عناء البحث والاستدلال ولم يحاول ان ينظر الى الموضوع من زاوية جديدة فيها إمام بالعوامل المؤدية الى ظهور مثل هذه الممارسات وإنما كان همّه إبراز رأي " الشريعة " في اللواتين . وعبرت بعض الآراء التي قدمها القرضاوي عن تصوّر محدد للجنسانية مفاده أنّ اللذة قائمة على فعل الجماع وحده ، أي على الجنسانية السائدة ولا يمكن ان تتأتى من اشكال اخرى من الممارسات الجنسية . ارتأينا ان نبين كيف يتعامل القدامى مع السحاقيات وكيف واجهوا هذه الممارسات ؟

تختلف نظرة المجتمع الى الجنسانية باختلاف الجنس . وقد عكست النصوص هذا التميز بين الرجال والنساء حينما توسّعت في الإخبار عن اللواتين . فتلك مهارات ذكورية تومئ الى تفجّر طاقة شهوية تفند ما استقر في الأذهان من أن غلّة المرأة تفوق شهوة الرجل . وفي المقابل سكت اغلب الرواة والمؤرخين عن ممارسات النسوان الجنسية فلا نكاد نعثر إلا على بعض النتف من الاخبار المبتوثة في ثنايا كتب اهتمت بمواضيع ذات وشائج بالأدب والتاريخ والتصوف وغيرها . ولعلّ الثقافة العالمية بهذا التهميش قامت بعملية حجب كل ما له علاقة بحياة المرأة الجنسية . وهو امر يبين الصلة المتينة بين الذكّر والذكور . فما دون له في الغلب علاقة بالذكر أي بالرجل لا بالمرأة . ورغم تهميش العلماء السحاق فإن الدلائل تثبت ان هذه العادة عرفت في المدينة وفي بغداد وفي الأندلس وفي غيرها من الامصار واستشرت بالخصوص في قصور الخلفاء بين النساء سواء كنّ من الجوّاري او الحرائر وفي مقابل ذلك ندر وجود السحاق في البادية . وما زالت الممارسة حاضرة في الواقع المعيشي حتى وان حاولت الذاكرة الاجتماعية تجاهلها او التقليل من شأنها وربما يعود السبب في ذلك الى ان السحاق مخيف فهو يتحدى الفحولة في العمق ويستنزف السلطة الاجتماعية ويتحدى نظمها ومؤسساتها .

ولا غرابة ان يهمل الفقهاء النظر في هذه الممارسة وان لا يفرّدوا لها مبحثاً خاصاً لبيان الاحكام الخاصة بالسحاق غاية ما يعثر عليه الباحث بعض الإشارات التي لا تتعدى التنديد بالظاهرة والتحذير من خطر العدوى والدعوة الى ضرورة إحكام السيطرة على النساء وقصرهنّ في البيوت ومنعهنّ من دخول مواضع الشبهة نحو الحمامات . فقد أقرّ التلمساني وغيره بـ " مفسدة " تفشت في العصر وجعلت منع النساء من دخول الحمام أكيد وهي " تحرك شهوة التفاعل الذي يختار بعضهنّ لذته عن مياضعة الرجل " . [egyoffline.com]

بان كي مون يدعو الى مواجهة الهجمات على " السحاقيات " ومثلي الجنس
دعا الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون في خطابه خلال اجتماع اللجنة الأولمبية الدولية العالم الى التصدي " للهجمات على السحاقيات ومثلي الجنس " وذلك عشية افتتاح الالعاب الأولمبية الشتوية في سوتشي . استنكر الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون خلال اجتماع اللجنة الأولمبية الدولية في افتتاح دورة

الالعاب في سوتشي الهجمات على السحاقيات ومثلي الجنس وخلال تصريحاته قال بان كي مون : الكثير من الرياضيين المحترفين المثليين وغير المثليين يرفضون الاحكام المسبقة ، وعلينا جميعاً ان نرفع الصوت لرفض الهجمات على السحاقيات ومثلي الجنس والمتحولين جنسياً وأضاف علينا رفض الاعتقالات والسجون والقيود التمييزية بحقهم . [www.elnashrasports.com]

صورة من صور الجندر

تظاهرات نساء عربيات وإيرانيات عاريات في باحة متحف اللوفر في باريس بمناسبة اليوم العالمي للمرأة مطالبات بالحرية والمساواة والعلمانية .
وذكرت إذاعة (فرانس ٢٤) الفرنسية ان التونسية امينة السيوعي والمصرية علياء المهدي وخمس نساء اخريات عربيات وإيرانيات نزلن اليوم الى ساحة اللوفر في باريس وتظاهرن عاريات بالكامل امام اهرامات المتحف الفرنسي الشهير . [جريدة التلغراف الاسترالية عدد ٥٨١٢ بتاريخ ١٠ / ٣ / ٢٠١٤]

٦ / ج - كفاح المرأة الاسترالية

كتب هاني الترك مقالاً عن هذا الموضوع في جريدة التلغراف الاسترالية بتاريخ ١٠ / ٣ / ٢٠١٤ ما يلي : في تاريخ الاسترالي لم يتحسن وضع المرأة الاسترالية بمعنى الكلمة حتى عام ١٨٧٥ حين بدأت الدفاع عن حقوقها حتى وصلت ما وصلت اليه في يومنا الحالي . ففي عام ١٨٨٤ اول منظمة من النساء الاستراليات من اجل المطالبة بتحسين اجورهن واحوالهن ... وفي عام ١٨٨٨ اصدرت اول صحيفة عن المرأة اسمها (انتر برثر) وفي عام ١٩٠٣ تأسست الهيئة الانتخابية للمرأة الاسترالية لتعليم وتطوير مواهب وقدرات النساء والاطفال ... وفي عام ١٩٠٦ قامت فيدغو لدين رئيسة جمعية المرأة السياسية المطالبة في البرلمان بالزواج المتكافئ وباصلاح قانون الطلاق وترقية المرأة في قطاع الخدمة العامة في الحكومة والمساواة في المرتبات . اول احتفال بيوم المرأة شق طريقه عام ١٩٢٨ حيث نظمت حركة النساء الاستراليات يوم المطالبة بالمساواة الاقتصادية من اجل اجور وظروف عمل افضل فعقدت

الاجتماعات واقامت التظاهرات في ذلك العام على مختلف مستويات الدول كلها لتعبئة الروح العامة بتحقيق المطلب السياسي في المساواة الاقتصادية بين الرجل والمرأة ... وكانت المؤسسات النسائية في ذلك الوقت بمثابة اللوبي الضاغط لتحقيق مطالب المساواة . وحتى الحرب العالمية الثانية وصل عدد العاملات في استراليا حوالي ٥٥٥ الف امرأة ... وفي عام ١٩٥٥ وافقت الجمعيات المتحدة النسائية على المطالب بالمساواة في الاجور وتحسين ظروف العمل وحث النساء على دخول ميادين مهنية وعلمية مثل الطب والعلوم التي كانت في الماضي مقصورة على الرجال فقط .

اما في السبعينيات من القرن الماضي طرحت شعارات جديدة لحقوق المرأة منها استعمال حبوب منع الحمل والعناية بالأطفال ومنع العنف وممارستها علناً حتى بلغت اعلى نقطة قدر ان تصل اليها .

توج كفاح المرأة الاسترالية في الثمانينيات بصور قوانين مختلفة سواء فيدرالية او عن الولايات تحمي حقوق المرأة وتصونها مثل قانون العائلة وقانون عدم التمييز الجنسي الذي منح المرأة المساواة التامة بينها وبين معاملتها بأسلوب هابط يؤدي شخصيتها او يحط من كرامتها او يعاملها على اساس انها اقل من الرجل . نالت المرأة الاسترالية اعلى درجة من الحقوق نالتها امرأة في تاريخ البشرية والدرس الواضح المستنبط من هذه النبذة التاريخية لكفاح المرأة الاسترالية عبر قرون من الزمن هو ان نضال المرأة قد بدأ اساساً بالكفاح من اجل التحرير الاقتصادي والذي هو الشرط الاساسي لنيل الحريات الاخرى السياسية والاجتماعية والتعليمية والدينية والشخصية حتى الجنسية .

فقد تطور التحرر الاقتصادي وادى الى تحقيق الحريات الاخرى في صورتها الحالية . حيث اصبحت المرأة الاسترالية تتمتع بالشخصية القوية وتمتيز بالاستقلالية وتحمل المسؤولية والحزم والارادة والاعتماد على النفس والولع في المعرفة والرغبة في التجول والسفر والتمتع بقدرتها والقدرة على اسعاد نفسها مما يكسبها الخبرة في الحياة والنضج الفكري المبكر ويمكن ملاحظة هذه الصفات الحميدة في طريقة تربيتها للطفل ومن الجو العائلي وعلاقتها العامة في المجتمع وكيفية ادائها لوظيفتها ويتجلى ذلك في احتلالها مراكز قيادية وسياسية واقتصادية وعلمية واجتماعية ... بل ان عدد النساء اللواتي يشغلن مناصب عامة في استراليا اصبح يفوق عدد الرجال . وترفع شعارات عالمية لتحرير المرأة في

العالم والمشاركة في القضايا الدولية مثل شعارات السلام ، العدالة ، التضامن ،
التنوع الحضاري ومقاومة الحرب ومكافحة العنصرية . [جريدة التلغراف
الاستراتيجية عدد ٥٨١٢ بتاريخ ١٠ / ٣ / ٢٠١٤] .

٦ / د - النهضة النسائية العربية

اجد من المفيد - في هذا المقام - ان اقدم صورة مصغرة عن المرأة العربية في
تاريخ مجتمعنا ، وقد اعتمدتُ على الباحثة ليلي الصباغ في كتابها المرأة في
التاريخ العربي المنشور عام ١٩٧٥ إذ قالت فيه ما يلي " لم تدون مكانة المرأة
الاجتماعية ويسجل دورها من قبل المؤرخين لأنهم كانوا يركزون في دراستهم
على الامور السياسية وشخصيات الامراء والخلفاء والسلاطين والملوك " . وقد
خصت المرأة ببعض الحديث كما جاء في كتاب (الأغاني) للأصفهاني ٣٥٦ هـ
(٩٦٧ م) و (العقد الفريد) لأبن عبد ربه ٣٢٨ هـ (٩٤٠ م) و (نفح الطيب
في غصن الاندلس الرطيب) للمقري ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م) والطبري ٣١٠ هـ
(٩٣٢ م) والمسعودي ٣٤٦ هـ (٩٥٦ م) وابن الأثير ٦٣٠ هـ (١٢٣٨ م)
وابن خلدون ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) وغيرهم . إلا انها في مجموعها قد ركزت
على (شهيرات النساء) من ملكات وفقهات ومتصوفات ومجاهدات وقيان
واخيراً جوار كان لهنَّ في مجالسة الامراء والخلفاء وتمتعهنَّ بباع وشأن ويمكن
القول ان اهتمام المؤرخين بالأحداث السياسية دون الحضارية والتركيز على
حياة الأفراد العظام في دراسة التاريخ كانت عاملاً اساسياً في توجيه نظرهم الى
عمل الرجل دون المرأة .

اما المؤرخين المعاصرين فأنهم بحثوا في كيف كان الناس يعيشون وما حدث
من تغيرات اقتصادية وما اسهمت به كل فئة من فئات المجتمع في الفكر والعلم
والسياسة والحرب . لكن حالة تقدم المرأة فلا تعرف حتى في هذا الزمن إلا
بالاستتباط ذلك ان النساء كنَّ ينظرنَّ اليهنَّ في كافة العصور وحتى الوقت
الحاضر على انهنَّ تابعات للرجل .

لكن منذ مطلع القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر فقد اثارت (نهضة المرأة
المعاصرة) بعامة و (المرأة العربية) بخاصة وخروجها من قمقمها وحجابها
ومطالبتها الجادة برفع استبداد الرجل عنها ومساواتها به في جميع مجالات الحياة
والعمل ولاسيما بعد الحرب العالمية الاولى وثورتها على التقاليد التي كانت

تعيشها والتي لا يزال كثير منها يكبلها ودعوة بعض المصلحين الاجتماعيين والادباء لتحريرها ومنهم (قاسم امين) ١٨٦٥ - ١٩٠٨ ومحمد جميل بينهم وعمر رضا كحالة الذي وضع معجم لمشاهير النساء العربيات والمسلمات (اعلام النساء في عالمي الغرب والاسلام) . [صباغ . ١٩٧٥ . ص . ص . ٥ - ٩] .

ويضيف الباحث فيصل جلول فيقول " ان حضور قضية المرأة عند الحكومات العربية الحديثة والمعاصرة لا يتعدى تعيين وزيره او نائبه في برلمان او حكومة تلعب دوراً يمكن ان يلعبه أي رجل ، وليس صعودها وبالتالي مؤشراً لحركة نسائية حاضرة وفاعلة وليس تحسناً بقضية نسائية عادلة او دليلاً على موقف مختلف من هذه القضية .

وأن الحركات التحرر النسائية التي تتبنى قضية المرأة لم تتجاوز في طروحاتها إطار المطالب الكلاسيكية المزمنة (المشاركة في الانتاج ورفض الاعمال المنزلية ... الخ) ولم تطرح المشكلة بوصفها جزءاً من مشاكل اعمق . وهذه الحركات في طرحها للقضية لم تواجه من قبل السلطات في كل مكان بردود فعل مأساوية ، بل وجهت بتنوع من العطف الذي يشبه عطف الرجل على مطالب تقدمها زوجته فيتحقق بعضها ويهمل بعضاً اخر . [جلول . ١٩٨٠ . ص . ١٨٣]

بينما يضع الكاتب محي الدين صبيحي الملامة على عاتق النساء انفسهم حيث قال " لكي اظهر لكم كم ان قضية تحرير المرأة المزيفة ، احيك الى النساء المثقفات ألا ترى ان المرأة العربية المثقفة لا تجعل من تحرير المرأة قضيتها ؟ دعني ارسم لك الخطوط العريضة لمسار المرأة المثقفة في بلادنا ، انها تبدأ مسيرتها في الحياة العامة بنشر بعض الشعر المنثور ، ثم تتطور فتكتب بعض القصص القصيرة ، او رواية متوسطة الحجم والقيمة وقد تكتب بعض المقالات للمؤثرات النسائية ، وعنها فإذا حققت لنفسها مركزاً مرموقاً وحصلت على زوج متميز ، استمرت وضعها وتحولت الى سيدة صالون ! " [صبيحي . ١٩٨٠ . ص . ١٨٣] .

النهضة النسائية المصرية

مع قيام الدولة الحديثة في عهد محمد علي برز دور المرأة واضحاً حيث أنشئت مدرسة الممرضات عام ١٨٣٢ حيث كانت النواة الأولى التي مهدت لخروج المرأة المصرية الى العمل غير ان هذا الأمر لم يحدث فجأة بل ساعد عليه واسهم فيه تبني عدد من العلماء والمفكرين المصريين من دعاة التنوير مثل رفاة الطهطاوي وقاسم امين قضية المرأة المصرية ومطالبتهم بتعليم المرأة وبحقها في العمل .

وفي اوائل القرن العشرين اسست مجموعة من النساء المصريات اول تنظيم غير حكومي للخدمات (مسيرة محمد علي - الرابطة الفكرية للنساء المصريات) ليكون ايداناً بمشاركة اوسع للمرأة المصرية في العمل العام حيث انشأت واشتركت في العديد من الجمعيات الخيرية والتطوعية وكذا كان خروج النساء المصريات في طليعة الجماهير المشاركة في ثورة ١٩١٩ واستشهاد احداهن دلالة واضحة على انخراطها في الحركة الوطنية المصرية وبالرغم من ذلك فقد صدر دستور ١٩٢٣ دون ان يعطيها حقوقها السياسية مما ادى الى تصاعد الدعوة للمطالبة بحصول المرأة على هذه الحقوق .

تم تأسيس اول حزب سياسي للمرأة تحت اسم الحزب النسائي المصري عام ١٩٤٢ وطالب الاتحاد النسائي المصري في عام ١٩٤٧ بضرورة تعديل قانون الانتخابات باشتراك النساء مع الرجال في حق التصويت وضرورة ان يكون للمرأة جميع الحقوق السياسية وعضوية المجالس المحلية والنيابية كما خرجت مظاهرات نسائية خلال المؤتمر النسائي الذي عقد في ١٩ فبراير عام ١٩٥١ تهتف بأن البرلمان للنساء والرجال .

وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ نص دستور ١٩٥٦ على منح المرأة حقوقها السياسية الكاملة حيث سادت قناعه بأن حرمان المرأة من هذه الحقوق يتنافى مع قواعد الديمقراطية التي تجعل الحكم للشعب كله وليست جزء منه فقط وبناءً على ذلك دخلت المرأة لأول مرة البرلمان اثر انتخابات عام ١٩٥٧ .

كان حصول المرأة على حقوقها السياسية بداية لتمتعها بمزيد من الحقوق الاخرى مثل حق في تقليد الوظائف العامة والعليا وفي الاعتراف بها كقوة انتاجية على قدم المساواة مع الرجل وقد توج هذا التطور بتعيين اول وزيرة للشئون الاجتماعية في مصر عام ١٩٦٢ . استمر منذ ذلك التاريخ اسناد مناصب

وزارية للمرأة في جميع الحكومات المصرية وترسخ تمثيلها في المؤسسات التشريعية والسياسية الاخرى .

ارتبطت النهضة النسائية في مسيرتها الطويلة التي امتدت قرابة القرن ونصف القرن بقضايا مجتمعية طرحتها ضرورات التقدم فعندما بدأ محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة في تأسيس الدولة العصرية ارتبط ذلك بضرورة تحديث المجتمع لخدمة هذه الدولة وضرورة تعليم المرأة فنشأت مدرسة المولدات سنة ١٨٣٢ لتخريج القابلات او ما يعرف الآن بأخصائيات امراض النساء .

وفي سنة ١٨٧٢ اصدر رفاة الطهطاوي كتاباً مهماً بعنوان " المرشد الأمين للبنات والبنين " طرح فيه بقوة قضية تعليم الفتاة وكان لهذه الدعوات وغيرها اثرها في المجتمع فساندت زوجة الخديوي اسماعيل انشاء اول مدرسة حكومية لتعليم البنات في مصر سنة ١٨٧٣ وهي المدرسة " السيوفية " التي ضمت بعد ٦ اشهر من افتتاحها ٢٨٦ تلميذة ساندت المرأة قضية التعليم للجميع في سبيل النهوض بالمجتمع فتبرعت الأميرة فاطمة بنت الخديوي اسماعيل بأرض كانت تملكها لإقامة مبنى للجامعة الاهلية (القاهرة الان) ووهبت مجوهراتها الثمينة للأنفاق على تكاليف البناء وواقفت اراضي زراعية شاسعة على مشروع الجامعة وفي عام ١٩٢٨ التحقت المرأة بالجامعة المصرية .

استمرت مسيرة تعليم المرأة حتى وصل عدد المدارس الحكومية للبنات عام ١٩٤٥ حوالي ٢٣٢ مدرسة تضم حوالي ٤٤٣١٩ طالبة ولعبت المرأة دوراً في محاولة تحريك النهضة النسائية من خلال المشاركة من المؤتمرات الدولية فشاركت (هدى شعراوي) من خلال مؤسسة الاتحاد النسائي بأول وفد عربي في المؤتمر النسائي الدولي بروما سنة ١٩٢٣ .

استثمرت المرأة في النهضة الصحفية في تلك الفترة في تأسيس صحافة نسائية تتبنى القضايا النسوية وتدافع عن حقوق المرأة ومكانتها ضد جمود التقاليد فأصدرت (هند نوفل) اول مجلة مصرية هي (الفتاة) في ٢٠ من نوفمبر ١٨٩٢ في الاسكندرية كما صدرت (جميلة حافظ) مجلة نسائية مهمة هي (الريحانة) .

وسعت المرأة لتأسيس احزاب سياسية تدافع عن قضاياها فنشأ حزب (اتحاد النساء المصريات) الذي اصدر جريدة عام ١٩٢٥ بعنوان (المصرية) باللغة العربية والانجليزية .

وأُسست فاطمة نعمت راشد سنة ١٩٤٩ الحزب النسائي الوطني والذي كان على رأس مطالبه قبول النساء في كافة وظائف الدولة كما شكلت دريه شفيق حزب (بنت النيل) سنة ١٩٤٩ والذي دعمته السفارة الانجليزية وتأسيس الاتحاد النسائي العربي سنة ١٩٢٤ .

ويلاحظ ان طرح قضية المرأة ونهضتها تزامن مع طرح قضيتين مهمتين : الأولى : تتعلق بقضية تحديث المجتمع الذي بدأ في عصر محمد علي باشا للنهوض بالأمة المصرية واللاحق بالغرب المتقدم .

الثانية : تتعلق بقضية الاستعمار والكفاح الوطني من اجل الاستغلال والتحرر الوطني . [عبد الحميد . ٢٠٠٧ . ص . ص . ١٠ - ١٤]

المرأة والصالونات الادبية المعاصرة

الصالون الأدبي هو شكل مدني تقليدي غير رسمي من اشكال التواصل بين المبدع والمتلقي يتيح عبر انشطته المختلفة فسحة مصغرة للحوار والجدل وتبادل الرأي في مسائل وقضايا ذات طابع ثقافي - فكري ويمكن اعتباره على ما هو عليه الان امتداداً لما عرف في تاريخ الادب العربي بـ (المجالس الادبية) واللافت ان المرأة لها الدور الأبرز في هذا المجال ويعزو بعض الدارسين سبب ذلك الى ان المرأة في كثيرة من المراحل التاريخية حرمت من المشاركة الفعلية في الحراك الثقافي العام . فآثرت - والحال كذلك - ان تستدعي هي رجال الفكر والادب والفن الى صالونها او مجلسها كي تدلي بدلوها في هذا الشأن او تلك القضية ، وبالتالي فإن نشاط المرأة في انشاء مجلس ادبي خلال التاريخ العربي الاسلامي فرضه الواقع الذي همش المرأة في بعض المراحل التاريخية وحال دون وصول صوتها الى المتلقي ولأن صح هذا التحليل فإن دور المجلس او الصالون الادبي لم يقتصر على تلبية هذه الحاجة بل تجاوز ذلك حتى اصبح بمثابة مركز ثقافي يتناول مختلف القضايا وخصوصاً في ظل غياب وسائل الاتصال الحديثة في الماضي حين كان هذا التقليد له دور هام وهكذا شهدت مدن مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة وبغداد ومدن الاندلس

مجالس ادبية كانت اشبه بمرآة تعكس حال الثقافة مثلما هي وسائل الاعلام الحديثة اليوم .

ولعل المرأة الاولى التي اسست مجلساً ادبياً في التاريخ العربي الاسلامي كانت سكينه بنت الحسين التي اقامت مجلساً ادبياً في الحجاز يتردد عليه اهل الادب والفقه والسياسة ينافسون فيه مسائل دينهم ودنياهم ، وفي الاندلس وتحديدأ في مدينة قرطبة مارست الشاعرة ولادة بنت المستكفي (ملهمة الشاعر الاندلسي ابن زيدون) مثل هذا التقليد فكانت تستضيف اهل الادب الشعراء منهم خصوصأ للحديث عن الشعر وهومه والدخول في منافسات شعرية حامية تقود الى فرز غث الشعر من سمينه وفق معايير النقد في تلك المرحلة .

والملاحظ ان هذا التقليد الادبي قد تراجع في البلاد العربية ابان المرحلة العثمانية التي دامت اربعة قرون فإذا اعتبرنا ان المجالس الادبية هي انعكاس صحي وسليم لمواقع الحركة الادبية والثقافية في المجتمع فأن من الطبيعي ان يغيب هذا التقليد في المرحلة المشار اليها لكونها كانت مرحلة اتسمت بالافتقار الى الشعر والثقافة والفن حيث فقدت المجالس الادبية زخمها الفكري والثقافي وفرغت من محتواها الحقيقي وتحولت الى لقاءات طغت عليها الموسيقى والرقص والتنجيم واخذت طابعاً تهريجياً مختلفاً لا يمت الى الثقافة والادب بصلة .

لكن ومع مطلع القرن العشرين المنصرم عاد هذا التقليد الى الظهور من جديد واطلق عليه اسم الصالون الادبي الذي كان معروفاً في الدول الاوربية ولا سيما فرنسا التي اشتهرت ولا تزال بمثل هذه اللقاءات الادبية ليكون الصالون امتداداً للمجالس الادبية التي ظهرت في التاريخ العربي الاسلامي ، ففي مصر برزت الادبية مي زيادة التي حقق صالونها الادبي شهرة واسعة كما برزت ادبيات اخريات مثل زينب فواز وهدى شعراوي واماني فريد وملك حنفي ناصف المعروفة بباحثة ادبية وغيرهن من اللواتي نشطن في مجال الدعوة الى تحرير المرأة مثل كتابات قاسم امين ورفاعة الطهطاوي ومحمد عبده واحمد فارس الشدياق وعبد الله النديم وعلي مبارك وسواهم .

اما في سوريا فقد اشتهرت الادبية مريانا مراش التي كانت السبّاقة الى إحياء تقليد المجالس الادبية في ظروف سياسية واجتماعية بالغة الحساسية والتعقيد رافقت نهايات المرحلة العثمانية في اوائل القرن المنصرم ، كما برزت ماري عجمي صاحبة مجلة العروس ، فبعد انحلال عقد الرابطة الادبية التي

تأسست في دمشق عام ١٩٢٢ بجهود ماري عجمي استأنف اعضاء الرابطة لقاءاتهم في منزل ماري في حي باب توما بدمشق القديمة وقد استضافت صالونها وجوهاً ادبية بارزة من امثال خليل مردم بيك وعبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) وفخري البارودي وحبیب كحالة وشفیق جبري وغيرهم .

كم اسست زهراء العابد زوجة محمد علي العابد وهو اول رئيس للجمهورية السورية نهاية الثلاثينيات صالوناً في منزلها وكذلك ثريا الحافظ لعبت دوراً في هذا المجال إذ اقامت صالوناً ادبياً اطلقت عليه اسم (سكينه بنت الحسين) تخليداً لذكراها وتقديراً لدورها الريادي واحتفت في صالونها بأسماء هامة مثل الشاعرة العراقية نازك الملائكة والشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان .

وفي المرحلة اللاحقة ، أي في العقود الاخيرة من القرن الماضي برز اسم المحامية والكاتبة حنان نجمة التي تملك الى الان صالوناً في شارع العابد قرب مبنى البرلمان بدمشق ولعلّه الاقدم بين الصالونات المتواجدة حتى الان والتي تمارس نشاطاً شهرياً ، فقد حذت نجمة حذو مجموعة من الكاتبات السوريات في محاولة منهنّ لتنشيط الحركة الثقافية من جهة وتفعيل دور المرأة المهمش في القنوات الرسمية من جهة اخرى وقد استضاف هذا الصالون منذ انشائه عام ١٩٨٠ الشاعر عمر ابو ريشة وزكي قنصل ود. فهيمه شرف الدين ود . نوال السعداوي وغالب هلسا ود . طيب بتزيني وعبد السلام العجيلي وناديا خوست وفراس السواح وغيرهم .

ومن الصالونات الشهيرة ايضاً صالون الادبية كوليت خوري الذي اقامته في منزلها في حي القصاع الدمشقي ونوقشت فيه موضوعات ادبية واجتماعية وفكرية وكذلك صالون الشاعرة السورية ابتسام الصمادي النائبة في البرلمان السوري ، وقد استضافت فيه نهله السوسو والشاعرة حمدة خميس من البحرين ومريم الصيفي من الاردن والناقد قاسم المقداد ومحمود موعد وميخائيل عيد ود . يوسف سلامة واخرين وكذلك انشأت جورجيت عطية صالوناً ادبياً في منزلها بحي القصور واستضافت ادباء بارزين وليس بعيداً عن هذا الطقس انتشرت في سوريا في منتصف العام ٢٠٠٠ في الفترة التي عرفت بـ (ربيع دمشق) ظاهرة المنتديات المنزلية التي تطرح قضايا فكرية وثقافية وسياسية واقتصادية والمنتدى الاول الذي ظهر واثار جديلاً عميقاً في هذه الفترة هو منتدى (الحوار الوطني) الذي اسسه النائب السابق المعتقل رياض سيف وبعده شهدت دمشق افتتاح منتدى

جمال الاتاسي في منزل الدكتور الرحوم جمال الاتاسي في حي المزه بدمشق كما اسس المحامي خليل معتوق منتدى (حقوق الإنسان) بمنزله في منطقة صحنايا جنوب دمشق وكذلك ظهر منتدى (اليسار) الذي كان يعقد جلساته في منزل الكاتب جاد الكريم الجباعي وفي طرطوس اعلن عن افتتاح منتدى الروائي نبيل سليمان وفي القامشلي افتتح منتدى (بدرخان) الثقافي الذي اهتم بالثقافة الكردية وفي حلب ظهر (المنتدى الديمقراطي) الذي اداره عبد المجيد منجونه بيد ان النقاشات السياسية التي غلبت على مناقشات وجلسات هذه المنتديات واستضافاتها لرموز المعارضة دفعت الجهات الرسمية الى اغلاقها بعد حوالي السنة من ممارستها لنشاطها وتعرض بعض القائمين عليها للاعتقال .

والمنتدى الوحيد الذي سمح له بالاستمرار في ممارسة نشاطه هو منتدى جمال اتاسي الذي لا يزال يعقد جلسة شهرية تطرح فيه قضايا سياسية حساسة .

وإذا ما تجاوزنا الدور السياسي لهذه المنتديات التي انتشرت بكثرة واغلقت خلال فترة وجيزة وعدنا الى الحديث عن الصالون الادبي كواحة مصغرة لاحتضان الثقافة والفكر فأننا نجد ان لهذه الصالونات دوراً في تكريس مبادئ الحوار وتسليط الضوء على الانشطة الفكرية والثقافية المختلفة وتزداد اهمية الصالونات في ظل ما يسمى بثقافة الصورة المتمثلة في الفضائيات والانترنت وطغيان القيم الاستهلاكية على روح العصر ، غير ان من الواضح ان صوت هذه الصالونات قد خفت في السنوات الاخيرة فهي لا تتلقى أي دعم ممن الدولة فضلاً عن تجاهل الاعلام الرسمي لأنشطتها وغالباً ما يكون المكان ضيقاً إذ تخصص صاحبة الصالون جزءاً من منزلها للأنشطة المقامة وبالتالي فإن دورها ينحسر شيئاً فشيئاً مثلما ينحسر دور الثقافة والادب والفكر عموماً في حياتنا .

وثمة عوامل كثيرة قادت الى تكريس نظرة خاطئة للثقافة نقول بأنها (ترف لا ضرورة) ومن هنا يمكن القول بأن الصالون الادبي الذي ذهب بريقه او كاد ما هو إلا اسم جميل وقناع يخفي خيبة المثقفين و (بؤس الثقافة) في عصر تحتل فيه (الصورة) المكانة الاولى رغم سطحيته الأمر الذي ادى - وفق تعبير الناقد السعودي المجتهد عبد الله الغزامي - الى (سقوط النخبة وبروز الشعبي) فالصورة التلفزيونية كما يرى الغزامي (تؤسس لمرحلة ثقافية بشرية تغيرت معها مقاييس الثقافة كلها إرسالاً واستقبالاً وفهماً وتأويلاً مثلما تغيرت قوانين التدوق والقصور) والصالونات الادبية بوصفها شكلاً راقياً من اشكال التواصل

الثقافي لم يسلم من هذا التغيير . [عبد الحميد . ٢٠٠٧ . ص . ص . ١٥١ - ١٥٦]

نأتي الآن الى ذكر وطرح رائدات الفكر العربي وهي ما يلي :-

- ١- وردة اليازجية ... داعية عروبية (١٨٣٨ - ١٩٢٤) لبنانية .
- ٢- عائشة التيمورية ... للقرطاس والقلم (١٨٤٠ - ١٩٠٢) مصرية .
- ٣- زينب فواز (ربات الخدور) (١٨٦١ - ١٩١٤) لبنانية .
- ٤- هدى شعراوي (١٨٧٩ - ١٩٤٧) مصرية .
- ٥- لبيبة هاشم (خطيبة منبرية) (١٨٨٠ - ١٩٥٢) لبنانية .
- ٦- مي زيادة (الحب والنبوغ) (١٨٨٦ - ١٩٥٤) فلسطينية .
- ٧- روز اليوسف لله (ساره برنار الشرق) (١٨٨٨ - ١٩٥٨) مصرية .
- ٨- امينة السعيد (خطى هدى شعراوي) (١٩١٠ - ١٩٩٥) مصرية .
- ٩- سهير القلماوي (رمز الحركة النسائية) (١٩١١ - ١٩٩٧) مصرية .
- ١٠- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ من الادب للقران) (١٩١٣ - ١٩٩٨) مصرية .
- ١١- فدوى طوقان (شاعرة) (١٩١٧ - ٢٠٠٣) فلسطينية .
- ١٢- نازك الملائكة (ونقد النقد) (١٩٢٣) .
- ١٣- نوال السعداوي (قصة كفاح) (١٩٣١) مصرية .
- ١٤- كوليت الخوري (ثقافة بلا حدود) (١٩٣٥) سورية .
- ١٥- سعاد الصباح (الأنوثة المصنوعة والقصيدة الموقف) (١٩٤٢) كويتية .

هذا ولا بد لي بعد هذا الاستطراد ان اشير الى ان المنظمات والتنظيمات النسوية العربية لم تتأسس من قبل المرأة العربية او بسبب احتياجها لها او وعيها بظلم الرجل والنظام الابوي العربي عليها بل تم تأسيس المنظمات النسوية العربية برغبة الحاكم العربي لا حباً بالمرأة العربية او دفاعاً عن حقوقها او من اجل مصالحها الاجتماعية والقانونية والمهنية بل من اجل اظهار حكمة بأنه يحترم المرأة ويعطيها مكانة في حكمه انما هذا فقط ظاهري أي ليس لها او لتنظيمها له ايه تأثير في السلطة او الحكم او الدفاع عن حقوقها المهضومة بل واجهة نسوية داعمة لنظامه الجائر أي ديكور سياسي لا يحل ولا يربط لذلك ينحل هذا التنظيم حال سقوط نظام الحاكم العربي ويحل محله تنظيم نسوي امر يشكله الحاكم نفسه

إنما من غير جماعة الحاكم السابق بل من جماعته (طائفته او مدينته) وهكذا لذلك لم تظهر منظمة نسوية عربية طالبت او تطالب بتساوي حقوقها مع الرجل في القانون والسياسة والمدينة ولم تطالب باستقلالها ولم تسأل الاخرين بالاستماع لصوتها في التعبير او التمثيل ولم تقل بان عدم مساواتها بالرجل من صنعة المجتمع العربي الابوي ولم تطالب رفع الوصاية عليها من قبل الرجل او النظام الأبوي بل كانت مستمتعة ومنفذه لأوامر الحاكم وطلباته في تأييدها لحكمه كواجهة داعمة لحكمه وقراراته وتسلطه . اقول ابقاها الحاكم العربي العوبة بيده وتابعة له ومتلقية لأوامره ومستجيبة لحكمه وخانعة للرجل أي ان المنظمات العربية النسوية بقيت تمثل التبعية للرجل والنظام الأبوي فلم يسمح لها بالكفاح من اجل المطالبة بمساواتها بالرجل العربي لأنها مقيدة اجتماعياً ودينياً وسياسياً وثقافياً .

٦ / خ - اخلاق الأنوثة

هي خلائق الحياء والحنان والنظافة ، فهي إنما تستحي لأنها تتلقى خليقة الحياء من الطبيعة او من إملاء الرجال عليها .

١ - حياء المرأة الذي تتلقاه من الطبيعة أنها تخجل من مفاتحة الرجل بدوافعها الجنسية وتنتظر المفاتحة من جانبه وان سبقتة الى الحب والرغبة وشأنها في ذلك كشأن جميع الاناث في جميع انواع الحيوان فأنها تنتظر ولا تتقدم او تتعرض ولا تهجم ويمنعها ان تفعل ذلك مانع من تركيب الوظيفة لا يصدر عن وازع اخلاقي ولا عن ادب من آداب السلوك إذ كان مانعاً يتساوى فيه الحيوان العاقل وغير العاقل كما يتساوى فيه النوع الذي ينفاد للغريزة وحدها والنوع الذي يراضي على سننه من سنن الحياة الاجتماعية فإنما خلق تركيب الأنثى للاستجابة ولم يخلق للابتداء والارغام وسر هذا الخلق ان تزويد الانثى بوظيفة الابتداء والارغام بحيث مضيع لغاية النوع حتى شغلت بوظيفة الحمل والرضاع كما تشغل بهما حسب استعدادها في معظم الاوقات .

وهذا الحياء الطبيعي لا يحسب من القيم الخلقية التي تريدها المرأة وتميلها على نفسها وعلى غيرها وبكيفية عمل من اعمال التكوين يصطبغ بالصبغة الخلقية كلما وافقت آداب الاجتماع ، وإنما يحسب من القيم الخلقية ذلك الحياة الذي تمليه الآداب ويتصل بالإرادة والاختيار ، لا فرق في ذلك بين الارادة الجامعة وارادة الأفراد المتفرقين .

وهذا الحياء الذي تمليه الآداب تدين به المرأة على قدر اتصاله بشعور الرجل نحوها ونظرته اليها .

٢- الحنان : والصق من الحياء بالمرأة حنانها المشهور ولا سيما الحنان للأطفال من ابنائها وغير ابنائها وهذه صفة من صفات الغرائز توجد في اناث الاحياء ولا تختار فيها انثى الانسان إلا على قدر امتياز العاقل على غير العاقل في كل ما يشتركان فيه .

٣- النظافة : فليست هي من خصائص الانوثة إلا لاتصالها بالزينة وحب الحظوة في اعين الجنس الآخر في اعين الجنس الآخر ولكن عمل الغريزة فيها انها صعب على المرأة وايسر على الرجل لأن المرأة تتكلف في سبيل النظافة ما ليس من الضرورات المتكلفة عند الرجل لما يعرض لها في وظائف الحمل وعادات الجسم المتكررة واخلاط الولادة ولوازم الحضانة وما اليها .

٤- التضحية : المرأة اقرب من الرجل الى التضحية في وظائفها النوعية لأنها تستمد تضحياتها من غرائز الأمومة وتموت في سبيل الذرية .

٥- تحب الرجل الكريم لأنه يغمرها بالنعمة ويريحها من شدائد العيش ويخصها بالزينة التي تزهيها وترضي كبريائها بين نظيراتها فضلاً عما في الكرم من معنى العظمة والاقنتدار . [العقاد ، عباس محمود . ٢٠٠٣ .
المرأة في القران . ص . ص . ٢٨ - ٤٤]

المصادر العربية

- ١- العمر ، معن خليل ٢٠١٢ " جرائم مستحدثه " . دار وائل للنشر – عمان
- ٢- العقاد ، عباس محمود ٢٠٠٣ " المرأة في القران " ، شركة النهضة – مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة .
- ٣- اوكين ، سوزان موللر ٢٠٠٩ " النساء في الفكر السياسي الغربي " ترجمة امام عبد الفتاح امام ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت .
- ٤- بيضون ، عزة شراره ٢٠١٠ " الجندر ماذا يقولون ؟ " ، دار الساقى – بيروت .
- ٥- جبر ، شمخي ٢٠٠٨ " علم النوع الاجتماعي ، هل نحتاج الى هذا العلم ؟" المركز التقدمي لدراسات وابحاث مساواة المرأة .
- ٦- توني ، ماكميلان ٢٠٠٧ " اختلاف الفتيان عن الفتيات وكيف يبرز افضل ما لديهم " ترجمة حسان بستاني ، اكاديميا انترنشنال – بيروت .
- ٧- جلول ، فيصل ١٩٨٠ " المفاهيم الافقية للمرأة في كتابات نوال السعداوي " ، مجلة الفكر العربي العدد ١٧ / ١٨ السنة الثانية .

- ٨- صباغ ، ليلي ١٩٧٥ " المرأة في التاريخ العربي " ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق .
- ٩- صبحي ، محي الدين ١٩٨٠ " ثورات في سجن النساء من قاسم امين الى نزار قباني " ، مجلة الفكر العربي العدد ١٧ / ١٨ السنة الثانية .
- ١٠- شهاب ، مليحة احمد ٢٠١٠ " المرأة السعودية صورة وصوت " ، طوى للثقافة والنشر - لندن .
- ١١- مجدي ، سلمى ٢٠٠٩ " نساء ملهمات خلدن التاريخ " ، دار الكتاب العربي - القاهرة .
- ١٢- مجدي ، سلمى ٢٠٠٩ " اسوء النساء في التاريخ " ، دار الكتاب العربي - القاهرة .
- ١٣- نصر الله ، املي ١٩٨٦ " نساء رائدات من الشرق والغرب " الجزء الثاني ، مؤسسة نوفل - بيروت .
- ١٤- عبد الحميد ، صلاح مجيد ٢٠٠٧ " رائدات الفكر العربي " ، المقطم ٣ عمارات البترول ش ٩ .

المصادر الاجنبية

- 1- Andersem , Margaret , L . and Taylor , Howard 2013 "The essentials Sociology " wadsworth . Belmont CA.USA
- 2- Bibbings , Lois . 1995 " Female circumcision Law and body Politics " (eds., Bridgeman Lim Millus susan Dartmouth Pub .co . Lim Sydney .
- 3- Dubin , Robert . 1978 " Theory Building " The free press . New York

- 4- Harrison . Kevin and Boyd , Tony . 2003 " Understanding Political ideas and movements " Manchester University press . New York .
- 5- Healy , Justin . 2005 " Women's Rights " . The spinney press Thirrow . NSW Australia .
- 6- Himes , Joseph 1967 . " The study of Sociology " . Scoft foresman and co. New York .
- 7- Healey , Justin . 2009 " Gender Equality " . The spiney press Australia .
- 8- Hannam , J . 2007 . " feminism " . Pearson Education Limited . UK
- 9- Jenainti , Cathia and Groves Judy . 2007 " Introducing feminism " . con Books ltd . UK
- 10- Clonti , Georgi . 2004 . " Human Trafficking " (ed.) organised crime , Trafficking , Drugs Nevala Sami Aramma , Kanke Hakapoin OY Helsinki firland .
- 11- Giddens , Anthony . 1994 . " Sociology " poltix press Blazckwell pub . Oxford U.K
- 12- Lam , Robert , Schaefer , Richard . 1992 . "Sociology" McGraw – Hill . Inc . New York
- 13- Lengermann , Patricia mado and Niebrugge Brantley jill . 1992 " contemporary feminist Theory " Ritzer Georg (ed.) Sociological theory " Mc Grow Hill New York
- 14- Lehti , Mariti and Aromaa Kauko . 2002 . "Trafficking in Human Beings , illegal immigration " Helsinki University press Helsinki ,. Finland

- 15- Nydell , Margaret K . 2012 " Under standing Arabs " Intercultural Press . London
- 16- Obokato . Tom . 2006 " Trafficking of Human Beings from a human Rights Perspective " Mardinne righ . Pub . Boston .
- 17- Pilcher , Jane . 2001 " Explaining Gender and Gender inequalities " . Giddens , Antony (ed.) "Sociology" Polity Press Cambridge . U. K
- 18- Poole , Marilyn . 2003 . " Gender Sociology " (ed.) Jureidini , Ray and pool , Marilyn Allen and Unwin Crons nets . NSW Australia .
- 19- Stearman , Kays . 2005 . " Femminsm " Hodder way and London .
- 20- Scholz , Sally . 2010 . " Feminism " one world . Oxford .
- 21- Ransome , Paul . 2010 . " Social theory " the policy press Bristol . U . K
- 22- Selltize , Claive and etal . 1965 . " Research method in Social Relation . " Holt Rinhart and winston , New York
- 23- Turner , Janathan t . 1974 . " The structure os Sociological Theory " The Dorsey press U.S Bureau of labor statistics 2010 .

المصادر الالكترونية

- 1- apap.ahlamontada.com
- 2- www.orchr.org.OHCHR
- 3- Anothergood.wordpress.com
- 4- www.musawah.net
- 5- www.ahewar.org/debat/show
- 6- [www.musawah.net](http://www.musawah.net/news) /news
- 7- www.arab-hdr.org/public
- 8- www.arab-hdr.org
- 9- www.el-aw.co.new press
- 10- maktooblog.com.ar Wikipedia.org
- 11- ar.wikipedia.org/wiki

- 12- www.al-7up.com
13- [egyoffline .com](http://egyoffline.com)

اصدارات المؤلف

- ١- المدخل الى علم الاجتماع (مشترك) ١٩٨١
- ٢- نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ١٩٨٢
- ٣- الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي ١٩٨٣
- ٤- نحو علم اجتماع عربي ١٩٨٤ - ١٩٩٢ ط ٢
- ٥- تاريخ الفكر الاجتماعي ١٩٨٥
- ٦- نحو نظرية عربية في علم الاجتماع ١٩٨٩ - ١٩٩١ ط ٢
- ٧- رواد علم الاجتماع في العراق ١٩٩٠
- ٨- انشطار المصطلح الاجتماعي ١٩٩٠
- ٩- علم اجتماع المعرفة ١٩٩١ - ٢٠٠٥ ط ٢
- ١٠- البناء الاجتماعي ١٩٩٢ - ١٩٩٣ ط ٢ - ١٩٩٧ ط ٣
- ١١- علم اجتماع الأسرة ١٩٩٤ - ٢٠٠٠ ط ٢
- ١٢- مناهج البحث في علم الاجتماع ١٩٩٥ - ١٩٩٧ ط ٢

- ١٣- نظريات معاصرة في علم الاجتماع ١٩٩٧ - ٢٠٠٩ ط٢
- ١٤- علم المشكلات الاجتماعية ١٩٩٨ - ٢٠٠٠ ط٢ - ٢٠٠٩ ط٣
- ١٥- علم اجتماع الفن ٢٠٠٠
- ١٦- معجم علم الاجتماع المعاصر ٢٠٠٠ - ٢٠٠٤ ط٢
- ١٧- مجتمع الامارات ٢٠٠١
- ١٨- قضايا اجتماعية معاصرة ٢٠٠١
- ١٩- ثنائيات علم الاجتماع ٢٠٠١ - ٢٠١٢ ط٢
- ٢٠- التنشئة الاجتماعية ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦
- ٢١- التغيير الاجتماعي ٢٠٠٤
- ٢٢- جرائم الاحتيال ٢٠٠٥
- ٢٣- الرعاية اللاحقة ٢٠٠٦
- ٢٤- علم الاجتماع التطبيقي ٢٠٠٦ - ٢٠١٣ ط٢ - ٢٠١٤ ط٣
- ٢٥- التفكك الاجتماعي ٢٠٠٧
- ٢٦- الضبط الاجتماعي ٢٠٠٧
- ٢٧- علم ضحايا الاجرام ٢٠٠٨
- ٢٨- علم اجتماع الانحراف ٢٠٠٨
- ٢٩- علم اجتماع المثقفين ٢٠٠٩
- ٣٠- علم اجتماع العنف ٢٠١٠
- ٣١- علم اجتماع الثورة ٢٠١٣
- ٣٢- جرائم مستحدثة ٢٠١٢
- ٣٣- الحركات الاجتماعية ٢٠٠٩
- ٣٤- الجريمة المنظمة والإرهاب ٢٠١٢
- ٣٥- المعضلة العراقية ٢٠١٤
- ٣٦- علم اجتماع الديمقراطية ٢٠١٤

